

شرح ديوان أبي تمام
حبيب بن أوس الطائي

لأبي المحاج يوسف بن سليمان بن عيسى
الأحمر الشنمري

(410-476 هـ) - (1019-1083 م)

دراسة وتحقيق
الأستاذ إبراهيم ناد

قدم له وراجعته
الدكتور محمد بن شريفة

الجزء الأول

نشرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

1425 هـ / 2004 م

رفع عبد الرحمن النجدي بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحابه
أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين
وبعد، فإن الكلام عن شرح الأعلام الشنتمري لشعر أبي تمام الطائي يظهر
الاهتمام الكبير الذي ناله هذا الشاعر وشعره في تاريخ الأدب العربي، وخاصة
عند أدباء الغرب الإسلامي.
إن أبا تمام ينتسب إلى قبيلة طيء المشهورة، وهو من شعراء الدولة العباسية
المجدين الذين صاغوا أشعارهم على طريقة مخالفة لما درج عليه أنصار النموذج
القديم (المعلقات) وكان ذلك منار معركة نقدية عنيفة بين أنصار مذهبه في
التجديد وخصومه.

ويعد أبو بكر الصولي (335 هـ) أول من ألف في أبي تمام وشعره، وكان عمله
عملا منهجيا منظما، حيث ألف كتابا في أخباره، اقتصر فيه لأبي تمام، وأردفه
بشرح على شعره حيث يعد أقدم شرح على هذا الشعر، ومن بعده تتابع العلماء
بالشعر على شرحه وتذكر منهم: الإمام الخارنجي، وأبو القاسم الأمدي، وأبو
علي المرزوقي، وأبو العلاء المحري، والخطيب التبريزي، وابن المستوفي الإربلي...
لقي هذا الشعر عناية شديدة، وإقبالا قويا من طرف أدباء الغرب الإسلامي.
فكانت للرحلة من الغرب إلى الشرق ومن الشرق إلى الغرب الدور الأكبر في
تأجيح هذه الرغبة وتمكنت رواية شعر أبي تمام بالأندلس وانتشرت بين مختلف
طبقات الأدباء، وكان ممن نشره سند روايتها أبو القاسم الإقبلي لذا يعتبر الأعلام
الشنتمري أشهر تلاميذ ابن الإقبلي قياسا على شعر أبي تمام، ويذكر بعض
تلاميذه بخصوص تدريسه الشعرين، ذلك أنه كان يستمر في إلقاء شعر أبي تمام
في رمضان، ويتوقف فيه عن تدريس شعر أبي الطيب ولم يكتف الأعلام برواية
شعر حبيب وإقرائه بل وضع شرحا عليه يمثل أسلوب أدباء الغرب الإسلامي في
مقاربة هذا الشعر الذين ينضدون بالرواية التي تضم القصائد التي كتبها الشاعر

: شرح ديوان أبي تمام للأعلام الشنتمري
: ابراهيم نادان
: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
: محفوظ للوزارة
: فيديرانت
9954-0-5009-4
2004 / 1437
: 1425 هـ / 2004 م

الكاتب
المحقق
منشورات
المحقق
الطبع
ردمك
الإبداع القانوني
الطبعة الأولى

يخط يده، ولعل هذه القيمة التاريخية تكتسب قوتها كذلك من العناية الملى التي أولاها كبار رجال الدولة في المشرق والمغرب لشعراي تمام الطائي، المتميز بخصال حميدة وأخلاق عذبة...

والوزارة إذ تقوم بطبع هذا العمل تسعى من وراء ذلك إلى المساهمة في خدمة التراث وإحياء الثقافة العربية الإسلامية من خلال اطلاع المثقفين والمهتمين بجهود علمائها الذين يعدون نماذج مثلى في هذا المضمار.

جعل الله ثواب هذا العمل في سجل أعمال مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك سيدي محمد السادس المحفوظ بالسبع المائتي وأقر عين جلالتة بولي عهده الأمير المحبوب مولاي الحسن وشهد عضده بصنوه صاحب السمو الملكي الأمير الجليل مولاي رشيد، وحفظه في باقي أفراد أسرته الملكية الشريفة.

وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية.

أحمد التوفيق.

بسم الله الرحمن الرحيم

رفيع
عبد الرحمن الشنتمري
أسكنه الله الفردوس

تقديم للأستاذ الدكتور محمد بنشريعة

كنت وقفت في خزانة القرويين منذ أزيد من عشرين سنة على نسخة خطية تحت رقم 1839 تشتمل على شرح لشعراي تمام نسب إلى غير مؤلفه، وهي نسخة تقع في سفر كبير غير محبوبك، ولما حصلت على صورة منها وأخذت أتصفحها وجدت أنها مختلطة الأوراق، مشوشة الترتيب، مرقمة على هذه الحال، ولما شرعت في إعادة ترتيب أوراقها حسب سياق الكلام وجدت في وسطها ورقة تحمل رقم 171 لم ينتبه مرقم النسخة إلى أنها هي أهر الكتاب فقد ختمت بما نصه: «تم السفر بتمام جميع شعراي تمام حبيب بن أوس الطائي شرح الأستاذ النحوي الأديب اللغوي أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى رحمه الله، وذلك يوم الخامس والعشرين من شهر صفر عام ثلاثة وتسعين وتسعمائة». وقد كان فرحي كبيرا عندما وقفت على هذه الورقة، وتبين بعد أن انتهيت من ترتيب أوراق النسخة أنها تامة ولا ينقصها إلا ورقتان من أولها وكان من حسن الحظ أنهما وجدتا ضمن مكتبة العالم التونسي المرحوم حسن حسني عبد الوهاب وقد تفضل الأخ الصديق الحبيب المسمى بتصويرهما وإيصالهما إليّ وهكذا أصبح لدينا نسخة كاملة من شرح الأعلام الشنتمري لشعراي تمام وهو شرح نفيس فخر به مؤلفه وذكر «أن العالم المنصف سيقر بفضلته على ما تقدمه من الشروح المؤلفة فيه، كما أن هذه النسخة الخطية منه تعتبر فريدة لا يُعرف غيرها في مكتبات العالم.

وقد كنت أنوي القيام بتحقيق هذا الشرح ضمن مشروع لي عن أثر أبي تمام وأبي الطيب في أدب المغرب، وهو المشروع الذي نُشرت طرعا منه سنة 1986 ثم شغلتنى أعمال الإدارة في العمادة والخزانة العامة عن متابعة المشروع وإنشائه ولما تقدم إليّ تلميذي الدكتور إبراهيم نادان راعيا يومئذ أن يحضر بإشرافي رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا أثرت على نفسي بشرح الأعلام وكلفته بتسجيله وتحقيقه وزودته بمصورة النسخة الخطية التي بيدي وأعرتة شرح التبريزي وشرح

الصولي الذي طبع في العراق ولم يصل إلينا ولكني صورته عن نسخة الأستاذ المرحوم محمد شاكِر في إحدى زيارتي له، ثم تابعت عمل إبراهيم أثناء الإعداد إلى أن أنجزه.

وقد بذل مجهودا طيبا سواء في التحقيق أم في الدراسة التي أتم في القسم الأول فيها بمصر أبي تمام وحياته ومنهجه الشعري وأثاره وفي مقدمتها ديوانه، وعرف في القسم الثاني منها بالشارح الأعلام الشنتمري الذي عاش في ظل العباديين بإشبيلية فتحدث عن علاقته بهم وعن حياته على العموم وأثاره كشرح شواهد الكتاب وشرح الأشعار الستة وشرح الحماسة وشرح شعر أبي تمام وقيمة هذا الشرح ومصادره وخصائصه ومنهجه فيه وفي غيره من شروحه.

وقد رجع في هذه الدراسة إلى عدد من المصادر والمراجع القديمة والحديثة وأحسن الاستشهاد والتنقيص ولم يقتصر في التعليق والتحليل، وأما في التحقيق فقد بذل مجهودا كبيرا في ضبط شعر أبي تمام وشرح الأعلام وأشار إلى الروايات واجتهد في ملء الفراغات وقابل شرح الأعلام بشرحي الصولي والتبريزي وخرج الآيات والأحاديث والأشعار والأمثال التي اشتمل عليها الشرح وعرف بالأعلام التي تحتاج إلى التعريف، وبالجملية فقد تولى -كما يقول- «تقديم عمل متكامل يشمل إيضاح الفروق بين الروايات وتقويم النص ليكون تاما كاملا سليم الفقرات مترابط الأجزاء وتكون الهوامش متضمنة لما يزيد المتن وضوحا».

إن العثور على شرح الأعلام لشعر أبي تمام وتحقيقه وإخراجه يتمم ما كان ناقصا من مكتبة الأعلام فقد عرف الدارسون شرحه لشواهد الكتاب وشرحه للأشعار الستة وشرحه للكتاب -وقد سماه النكت- وشرحه لحماسة أبي تمام وشرحه لأبيات الجمل، ومن شروح الأعلام التي نرجو إخراجها إن شاء الله شرحه لشعر المتنبي الذي قاله في صباه.

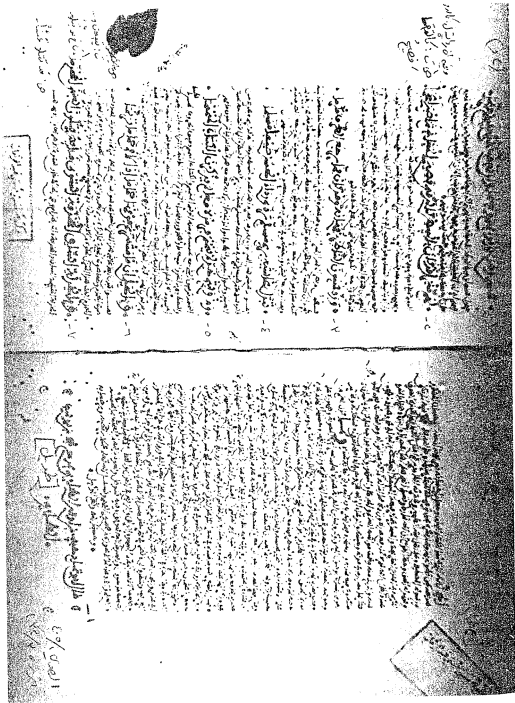
لقد تحدثت بتفصيل في دراسة لي عن عناية الأندلسيين والمغاربة بشعر أبي تمام وحماسته منذ وصولهما إلى المغرب سواء على مستوى الروايات والأسانيد أو على مستوى الإقراء والتدريس أو على مستوى الشروح أو على مستوى النقد وهي دراسة تقع في 85 صفحة، وقد ختمتها بقولي: «من هذه الإشارات والأخبار التي لم تقصد فيها إلى الاستقصاء يتجلى التأثير الذي كان لأبي تمام في الحياة الأدبية بالأندلس والمغرب، وذلك بواسطة شعره أولا وحماسته ثانيا».

وقد كان مما ذكرته من اهتمام أسلافنا في الأندلس والمغرب بشعر أبي تمام أن الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر كلف لجنة من الأدباء بتخريج نسخة مرتبة ومصححة من شعر هذا الشاعر الكبير، وفي طبقات الزبيدي خبر مفصل فيه أسماء أعضاء اللجنة والمعياري الذي اختاروه في ترتيب القصائد وكان الاختيار على أساس جودة القصائد ودرجاتها في الجودة وليس على أساس الحروف أو الأغراض، ولما دخل أبو علي القالي إلى الأندلس جلب معه -فيما جلب من كتب- قراطين من شعر أبي تمام بخطه نفسه، ونسخة أبي تمام هذه التي أصلها القالي ووثقها ابن الأفلح شيخ الأعلام الشنتمري هي التي انتشرت في الأندلس والمغرب وتوجد منها نسخ خطية متعددة إلى اليوم في الخزائن والمكتبات المغربية، كالمكتبة الزيدانية بالاسكوريال والخزانة الحسنية، ولعل من المفيد أن نثبت هاهنا نص الكلمة التي توجد في آخر نسخة الاسكوريال وبعض نسخ الخزانة الحسنية بالرباط، وهي هذه:

«وجد في الأصل المكتوب منه هذا ما نصه:

كتبه لنفسه بخط يده علي بن محمد بن عيسى القيسي نفعه الله به، استنسخه من كتاب الشيخ الأجل الوزير الأستاذ أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن زكرياء الزهري المعروف بابن الأفلح المكتوب بخط يده المنقول من القراطين التي اجتلبها أبو علي إسماعيل ابن القاسم البغدادي وذكر أنها بخط يد أبي تمام حبيب بن أوس الطائي. ووجدت أيضا فيه ما نصه:

"والفيت في آخر الأصل المذكور بخط الشيخ الأستاذ أبي القاسم المذكور رحمه الله: كمل في هذا السفر جميع ما تضمنته القراطين التي اجتلبها أبو علي إسماعيل بن القاسم البغدادي من شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، وذكر أبو علي أنها بخط يد أبي تمام واستقرت عند صاحب الشرطة الكاتب أبي القاسم بن سيد وصارت إلى من جهته: وكذلك كمل فيه جميع ما قيده أبو علي من شعر أبي تمام في سفر الكاغد الذي قرأ فيه علي أبي محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه وأقره ذلك رواية عن علي بن مهدي الكسروي عن أبي تمام حبيب بن أوس، واستقر السفر المذكور عند الحاجب جعفر بن عثمان وصار من جهته إلى صاحب الشرطة الكاتب أبي حفص بن مضاء وأسعرته من ابنه، وأضفت إلى ذلك ما أضيته زائدا في الكتب التي استقرت بخط أبي علي وروايته في خزنة المنصور



أبي عامر محمد بن أبي عامر وأخرج إليّ الكتب المذكورة أبو القاسم الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف، رحم الله جميع المذكورين وعفا عنهم وأضفت إلى ما نقلته من الأصول المذكورة ما ألفيته زائداً في رواية محمد بن يحيى الصولي مما أشبه ما تقدم في حسن الصناعة واختيار الألفاظ، والحمد لله على عونه وجميل تأييده كثيراً كما هو أهله وصلى الله على محمد وسلم.

اللهم اجعله دعاءً نافعاً وسعيًا مشكوراً.

نقلته كما ألفيته في الأصل المذكور حرفاً بحرف.

أثبتنا هذا النص بكامله لدلالاته المتعددة على عناية الأندلسيين والمغاربية بشعر أبي تمام وجهودهم في توثيقه وجمعه.

إن نسخة شرح الأعلام المحفوظة في خزانة القرويين، والتي هي نسخة فريدة، قد انتسخت بالمغرب مثل عدد آخر من تراث الأندلس، في عهد أحمد المنصور الذهبي، وأرى أن هذا يدل على حركة إحياء للتراث المذكور في ذلك العهد الذي احتضن المطرودين نهائياً من الأندلس، وإن ما تقوم به وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية من نشر لهذا التراث هو إحياء جديد نرجو منه المزيد؛ والحمد لله رب العالمين.

[illegible]

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

المقدمة

موضوع هذا البحث "تحقيق شرح ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي المتوفى سنة 232هـ، لأبي الحجاج يوسف بن سليمان ابن عيسى الملقب بالأعلم الشنتمري المتوفى سنة 476هـ، وقد قدمت لهذا البحث مقدمة تناولت التعريف بأبي تمام ومذهبه في الشعر، والتعريف بالأعلم الشنتمري أديب شنتمرية الذي خص بني عباد ملوك إشبيلية، وفي ظل دولتهم ألف مؤلفاته الكثيرة، ومنها شرحه لشعر أبي تمام الذي شرحه لأبي القاسم المعتمد بن عباد.

أ.أبو تمام ومذهبه في الشعر:

أبو تمام هو حبيب بن أوس الطائي صليبي، ومولده بقرية يقال لها جاسم⁽¹⁾، وقال قوم هو حبيب بن تدوس النصراني، فغير فصير أوساً⁽²⁾، وكانت ولادته سنة تسعين ومائة، وفي أخبار الصولي أيضاً: "حدثني عون بن محمد الكندي قال: قرأت على أبي تمام شيئاً من شعره في سنة سبع وعشرين ومائتين، وسمعت يقول مولدي سنة تسعين ومائة"⁽³⁾، ورويت روايات أخرى في تاريخ ولادته فابنه تمام يقول: "مولد أبي سنة ثمان ومائتين ومائة"⁽⁴⁾، وروى ابن خلكان: "وقبل سنة اثنتين وسبعين ومائة"⁽⁵⁾، ولا يختلف مترجموه في مكان ولادته بجاسم قرية من بلد الجليدور من أعمال دمشق بين دمشق وطبرية⁽⁶⁾، وأنكر بعضهم نسبته في قبيلة طيء، فأول شعر هجا به مخلد بن بكار أبا تمام يتعرض لنسبه، وينفي كونه عربياً، يقول في قصيدة طويلة:

1- أخبار أبي تمام: 59.

2- نفس: 245.

3- نفس: 273-272.

4- نفس: 273.

5- وفیات الأعيان ج2: 17.

6- نفس ج2: 17.

أن تشكيك الناس في نسيه من اختلاق خصومه الذين "كانوا يعملون إلى كل ما يمكن النيل منه، فيفعلونه"⁽¹⁾، وانتهى إلى القول: "ولكني بعد هذا كله لا أرتاب في أن في أبي تمام عنصرا أجنبيا، إلا أنه في النقاة وليس في الدم"⁽²⁾.

نشأ أبو تمام منتقلا بين البلدان طلبا لضروريات حياته العقلية والاجتماعية، فقد انتقلت أسرته من جاسم إلى دمشق، وهناك كان حبيب "يخدم حانكا ويعمل عنده بدمشق، وكان أبوه خمارا بها"⁽³⁾، كما رحل إلى مصر حيث كان يسقي الناس ماء بالجرة في جامع مصر⁽⁴⁾، قبل أن يصبح شاعرا يمدح الخلفاء والأمراء والقواد، وينال مكافآتهم وجوائزهم.

بدأت موهبة أبي تمام الشعرية تتفتح باكرا لميله إلى هذا الفن الكلامي. حدث عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزبيدي قال: كنت جالسا عند ديك الجن فدخل عليه حدث، فأنشده شعرا عمله، فأخرج ديك الجن من تحت مصلاه درجا كبيرا فيه كثير من شعره، فسلمه إليه، وقال يا فتى تكسب بهذا واستغن به على قولك، فلما خرج سأله عنه فقال هذا فتى من أهل جاسم، يذكر أنه من طيء يكتى أبا تمام، واسمه حبيب بن أوس، وفيه أدب وله قريحة وطبع"⁽⁵⁾.

وكان حافظا "له من المحفوظ ما لا يلحقه فيه غيره، قيل إنه كان يحفظ أربع عشرة ألف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقاطع"⁽⁶⁾. حافظ للقرآن الكريم عارفا بالحديث، يقول د. عمر فروخ: "كان أبو تمام حافظا للقرآن عارفا بالحديث، ويعلم العربية، كثير الاطلاع على التاريخ، ما عم منه وما خص، حسن المشاركة في علم الكلام وفنون الفلسفة، أما في الأدب والنقد وفروع البلاغة فكان - مما يبدو لنا في ديوانه - إماما كبيرا"⁽⁷⁾.

1- أبو تمام الطائي: حياته وحياء شعره: 34.

2- نفسه: 36.

3- ديوان الأعيان ج: 2: 17.

4- نفسه ج: 17.

5- ديوان الأعيان ج: 3: 184 - 285.

6- نفسه ج: 13.

7- أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله: ص 40.

أصل ما فيك كلام
أجاني ما تـرام
ك خـزامي وثمان
رك نـسبع وبـثمان

ونواصيك ثـثمان
جفـلت منك نـعام
ويرابـيع عـظام
لفـني فيك الأنـعام
نبـطيات لـثمان
عـرقت فيك الكـرام
من بنـي الانـباط خـام
عـربي ما تـضام
وحوالـيه سـلام
ع قـسي وسـهام
قددنا مـنها صـرام
عـربي والسـلام⁽¹⁾

أنت عندي عربي الـ
عربي عـربي
شعر فـخديك وسـابقـ
وضـلوع الشـلو مـن صـد

وقـبـذي عـنيك صـمغ
لو تـحرـكت كـذا لـان
وظـباء مـخصـبات
أنا ما ذنـبي إن خـا
وأنت مـنك سـجايـا
وقـفا يـحلف أن مـا
ثم قالوا: جاسـمي
كذبـوا ما أنتـ إلا
بيته ما بين سـلمى
ولـه مـن إرث أبـا
وتـخيل باسـمات
أنت عنـدي عـربي

وقد اختلف الباحثون في هذه النسبة، واعتبروا أن هذا الاهتمام بنسبه له ما يبرره في مجتمع شديد التحرج في الأنساب، يقول محقق شرح الصولي لديوان أبي تمام: "وفي ظني أن هذه الشكوك التي حامت حول نسبه قد نجد أنها تستند إلى شيء من الحقيقة، في ذلك الوقت الذي كان الاهتمام بالنسب يحتل مكانة بارزة في بناء المجتمع وأعرافه الاجتماعية، فلا بد إذن أن يكون لهذا الشك ما يبرره، وإلا فما هو الداعي لإطلاقه ؟ ولماذا اتخذ خصومه من هذا الشك مادة لهجائهم له"⁽²⁾، ويرى ذ. محمد نجيب البهيتي

1- أخبار أبي تمام: 234 - 235 - 236.

2- مقدمة تحقيق شرح الصولي لديوان أبي تمام: 20 - 21.

وامتاز بذكاء ولفظة، فمن الصولي: "كان أبو تمام إذا كلمه إنسان أجابه قبل انقضاء كلامه، كأنه كان علم ما يقول، فأعد جوابه"⁽¹⁾.

اجتمع لأبي تمام الطبع والملكة والثقافة المتنوعة التي عجب بها عصره الذي كان يحطاً ومجتمعاً لعناصر ثقافية متنوعة فأصبح شاعراً ذا مذهب شعري تقبل شعره قوم، ولم يرتضه آخرون، ويستطيع الدارس لشعر أبي تمام أن يستنتج أنه كان عارفاً لصناعته، عالماً بها، رأى نفسه أهلاً للمذهب شعري فاتبعه لميل نفسه إليه، وسار على هديه في جميع قصائد ديوانه ساعياً لعدم الخروج عن التعريف الشامل للشعر بأنه الكلام الذي ينبغي أن تتوفر فيه استقامة اللفظ واستجابته للمعنى، وأن يكون خاضعاً لوزن وله قافية وذا وظيفة انفعالية تنير في النفس الإحساس بالجمال الفني، وتنقل له صورة الحدث الذي ملك ذهن الشاعر ومخيلته. ويستنتج المرء من وصية أبي تمام للبحثري في كيفية النظم أن أبا تمام كان يشعر بمسؤولية الشاعر وبوظيفة الشعر إذ يقول له: "وإذا أخذت في مدح سيد ذي أباد فأشهر مناقبه، وأظهر مناسبه، وأن معاله، وشرف مقامه وتقاض المعاني، واحذر المجهول منها، وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الزرية، وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مفادير الأجسام"⁽²⁾.

وكان عالماً بالشعر ناقداً له، متذوقاً لمعانيه، وفي أخبار الصولي أخبار كثيرة تشهد بصدقه في صناعة شعره منها أن جماعة حدثت عن ابن الدقاق قال: قرأنا على أبي تمام أرجوزة أبي نواس التي مدح بها الفضل ابن الربيع: "وبلدة فيها زور" فاستحسنها وقال سارووس نفسي في عمل نحوها، فجعل يخرج إلى الجنبية، ويشغل بما يعمل، ويجلس على ماء جاره، ثم ينصرف بالعشي، فعمل ذلك ثلاثة أيام، ثم خرق ما عمل وقال: لم أرض ما جاءني"⁽³⁾، وقد سوغ هذا الحذق للبحثري أن يقول لعلي بن إسماعيل التوجيني، والله يا أبا الحسن لو رأيت أبا تمام الطائي لرأيت أكمل الناس عقلاً وأدباً. وعلمت أن أقل شيء فيه شعره"⁽⁴⁾.

هذه بعض الخصائص البارزة في شخصية أبي تمام، والتي جعلت منه أدبياً محبباً عند قوم ومثار جدل عند آخرين، حدث عون بن محمد الكندي قال: حدثني محمد بن سعد أبو عبد الله الرقي، وكان يكتب للحسن بن رجاء، قال: قدم أبو تمام مدحاً للحسن بن رجاء فأرأيت رجلاً علمه وعقله فوق شعره"⁽¹⁾، ووفارة علمه وعقله جعلته رجلاً كثير الفكاهة يدرکہا فيه ممدوحوه فيعتبرونها فكاهة شاعر، وقد يوجهها آخرون لتخضع للأخلاق والأعراف الاجتماعية على علمهم بما يحرك هذا الشاعر في هذا المجتمع المتعدد المظاهر، فمن ابن المعتز: قال الحسن بن رجاء الضحاک: كنا مع أمير المؤمنين المعتمد بالرقعة، فجاء أبو تمام، وأنا في حراقتي، فجعل ينشدني ويلفت إلى الخدم والعلماء الوقوف بين يدي، ويلاعبهم ويغامرهم، وكان الطائي من أكثر الناس عبثاً ومزاحاً - فقلت له: يا طائي قد ظننت أنك ستصير إلى أمير المؤمنين مع الذي أرى من جودة شعره، فانظر إنك إن وصلت إليه لا تمارح غلاماً ولا تلثف إليه، فإنه من أشد الناس غيرة، وإني لا آمن إن وقف منك على شيء أن يأمر غلامه فيصفعك كل واحد منهم مائة صفعة، فقال إذا أخرج من عنده بيد مملوءة صفعة"⁽²⁾.

كما لم يرتض خالد بن يزيد أخلاقه الماجنة فقد وفد عليه بأرمينية فامتدحه فأمر له بعشرة آلاف درهم وثيقة لسفره، وأمره ألا يقيم إن كان عازماً على الخروج، فودعه، وفضت أيام، فركب خالد ليتصيد فأراه تحت شجرة وقدامه زكرة فيها نبيذ وغلان بيده طنبور فقال: حبيب؟ قال خادمك وعبدك. قال ما فعل المال؟ فقال:

علمني جودك السماح فما أبـ	قيت شيئاً لـدي من صلتك
ما مر شهر حتى سمحت به	كان لي قدرة كمقدرك
تسفق في اليوم بالهسبات وفي	الساعة ما تجتنبه في سنتك
فلست أدري من أين تسفق لـو	لا رأيي بمد في هبتك

فأمر له بعشرة آلاف درهم أخرى فأخذها"⁽³⁾. بيد أن هذه الأخلاق لم تفسد مكانته الشعرية عند ممدوحيه ولا مست المكافات والأعطيات التي كانوا يجودون بها

¹ - طبقات ابن المعتز: 283.

² - نفس: 283.

³ - أخبار أبي تمام: 158 - 159.

¹ - أخبار أبي تمام: 72.

² - أسس النقد الأدبي عند العرب: 187.

³ - أخبار أبي تمام: 246 - 247.

⁴ - نفس: 171 - 172.

عليه حتى غطت شعرته في عصره على شاعرية شعراء كثيرين وردتهم القهقري، روى الصولي أن أحمد بن يزيد المهلب قال سألت أبي عن أبي تمام فقال سمعني أبي وأنا ألاحى إنسانا في أبي تمام فقال لي: ما كان أحد من الشعراء يقدر أن يأخذ درهما واحدا في أيام أبي تمام فلما مات أبو تمام اقتسم الشعراء ما كان يأخذه⁽¹⁾، بل بعضهم قال في مدح مدحه أبو تمام به "من لا يعطى على هذا ملكه"، حدث عون بن محمد قال حدثني الحسين بن وداع، كاتب الحسن بن رعاء، قال: حضرت محمد بن الهيثم بالجبل، وأبو تمام ينشد:

جادت معاهدهم عهاد سحابة ما عهدها عند الديار ذميم
قال فلما فرغ منها أمر له بألف دينار، وخلع عليه خلعة حسنة، وأقمنا ذلك اليوم عنده، ومعنا أبو تمام، ثم انصرف، وكتب إليه في غد ذلك اليوم.

قد كسانا من كسوة الصيف خرق
حلبة سابرية ورداء
كالسراب الرقراق في الحسن إلا
قصيا تسترجف الريح منتهية
رجفاننا كان الدهر منه
لازما ما يليه تحسبه جز
يطرد اليوم ذا الهجير ولو شب
خلعة من أغر أروع رحب الص
سوف أكسوك ما يعفي عليها
حسن هاتيك في العيون وهذا

فقال محمد بن الهيثم: من لا يعطى على هذا ملكه؟ والله لا يقي في داري ثوب إلا دفعته إلى أبي تمام فأمر له بكل ثوب يملكه في ذلك الوقت⁽²⁾ لكن لم يأخذ أبو تمام من أحد كما أخذ من ممدوحه محمد بن يوسف الطائي، ففي خير رواه الصولي أن البحتري قال: ومن أول شعر مدح به أبو تمام محمد بن يوسف الطائي قوله:

¹ - نسخة: 104 - 105.
² - أخبار أبي تمام: 188 - 189 - 190.

من سجايا الطللول ألا تجيبا فصولا من مقلتي أن تصوبا

قال: وما أخذ أبو تمام من أحد كما أخذ منه، ليس أنه كان يكثر له، ولكن كان يديم ما يعطيه⁽¹⁾، وقد جلبت له هذه الحكاة الشعرية المتنازة الهجاء والمناهضة، فقد انتضى له مخلد الموصلي ينيله ويهجو في حياته وبعد مماته حتى إن بعض القوم قال لأبي تمام: قد هجاك مخلد فلو هجوت؟ قال: الهجاء يرفع منه، قيل أليس هو شاعرا؟ قال: لو كان شاعرا ما كان من الموصلي، يعني أن الموصلي لم يخرج شاعرا. قال أبو سليمان: وأصل مخلد من الرحبة، ثم أقام بالموصل⁽²⁾، ولعل عزوفه عن الرد على مخاصمه كان لتلك الدرجة التي يضع فيها ممدوحوه شعره ومن ذلك أن نصر بن منصور لما قدم إليه أبو تمام فأنشده مدحا له ولما بلغ فيه إلى قوله:

أسائل نصصر، لا تسله، فإنه أحسن إلى الإفراء منك إلى الرفد

قال له نصر: أنا والله أغار على مدحك أن تضعه في غير موضعه، ولئن بقيت لأحظرن ذلك إلا على أهله، وأمر له بمائة سنة وكسوة، قال: فمات نصر بعد ذلك في شوال سنة سبع وعشرين ومائتين⁽³⁾، وهناك أخبار كثيرة في شأن مكانة أبي تمام الشعرية، والمكافآت المالية والخلع التي كان الممدوحون يهبونها له قال الحسن بن وهب: قلت لأبي تمام: أفهم المعصم بالله من شعرك شيئا؟ قال استعاذني ثلاث مرات:

وإن أسمح من تشكو إليه هوى
من كان أحسن شيء عنده العذل
واستحسنه، ثم قال لابن أبي دؤاد: يا أبا عبد الله الطائي بالبصريين أشبه منه بالشاميين⁽⁴⁾، وكان أبو تمام حلو الكلام فصيحاً غير أنه كانت فيه تقمة بسيرة⁽⁵⁾، من أجل ذلك كان له رواية حسن الصوت حسن النشيد، روى الصولي أن أحمد بن إبراهيم قال حدثني محمد بن روح الكلابي قال: نزل علي أبو تمام الطائي فحدثني أنه امتدح المعصم بسر من رأى بعد فتح عمورية، فذكره ابن أبي الدؤاد للمعصم، فقال له: أليس

¹ - نسخة: 227.
² - نسخة: 234.
³ - نسخة: 266.
⁴ - نسخة: 267.
⁵ - نسخة: 259.

الذي أنشدنا بالمصيصة الأجر الصوت؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن معه رواية حسن النشيد، فأذن له، بديارهم كثيرة وصلك ماله على إسحاق بن إبراهيم المصعبي، قال أبو تمام، فدخلت إليه بالصلك، وأنشدته مدحاً له، فاستحسنه وأمر لي بدون ما أمر لي به المعتصم قليلاً، وقال والله لو أمر لك أمير المؤمنين بعدد الدراهم دنائير لأمرت لك بذلك⁽¹⁾.

هذه الصورة الشاملة التي عرضت من قبل كانت تتوخى تقديم أبي تمام الشاعر في بيئته الاجتماعية قبل أن ينع شاعراً ويعد أن ذاع صيته فصار منه ما صار، علماً وعقلاً وفصاحة وكفاة وتسجيلاً لأحداث عصر متعدد الأوجه، متلون الصفحات، يقول د. البهيتي: "كان هذا العصر دامياً، ويكتفي أن تقرأ كتاباً من كتب التاريخ لتري المارك لا تكاد تقف، وكان هذا العصر علماً، وتنهالك في طلبه، وكان هذا الروح أن هذه الأمة عن بكرة أبيها كانت تطلب العلم، وتنهالك في طلبه، وكان هذا العصر غارقاً إلى الأذقان في تحقيق اللذة، جسمية وعقلية، بطلبها في غير هوان، ويكب عليها في استسلام ونهم، حتى فسفت اللذة الجسدية، وتعبدها جماعاً كالخرمية"⁽²⁾، ولذلك استطاع أن يستنتج أن أبا تمام كان شاعر المارك والأحداث الكبيرة التي كان يتهم لها ولالة البلدان الإسلامية التي كان الشاعر يقصدها ويرحل إليها فقال: "وأبو تمام غرمة هذا العصر يجره وشره، فغمر أبي تمام مصطبغ بالدم كما كان عصره مصطبغاً بالدم، ولا يكاد يثير شاعريته شيء كما تثيرها الحروب والدماء، وأجمل شعره وأعرفه في الشاعرية، هو ذلك الذي يصف فيه خراباً أو تحريقاً، وهو حين يغرق في ذلك لا يكاد يس قلبه معنى إنساني"⁽³⁾، ومثل هذا الشاعر حري به أن يسجل أحداث عصره في كل ألوانها، ويبعث لها عن الأساليب الأدبية المؤدية لمعانها الشيء الذي يجعل من شعره لوحة تاريخية، ويضيف د. البهيتي: "لم يقع حدث هام في تاريخ الأمة الإسلامية في حياة أبي تمام إلا سجله، وتغنّى به في شعره، فإذا هوجمت ثغور المسلمين قال وإذا غزا المأمون الروم قال في ذلك شعراً، وإذا انقسم الناس على أنفسهم قال، وإذا خرج خارج في الدولة قال، وإذا فتح المعتصم عمورية قال، وإذا مات من العرب عظيم قال، وإذا

أخذ عدو من أعداء الدولة قال، وهكذا حتى إن معظم شعره يتصل بالتاريخ اتصالاً وثيقاً"⁽⁴⁾.

هذه لمحة عن مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية التي شهدها عصر أبي تمام وكيف استجاب لها الشاعر، وهي كتيبة بأن تدفعنا إلى الحديث عن آراء أهل العلم بالشعر في مذهبه، وما دار من خلاف بين الناس في شعره، وما نتج عن ذلك من آراء سجلتها كتب التاريخ والأدب.

ب. مذهب أبي تمام في الشعر:

بالغ أبو تمام في العناية بالشعر ومدارسته حتى لم تكن له رغبة في غيره، وفي الخير أن أبا الغضن محمد بن قدامة قال: دخلت على حبيب بن أوس يقرون وحواليه من الدفاتر ما غرق فيه فما يكاد يرى، فوقفت ساعة لا يعلم بمكاني لما هو فيه، ثم رفع رأسه فنظر إلي وسلم علي، فقلت له، يا أبا تمام، إنك لتنظر في الكتب كثيراً وتدعم الدرس فما أصرك عليها، فقال: والله ما لي لغيرها ولا لذة سواها، وإني لخليق أن أتفقدتها أن أحسن، وإذا بجزمتين واحدة عن يمينه وواحدة عن شماله، وهو منهك ينظر فيهما ويميزهما من دون سائر الكتب، فقلت: فما هذا الذي أرى من عنائتك به أوكد من غيره؟ قال: أما التي عن يميني فاللات، وأما التي عن يساري فالعزى أعبدتهما منذ عشرين سنة، فإذا عن يمينه شعر مسلم بن الوليد صريع الغواني، وعن يساره شعر أبي نواس⁽⁵⁾، وهذه المداينة لكتب الشعر والنظر فيها واختيار الدواوين الشعرية التي تميل لها نفس الشاعر هي التي كانت مصادر معانيه التي كان ينثرها في شعره، حدث أبو بكر بن الحارثي قال: حدثني علي الرازي قال: شهدت أبا تمام وغلّام له ينشد ابن أبي دؤاد:

عاشن أحمد بن أبي دؤاد
ومن جدواك راحلتي وزادي
وإن قلقست ركابي في السيلاد

لقد أنست مساوي كل دهر
فما سافرت في الأفق إلا
مقيم الظن عندك والأماني

¹ نفسه: 212.

² طبقات ابن المعتز: 284.

¹ نفسه: 143 - 144.

² أبو تمام الطائي: حياته وحياء شعره: 203.

³ نفسه: 204.

فقال له: يا أبا تمام، هذا المعنى الأخير مما اخترعته أو أخذته، فقال هو لي، وقد أملت بقول أبي نواس:

وإن جرت الألفاظ منا بمدحة لغريك إنسانا فأنت الذي نعني (1)

لكن طريقة أبي تمام في قول الشعر ونسجه لم يرتضها بعض أهل العلم بالشعر، بينما تعصب لها آخرون وأنبأوا للذنب عنها، وفي هذا السياق يقول الصولي: "وما أحسب شعر أبي تمام، مع جودته وإجماع الناس عليه، ينقص بطعن طاعن عليه في زماننا هذا، لأنني رأيت جماعة من العلماء المتقدمين ممن قدمت عذرهم في قلة المعرفة بالشعر وتقده وتمييزه، ورأيت أن هذا ليس من صناعته، وقد طعنوا على أبي تمام في زمانهم وزمانه، ووضعوا عند أنفسهم منه، فكانوا عند الناس بمنزلة من يهذي، وهو يأخذ بما طعنوا عليه الرغائب من علماء الملوك، ورؤساء الكتاب، الذين هم أعلم الناس بالكلام منثور ومنتظم، حتى كان هو يعطي الشعراء في زمانه ويشفع لهم، وكل محسن فهو غلام له، وتابع أثره (2)، وشبهه بهذا الكلام ما حكاه أبو الفرج الأصبهاني: "وفي عصرنا هذا من يتعصب له فيفطر، حتى يفضل على كل سالف وخالف وأقوام يتعمدون الرديء من شعره فيثرونه، ويطوون محاسنه، ويستعملون القحة والمكابر في ذلك، ليقول الجاهل بهم إنهم لم يبلغوا علم هذا وتمييزه إلا بأدب فاضل، وعلم ثاقب، وهذا مما يتكسب به كثير من أهل هذا الدهر، ويجعلونه وما جرى مجراه من ثلب الناس، وطلب معانيهم، سببا للترفع، وطلبا للرياسة، وليست إساءة من أساء في القليل، وأحسن في الكثير، مسقطه إحسانه، ولو كثرت إساءته أيضا ثم أحسن، لم يقل له عند الإحسان أسأت، ولا عند الصواب أخطأت، والوسط في كل شيء أجمل، والحق أحق أن يتبع (3)" ومما يؤيد هذا قول الصولي: "ومن الإفراط في عصبيتهم عليه، ما حدثني به أبو العباس عبد الله بن المعتز قال: حدثت إبراهيم بن المدير - ورأيتة يستجيد شعر أبي تمام ولا يوفيه حق - بحديث حدثني أبو عمرو بن أبي الحسن الطوسي وجعلته مثلا له قال: وجه بي أبي إلى

ابن الأعرابي لأقرأ عليه أشعارا، وكنت معجبا بشعر أبي تمام فقرأت عليه من أشعار هذيل، ثم قرأت أرجوزة أبي تمام على أنها لبعض شعراء هذيل:

وعاذل عدلته في عدلته فطن أنسي جاهل من جهله

حتى أنقمتها، فقال: اكتب لي هذه، فكتبته له، ثم قلت: أحسنه هي؟ قال: ما سمعت بأحسن منها! قلت: إنها لأبي تمام فقال: خرق خرق (4). وروى صاحب الأغاني أيضا: "خبرني محمد قال حدثني هارون بن عبد الله قال لي محمد بن جابر الأزدي، وكان يتعصب لأبي تمام، أنشدت دعبل بن علي شعرا لأبي تمام ولم أعلمه أنه له، ثم قلت له: كيف تراه؟ قال: أحسن من عافية بعد ياس، فقلت، إنه لأبي تمام فقال: لعله سرقه (5)."

وكان سبب هذا الخلاف هو مذهبه في البديع، وفي كتب النقد مناقشات مستفيضة لمذهب البديع في الشعر العربي، يقول ابن المعتز في كتابه "البديع": "قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع، ليعلم أن بشارا ومسلما وأبا نواس، ومن تقيهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثرت في أشعارهم ففرق في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه، ثم إن حبيب بن أوس الطائي من هذا البيت والبيتين في القصيدة، وربما قرئت من شعر أدهم قصاد من غير أن يوجد فيها بيت بديع، وكان يستحسن ذلك منهم في البديع إذا أتى نادرا (6)."

وكان الإنكار من فنون البديع في شعر أبي تمام من الاستعارة والطباق والجناس والتفنن فيها، والبحث عن أوجه الشبه بين المعاني والأشياء، هو ما جعل فريقا من

1. أخبار أبي تمام: 141 - 142.

2. غصن: 174 - 175.

3. الأغاني ج 16: 414.

1. أخبار أبي تمام: 175 - 176.

2. الأغاني ج 16: 42.

3. البديع ج 15 - 16.

العلماء يقولون إنه صاحب مذهب اخترعه وصار فيه أولاً، وإمام متبوعاً، وشهر به حتى قيل هذا مذهب أبي تمام، وطريقة أبي تمام⁽¹⁾.

وجعل آخرين ينفرون منه لمخالفته سنن المتقدمين، وابتعاده عن النهج المعروف⁽²⁾. وارتبطت ظاهرة النفور من شعر أبي تمام بقضية فهم معانيه وإدراكها واستساغتها لدى طبقات الناس، ولعل هذا هو المقصود بقول الأدي في الموازنة: "وذلك كمن فضل البحري [...] وهم الكتاب والأعراب والشعراء المطبوعون، وأهل البلاغة، ومثل من فضل أبا تمام، ونسبه إلى غموض المعاني ودقتها، وكثرة ما يورده مما يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج، وهؤلاء أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة، ومن يميل إلى التدقيق وفلسفي الكلام"⁽³⁾، وقد سوغ هذا عقد موازنة بين أبي تمام والبحري، وهو ما يفصح عنه صاحب الموازنة في كثير من المواضع من كتابه، ومن ذلك قوله: "وإن كان كثير من الناس قد جعلهما طبقة، وذهب إلى المساواة بينهما، وإنهما لمختلفان، لأن البحري أعرابي الشعر مطبوع وعلى مذهب الأوائل، وما فارق عمود الشعر المعروف، وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام [...] ولأن أبا تمام شديد التكلف، صاحب صنعة، ومستكره الألفاظ والمعاني، وشعره لا يشبه أشعار الأوائل، ولا على طريقتهما لما فيه من الاستعارات البعيدة، والمعاني المولدة"⁽⁴⁾، وقد دافع أنصار أبي تمام عن الغموض المعنوي في شعره لارتباطه بمطالعاته في الكتب الكثيرة، وتفقيشه عن المعاني المستغربة، وتكلف إدخالها في شعره، واستدعاء اللون البديعي الذي يناسبها، وربطوا قضية فهم معانيه بالتفسير، والشرح، فإذا كنا نجدهم يقولون إنما فهم شعره العلماء والنقاد في علم الشعر⁽⁵⁾، فإنهم لا يتحرجون من قول هذه القولة العادلة: "قد عرفنا كم أن أبا تمام أتى في شعره بعمان فلسفية، وألفاظ غريبة، فإذا سمع بعض شعره الأعرابي لم يفهمه، فإذا فسر له فهمه واستحسنه"⁽⁶⁾.

هذه هي النظرة الشاملة لمذهب أبي تمام الشعري كما تعرض له العلماء في كتبهم، وبذلك نستطيع أن نقول مع ذ. محمد نجيب البهيتي: "وهذه الإشارات في كتب النقد إلى مذهب أبي تمام كثيرة، وتتلخص جميعاً فيما يأتي:

1- طلب المعنى البعيد، واللطف الجديد المبتدع، وتحري ذلك تحرياً مكثوداً متواصلًا.

2- محاولة إخفاء المعنى المنقول عن الغير بكثير من التغميض، والتعقيد، والالتواء في التعبير، واستخدام الأساليب الجديدة في ذلك.

3- ونشأ عن هذا كثرة الاستعارات، والإفراط في استعمالها، مع خفاء العلاقة وبعدها أحياناً، وأصبح اللفظ في كثير أشبه بالمنقول إلى معنى جديد، لا على قواعد الاستعارة القريبة المعروفة، كما اضطر ذلك إلى الإفراط والمبالغة، حتى ليتهمه دعيل بأن ثلث شعره محال.

4- كان من وراء هذا كله، مع تكلف إدماج الفكرة في الشعر، قصص ماء الشعر في كثير منه، وتبدي الكلفة، ولم تكن هناك وسيلة إلى تحقيق هذا إلا التجميل الصناعي، فتحرى أبو تمام أنواع البديع، والمحسنات اللفظية من كل وجه وبكل سبيل، وكان من نتائج اقتران طلب المعنى بطلب اللفظ إلى الوجه الذي أسلفته، جور يلحق بأحدهما، فتكون الثمرة الغموض أو الغريب، واضطر إلى أن ينحت ألفاظاً من كلمات أعجمية ليؤدي معنى أراد، فيقول:

"تغابر الشعر فيه إذ سهرت له
حتى ظننت قوافيه ستقتبل
ولم يقل قوافيه بفتح الباء، ونقل اللفظ من معناه فقال:

رقيق حواشي الحلم لو أن حلمه
بكفيك ما ريت في أنه يبرد

يقول الأدي... "فإن البرد لا يوصف بالرق، وإنما يوصف بالماناة والصفاء، وأكثر ما يكون ألواناً مختلفة"⁽¹⁾.

1- أبو تمام حياته، وسيلة شعر، ص: 192 - 193

1- الموازنة: 16.

2- نفس: 17 - 18.

3- نفس: 10.

4- نفس: 10 - 11.

5- نفس: 20 - 21.

6- نفس: 27.

وتابع د. عمر فروخ سلسلة الاهتمام بمذهب أبي تمام فقعد له مبحثا خاصا في كتابه اعتبر فيه أبا تمام علما من أعلام بيئة شعرية كانت هذه طريقتها، ومنها استقى أبو تمام طريقته في النظم، فقال: يقول بروكلمان: إن أبا تمام يمثل بشعره شعر المقاطعات تمثيلا صحيحا، وهو المحتذى في ذلك، وعلى هذا جعل بروكلمان شعراء العصر العباسي قسمين: شعراء بغداد خاصة، وشعراء المقاطعات كالشام وخراسان، ثم قال: "ومصدر هذا الحكم جملة وردت في الأغاني عند الكلام على ديك الجن الحمصي من أنه: "يذهب مذهب أبي تمام والشاميين. فكانه جعل للشاميين خاصة مذهبا مخالفا لمذهب أهل بغداد في الشعر، ثم جعل أبا تمام المتبع، مع أن ديك الجن أقدم من أبي تمام، وعنه أخذ أبو تمام بعض شعره"⁽¹⁾، وبعد أن أفاض في الحديث عن المذهب الشامي وعمود الشعر قال: "فيما يلي موجز للآراء المبسطة في الصفحات السابقة منسوقة نسقا ظاهرا:

- 1- شكل القصيدة: إطالة القصيدة وتعدد الأغراض فيها، والقصيدة الشامية تبدأ عادة بالنسيب.
- 2- تنقيف الشعر: العناية بالآليات بتنقيحها.
- 3- التائق والتصنيع: العناية باللفظ والتركيب والإكثار من البديع، مع الحرص على ألا تخلو قصيدة ولا بيت من أبيات قصيدة من هذا التصنيع ما أمكن.
- 4- الإيغال في التشبيه والاستعارات إلى ما يشبه الرمز حتى ليكاد يغمض المعنى وتخفى الصور البلاغية.
- 5- جمع المعاني الكثيرة في الآليات القليلة، والوقوف على المعنى الواحد، بالتقليب له على وجوه، وإقامة الأداة على صحنه، ويضرب الأمثلة.
- 6- لزوم الجد أو التظاهر به على الأقل، فقلما يميل الشاعر إلى اصطناع المرح واللهو وقلما يحسنها في شعره.
- 7- إدخال فنون العلم في الشعر، فالشاعر الشامي شاعر مثقف تظهر ثقافته في شعره، وهو يطوي شعره على إشارات إلى أغراض من اللغة والنحو والأدب والفقه والمطالع والفلسفة والفلك وما إليها.

¹ أبو تمام شاعر الحليفة محمد المصمم بالله: 85.

8- يلتزم الشاعر الشامي في حياته وشعره مسلكا معيناً يحاول أن يفرضه في صلاته بالناس، ويصير على الشاق، ويتشدد في المصائب، وكان معظم الشعراء الشاميين ينتشعون لآل البيت.

9- الشاعر الشامي شاعر مقتدر ينظم الشعر في جميع الأغراض التي يريد بها، أما الطبع عنده قليل البروز.

10- يؤلف المديح الجزء الأوفر من ديوان الشاعر الشامي، ثم إن خصائص المديح تغلب عنده على سائر فنونه، وهو يجيد الفخر، وربما أجاد الرثاء، ووصف المعارك إجابة كبيرة، ثم إنه لا يجيد الهجاء، وقلما برع في الفزل، وكذلك تكثر الحكمة عند الشاعر الشامي كثرة ظاهرة، أما المجون فلا يكاد يظهر عنده.

11- الإكثار من الأعلام الجغرافية، إما بالوقوف على الأطلال تقليدا لشعراء الجاهلية، أو تملحا بذكرها أو اعتمادا عليها لتبيين التنقل وتقييد الحوادث.

12- الإكثار من ذكر الإشارات التاريخية: رجال التاريخ والحوادث والمعارك والأنساب وما إليها.

ولا ريب أبدا في أن الشعراء الشاميين يتفاوتون في هذه الخصائص اقتصادا وإسرافا، وقد يشترك الشاعر الشامي والشاعر البغدادي في بعض هذه الخصائص⁽¹⁾.

ج- وفاة أبي تمام وأثره:

توفي أبو تمام بالموصل سنة إحدى وثلاثين ومائتين، روى الصولي قال "حدثني محمد بن موسى قال: عني الحسن بن وهب أبي تمام، وكان يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات، فولاه بريد الموصل، فأقام بها سنة، ومات في جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين ومائتين، ودفن بالموصل⁽²⁾، وفي خير آخر أن وفاته كانت سنة اثنتين وثلاثين ومائتين⁽³⁾، وقيل غير هذا من التواريخ، حيث قيل في جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين، وقيل سنة

¹ أبو تمام: شاعر الحليفة محمد المصمم بالله: 92 - 93.

² أخبار أبي تمام: 272.

³ نضد: 272 - 273.

تسع وعشرين ومائتين، رحمه الله تعالى⁽¹⁾، قال البحرني: وبنى عليه أبو نهشل ابن حميد الطوسي قبة، قلت ورأيت قبة بالموصل خارج باب الميدان، على حافة الخندق، والعامّة تقول: هذا قبر تمام الشاعر⁽²⁾.

ويعد وفاته رثاء خلق كثير من الأدباء والشعراء من ذلك ما أنشده أبو الغوث لأبيه، يرثي أبا تمام ودعيل:

قد زاد في كلفي وأوقد لوعي
مئوى حبيب يوم مات ودعيل
وبقاء ضرب الخنعمي وشبيهه
من كل مضطرب القريحة مهمل
أهل المعاني المستحيلة إن هم
طلبوا البداة والكلام المعضل
أخوي، لا تزال السماء نخيلة
تغشا كما يحيا مقيم مسبل
حدث على الأهواز يبعد دونه
مصرى السني ورمّة بالموصل

وقال محمد بن عبد الملك يرثيه وهو وزير:

نبأ أتى من أعظم الأنبياء
لما ألم مقلقل الأحشاء
قالوا حبيب قد نوى فأجبهم
ناشدكم لا تجعلوه الطائي⁽³⁾

وقال فيه عبد الله بن أبي الشيص:

يا حفرة الطائي، أي امرئ
أثويت منه في ثرى الرمس
شعاره أنت ولم تشعري
بأنه أشعر ذي نفس
كم بين أثنائك من حكمة
كانت شفاء النفس بالأمس⁽⁴⁾

وقد خلف الطائي تماما ابنه وكان شاعرا، روى الصولي في أخباره قال: حدثني أحمد بن إسماعيل قال: حدثني أبو سهل الرازي قال: لما ولي محمد بن طاهر خراسان، دخل الناس لتهنئته، فكان فيهم تمام بن أبي تمام الطائي فأنشده:

¹ وفات الأعيان ج2: 17.

² نغمة ج2: 17.

³ أخبار أبي تمام: 274 - 275.

⁴ نغمة: 277.

هناك رب الناس هنا
ما من جزيل الملك أعطاك
قربت بما أعطيت يا ذا الحجي
والباس والإنعام عينا
أشقرت الأرض بما نلت
وأورق العود لنجوا
فاستضعت الجماعة شعره، وقالوا: يا بعد ما بينه وبين أبيه! فقال: محمد لعبد الله بن إسحاق، وكان يعرفه الناس، وهو على أمره: قل لبعض شعرائنا: أجب، فغمر رجلا من المجلس، فأقبل على تمام فقال:

حيالك رب الناس حياكا
إن الذي أملت أخطاك
مدحت خرقا منهبا ماله
ولولا رأى مدحوا ساكا
فهاك إن شئت بها مدحة
مثل الذي أعطيت أعطاك

فقال تمام: أعز الله الأمير، إن الشعر بالشعر ربا، فاجعل بينهما رضا من دراهم حتى يحل لي ولك! فضحك محمد، وقال إن لم يكن معه شعر أبيه، فمعه طرف أبيه، أعطوه ثلاثة آلاف درهم، فقال عبد الله بن إسحاق: ولقول أبيه في الأمير عبد الله ابن طاهر:

أطلع الشمس تنوي أن تؤم بنا
فقلت: كلا، ولكن مطلع الجود
ثلاثة آلاف أخرى، قال ويعطي ذلك⁽¹⁾.

آثار أبي تمام:

أبو تمام شاعر مؤلف، اعتنى باختيار منتخبات شعرية في مختلف العصور الأدبية التي سبقتها، فكان بذلك أول شاعر عني بالتأليف⁽²⁾، وكان أول من نبه إلى تأليفه الأمدي إذ يقول: "كان أبو تمام مستهترا بالشعر، مشغوبا به، مشغولا مدة عمره بتخيره ودراسته، وله كتب اختيارات فيه مشهورة معروفة، فمنها الاختيار القبائلي الأكبر اختار فيه من كل قبيل قصيدة، وقد مر على القبائل، ولم يورد فيه كبير شيء للشعورين، ومنها الاختيار، الذي تُلَقِّط فيه محاسن شعر الجاهلية والإسلام، وأخذ من كل قصيدة شيئا حتى انتهى إلى إبراهيم بن هرمة [...] ومنها اختيار تُلَقِّط فيه أشياء من الشعراء المقلين

¹ نغمة: 261 - 262.

² أدباء العصر العباسي: 95 - 96.

والشعراء المغمورين غير المشهورين، وبويع أبوابا، وصدره بما قيل في الشجاعة، وهو أشهر اختياراته [...] ويلقب بالحماصة، ومنها اختيار المقطعات، وهو محبوب على ترتيب الحماصة إلا أنه يذكر فيه أشعار المشهورين وغيرهم القدماء والمتأخرين [...] ومنها اختيار مجرد في أشعار المحدثين...⁽¹⁾

نلاحظ في هذا النص بعض الكتب التي ألف أبو تمام في الشعر والشعراء، وتنايع العلماء بعد ذلك في عددها والكلام عنها، من ذلك ما قال الأستاذ عمر فروخ في كتابه: "وقد عني السيد محسن الأمين بتعداد هذه المؤلفات وآفاقها مؤرخي الأدب فيها، وفي أمثالها عناية فائقة، وفيها يلي وصف موجز لهذه المؤلفات:

1- ديوان الحماصة أو كتاب الحماصة، أو الحماصة الكبرى: زار أبو تمام عبد الله ابن طاهر والي خراسان، وكان يقيم في نيسابور، ومدحه، ثم عاد وشيكا. وفي أثناء رجوعه اعترضه الثلج عند مدينة همدان - وكان الشتاء في ذلك العام شديدا - فمال إلى صديق له هناك اسمه أبو الوفاء بن سلمة ريثما يذوب الثلج فيستطيع أن يتابع سيره إلى العراق.

وكان عند أبي الوفاء بن سلمة خزانة كتب قيمة فانصرف إليها أبو تمام وجمع من دواوين الشعر التي كانت فيها كتاب الحماصة وغيره فيما قيل. وقد اختار أبو تمام في "ديوان الحماصة" نحو سبعمائة وثماني قطع لنحو أربعمائة وخمسة وستين شاعرا من الشعراء القليلين ولا سيما المغمورين منهم سوى المجاهيل [...] واختار أبو تمام في الحماصة مقاطع لجميع الشعراء القليلين والمكثرين، والمشهورين والمغمورين والقدماء والمحدثين، وإن كان جل اهتمامه بالقليل المغمورين القدماء، أما المشاهير فضمنت الحماصة منهم المهلهل وطرفة وعمر بن كلثوم، وعنترة والناطقة في المجاهيلين، وحسان والحشاء والفرزدق والأخطل وجميل بن معمر في الإسلاميين، وأبا النعمان والعباس بن الأحنف ومسلم بن الوليد ثم بكر بن الطباع المعاصر لأبي تمام من المحدثين [...]. وتنقسم الحماصة عشرة أبواب، هي عشرة فنون من الشعر: الحماصة - المراثي - الأدب (الحكمة) - النسب - الهجاء - الأضياف والمديح - الصفات (الوصف الحسي) - السير والنعاس - الملح (النكت والفكاهة والأحماض والمجون) - مدامة النساء - وقد سمي أبو

1- المراجعة: 51، 52.

تمام هذا المجموع كله باسم الباب الأول منه "الحماصة" وهو أطول الأبواب وأهمها في هذا المجموع القيم، واشتهر كتاب الحماصة لأبي تمام شهرة غطت على شهرة كل مجموع آخر شبيه به، فإذا قلنا اليوم: "ديوان الحماصة". قلنا نعني ديوان الحماصة لأبي تمام، وقد دل ديوان الحماصة هذا على سعة اطلاع أبي تمام وغزارة علمه بالشعر وحسن ذوقه في الاختيار حتى قيل إن أبا تمام كان في اختياره لديوان الحماصة أشعر منه في شعره، ومن أوجه الأهمية لديوان الحماصة أننا نجد فيه أشعارا لا نعرفها في مكان آخر. ولقد عد السيد محسن الأمين شروح ديوان الحماصة فوجدها أربعة وثلاثين شرحا بعضها شروح عامة كشرح الإمام المرزوقي المتوفى سنة 421 للهجرة، وشرح الخطيب التبريزي المتوفى سنة 502 للهجرة. ومنها أيضا شروح خاصة تتناول أوجها معينة من هذا الديوان القيم، فهناك الميهج في شرح أسماء رجال الحماصة لابن جني، ومنها رسالة في ضبط أعلام الأماكن في ديوان الحماصة لأبي هلال العسكري.

2- الحماصة الصغرى وتعرف أيضا باسم الوحشيات، جمع أبو تمام هذا الكتاب من شعر الشعراء العرب (أي القدماء) ورتبه على عشرة أبواب هي أبواب الحماصة الكبرى نفسها، ويبدو أن الحماصة الصغرى قضايد طولاً، ووهم السيد محسن الأمين مرة، فجعل الوحشيات كتاباً مستقلاً غير الحماصة الصغرى.

3- كتاب الفحول، أو كتاب فحول الشعراء، أو كتاب اختيار شعراء الفحول، هذا المجموع مقاطع من شعر الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين على الأنواع، وينتهي بآب حمرة.

4- كتاب الاختيار من شعر القبائل، ويسميه السيد محسن الأمين "الاختيار القبائلي الأكبر، ويذكر أنه رآه، ولعله كتاب الاختيارات من شعر الشعراء.

5- الاختيار القبائلي الأصغر، اختار فيه أبو تمام مقاطع من نحاس أشعار القبائل، ومعظمه لغير المشهورين.

6- اختيار المقطعات، وهو محبوب على ترتيب الحماصة، وفيه أشعار للمشهورين ولغير المشهورين من القدماء والمتأخرين، وهو يبدأ بأشعار الغزل.

- ديوان أبي تمام وشروحه:

ألف الصولي كتابا جمع فيه أخبار أبي تمام، صدره بمقدمة عظيمة الفائدة هي عبارة عن رسالة إلى مزاحم بن فاتك، وفي هذه الرسالة يقول: "أما بعد، أدام الله في أرغد العيش، وأكمل السرور، وأمد العمر، وأرضى العمل عزك، وحسن الزمان الذي قل فيه نظيرك ببقائك، ووهب لأهل الأدب سلامتك، فإنك جارتني آخر عهد التفاتنا فيما أفضنا فيه من العلوم أمر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، وعجبت من افتراق آراء الناس فيه، حتى ترى أكثرهم والمقدم في علم الشعر، وتميز الكلام منهم، والكامل من أهل النظم والنثر فيهم، يوفيه حقه في المدح، ويعطيه موضعه من الرتبة، ثم يكر بإحسانه في عينه، ويقوى بإبداعه في نفسه، حتى يلحقه بعضهم بمن يتقدمه، ويفرط بعض فيجعله نسيج وحده. وسافقا لا مساوي له، وترى بعد ذلك قوما يعيبنوه، ويطعنون في كثير من شعره، ويسندون ذلك إلى بعض العلماء، ويقولونه بالتقليد والادعاء، إذ لم يضح فيه دليل، ولا أجابتهم إليه حجة، ورأيت مع ذلك الصنفين جميعا، وما يتضمن أحد منهم القيام بشعره، والتبيين لمراده، بل لا يجسر على إنشاء قصيدة واحدة له، إذ كانت تهجم - لابد - به على خير لم يروه، ومثل لم يسمعه، ومعنى لم يعرف مثله، فعرفتك أن السبب كما ذكرت، وتضمنت لك شرح ما وصفت، حتى لا يعارضك شك فيه، ولا يجاهر بك رب من، فرأيت من سرورك بذلك، وارتياحك إليه، وصبايتك به، ما حدا بي على استقصائه لك، والتعجيل به عليك، وإهدائه في رسالة إليك، تتبعها أخباره كاملة في جميع فنونه: في تفضيله، وذكر من عرفه فقدمه وقرظه والاحتجاج على من جهله فأخره، وعابه، ومع من كان يمدحه، ويرأسله وينتجعه طارنا إليه، وأذكر جميع ما قبل فيه، وإن كان قصدي تبين فضله، والرد على من جهل الحق فيه، فأضعف لذلك سرورك، وزاد له نشاطك. ثم أرنتني عين الرأي بقية في نفسك منه، لم يطلعها لي لسانك، إما كراهة منك لتعبي، أو إشفاقا من الزيادة في شغلي، مع ما يتقصدني من جور الزمان، وجفاء السلطان، وتغير الإخوان، فسألتك إبانته وتكليفي جميع ما تريد منه، فعرفتني أن تكميل ذلك لك، ويلوغي فيه أقصى إرادتك، أتبعني أخباره بعمل شعره كله معربا مفسرا، حتى لا يشد

¹ أبو تمام شاعر الحليفة عماد المصمم بالله: 103 - 108.

منه حرف، ولا يغمض منه معنى، ولا ينيو عنه فهم، ولا يمجح سمع، فأسرعت بذلك إجابتي، وعملت بالفكر نيتي، وتضمنت عمل شعره لك بعد أخباره في مدحه وهجانه، وفخره وغزله، وأوصافه ومراثيه، وأن أبدا في كل فن من هذه الفنون بشعره على قافية الألف والياء، ثم على توالي الحروف إلى آخرها، ليكون أقرب عليك متى أردتها، ولم أجد سبيلا إلى مخالفتك، ولا عدولا عن مشيتك، وإن كان هذا مما لا أوجب إليه غيرك، ولا أسمع به لسواك، لا ضنا بالعلم عن أهله، ولا كراهة لنشره وحمل من يستحقه له، لكن ما أنا كاشفه بعد ستره، وناسر له بعد طيه، مما أنا عالم به، وعدل فيه"⁽¹⁾ وختم هذه الرسالة البليغة بقوله: "وأنا أتبع هذه الرسالة بأخباره، إذ كانت عزيزة لا تكاد تجتمع لأحد، وهي تنقضي سريعا، ثم أتبعها بعمل شعره إن شاء الله"⁽²⁾.

نستنتج من خلال هذا النص أن الصولي اتجه إلى جمع شعر أبي تمام جمعا مرتبا ترتيبا يضم جميع الأغراض الشعرية التي نظم فيها الشاعر، كما يستفاد من هذا أن أقدم عمل على شرح أبي تمام تفسيره وشرحه كان لأبي بكر الصولي (ت 335هـ)، وبعده توالى الشراح والنقاد في دراسة هذا الشعر والوقوف على خصائصه المعنوية والبلاغية، وقد عقد د. عمر فروخ لهؤلاء الشراح مبحثا خاصا قال فيه بعد أن تحدث عن أبي بكر الصولي وعمله: "وبعد الصولي في الزمن يأتي الإمام الحارثي المتوفى سنة 348هـ، وهو من شراح ديوان أبي تمام المتقدمين، غير أن أكثر شرحه قاصر على التفسير اللغوي.

ثم يأتي في هذه السلسلة أبو القاسم الأمدي (ت 370هـ) وهو الذي نصب الحرب لأبي تمام وشعره في كتابه "الموازنة" وقد كان الأمدي من أنصار البحري، وفي شرح الأمدي كثير من النقد والجدل يحاول الأمدي أن يبرر بهما تحامله على أبي تمام، وربما عمد إلى تبديل رواية أو إلى اختلاق رواية رآها للحط من شعر أبي تمام.

ثم يأتي أبو علي المروزي (ت 421هـ) وهو من المعجبين بأبي تمام المتعصبين له، والمروفي كثير العناية في شرحه بأسلوب أبي تمام يعتمد الذوق في استخراج المعاني، ويحاول أن يصحح الروايات التي لا يرضاها بالمألوف من مذهب أبي تمام أو من مذاهب

¹ أخبار أبي تمام: 3 - 6.² نفس: 56.

الشعراء، وقلمنا لجأ إلى ما روى في نسخ الديوان، وللمرزوقي كتاب "الانتصار من مظلمة أبي تمام".

وكان أبو العلاء المعري (ت 449هـ) في عصر المرزوقي، وهو من أشد المعجبين بأبي تمام وشعره، شرح ديوان أبي تمام وسماه "ذكرى حبيب" إعجاباً بالنورية بين "حبيب" بمعنى المحبوب المشوق وبين "حبيب" بن أوس اسم أبي تمام. وشرح المعري لغوي في الدرجة الأولى، وفيه استطراد كثير في اللغة، وفي تفسير المعاني، والمعري يريد أن يكون قول لأبي تمام جميلاً، فهو يدافع عن معاني أبي تمام بكل سبيل.

ثم يأتي الخطيب التبريزي (ت 502هـ) تلميذ المعري، وشرح التبريزي لشعر أبي تمام يقوم في الأكثر على الجمع بين شرح المتقدمين والإتيان بشرح ديوان أبي تمام كاملاً. ومن هذه السلسلة في أعقاب الدولة العباسية أبو العريكات المبارك بن أحمد المعروف بابن المستوفي الإربلي المتوفي في الموصل في 16 رمضان من سنة 638هـ (1241هـ) له كتاب "النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام في عشر مجلدات، وابن المستوفي يجمع شروح الشراح على شعر أبي تمام منذ أيام الصولي، وهو عالم محقق أمين ينسب كل قول من أقوال الشارحين إلى صاحبه، وقد يعقب على هذه الأقوال⁽¹⁾.

يستفاد من خلال هذا الجرد أمور كثيرة منها أن هذه الشروح هي التي أبرزت مذهب أبي تمام في الشعر، وفسرت معانيه وأرجعتها إلى مصادرها، وأظهرت ما اخترع نفسه من المعاني فكان سباقاً إليها.

وللقارئ الآن أن يتساءل عن مكانة أبي تمام عند أدباء الأندلس، الذين ينتمي لهم الأعلام الشنتمري شارح شعر أبي تمام، يقول د. محمد بن شريف في كتابه "أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة": "أما الأندلس وأهلها فقد عرفوا أبا تمام، وصار إليهم شعره في حياته، وفتنوا به، وشغلوا بفته وصنعتوه، وأدرك لديهم من القبول والخطوة ما لم يدركه إلا المتنبي بعد ظهوره، ويبدو اهتمامهم به من خلال مظاهر مختلفة وفي مستويات متعددة: فعلى مستوى الرواية نجد شعر أبي تمام ينتشر في الأندلس عبر عدد من الطرق والروايات: منها رواية الرحالة البغدادي أبي اليسر إبراهيم بن أحمد الرياضي الذي جاب بلاد الإسلام شرقاً وغرباً، وأدخل إلى إفريقية والأندلس أشعار المحدثين

1- أبو تمام: شاعر الخليفة محمد المصم بالله: 109 - 111.

وأخبارهم، ومنها شعر أبي تمام، وقد ظلت روايته لشعر أبي تمام موصولة السند حتى القرن السابع الهجري. [...] ومنها رواية عثمان بن المثني المودب والشاعر القرطبي (ت 73هـ) قال ابن الفري في ترجمته: "وقرأ على حبيب بن أوس ديوان شعره، وأدخله الأندلس رواية عنه" [...] وثمة رواية أندلسي آخر لشعر أبي تمام، وهو الشاعر الفحل مؤمن بن سعيد الذي لقي أبا تمام البغدادي، وأخذ عنه شعره، وأدخله الأندلس وكانت له حلقة يقرئ فيها هذا الشعر، وروايته آتت من رواية ابن المثني إذ يبدو أنه أدرك أبا تمام في آخر حياته، وقد ذكر أنه لقيه في بغداد.

وهناك مؤيدون أندلسيون آخرون ظهروا بعد هؤلاء المذكورين الذين لقوا أبا تمام، ورووا عنه شعره مباشرة، ومنهم أبو عبد الله محمد بن الأصغر القرشي الذي كان له بصير بمعاني شعر حبيب" وأبو عبد الله الغابي الذي كان يقرأ عليه شعر حبيب" وأبو العباس وليد الطليخني شارح شعر أبي تمام، وقد أخذ عن أبي عبد الله الغابي، ومنهم أيضاً جماعة الأدباء الذين كلّفهم عبد الرحمان الناصر بانتساخ شعر حبيب، ومنهم محمد بن الأرقم، وموسى بن محمد الحاجب ومحمد ابن يحيى القلقاط، وابن فرج البلساري، فهؤلاء الأعلام الذين عونا بشعر أبي تمام لابد أن لهم أسانيد في رواية شعره لم تذكرها كتب التراجم.

وقد بلغ الاهتمام المبكر بشعر أبي تمام غايته في عهد عبد الرحمان الناصر الذي كلف - كما أشرنا إلى ذلك آنفاً - لجنة من الأدباء بعمل نسخة من ديوانه، وفي طبقات الزبيدي خير مفصل حول هذا الموضوع يحسن بنا أن نورد برمته، قال: "[...] وهذه نسخة قديمة من شعر أبي تمام جمعت من المحفوظ والمكتوب الذي كان بين يدي أدباء الأندلس يومئذ من هذا الشعر، وقد نظر في ترتيبها إلى جودة القوائد ودرجاتها في الجودة، ولم ترتب على الحروف أو الأغراض. وبعد قليل من التاريخ الذي جمعت فيه هذه النسخة، دخل أبو علي القفالي الأندلسي، وأدخل معه - فيما أدخل - شعر أبي تمام في صورتين: إحداهما قراطيس ذكر أنها خط يد أبي تمام، والأخرى ما قيده أبو علي من شعر أبي تمام في سفر الكاغد الذي قرأ فيه علي أبي محمد عبد الله بن جعفر ابن دروستيه، وهكذا كان ما أدخله أبو علي آتت من شعر أبي تمام إلى الأندلس، وقد غطت روايته على الروايات السابقة عليها واعتمدها رواة الأندلس والمغرب كما سنرى فيما بعد، ونسخة أبي علي غير مرتبة على الحروف كذلك، وقد نقل عن أصلها

نسخ متعددة توجد مخطوطاتها في الأسكوريال بإسبانيا والحزاة الحسنية وغيرها بالمغرب، [...] إن هذه النسخة التي أصلها أبو علي الفالقي، ووثقتها بعده بمدة ابن الإفيلي هي التي انتشرت في الأندلس والمغرب وتوجد منها مخطوطات متعددة إلى اليوم في المغرب، وعلى أساسها وضع الأعلام الشنتمري شرحه.

وعلى مستوى الإقراء والتدريس تزودنا كتب الطبقات بأسماء جماعة من المؤدين، اشتغلوا بتدريس شعر أبي تمام وإقراءه في الأندلس فمنهم أبو عبد الله الغابي [...] ومنهم محمد بن عبد الله المعروف بابن الأصفر، وكان له فيما يقول الزبيدي: "بصر بمعاني شعر حبيب وغيره من أشعار المحدثين، ولعل أشهر حلقة قرئ فيها شعر أبي تمام في الأندلس قديماً هي حلقة مؤمن بن سعيد (ت 267هـ)، وقد وصلت إلينا بعض أصداء هذه الحلقة، ويبدو أنها لم تكن تخلو من طبيعة التنكيث وروح التندر الذي كان غالباً عليه، قال ابن سعيد في المغرب: "وقرأ عليه يوماً أحد المتعلمين قول حبيب:

أرض خلعت اللهو خلعي خاقي فيها وطلقت السرور ثلاثاً

فقال له: "من سرور هذه أصلحك الله؟ فقال هي امرأة حبيب. وقد رأيتها ببغداد. هكذا كانت حلقات الإقراء لشعر أبي تمام والمتنبي في مساجد قرطبة وإشبيلية وغيرها، ومن هذه الحلقات كان يتخرج الشعراء والكتباء والأدباء والعلماء.

بعد مؤمن بن سعيد وقد على الأندلس أبو علي الفالقي، وكان مما جلبه من الدواوين ديوان أبي تمام، وقد أقرأه فيما أقرأه في حلقة الكبيرة في جامع مدينة الزهراء الملكية، وحمل هذه الرواية أبو القاسم أحمد بن أبان، ثم تلقفها أبو القاسم إبراهيم بن محمد المعروف بابن الإفيلي، فنشر سندها بواسطة تلاميذه، وكلهم ظهوراً في عصر الطوائف، ولعل أشهر هؤلاء هو الأعلام الشنتمري أكبر شارح أندلسي، وصاحب أوسع حلقة أدبية في مملكة بني عباد، ويذكر بعض تلاميذه بخصوص تدريسه "الشعرين" أنه كان يستمر في إقراء شعر أبي تمام في رمضان، ويتوقف فيه عن تدريس شعر أبي الطيب، ولم يكف الأعلام بالتفسير الشوقي، وإنما شفعه بالشرح المدون لكلا الشعرين، وإطلاق الشعرين هكذا كان عندهم ينصرف إلى شعر أبي تمام وشعر أبي الطيب.

ومثل الأعلام نظيره أبو مروان عبد الملك بن سراج الذي قال فيه ابن بسام "لم ير مثله قبله ولا يرى بعده"، ولدنيا فكرة مجملة عن حلقة القرطبية، في الشعرين" فقد كان

لا يقرئ من شعر أبي تمام في المجلس الواحد إلا ثلاثة أبيات، بينما كان يقرئ من شعر أبي الطيب خمسة أبيات في المجلس [...] وثالث الفرسان من أصحاب ابن الإفيلي هو أبو تميم العز بن محمد بن بقتة، وهو عدوي مغربي استوطن قرطبة وأخذ عن ابن الإفيلي كثيراً من كتب اللغة والأدب، وكان حافظاً لهما مقدماً في معرفتهما، وقد أخذوا عنه شعر أبي تمام.

ومن تلاميذ ابن الإفيلي الذين رويوا عنه شعر أبي تمام أبو بكر خازم بن محمد ابن خازم القرطبي، "كان وافر الأدب، وهو كان الأغلب، وله تصرف في اللغة وقول الشعر، وكان زميله أبو مروان بن سراج المذكور أنفاً يتكلم فيه ويضمنه، ولكن هذا لم يمنع الناس من الرواية عنه والسماع منه. وممن روى عنه شعر أبي تمام أبو الحسن علي بن حنين القرطبي مستوطن فاس الذي بنى بها مسجداً ودرس فيه ستاً وستين سنة، وقد استمر سند روايته عن شيخه خازم عن ابن الإفيلي مروياً حتى القرن الحادي عشر الهجري.

ومن حلقات شعر أبي تمام في غير قرطبة وإشبيلية على هذا العهد - عهد الطوائف - حلقة أبي الوليد بن ضابط في بطليوس قال ابن الأبار: "ووقت على الأخذ عنه لشعر حبيب [...] وفي بطليوس كان محمد بن رزق الله أحد شراح شعر أبي تمام الذين سنتحدث عنهم بعد قليل. وكانت في المربة لهذا العصر حلقة يدرس فيها الأديب أبو الأصبع عبد العزيز الجهني شعر الطائي. قال ابن الأبار: "أخذ عنه الوزير أبو جعفر أحمد بن عباس، وسمع منه شعر حبيب، قرأت ذلك بخط أبي جعفر... والوزير المذكور هو صاحب الأخبار الغربية المذكورة في الذخيرة وغيرها(4).

وخص د. محمد بن شريفة حركة هذا الديوان الشعري بالمغرب بمبحث قال فيه: "وإذا كان سند أهل شرق الأندلس هو الغالب في إفريقية الحفصية، فإن السند الذي روي بالمغرب الأقصى في الشعرين هو سند أهل إشبيلية، وقد انتشر بواسطة القاضي عياض أولاً [...] ثم انتشر بعد ذلك بواسطة سند ابن أبي الربيع الإشبيلي مستوطن إشبيلية وأضرابه، وقد مر ذكره. وليس معنى هذه الأسانيد التي وثقنا عليها عند بعض المغاربة أن شعر أبي تمام لم يعرف في بلاد المغرب إلا في عصر المرابطين وبما بعد، إذ أن

4. أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة: 10 - 23.

الأخبار والإشارات تدل على أنه عرف قبل ذلك بكثير، فقد رحل الشاعر بكر بن حماد الناهري إلى المشرق، واجتمع في العراق بأبي تمام وطبقته، وسماء في أبيات يخرس فيها المعتصم على دعبيل الخراعي يقول فيها:

أيهجو أسيب المؤمنين ورهطه ومشي على الأرض العريضة دعبيل إلى أن يقول:

وعائني فيه حبيب وقال لي لسانك محذور وسمك يقتل

ولابد أن بكر بن حماد كان من أوائل من أشاعوا شعر أبي تمام في البيئات الأدبية الغربية، كما عرفت القيروان وشعراؤها أبا تمام في وقت مبكر بواسطة كل من أبي اليسر الرياضي، وأبي علي القالي اللذين أقاما فترة بالقيروان قبل أن ينتقلا إلى الأندلس، وقد ظهر أثر شعر أبي تمام في شعر عدد من شعراء القيروان كما سنشير إلى ذلك فيما بعد.

وكان شعر أبي تمام معروفا في المغرب الأقصى منذ أواخر العهد الإدريسي حتى في بيئات كانت تسود فيها اللغة الأمازيغية وقد ورد الاستشهاد به في رسالة لموسى بن أبي العافية، وجهها إلى عبد الرحمان الناصر، وجاء فيها من وصف وقعة بين ابن أبي العافية والعبيدين ما يلي: "وجالت الحيل بيننا وبينهم جولة أخطأ فيها الحكيم حكمته، وأضل فيها العاقل سمته، كما قال حبيب بن اوس الطائي:

في ساعة لو أن لقمانا بها وهو الحكيم لكان غير حكيم

إن الأسانيد الإشبيلية وغيرها في شعر أبي تمام هي التي حملها أعلام الأدب في مملكة غرناطة حيث ظل الشوف موقفا على أبي تمام والمتني برغم محاولة البعض للحاق بغارهما. يقول إبراهيم الساحلي الملقب بالطولجين في وصف قصيدة له:

وقف ابن اوس دونها وتخصت في نسج حللتها أكف البحري

[...] ومن الأسانيد التي وقفنا عليها في آخر هذا العصر سند أبي عبد الله محمد بن عبد الملك المتواري آخر مستدي الأندلس في هذا الباب (ت 834هـ). [...].

ومن الطبيعي أن تؤدي حركة رواية شعر أبي تمام وتدرسه إلى وضع شروح عليه، وهذا هو المستوى الثالث للعناية بأبي تمام في الأندلس، ولعل أقدم هذه الشروح هو شرح أبي العباس وليد الطبيخي (ت352هـ) الذي وصل إلينا شرحه لشعر مسلم بن الوليد، وقد ضاع مع الأسف شرحه لشعر أبي تمام، وهو شرح "أخذته عنه الناس، كما يقول ابن الفرضي [...] وشرح شعر أبي تمام في القرن الخامس الهجري أبو الحجاج يوسف بن سليمان الملقب بالأعلم اللنتنري، وهو معروف بشروحه المتعددة لعدد من التون الشعرية والأدبية والنحوية، قال الففطي في إنباء الرواة: "وكان حافظا للأشعار قائما عليها، عظيم السلطان على شعر حبيب الطائي وأبي الطيب المتنبي كثير العناية بهما خاصة، لقد ذكر الأعلم شرحه في شعر أبي تمام عند سرد مؤلفاته في مقدمة شرح حماسته، وروى القاضي عياض هذا الشرح عن أبي الحسن علي ابن الأخضر الإشبيلي تلميذ الأعلم، وذكر من مروياته عنه في فهرسته المعروفة بالغنية، ولم تقف على أي ذكر له بعد ذلك في الطان التي رجعنا إليها، ومن حسن الحظ أننا اهتدينا إلى نسخة من هذا الشرح في خزانة القرون تحت رقم 1839 كانت منسوبة إلى غير مؤلفها، وهي نسخة تقع في سفر كبير غير محبوك، وهي في وضعها المحفوظ في الخزانة مختلطة الأوراق مشوشة الترتيب، وقد أخذت لي صورة منها على هذه الحال، والورقة الأخيرة توجد في الوسط رقم 171 وتقرأ فيها ما نصه: "تم السفر بتمام جميع شعر أبي تمام حبيب بن اوس الطائي شرح الأستاذ النحوي الأديب اللغوي أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى رحمه الله، وذلك يوم الخامس والعشرين من شهر صفر عام ثلاثة وتسعين وتسعمائة، وقد اهتدنا في ترتيب أوراقها المختلطة فبين لنا أنها تامة تقريبا ولا ينقصها إلا ورقتان أو ثلاث من الأول"⁽¹⁾.

ويضيف الأستاذ: "وبدوا ذكرا أن هذا الشرح لم يشتهر وينتشر مثل بقية شروح الأعلم، لك لم يذكر في تراجمه، ولم يرد في كشف الطون وشبهه، ولعل الخطيب التبريزي وقف عليه ولم يسمه، فهو يقول معددا مصادره في شرح شعر أبي تمام ما نصه: "وما وقع إلي مما روي عن أبي علي المعروف بالقالي وغيره من شيوخ المغرب"⁽²⁾.

¹ - نفسه: 34 - 40.
² - نفسه: 41.

ويستطيع الدارس أن يتابع في هذا الفصل بقية العرض الذي خصصه الأستاذ محمد بن شرفية للحديث عن عناية علماء الغرب الإسلامي بشعر أبي تمام الطائي في مستويات كثيرة في الرواية والإسناد والتدريس والشرح أو على مستوى النقد الأدبي حينما انتهى إليهم بعض ذلك الصراع الأدبي الذي ظهر في المشرق حول الطالين⁽¹⁾.

وفي المباحث القادمة سنتناول بعض أوجه هذه العناية متمثلة في شرح الأعلام الشنتمري، وسنمهد لهذا الشرح بالحديث عن منزلة الأعلام الشنتمري في دولة بني عباد إذ خص بهم، وكان أستاذ ولد المعتمد، وله ألف هذا الشرح، كما سنتعرف على منهجه في التأليف والشرح، ونعرف بالديوان ويعمله فيه، ونعقد مقارنة بين شرحه والشروح السابقة عليه، وما وضع من شروح متأخرة عنه.

- الأعلام الشنتمري في ظل دولة بني عباد ملوك إشبيلية:

بعد اقتراض الخلافة الأموية في الأندلس "تكونت ممالك صغيرة يعرف عهدها بعهد ملوك الطوائف"⁽²⁾ الذين "استبد كل رئيس منهم بتدبير ما تغلب عليه من الجهات"⁽³⁾ فكانت تنشأ بينهم الحروب الدامية التي لا تنتهي، يقول يوسف أشباح: "وهكذا تكونت بعد معركة دامية بين الأحزاب، من هاته الدويلات الإسلامية العديدة، أربع دول رئيسية غلبت على جميع الدويلات الأخرى أو تخالفت معها. ففي جنوب إسبانيا في غرناطة وفي جزء من الأندلس غلب الحزب الإفريقي (المغربي) الأدارسة أو بنو حمود أصحاب مالقة، وحالفهم أمير غرناطة وقرمونة، وكانوا فضلا عن ذلك يحكمون عدة مدن في شمال المغرب مثل مليلية وطنجة وسبتة.

وكان بنو عباد أمراء إشبيلية يخوضون الحرب مع الحزب الإفريقي بلا انقطاع حتى تم لهم الظفر، وكانوا قد غلبوا بالحرب والحدیعة، على جميع الأمراء والولاة في جنوب غربي إسبانيا، واضطر أميرا قرطبة وطليوس إلى الانضواء تحت لوائهم حلفاء أو مغلوبين، ولم يقف في سبيل محاولة بني عباد الاستيلاء على إسبانيا المسلمة كلها، سوى بني ذي النون أمراء طليطلة الأقباء الذين حكموا أواسط إسبانيا، بيد أنهم لم يحققوا

ذلك إلا على حساب استقلالهم، ذلك أنهم كانوا يدفون الجزية للملك قشتالة التماسا لعونه ضد خصومهم، وأما الفريق الرابع الذي حكم في شرق إسبانيا فكان أضعف من الباقين وحده، وأقلهم استقلالاً، ذلك أنه كان طبقاً للطرف يعقد التحالف مع الأدارسة أو مع بني عباد أو مع بني ذي النون، وكان بنو عامر في بلنسية ومرسية، نظراً لموقعهما الجغرافي أكثر اضطراباً لهذا القلب من بني هود والتبسين، سادة سرسطة وتظيلة ووشقة"⁽⁴⁾، والنص يعطينا صورة واضحة عن التوزيع التاريخي لأهم دول الطوائف في الأندلس أو إسبانيا المسلمة كما عبر عنها الباحث، وقد دأب المؤرخون القدامى ورواد البحث العلمي في وقتنا الحاضر أن يولوا عناية بارزة لدولة بني عباد في إشبيلية، فالمقري يقول في معرض حديثه عن ملوك الطوائف: "فمن أشهرهم بنو عباد ملوك إشبيلية وغرب الأندلس الذين منهم المعتمد بن عباد الشهير الذكر بالمغرب والمشرق"⁽⁵⁾، وأما الأستاذ عبد الله كنون فقال في تصديره لكتاب الأستاذ عبد السلام أحمد الطود "بنو عباد بإشبيلية: "وكانت مملكة بني عباد أقوى هذه الممالك، وكان بنو عباد أبعد ملوك الطوائف أثراً في النهضة العلمية والأدبية، وحفظ التراث الفكري، والحضارة العربية في الأندلس، فالتاريخ لهم تاريخ الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية في الأندلس، خلال المدة التي سيطر فيها ملوك الطوائف على الفردوس المفقود"⁽⁶⁾ وهذه النصوص تسمع لنا بالبحث في نشأة هذه الدولة، ومراحلها التاريخية العامة، وعن الحالة العلمية والأدبية فيها، ومساهمة الأعلام الشنتمري في ذلك بما ألف من كتب ملوكها.

وسيالاحظ القارئ فيما نلجعه من النصوص في هذا البحث أن دولة بني عباد الطائفية قد تدرجت في مراحل تاريخية عديدة قبل النشأة، وبعد أن وصلت إلى زمام الحكم وخوض الحروب في الدفاع عن حدودها، والتوسع على حساب الممالك الأخرى المستضعفة التي كانت لا تتحرج في طلب المونة من الإمارات المسيحية المجاورة، هذه الأمور المتداخلة هي التي كانت السبب الداهي بملك المعتمد بن عباد آخر ملوك بني عباد حين أدرك يوسف بن تاشفين أمير المرابطين أنند أن مفتاح الأمر يكمن في جلبه إلى المغرب حيث سجن بعيداً عن الصراع المسيحي الطائفي الذي فشل في نسج خيوطه رغم

¹ تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين: 27.
² فتح الطيب ج1: 438.

¹ نفس: ص 52 وما بعدها.

² دائرة المعارف الإسلامية ج2: 695.

³ فتح الطيب ج1: 438.

محاولاته أحيانا اللعب على حبلين. وقد اعتنى المؤرخون القدامى والباحثون المعاصرون بالبحث في أولية هذا الفرع بالأندلس وبأمر نشأة دولتهم في إشبيلية، فقال ابن عذارى المراكشي تحت عنوان كبير: "ذكر ابتداء الدولة العبادية على الجملة إلى آخر أيام محمد بن إسماعيل بن عباد." ما يلي: "قال ابن حيان: جاز إلى الأندلس بعد افتتاحها رهنط من لحم نفرقوا في أقطار الأندلس فأغاز منهم إلى غريبها أخوان اسماعها نعيم وعطاف فنزل أحدهما بقرية يقال لها يومين تناسل ولده بها مدة من الزمان، ثم انتقل بعضهم منها إلى مدينة حمص وهي إشبيلية فتناسل بها ولده وتصدوا لخدمة الملوك من بني أمية فصرفهم في الأمور العلنية فكثر فيهم الوجاهة والنباهة إلى دولة الحكم المستنصر بالله، ودولة ابنه هشام المؤيد بالله وحاجبه المنصور محمد بن أبي عامر.

وقد كان نشأ فيهم إسماعيل بن عباد ققدمه ابن أبي عامر على خطة القضاء بإشبيلية فدام له ذلك إلى أن انقضت دولة الإمامة من قرطبة ونزل الفتنة المبيرة، فأقام على خطة القضاء والأمانة بإشبيلية مع من نجم في هذه الفتنة ممن يدعي خطة الأمانة وتحمل رسم الخلافة فنظر في صلاح أمورها وتصريفها على السداد إلى أن نزل الماء في عينيه سنة أربع عشرة ققدحه ورجع شيء من بصره فلم يستجز الحكم بين الناس به فولى ولده أبا القاسم القضاء واقتصر مو على شاحنة البلد وتبديل الرأي، وكان آية من آيات الله علما ومعرفة وأدبا وحكمة فحصى مدينة إشبيلية من سطوة البرابر النازلين حولها بالتبديل الصحيح والرأي الرجح والنظر في الأمور السلطانية إلى أن أتاه أجله سنة أربع عشر وأربعمائة⁽¹⁾.

ويمكن للدارس أن يستنتج من هذا النص كثيرا من الحقائق فيما يعود إلى انتقال هذا الفرع من لحم إلى جزيرة الأندلس وتفرقة فيها، ونستطيع أن نضيء هذا الحدث التاريخي بما قاله ابن خلكان: "وكان بدء أمرهم في بلاد الأندلس أن نعيما وابنه عطافا أول من دخل إليها من بلاد المشرق، وهما من أهل العريش المدينة القديمة الفاصلة بين الشام والديار المصرية في أول الزمل من أرض إشبيلية"⁽²⁾، كما يستطيع أن يستنتج المكانة المتميزة يومين من إقليم طشانة من أرض إشبيلية⁽³⁾.

¹ البيان المغرب ج 3: 193 - 194.

² وفيات الأعيان ج 5: 24.

والدرجات العالية التي نالوها في خدمة خلفاء بني أمية بإشبيلية، واستمروا على مكانتهم تلك بهذا القطر الأندلسي حتى بعد انقراض دولة بني أمية، فإسماعيل بن عباد الذي قدمه ابن أبي عامر على خطة القضاء بإشبيلية لم تنزله الفتنة بل أقام على خطة القضاء حتى خلفه ابنه أبو القاسم الذي أحسن السياسة مع الرعية، والملاطفة بهم، فرمته القلوب⁽¹⁾. وهذا القاضي هو مؤسس دولة بني عباد الفعلي، فقد اجتمع رأي أهل إشبيلية على تقديمه للخروج إلى صاحب قرطبة يحيى بن علي بن حمود الحسني الذي حاصر إشبيلية، وقد نشبت بينهما حرب بجوار إشبيلية هزم فيها الخليفة الإدريسي، وأظهر فيها أبو القاسم تفوقه⁽²⁾. وقد أورد ابن خلكان هذا الخبر في كتابه فقال: "وكان يحيى بن علي بن حمود الحسني المنعوت بالمعتلي صاحب قرطبة، وكان مذموم السيرة، فتوجه إلى إشبيلية محاصرا لها، فلما نزل عليها اجتمع رؤساء إشبيلية وأعيانها وأتوا القاضي محمدا المذكور، وقالوا له: أما ترى ما حل بنا من هذا الظالم، وما أفسد من أموال الناس؟ فقم بنا نخرج إليه، ونملكك ونجعل الأمر إليك، ففعل، ووثبوا على يحيى، فركبوا إليه وهو سكران قتل⁽³⁾، وبعد ذلك "ثم له الأمر، ثم ملك بعد ذلك قرطبة، وغيرها من البلاد"⁽⁴⁾ بينما كانت البقية الباقية من بني أمية في قرطبة تفرق بعضها بعضا ويخرج الحكم من يدها⁽⁵⁾. باستثناء تلك الحادثة التي اهتز لها أهل الأندلس، وقد أوردتها المؤرخون في كتبهم يقول ابن خلكان: "أخلاقه لم يقع في الدهر مثله، فإنه ظهر رجل يقال له خلف الحصري بعد نيف وعشرين سنة من موت هشام بن الحكم المنعوت بالمؤيد وادعى أنه هشام، فبوع وخطب له على جميع منابر الأندلس، في أوقات شتى، وسفك الدماء، وتصادمت الجيوش في أمره، وأقام المدعى أنه هشام نيفا وعشرين سنة، والقاضي محمد ابن إسماعيل في رتبة الوزير بين يديه، والأمر إليه، ولم يزل الأمر كذلك إلى أن توفي المدعو هشاما، فاستبد القاضي محمد بالأمر بعده"⁽⁶⁾، وقد لخص الأستاذ ابن عبود استجابة القاضي أبي القاسم لهذا الأمر بقوله: "إن ولأه القاضي بن عباد

¹ صف ح 5: 24.

² تاريخ الفكر الأندلسي: 34.

³ وفيات الأعيان ج 5: 24.

⁴ إشبيلية في عهد بني عباد: 57.

⁵ وفيات الأعيان ج 5: 24.

لهشام الثاني المزعوم أعلى حكمه درجة من الشرعية كان دائما في حاجة إليها نظرا لأنه لم يكن يتوفر على أية أسس نظرية للحكم⁽¹⁾، على الرغم من أنه كان من أهل المعرفة التامة بتدبير الدول⁽²⁾، فقد كان يدبر أمر دولته بناء على ما يستدعيه شكل الحكم في الدولة الطائفية. قال صاحب الحلة السراء: "وسلك سيرة أصحاب الممالك الذين بالاندلس لأول وقت، وقام بأصح عزم وأيقظ جد، واخترع في الرئاسة وجوها تقدم فيها كثيرا منهم، وامتلل رسم ابن يعيش صاحب طليطلة من بينهم في تمسكه بخطة القضاء وارتسامه بها، وأفعاله على ذلك أفعال الجبابة، وأقبل يضم الأحرار من كل صنف، ويشترى العبيد والجد يساعده والأمور تتفاد له إلى أن ساوى ملوك الطوائف. وزاد على أكثرهم بكثافة سلطانة وكثرة غلمان، فنفع الله به كافة رعيته، ونجاها من ملك البرابرة، وتوفي لليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة⁽³⁾، كان هذا هو الطور الأول من أطوار بني عباد في إشبيلية وقد دام من سنة 414هـ/1023م إلى سنة 433هـ/1041م، وهو عهد القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد، وتلاه عهد المعتضد بن محمد بن عباد، قال صاحب المعجب: "ثم ولي ما كان يليه بعده من أمور إشبيلية وأعمالها، ابنه أبو عمرو عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد، فجرى على سنن أبيه في إثبات الإصلاح وحسن التدبير ووسط العدل، مدة يسيرة، ثم بدا له أن يستبد بالأمور وحده..."⁽⁴⁾، وكانت ولايته بعد موت أبيه يوم الاثنين غرة جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين⁽⁵⁾، وقد امتازت سيرة هذا الرجل بالشدّة والقسوة فقد تسمى أولا بفجر الدولة، ثم بالمعتضد، ثم بجرّد لإدارة مملكته، قال صاحب المعجب: "وجملة أمر هذا الرجل أنه كان أوحّد عصره شهامة وصرامة وشجاعة قلب وحادّة نفس، كانوا يشبهونه بأبي جعفر المنصور من ملوك بني العباس، كان قد استوى في مخافته ومهابته القريب والبعيد، لا سيما منذ قتل ابنه وأكبر ولده المرشح لولاية عهده صبرا"⁽⁶⁾، وقد سجلت كتب التاريخ نماذج في وصف قسوته، والانتقام من أعدائه، قال ابن الأبار: "نعمد الله خطاياها، فلقد

1. إشبيلية في عهد بني عباد: 54.

2. وفات الأعيان ج: 5: 24.

3. الحلة السراء ج: 2: 38.

4. المعجب ج: 151 وما بعدها.

5. الحلة السراء ج: 2: 41.

6. المعجب: 143.

حمل عنه على مر الأيام - في باب فرط القسوة، وتجاوز الحدود، والإبلاغ في المثلة، والأخذ بالظنة، والإخفاف للذمة - حكايات شائعة لم يبد في أكثرها للعالم بصدقها دليل يقوم عليها، فالقول بشاع في ذكراها، ومهما برئ من مغبتها، فلم يبرأ من فظاعة السطوة، وشدّة القسوة، وسوء الاتهام على الطاعة. سجايا من جبلته لم يخاش فيهن ذوي رحم، ولا غلبهن بحيلة، وقد كان ثقيل سيرة أحمد بن أبي أحمد بن المتوكل، آخر أشداء خلايف العباسيين الذي ضم نشر المملكة بالمشرق، وسطا بالمنتزعين عليها، وفقدته انهدمت الدولة، فحمل عباد سمته المعتضدية [...] ولم يقصر في دولته التي مهدها فوق أطراف الأستة، وصير أكثر شغله فيها شب الحروب، وكباد الملوك وانهاز البلاد، وإحراز التلاذ، ومن توفّر حظه من الأمور المملوكية والعدد السلطانية والآلات الرباسية، ومن نادر أخباره المنتاهية في الغرابة أن نال بغيته، وأهلك تلك الأمم العاتية وإنه لغائب عن مشاهدتها، مترفع عن مكابذتها، مدير فوق أريكته، منفذ لحيلها من جوف قصره، ما مشى إلى عدو أو مغلوب من أمثاله غير مرة أو مرتين، ثم لزم عريسته يدبر داخلها أموره، جرد نهارة لإبرام التدبير، وأخلص ليله لتلمي السرور، فلا يزال تدار عليه كؤوس الراح، ويحيا عليها بقبض الأرواح، له في كل شأن شوين، وعلى كل قلب سمع وعين.

ما إن سبر أحد من دهاة رجاله غوره، ولا أدرك قعره، ولا آمن من مكره، لم يزل ذلك دأبه منذ ابتدائه إلى انتهائه⁽¹⁾، والنص يلخص سيرة المعتضد مع أعدائه فقد "أخذ خشيا في ساحة قصره جللها بربؤوس الملوك والرؤساء عوضا عن الأشجار، وعلى آذانها رقايع بأسماء أصحابها، إرهابا لأعدائه"⁽²⁾، وكان الدافع لذلك رغبة في المحافظة على حكمه وطمع في الاستيلاء على ما جاوره من البلدان، فقد "اكتشف أن ابنه إسماعيل، وهو خليفته وولي عهده، يأتمر به، فحبسه في قصره، فرقع إليه أنه ماض في تدبير المؤامرة عليه، من مكان اعتقاله، فأحضره وقتله بيده سنة 449هـ، وقتل الوزير الذي تواطأ معه على ذلك وآخرين"⁽³⁾ وأما طمعه في التوسع على حساب البلدان الأخرى فهو مبل فيه تربى منذ أيام أبيه حيث كان يكلفه بقيادة جيشه لقتال بني الألفس وغيرهم⁽⁴⁾،

1. الحلة السراء ج: 2: 41.

2. الأعلام ج: 3: 258.

3. نفسه ج: 3: 258.

4. نفسه ج: 3: 257.

وهذه المهارة الحربية جعلته يلقب بأسد الملوك رجل حازم شجاع "طمح إلى الاستيلاء على جزيرة الأندلس، فدان له أكثر ملوكها، واستولى على غربها مثل شلب وشنتيرة، ولبلية، وشلطش، وجبل العيون، وغيرها وولى عليها العمال سنة 443هـ"⁽¹⁾.

هذه خلاصة سياسة المعتضد العبادي في الأندلس على المستوى الداخلي والخارجي معاً، ويرجع الأستاذ ابن عيود هذه الشدة إلى الأسر الذي تعرض له المعتضد صغيراً فقد كان "مر بتجربة مأساوية عندما كان في السابعة من عمره، وقدم حينها ليحيى ابن حمود بعد المفاوضات التي جرت بين هذا الأخير والقاضي ابن عباد سنة 414هـ/1023م، ومن المحتمل أن أسره في هذا السن المبكر كان له أثر عليه من الوجهة النفسية حيث تصلبت مواقف، الشيء الذي كان يفسر جزئياً، عزمه المستمر في القضاء المريم على منافسه..."⁽²⁾.

وهذا من بعض أوجهه صحيح فصاحب المعجب يصور كيف نقل المعتضد الخلافة من ولده إسماعيل إلى ولده أبي القاسم وهو أمر يدل على أن المعتضد رجل عد للخلافة حقاً فيقول: "ولما قتل ابنه إسماعيل - كما تقدم - وكان قد لقبه المؤيد، عهد بعده إلى ابنه أبي القاسم محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد، ولقبه بالمعتمد على الله، فحسن سيرة أبي القاسم هذا في حياة أبيه وبعد وفاته"⁽³⁾.

توفي المعتضد بالله في شهر رجب سنة 464هـ، واختلف في سبب وفاته فقيل إن ملك الروم سمه في ثياب أرسل بها إليه، وقيل إنه مات حنفاً أنه والله أعلم⁽⁴⁾، ولما مات المعتضد ولي بعده ابنه المعتمد على الله الذي تابع سياسة أبيه في التوسع على حساب الممالك الأخرى إلى أن انفتحت له المحنة الكبرى فجعله وإخراجه عن ملكه في شهر رجب في سنة 474هـ⁽⁵⁾. قال صاحب المعجب "ثم قام بالأمر من بعده، ابنه أبو القاسم محمد ابن عباد بن محمد إسماعيل بن عباد، وزاد إلى المعتمد على الله، الظاهر بحول الله، وكان المعتمد هذا يشبه بهارون الوائلي بالله من ملوك بني العباس، ذكاء نفس،

وغزارة أدب، وكان شعره كأنه الحلل المنشرة"⁽¹⁾، والنص يحمل لقباً آخر أضافه المعتمد إلى نفسه، وهي سمة بارزة في عهد الطوائف جعلت الأديب أبا علي الحسن بن رشيق يقول:

مما يزهديني في أرض أندلس سماع مقتدر فيها ومعتضد
أقصاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد⁽²⁾

وامتاز المعتمد على الله بصفات أخرى ميزت سيرته يقول عنها ابن الأبار: "وكان المعتمد من الملوك الفضلاء، والشجعان العقلاء، والأجواد الأسخياء المأمونين، عفيف السيف والذليل، مخالفاً لأبيه في القهر، والنفك، والأخذ بأدنى سعاية، رد جماعة ممن نفى أبوه، وسكن وما نفر، وأحسن السيرة، ومك فأسجج، إلا أنه كان مولعاً بالحر، متغصماً في اللذات، عاكفاً على البطالة، مخلداً إلى الراحة، فكان ذلك سبب عطبه وأصل هلاكه"⁽³⁾.

هذه النصوص بجمعة توضح سيرة المعتمد ابن عباد وتبين وجهاً من سياسته في تدبير ملك إشبيلية كما توقفت على ميوله الأدبي، إذ كان شاعراً نظم الشعر، وتصوره لنا رجل لذة عاكفاً عليها مولعاً بالحر والجاروي ميلاً إليها مما كلن سبب زوال ملكه. وهذا كان ما يوضحه بجلاء صاحب المعجب بقوله "ولى أمر إشبيلية بعد أبيه، وله سبع وثلاثون سنة، وانفتحت له المحنة الكبرى فجعله وإخراجه عن ملكه في شهر رجب الكائن في سنة 474هـ فكانت مدة ولايته إلى أن خلع وأسر عشرين سنة، كانت له في أضعافها مآثر أعيا على غيره جميعها في مائة سنة، أو أكثر منها، كانت له رحمة الله همه في تخليد الثناء وإبقاء الحمد"⁽⁴⁾، وهذه المآثر تتجلى ما تحقيق ما كان يراود المعتضد من قبل من رغبة في القضاء على الممالك المجاورة والاستيلاء عليها وكسب طاعتها، من أجل ذلك لم تهدأ الأندلس من الحروب والفتن في أثناء عهد دول الطوائف، وهو ما جعل المعتمد يفتخر بمآثر شهرته في مدة قصيرة من ولايته، ولم يزل المعتمد هذا في جميع مدة ولايته، والأيام تساعده، والدرهم على ما يريده يؤازره ويعاضده، إلى أن انتظم له في

¹ المعجب: 189 - 190.

² المعجب: 105.

³ الحلة السراء ج: 155 وما بعدها.

⁴ المعجب: 158.

¹ نفسه ج: 257 - 258.

² إشبيلية في عهد بني عباد: 57.

³ المعجب: 156.

⁴ نفسه: 157.

⁵ نفسه: 158.

ملكه من بلاد الأندلس ما لم ينظم الملك قبله، أعني من المتغلبين، ودخلت في طاعته مدن من مدائننا أعييت الملوك وأعجزتهم، وامتدت مملكته إلى أن بلغت مدينة مرسية، وهي التي تعرف بتدمير، بينها وبين إشبيلية نحو من اثنتي عشرة مرحلة، وفي خلال ذلك مدن متصلة وقرى ضخمة، وكان تغلبه على قرطبة وإخراجه ابن عكاشة منها يوم الثلاثاء لسبع بقين من صفر سنة 471هـ، ثم رجع إلى إشبيلية، واستخلف عليها ولده عباداً...⁽¹⁾

وقد استمرت دولة بني عباد في نهج هذه السياسة التوسعية إلى بزوغ المواجهة العسكرية الحاسمة مع الفونسو السادس⁽²⁾.

يقول المقرئ في نهج الطيب ملخصاً عهد ملوك الطوائف: "... ومنهم بنو جهور، كانوا بقرطبة في صورة الوزارة، حتى استولى عليهم المعتمد بن عباد، وأخذ قرطبة، وجعل عليها ولده، ثم كانت له وعليه حروب وخطوب، وفرق أبناءه على قواعد الملك، وأنزلهم بها، واستفحل أمره بغرب الأندلس، وعلت يده على من كان هنالك من ملوك الطوائف، مثل ابن حبوس بغرناطة، وابن الأفلح ببليوس [...] وكلهم يدارون الطاغية، ويتقونه بالجزى إلى أن ظهر يوسف بن تاشفين واستفحل ملكه، فتعلقت آمال الأندلس بإعانتة، وضايقهم الطاغية في طلب الجزية، فقتل المعتمد اليهودي الذي جاء في طلب الجزية للطاغية بسبب كلمة أسفه بها، ثم أجاز البحر صرخاً إلى يوسف بن تاشفين، فأجاز معه البحر، والتفوا مع الطاغية في الزلافة، فكانت الهزيمة المشهورة على النصراني، ونصر الله تعالى الإسلام نصراً لا كفاء له [...] وصير فيها المعتمد صير الكرام: وكان قد أعطى يوسف بن تاشفين الجزيرة الخضراء ليتكمن من الجواز متى شاء، ثم طلب الفقهاء بالأندلس من يوسف بن تاشفين دفع المكوس والظلمات عنهم، فتقدم بذلك إلى ملوك الطوائف، فأجابوه بالامتنال حتى إذا رجع من بلادهم رجعوا إلى حالهم، وهو خلال ذلك يردد عساكره للجهاد، ثم أجاز إليهم وخلع جميعهم، ونازلت عساكره جميع بلادهم، واستولى على قرطبة، وإشبيلية، وبليوس، وغرناطة وغيرها، وصار المعتمد بن عباد كبير ملوك الأندلس في قبضته أسيراً بعد حروب، ونقله إلى أغمات قرب مراكش

سنة أربع وثمانين وأربعمائة، واعتقله هناك إلى أن مات سنة ثمان وثمانين...". هذا النص إذن يلخص أحوال الأندلس في القرن الخامس الهجري في عهد ملوك الطوائف قبل أن تصبح الأندلس مركز صراع بين قوتين، قوة النصارى المسيحيين، وقوة المرابطين الذين أنهوا عهد ملوك الطوائف، ونقلوا تقرير مصير الأندلس إلى المغرب⁽¹⁾.

لقد تناولنا فيما سلف الحالة السياسية العامة في إشبيلية، والأدوار التي مر فيها حكم دولة بني عباد، وسنخصص المبحث التالي للحديث عن الأحوال العلمية: الفكرية والأدبية في إشبيلية على عهدهم، فقد خلدت لهم الكتب مآثر في هذا المضمار لرعايتهم لأهل الأدب وتنافسهم في جمعهم من كل صوب.

لقد نشطت الحركة الفكرية في عهد ملوك الطوائف لأسباب متعددة، فصاحب تاريخ الفكر الأندلسي يجعل هذا العصر امتداداً لما سبقه من العصور من الوجهة العلمية إذ يقول: "هذا الازدهار نتيجة لعوامل أخرى كثيرة أهمها عصري الإمارة والخلافة كانا بمثابة فترة إعداد طويلة [...] وثانيهما أن علماء قرطبة غادروها أثناء الفتنة وانتشروا في شتى نواحي الأندلس، وكذلك تفرقت في كل ناحية مجموعات الكتب التي كانت مخزنة في مكتبات قرطبة، وثالثهما تلك الحرية التي أباحها ملوك الطوائف في شتى نواحي الحياة الاجتماعية..."⁽²⁾، وكانت إشبيلية من المراكز التي وفد عليها العلماء والأدباء والشعراء لعناية ملوكها بهم، يقول ابن بسام: "ولما كانت دار الأعراف والأكابر، ثابت فيها الخواطر، وصارت مجمعا لصوب العقول وذوب العلوم، وميدان فرسان المنثور والمنظوم، لاسيما من أول المائة الخامسة من الهجرة حين فرح كل حزب بما لديه. وغلب كل رئيس على ما في يده، بعد الدولة العامرية، فأصبحت أقطار الجزيرة يومئذ كنيي الأعيان"⁽³⁾ وقد رأينا من قبل أن بني عباد كانوا بيت علم، وأنهم تولوا القضاء في إشبيلية على عهد بني أمية، وقد سجلت لهم كتب التاريخ ما اتصفوا به من العلم والحكمة والدهاء في الحكم بين الناس، وكيف دعووا الأدباء والأدباء ونظموا الشعر وطربوا له في أيام طمعهم في الرئاسة وخوضهم غمار السياسة حينما انتخبهم أعيان إشبيلية لتولي هذا الأمر، يقول ابن بسام في الذخيرة عن استقطاب مدينة إشبيلية لأهل العلم:

¹ - إشبيلية في عهد بني عباد: 113.

² - تاريخ الفكر الأندلسي: 13.

³ - الذخيرة ج 2: 12.

¹ - العبد: 189 - 190.

² - نهج الطيب من غصن الأندلس الربط: 438 - 439.

"فاشتمل هذا القطر الغربي لأول تلك المدة على بيتي حسب وجهه وأدب، مملكتنا من لحم وتجيب مصرنا بلاده، وأكثرنا رواده، فأناه العلم من كل فج عميق، وتبادره العلماء من بين سابق ومسبوق وكلما نشأ من هذين البيتين أمير كان إلى العلم أطلب، وفي أهله أرغب، والسلطان سوق يجلب إليه ما يفيق لديه، حتى اجتمع في الجانب الغربي على ضيق أكتافه، وتحيف العدو قسمه الله لأطرافه، ما باهى الأقاليم العراقية، وأنسى بلبغا الدولة الديلمية، فقلما رأيت فيه ناثرا غير ماهر، ولا شاعرا غير قاهر... وطريقتهم في الشعر الطريقة المثلث التي هي طريقة البحري في السلاسة والمناقة والعذوبة والرصانة." (1)

نلاحظ من خلال النص كيف خلد ملوك إشبيلية ذكركم خاصة إذا علمنا أن التنافس كان قويا بين ملوك الطوائف في المجالات العسكرية والعمرانية والعلمية، لأن السياسة الداخلية والخارجية في الدولة الطائفية كان قائما على الهجومات المتبادلة، يقول أحد الباحثين: "ولم يكن التنافس بين هؤلاء الملوك سياسيا فقط، بل كان أيضا عمرانيا وأديبا وفنيا، فتنافسوا في إنشاء الحصون والقلاع، وتنافسوا في مجالس الأدب والطرب، وفي تشجيع الشعراء والكتاب والمغنين" (2)، والمتنوع لسير هؤلاء الملوك يلمس هذا الاهتمام واضحا، ففي البيان المغرب قال الحميدي: "كان أبو عمرو عباد صاحب إشبيلية من أهل الأدب البارع والشعر الرائع، وقد رأيت له سفرا صغيرا، في نحو ستين ورقة من شعر نفسه، فمن قوله [المنسرح]:

كأنما يأسمننا الغض كواكب في السماء تبيض
والطريق الحمري في جوانبه كخند عذراء منه عض (3)

ولقراءة المعتض بالله الإشبيلي في الأخذ بزمام الأمور، نحاشاه بعض أهل الأدب، روي أنه "لما وفد أبو عبد الله بن شرف القيرواني على الأندلس تطلعت إليه هم ملوكها ليعد صيته، فكان ممن استدعاه المعتض بن عباد، وكان ابن شرف قد امتلأ مسامعه من أخباره الشنيعة، فجاوبه بقوله:

¹ نفسه: 13.

² في الأدب الأندلسي: 24.

³ البيان المغرب ج3، 285.

أأنت صيدت غيبي صيد طائفة
حسبتي فرصة أخرى ظفرت بها
لهيئات ما كل حين تكن الفرس
للكمالات للقصائد مترعة
تروي وشيع لكن بعدها القصص (1)

وهو نفس شعري نجد حتى في مرثياته، فابن الأبار يقول: "وفي موت المعتض يقول أبو الوليد بن زيدون - ولم يظهره - سرورا بذلك واستراحة منه لأنه كان غير مأمون على الدماء، ولا حافظا لحرمة الأولياء:

لقد سرسني أن النعسي موكل
تجانب صوب الغيث عن ذلك الصدا
بطاغية قد حم منه حمام
ومر عليه المزن وهو جهام (2)

غير أن هذا لم ينجب أجيال الحركة الفكرية ونشاطها على هذا العهد المتعدد الأوجه الدائب الحركة، يقول الباحث: "ومن الإنصاف لهؤلاء الملوك أن نذكر أنهم رعوا حركة الأدب وقربوا أصحابها، وكانت أكثر عواصمهم أسواقا لها، وكان منهم أدياء وشعراء كالظفر وابنه المتوكل ملكي بطليوس، والمعتمد بن عباد ملك إشبيلية، وكان أكثرهم يدعو إلى بلاطه العلماء والشعراء والفلاسفة بخاضهم، وبجالسهم وفي عهدهم ظهرت الفلسفة وعلى رأسها ابن باجة" (3)، والمعتض من هؤلاء الملوك على قساوته وشدته كان لأهل الأدب الذين وفدوا عليه، وقربوا إليه العناية الكبيرة، وله في ذلك الوقائع المشهورة: "وكان لأهل الأدب عنده سوق نافقة وله في ذلك همه عالية، ألف له الأعلام أديب عصره، ولغوي زمانه شرح الأشعار السنة وشرح الحماسة، وألف له غيره دواوين وتصانيف لم تخرج إلى الناس" (4)، هذه هي السمة الطاهرة للحال الأدبية في قصر المعتض، وقد ساعدته خصاله وسجاياه كندوقه للكلام ونظمه وميله الفطري إلى الجود على تكاثر أهل العلم والأدب عليه، يقول ابن الأبار في توضيح هذه العناية: "وكان عباد أوتي من جمال الصورة، وقام الخلقة، وفخامة الهيئة، وسباطة البنيان، وتقرب الذهن، وحضور الخاطر وصدق الحس ما فاق أيضا على نظرائه، ونظر مع ذلك في الأدب

¹ فوات الوفاة ج2: 147 - 148.

² الحلة السراء ج2: 43.

³ في الأدب الأندلسي: 25.

⁴ البيان المغرب ج3: 284.

- قبل ميل الهوى به إلى طلب السلطان - أدنى نظر بأدكى طبع حصل منه لتقوب ذهنه، على قطعة وافرة علقها، من غير تعهد لها، ولا إمعان في غمارها، ولا إكثار من مطالعتها، ولا منافسة في اقتناء صحافتها، أعطته نتيجتها على ذلك ما شاء من تخيير الكلام، وفرض قطع من الشعر ذات ملاوة في معان أمدته فيها الطبيعة، وبلغ منها الإرادة، واكتنبت الأدياء للبراعة، جمع هذه الحلال الظاهرة والباطنة إلى جود كف بارى السحاب⁽¹⁾، وشابه المعتمد آياه في تسيير شؤون دولته ولقي الأدب والأدياء في عهده ما كانوا يلقوه في عهد أبيه، فتسابقوا إليه وتهافوا عليه⁽²⁾، وفي ذلك يقول عبد الواحد المراكشي: "واجتمع له من الشعراء وأهل الأدب ما لم يجتمع لملك قبله من ملوك الأندلس، وكان مقتصرًا من العلوم على علم الأدب، وما يتعلق به، وينضم إليه⁽³⁾، وكان المعتمد ملكًا شاعرًا جمع صفات الشجاعة والجلود إلى صفات الأدب، والعلم بأسراره، يقول ابن بسام: "استوسق الأمر بعد المعتمد لابنه المعتمد، وكان مع اشتغاله بالحرب وسعة مجاله بين الطعن والضرب [...] متمسكًا من الأدب بسبب، وضاربا في العلم بسهم، وله شعر، كما انتشق الكمّان عن الزهر، لو صدر مثله عمن جعل الشعر صناعة واتخذّه بضاعة، لكان رافعًا معجبًا، ونادرا مستغريا، فما ظنك برجل لا يجد إلا رانبا، ولا يجد إلا عابثا، وهو مع ذلك برمي فيصيب، ويهيم فيصوب..."⁽⁴⁾.

نستطيع بعد هذا أن نتصور الأحوال العامة في إشبيلية خلال القرن الخامس الهجري، وقد لقي فيها أهل العلم العناية الكبرى للدور الذي كانوا يقومون به في المجتمع، يقول ذ. ابن عيود: "والجدير بالذكر أن وزن العلماء والفقهاء في إشبيلية كان بالغ الأهمية شأنها في ذلك شأن الأقطار الأندلسية الأخرى، وذلك لأن اتصالهم بالناس كان مباشرا أكثر من الحكام، علاوة على هذا كان الفقهاء في غالب الأحيان من أصول متواضعة لذا كانت جذورهم الشعبية عميقة، فكثيرا ما عيروا عن مطالب وطموحات الجماهير ورفعوا شكاياتهم، بالرغم من أن فئة الجماهير في الفقهاء كانت تتأرجح بحسب المناطق، وفي مختلف أزمنة التاريخ الأندلسي، ومع ذلك فوجودهم كان يفسر دائما كقوة

معارضة أو مؤيدة للحاكمين..."⁽¹⁾، بين النص الدور الذي لعبه العلماء والفقهاء في إشبيلية حاجة الحكام لهم لتقريبهم من الناس ومخاطبتهم لهم واتصالهم المباشر بهم، هذا إذا علمنا أن تطبيق المذهب المالكي في عموم الأندلس قد ضمن للفقهاء والقضاة الانتقال إلى إشبيلية لتولي مناصب الإفتاء، يقول ذ. ابن عيود: "ومن المحتمل أن يكون قد استقر بإشبيلية على عهد بني عباد فقهاء آخرون وفدوا عليها من مناطق أندلسية أخرى للعمل بها، فقد كتلت إشبيلية فرصا للعمل لم تكن متوفرة في غيرها من المدن، فجلبت الشخصيات المرموقة والشهيرة في الميادين الثقافية والقضائية والسياسية"⁽²⁾.

ومن الأدياء الذين رحلوا إلى إشبيلية، الأستاذ أبو الحجاج الأعم الشنتمري الذي رأينا من قبل أنه ألف للمعتضد شرح الأشعار الستة، وشرح الحماسة، وكان أستاذ ولده المعتمد، وله ألف شرح ديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، وسنخصص المباحث التالية للحديث عن هذا الأديب ومؤلفاته لنخلص إلى الحديث عن شرحه لديوان أبي تمام.

التعريف بالأعلام الشنتمري:

الأعلم الشنتمري نسبة إلى شنتمرية الغرب مدينة في الأندلس من مدن أكشونية، وهي أول الحصون التي تعد لبنيولوة، وهي أقن حصون بنيولوة بنينا وأغلاهما سموكا مبنية على نهر أرغون على مسافة ثلاثة أميال منه.. وشنتمرية على معظم البحر الأعظم، سورها يصعد ماء البحر فيه إذا كان فيه المد، وهي مدينة متوسطة القدر حسنة الترتيب بها مسجد جامع ومنير وجماعة وبها المراكب واردة وصادرة، وهي مدينة أولية، وبها دار صناعة الأساطيل⁽³⁾. وشنتمرية تسمى اليوم فارو FARO وهي مدينة في البرتغال، وهي عاصمة المقاطعة التي تسمى اليوم الغريرة، وهي مرسى على المحيط الأطلسي في جنوب البرتغال تبعد عن الحدود الإسبانية بـ 56 كيلومترا، يحكمها بنو هارون، وأخذها منهم المعتضد بن عباد⁽⁴⁾. والأعلم كنيته سمي بذلك لأنه كان مشغوق الشفة العليا شقا كبيرا،

¹ - إشبيلية في عهد بني عباد: 204.

² نفسه: 204.

³ الجعري: الروض المظلل: 347.

⁴ د. محمد عبدالملاي: مقدمة تحقيق غلي غرر المماني ج1: 22 (رسالة مرموقة بكلية الآداب الرباط رقم

811,008 عدد).

¹ الحلة البراء ج: 42.

² الذخيرة ج: 55.

³ العجب من: 189 - 190.

⁴ الذخيرة ج: 41 - 42.

ومن كان مشقوق الشفة العليا يقال له أعلم⁽¹⁾. وأما اسمه الذي يرد في المصادر والمراجع فهو "أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى"⁽²⁾ ولد سنة 410هـ. ورغم أن قرطبة قد خلت من سلطان يرجع إلى أمره، وخربت بالجور عليها أيام الفتنة المشهورة إلا أن ابن جهور أئجح سعيه بصلاحتها ولم شعثها في المدة القريبة، فظهر تزايد الناس بها من أول تدبير لها⁽³⁾. وفي فترة حكم ابن جهور رحل الأعلام إلى قرطبة سنة 433هـ ليأخذ العلم عن شيوخها، وأقام بها مدة حيث أخذ عن أبي القاسم إبراهيم بن محمد ابن زكريا الإفريقي، وأبي سهل الحراني، وأبي بكر مسلم بن أحمد الأديب⁽⁴⁾.

وإذا كان د. محمد العبدلوي قد وقف للحديث عن الأدباء واللغويين والنحاة الذين نبغوا في مدينة شنتمرية حيث قال: "وقد نبغ في شنتمرية عدد من الأدباء واللغويين والنحاة، فبالإضافة إلى ابن الحسن بن هارون والأعلام نفسه هناك حفيده أبو الفضل جعفر بن محمد بن الأعلام الذي كان قاضيا بها... ومن شعرائها المشهورين في المائة الخامسة أبو الحسن صالح بن صالح الشنتمري، ومن علمائها المشهورين في النحو أبو مروان بن السراج أحد أئمة العربية الموزنين، وكان معاصرا للأعلام كما كان من جملة العلماء الموزنين في بلاط المعتمد بن عباد إلى جانب الأعلام نفسه⁽⁵⁾. فإنه لا يبدو مقطعا من حيث سكوت المصادر عن الهوية بين تاريخ ولادة الأعلام وتاريخ رحلته لقرطبة حيث يقول: "ولا يسعنا بعد هذا إلا أن نقول: إن المصادر تسكت ولا تذكر شيئا من نشأة الأعلام من يوم ولادته إلى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمئة".⁽⁶⁾ ميرزا من خلال ذلك عجز مدينة شنتمرية عن إشباع طموح الأعلام الشنتمري العلمي في قوله: "ومهما يكن من أمر فإن الأعلام قد رحل إلى قرطبة في عهد ابن جهور، لإشباع نهمة المتعطش للعلم، وهو ما عجزت شنتمرية الغرب أن تقدمه"⁽⁷⁾.

وإذا كان ابن بشكوال قد ذكر في ترجمته للأعلام الشنتمري شيوخه حيث قال: "أخذ عن أبي القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الإفريقي، وأبي سهل الحراني، وأبي بكر مسلم بن أحمد الأديب"⁽¹⁾ فإن د. محمد العبدلوي قد قال: "ولابد من التعرف على هؤلاء الشيوخ والتعرف على مروياتهم من شيوخهم الذين سبقوهم، لأننا إذا سرتنا على هذا النهج، فإننا سنضع أيدينا على الملامح الكبرى لتفافة الأعلام ومكوناتها"⁽²⁾.

فأبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الإفريقي نسبة إلى الإفيل، وهي قرية بالشام كان أصله منها، وهو من أهل قرطبة، كان من أئمة النحو واللغة، وله معرفة تامة بالكلام على معاني الشعر، وشرح "ديوان المتنبي" شرحا جيدا، وهو مشهور، وروى عن أبي بكر محمد ابن الحسن الزبيدي كتاب "الأماشي" لأبي علي الفاي، وكان متصدرا بالأندلس لإقراء الأدب، وولي الوزارة للمكتفي بالله بالأندلس، وكان حافظا للأشعار، فأكرا للأخبار وأيام الناس، وكان عنده من أشعار أهل بلاده قطعة صالحة، وكان أشد الناس انتقادا للكلام، صادق اللهجة، حسن الغيب، صافي الضمير، عني بكتب جملة كـ "الغريب المصنف" و"الألفاظ" وغيرهما.

ولد سنة 252هـ وتوفي سنة 441هـ بقرطبة⁽³⁾.

وأبو سهل الحراني هو يونس بن أحمد بن يونس ابن عيسون الجذامي، من أهل قرطبة كان بصيرا بلسان العرب، حافظا للغة، قيما بالأشعار الجمالية، عارفا بالعروض. وأوزان الشعر وعلله، جيد الخط، حسن النقل ضابطا لما يكتبه مختصا لما ينقله، يقرأ الناس عليه، ويتقبسون منه، ويحسن القيام بما يحمله من أصول علم اللسان فهما برواية... توفي سنة 442هـ وكانت سنه تسعا وسبعين سنة رحمه الله⁽⁴⁾.

والأستاذ الثالث هو مسلم بن أحمد بن أفلح النحوي الأديب من أهل قرطبة، يكنى أبا بكر، روى عن أبي عمر ابن أبي الحباب النحوي، وأبي محمد بن أسد، وأبي القاسم عبد الرحمن ابن أبي زيد المصري... كان رجلا جيد الدين، حسن العقل،

¹ ابن حلكان: وفيات الأعيان ج: 7، 82.

² انظر على سبيل المثال: الصلة 2: 681 معجم الأدباء، 20: 60 بنية الرواة: 356. فهرست ابن خمر 315 - 388.

³ نكت الهميان 313، مرآة الجنان 3: 159 غدرات الذهب ج: 3، 403. هدية العارفين 551. الأعلام ج: 7، 81 - 83.

⁴ د. محمد العبدلوي: مقدمة تحقيق تجلي غرر المعاني ج: 12، 13.

⁵ ابن بشكوال: الصلة 2: 620.

⁶ د. محمد العبدلوي: مقدمة تحقيق تجلي غرر المعاني ج: 23، 1.

⁷ نفس: 23.

⁸ نفس: 24.

¹ ابن بشكوال: الصلة 2: 681.

² د. محمد العبدلوي: مقدمة تحقيق تجلي غرر المعاني ج: 1، 24.

³ ابن حلكان: وفيات الأعيان ج: 1، 51.

⁴ ابن بشكوال: الصلة 2: 686.

متصاونا، لين العربية، واسع الخلق مع نبلة وبراعته وتقدمه في علم العربية واللغة، راوية للشعر وكتب الأدب، كان لتلاميذه كالأب الشفيق، والأخ الشقيق، مجتهدا في تبصيرهم، متلفعا في ذلك سنبا ورعا، وافر الحظ من علم الاعتقادات سالكا فيها طريق السنة، ولد سنة 376هـ، وتوفي سنة 433هـ⁽¹⁾. هؤلاء الشيوخ هم الذين ساهموا في تكوين ثقافة أبي الحجاج الأعلام الشنتمري في قرطبة، يقول د. محمد العبدلاوي: "هذا ولكي نزداد معرفة دقيقة بثقافة الأعلام علينا أن نتتبع مروياته عن هؤلاء الشيوخ الذين روى عنهم:

1- كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلام⁽²⁾.

2- كتاب الأمثال لأبي عبيد أيضا⁽³⁾.

3- كتاب الألفاظ لابن السيكت⁽⁴⁾.

4- كتاب إصلاح المنطق لابن السيكت⁽⁵⁾.

5- كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة⁽⁶⁾.

6- كتاب اختيار فصح الكلام لثعلب⁽⁷⁾.

7- كتاب أبنية كتاب سيبويه لأبي بكر الزبيدي⁽⁸⁾.

8- كتاب لمن العامة ويختصر لمن العامة لأبي بكر الزبيدي⁽⁹⁾.

9- كتاب سيبويه⁽¹⁰⁾.

10- الكامل للمعري⁽¹⁾.

11- كتاب النوادر وذيل النوادر لأبي علي القالي⁽²⁾.

12- شعر طفيل الغنوي وشعر عمرو بن أحمـر الباهلي⁽³⁾.

13- شعر السليـك بن السلـكة وقصيدة عمرو بن كلثوم، وقصيدة لقيط بن معمر الأبادي، وشعر الأسود بن يعفر، وشعر حاتم الطائي وشعر زيد الحيل والأشعار الستة المجهلية⁽⁴⁾.

14- شعر الخطيئة⁽⁵⁾.

15- شعر أبي قـام حبيب بن أوس الطائي، وشعر أبي الطيب المتنبي⁽⁶⁾.

هذه المؤلفات المعروضة سابقا هي التي أخذ الأعلام الشنتمري علومها عن شيوخه في قرطبة موطن رحلته لطلب العلم، وهي تنقسم إلى قسمين أساسيين في تكوين الثقافة الأدبية القديمة، قسم اللغة وقسم الأدب شعره ونثره، وقال محمد العبدلاوي بعد حديثه المسهب عن هذه المرويات:

"يتبين لنا من عرض مرويات الأعلام السابقة أن جل هذه المرويات، كان عن طريق أبي سهل الحراني وابن الإفليلي، وبعضها كان عن طريق مسلم بن أحمد [...] ويمكن إجمال هذه المرويات في فنون مختلفة هي اللغة والغريب وشرحه والأدب والأخبار والشعر والأمثال"⁽⁷⁾. ولذلك فإن مصادر ترجمته تصفه بالنحوي العالم بالعربية المعنني بشرح الأشعار إعانة لشيخه ابن الإفليلي، أو قائما على شرحها بنفسه كما هو الشأن في شرحه على الشعراء الستة وشرحه لحماسة أبي قـام الطائي، وشعره أيضا، يقول ابن بشكوال في هذا المضمـار: "وكان عالما باللغات والعربية ومعاني الأشعار، حافظا

¹ - نفسه: 626.

² - د. محمد العبدلاوي: مقدمة تحقيق غلي غير المعاني ج 1: 35.

³ - نفسه: 36.

⁴ - نفسه: 36.

⁵ - نفسه: 37.

⁶ - نفسه: 38.

⁷ - نفسه: 38.

⁸ - نفسه: 39.

⁹ - نفسه: 40.

¹⁰ - نفسه: 40.

¹ - نفسه: 42.

² - نفسه: 43.

³ - نفسه: 44.

⁴ - نفسه: 44.

⁵ - نفسه: 45.

⁶ - نفسه: 45.

⁷ - نفسه: 45.

لجميعها، كثير العناية بها، حسن الضبط لها مشهورا بمعرفتها وإتقانها⁽¹⁾. وفي نكت الهميان: "وشرح الجمل في النحو لأبي القاسم الزجاجي، وشرح أبيات الجمل في كتاب مفرد، وساعد شيوخه الإقليملي على شرح ديوان أبي الطيب، وقيل شرح الحماسة شرحا مطولا. ورتب الحماسة كل باب منها على حروف المعجم"⁽²⁾. وفي فهرست ابن خير في كثير من مواضع حديث عن مؤلفات الأعلام الشنمري والتي يمكن تصنيفها إلى مصنفات في اللغة والنحو وأخرى في الشعر وشرحه.

أ. مصنفات في اللغة والنحو:

- 1- كتاب عيون الزهد في شرح أبيات كتاب سيبويه⁽³⁾
- 2- كتاب المختار في النحو⁽⁴⁾
- 3- كتاب المسلة الرشيدية⁽⁵⁾
- 4- جزء فيه الفرق بين المسبب والمسبب⁽⁶⁾
- 5- المسألة الزنوبية⁽⁷⁾
- 6- جزء فيه مختصر الأنواع⁽⁸⁾
- 7- شرح الجمل في النحو لأبي القاسم الزجاجي⁽⁹⁾
- 8- شرح أبيات الجمل في كتاب مفرد⁽¹⁰⁾

9- تحصيل عين الذهب في معدن جواهر الأدب في علم مجازات العرب⁽¹⁾

10- كتاب النكت على كتاب سيبويه⁽²⁾

11- جزء فيه معرفة حروف المعجم⁽³⁾

ب. مصنفات في الشعر وشرحه:

1- كتاب الأشعار الستة الجاهلية⁽⁴⁾

2- كتاب شرح أشعار الحماسة⁽⁵⁾

3- قصائد الصبا في شعر أبي الطيب المتنبي⁽⁶⁾

4- شرح شعر أبي تمام الطائي⁽⁷⁾

5- وذكر له ابن خير أيضا فهرستا⁽⁸⁾

وغزارة علمه هذه وسعة معرفته وقيامه اللطوب على خدمة علوم العربية وآدابها رغبت في الأخذ عنه والرحلة إلى حلقات درسه فدأع صيته واشتهر واتصل بآل عباد ملوك إشبيلية فأصبح مختصا بهم يؤلف بأمرهم ويؤدب تحت رعايتهم، يقول صاحب نكت الهميان: "كان واسع الحفظ جيد الضبط، كثير العناية بهذا الشأن، فكانت الرحلة إليه في وقته... أخذ عنه أبو علي الغساني، وطائفة كثيرة"⁽⁹⁾، وفي شذرات الذهب: "ورحل إليه الناس من كل وجه"⁽¹⁰⁾.

¹ دائرة المعارف الإسلامية ج: 2، 644.

² ابن خيرة: الفهرست: 535. ويحضر هذا الكتاب أول ما ألف الأعلام وهو بعد مقيم بمدينة قرطبة، وكان ذلك سنة 440 هجرية (د. علي المفضل حمودان: شرح حماسة أبي تمام للأعلام ج: 1، 35).

³ د. محمد المبدلوي: مقدمة تحقيق غزلي غر المعاني ج: 1، 50.

⁴ ابن خيرة: الفهرست: 472.

⁵ نفسه: 388.

⁶ ابن أبيك الصغدي: نكت الهميان: 313 - 314، (رقد حقه د. محمد ابن شرفه).

⁷ د. محمد ابن شرفه: أبو تمام أبو الطيب في أدب المعاصرة: 39.

⁸ ابن خيرة: الفهرست: 432.

⁹ ابن أبيك الصغدي: نكت الهميان: 313.

¹⁰ ابن المعاء الحلي: "شذرات الذهب: 403.

¹ ابن بشكوال: الصلة ج: 2، 643 - 644.

² ابن أبيك الصغدي: نكت الهميان: 313 - 314.

³ ابن خيرة: الفهرست: 506.

⁴ نفسه: 522.

⁵ نفسه: 315. والرشد هو لقب عبد الله بن العنمد (د. علي المفضل حمودان: شرح حماسة أبي تمام للأعلام الشنمري: 39).

⁶ نفسه: 315.

⁷ نفسه: 315.

⁸ نفسه: 315.

⁹ ابن أبيك الصغدي: نكت الهميان: 314.

¹⁰ نفسه 314، والنظر قائمة مصادر د. علي المفضل حمودان.

وهذه الإشارات إلى ثقافته ومؤلفاته والرحلة إليه تدفعنا إلى الحديث عن تلامذته الذين كان لهم الفضل في رواية مؤلفاته وحفظ آثاره، وأشهر هؤلاء كما يبدو مما تقدم أبو علي الحسين بن محمد الغساني الجبائي، وكان من جهابذة المحدثين، وكبار العلماء المسندين، وكان له معرفة بالغريب والشعر والأنساب، وكان يجلس في جامع قرطبة. ويسمى منه أعيانها، توفي سنة 498هـ⁽¹⁾. وحاول محمد عبدالواقي في بحثه القيم لتحقيق شرح الحماسة للأعلام الشنتمري المسمى كتاب تجلي غرر المعاني أن يستقصي أخبار تلامذته فاتضح له عسر هذا المطلب وصعوبته، ولذلك اكتفى بالإشارة إلى أشهرهم، وفي مقدمتهم:

- 1- أبو الحسن علي بن عبد الرحمان التنوخي المشهور بابن الأخضر الإشبيلي توفي سنة 514هـ.
- 2- أبو الوليد إسماعيل بن عيسى بن عبد الرحمان بن الحجاج اللخمي الإشبيلي توفي سنة 534هـ.
- 3- أبو بكر محمد بن إبراهيم بن غالب بن عبد الغافر بن سعيد العامري القرشي من أهل شبك توفي سنة 532هـ.
- 4- أبو بكر محمد بن عبد الغني بن فندلة من أهل إشبيلية توفي سنة 533هـ.

ثم قال: "وبالإضافة إلى هؤلاء الذين ذكرناهم هناك تلاميذ آخرون للأعلام مشهورين منهم النحوي والشاعر والمتخصص في الحديث ورجاله، والذي له معرفة بالأدب واللغة والخبر ومعاني الشعر، منهم: النحوي أبو الحسين سليمان بن محمد بن عبد الله المالقي المشهور بابن الطراوة توفي 528هـ. والشاعر المشهور أبو بكر ابن عمار وزير المعتمد، والشاعر أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الذي انقطع لدروس الأعلام، وكان ينافح عن أسناده بشعره عندما حاول بعض معارضيه التعريض به عند المعتمد. ومنهم أبو علي الحسن بن محمد الغساني 427 - 498هـ، وهو من أهل الحديث، وأبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز اللخمي من أهل إشبيلية توفي 533هـ، صاحب أبا علي الغساني ولازمه وبرز في الحديث ورجاله. ومحمد ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة من

1- ابن خلكان: وفیات الاعيان ج2: 180

أهل قرطبة ويكنى أبا عامر. وقد روى عن الأعلام كثيرا. توفي سنة 511هـ⁽¹⁾. وعلق على عرضه لهؤلاء التلاميذ الذين أخذوا عن الأعلام ورووا مؤلفاته حيث ظل جزء هام منها محفوظا إلى عصرنا الحاضر يدل دلالة قوية على أحقية اختصار الأندلس ومباحثاتها به. قائلا: "هذه النظرة الموجزة في تلاميذ الأعلام تبين لنا مدى الأثر الذي تركه هذا الرجل في مجال الرواية والتدريس"⁽²⁾.

وهذا الأثر الكبير في مجال الرواية، وهذه الشهرة الواسعة بين طلاب العلم هيا له الانتقال من قرطبة إلى إشبيلية دار ملك بني عباد، وإشبيلية مدينة بالأندلس بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام، ومن الأميال ثمانون، وهي مدينة قديمة أزيلت، ومعناها باللسان اللتيني "المدينة المبسطة"⁽³⁾. تسمى حمصا لأن أهلها في أول الفتح كانوا من أهل حمص الشام، وبها قام ملك بني عباد من ملوك الطوائف⁽⁴⁾. أولئك الملوك الذين ظهروا في الأندلس بنغل كل ملك منهم على إقليم من أقاليم البلاد الأندلسية بعيد سقوط الخلافة المركزية في قرطبة سنة 422هـ. وقد كان التنافس بين هؤلاء الملوك قويا في جميع المجالات الحضارية يقول د. جودت الركابي: "ولم يكن التنافس بين هؤلاء الملوك سياسيا فقط، بل كان أيضا عمرانيا وأدبيا وفنيا، فتنافسوا في ابتناء الحصون والقلاع، وتنافسوا في مجالس الأدب والطرب وفي تشجيع الشعراء والكتاب والمغنين"⁽⁵⁾. وهذا الولع بالأدب ورجاله ساهم في تنشيط الحركة الأدبية، وتشجيع أهل الأدب والعلم على القدوم إلى بلاطات هؤلاء الأمراء لمجالسهم ومحاضرتهم وتأديب أبنائهم، وفي هذا السياق يضيف د. جودت الركابي: "ومن الإنصاف لهؤلاء الملوك أن نذكر أنهم رغبوا حركة الأدب، وقربوا أصحابها، وكانت أكثر عواصمهم أسواقا لها، وكان منهم أدباء وشعراء كالمظفر وابنه التوكل ملكي بطليوس، والمعتمد بن عباد ملك إشبيلية، وكان أكثرهم يدعو إلى بلاطه العلماء والشعراء والفلاسفة يحاضروهم ويجالسهم..."⁽⁶⁾.

1- د. محمد عبدالواقي: مقدمة تحقيق تجلي غرر المعاني ج1: 48 - 49.

2- نفسه: 49.

3- الحمير: الروض المطار: 58.

4- محمود مصطفى: إجماع الأعلام: 206.

5- د. جودت الركابي: في الأدب الأندلسي: 24.

6- نفسه: 25.

والملاحظ من المصادر التي بين أيدينا أن الأعلام الشنمري قد اختص بملوك بني عباد، وأنه كان مقرباً لديهم سامي المنزلة عندهم، فقد ألف للمعتضد بالله كثيراً من المؤلفات، يقول ابن عذاري في سباق حديثه عن المعتضد بالله "وكان لأهل الأدب عنده سوق نافذة، وله في ذلك همة عالية، ألف له غيره دواوين وتضافت لم تخرج إلى الناس"⁽¹⁾. المعتضد هو عباد بن محمد بن إسماعيل ابن عباد اللخمي، أبو عمرو الملقب بالمعتضد بالله، صاحب إشبيلية، في عهد ملوك الطوائف، وابن قاضيها أبو القاسم، وهو أبو المعتمد، كان في أيام أبيه يقود جيشه لقتال بني الأطلس وغيرهم. وولي الأمر بعد وفاته سنة 433هـ. وكان شهماً ضارماً وخوطلب بأمر المؤمنين، طمح إلى الاستيلاء على جزيرة الأندلس، فدان له أكثر ملوكها، واستولى على غربها. وطالت مدته إلى أن توفي في شهر رجب سنة 464هـ بإشبيلية. ونفقت بضاعة الأدب في عصره. وكان بطرب للشعر ويقول.. وقد جمع له ديوان في نحو ستين ورقة⁽²⁾.

وبلاحظ الناظر في مقدمات كتب الأعلام الشنمري حرص المعتضد بالله على خدمة العلم وعنايته بتنشيط حركة التأليف والشرح في اللغة والأدب، يقول في مقدمة كتاب "تحصيل عين الذهب": "هذا كتاب أمر بتأليفه وتلخيصه، وتهذيبه وتخليصه، المعتضد بالله المنصور بفضل الله أبو عمرو عباد بن محمد بن عباد عناية منه بالأدب وميلاً إليه، وتهمما بعلم لسان العرب وحرصاً عليه، أمر باستخراج شواهد كتاب سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر رحمة الله عليه وتخليصها منه، وجمعها في كتاب يخلصها ويفصلها عنه مع تلخيص معانيها، وتقريب مرادها، وتسهيل مطالعها ومراقبها، وجلاء ما غمض وخفي منها من وجوه الاستشهادات فيها. ليقرب على الطالب تناول جملتها، ويسهل عليه حصر عاتمها، ويجتني من كتب ثمر فائدتها، فأنهت إلى أمره العلي، وسلكت فيه منهاج مذهبه الرفيع السني، وأمليته على ما حد أيده الله وأعلى يده..."⁽³⁾.

ونفس التنويه والإشادة بالمعتضد بالله وبمناقبه في البناء الحضاري الشامل لدولته خاصة وأن إشبيلية كانت مؤهلة لتكون قرطبة الأندلس آنذ، نقرؤه في صدر مقدماته على الأشعار الستة، وشرح الحماسة وشرح شعر أبي تمام. يقول في مقدمة شرح شعر أبي تمام: "إن الله تبارك وتعالى أنعم على أهل عصرنا وأبناء دهرنا بالملك الكريم ذي المآثر الشريفة، والمساعي الرقيقة المنيفة المعتضد بالله أبي عمر وعباد بن محمد بن عباد "ثم أضاف إلى ذلك: "ولما كان العلم من أقوى أسباب الوصول وأكبر وسائل القرية لعلمه بسراره المطوية، وظهوره على وجوهه الخفية أهديت إليه قطرة من فضلهما أنها من غمره ودرة روثها وحسنها أنها من بحر، وقصدي بفائدتها واعتمادها في ثمن ثمرتها كوكب الغرب الذي أثار سناه الشرق، ويدر النمل الذي عم نوره الحلق الحاجب الظافر أبو القاسم المعتضد بالله... والذي خصصته به أعزه الله تعالى شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي..."⁽⁴⁾.

وكما أولى المعتضد بالله عنايته بالأعلام الشنمري، وعهد إليه بالتأليف على الحطة التي يريتها في طلب العلم، خص المعتمد هذا الشيخ بنفس العناية فكان حل استشارتهم في المسائل اللغوية العويصة، ففي نفع الطيب: "وقال الجحاري صاحب "المسب في أخبار المغرب":

كم يت من اسر السهاد بليلة ناديت فيها هل لجنحك أخطر
إذ قام هذا الصبح يظهر ملة حكمت بأن ذبح الظلام الكافر

وعلى ذكر "المسب" فقد كنت كثيراً ما استشكل هذه التسمية، لما قال غير واحد، إن المسب إنما هو بفتح الهاء، كتولهم سيل مغمم العين، والفقرة الثانية وهي "المغرب" ط تقضي أن يكون بكسر الهاء، ولم يزل ذلك يتردد في خاطري إلى أن وقتت على سؤال في ذلك رفعة المعتمد بن عباد سلطان الأندلس إلى الفقيه الأستاذ أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي الشنمري المشهور بالأعلم..⁽²⁾ وفي الذخيرة لابن بسام أن الأعلام الشنمري كان أستاذ ولد المعتمد، وذلك من حسنات إجلال هذا الملك الأديب لهذا الأديب العالم الذي تمكن قدره وعلا صيته بإشبيلية، يقول

¹ - الأعلام الشنمري: شرح ديوان أبي تمام ج2 - 109
² - المقرئ: نفع الطيب ج4: 76 - 77.

¹ - ابن عذاري: البيان المغرب ج3: 284.
² - انظر: محمد بن شاكر الكندي: فوات الوفيات ج2: 147 - 148. وغير الدين الزركلي: الأعلام ج3: 257 - 258 وفيه أنه توفي سنة 461 هجرية ويبدو أنه هو الراجح.
³ - الأعلام الشنمري: تحصيل عين الذهب ج3 - 5.

ابن بسام في ذكر الأديب أبي محمد عبد الجليل ابن وهيون المرسى: "شمس الزمان وبدره، وسر الإحسان وجهه، ومستودع البيان ومستقره، آخر من أفرغ في وقتنا فنون المقال، في قوالب السحر الحلال، وقيد شوارد الألياب بأرق من ملح العناب، وأروق من غفلات الشباب. وكورة تدمير أفقه الذي منه طلع، وعارضة الذي فيه لعل، وإنما ذكرته في هذا القسم الغربي مع أهل إشبيلية لأنها بيت شرقه المشهورة، ومسقط عينه المشكور، طراً عليها متحلاً للطلب، وقد شدا طرفاً من الأدب، وكان الأستاذ أبو الحجاج الأعلام يومنّ زعيم البلد، وأستاذ ولد المعتمد، فقول عليه من رحلته، وانقطع إليه بتفصيله وجملته، وكانت له في أثناء ذلك همة تتراعى به إلى العلى، ترامي السبل من أعالي الربي، وكان بين الأستاذين أبي الحجاج وأبي مروان بن سراج ما يكون بين فحلين في هجمة وزعيمين من أمة، فانفق أن كتب ابن سراج إلى المعتمد بشعر بائي من شطر الوافر يمدحه فيه، وكأنه - زعموا - عرض بقرنه ومباريه، وأعلم بذلك الأعلام، فصمت عن جوابه وأحجم، وولاه عبد الجليل فاطمه في أفقها قمرًا، ونبه منه لحربها عمراً فقال قصيدته البائية التي أولها: "هوى بين النجوم له قباب"، ومع أنها ليست لاحقة بعيون شعره لما سمعها ابن عمار خادم الدولة يومنّ طار بذكره، وأجناه غماره، وباهى به أقمارها... ووافق من المعتمد ناقدا بصيرا وعاشقا قديرا... وأقام له الدنيا على ساق، وقصر عبد الجليل على هواه، فلم يرحل إلى ملك سواه... وكانت له كل عام رحلة، يتعهد فيها بلده وأهله... ولما ابتدأت الفتنة بالمعتمد، بادر الخروج عن البلد، فلم يغن عنه نفاره وأدركه مفداه، على قرب من مرسيه، لقي قطعة من خيل النصارى فتورط فيهم، وقضى الله له بالشهادة على أيديهم"⁽¹⁾، والمعتمد المذكور في هذا النص الغني بالدلالات سواء فيما يتعلق بمنزلة الأعلام في قصر إشبيلية أو فيما يتعلق بالعناية العظيمة التي كان يوليها المعتمد لأهل الأدب على الرغم من الظرف التاريخي العصيب، هو المعتمد على الله أبو القاسم محمد آخر ملوك بني عباد في إشبيلية ولي بعد وفاة والده في سنة 461 هـ، كان صاحب قرطبة وإشبيلية وما والاها من جزيرة الأندلس، وكان الأدفونش ملك الفرنج قد قوي أمره في ذلك الوقت، وكان ملوك الطوائف من المسلمين هناك يصلحونه ويؤدون إليه ضريبة، ولما أخذ طليطلة سنة 478 هـ، لم يعد يقبل ضريبة المعتمد، وكان أكبر ملوك الطوائف وأكثرهم بلادا طمعا في أخذ بلاده، فكانت الحرب بينهما، واستنجد

¹ ابن بسام: الذخيرة 2 ق 4: 474 - 475.

المعتمد بيوسف بن تاشفين ملك المغرب الذي تغير بعد ذلك على المعتمد وقبضه وسجنه في أغمات وأهله إلى أن توفي سنة 488 هـ. وكان المعتمد مكرما للأدب وأهله حتى قيل إنه لم يجتمع باباب أحد من ملوك عصره من أعيان الشعراء وأفاضل الأدباء ما كان يجتمع ببابه. وكان شاعرا له ديوان شعري مطبوع. قال ابن بسام: وللمعتمد بن عباد شعر كما انتشق الكمام عن الزهر، لو صدر مثله عن جعل الشعر صناعة واتخذ ه بضاعة لكان راقعا معجبا ونادرا مستغبرا⁽²⁾.

وقفة الأعلام الشنتمري:

بعد أن تحدثت عن أهم المراحل التي عاشها الأعلام الشنتمري قبل الانتقال إلى إشبيلية، وبعد أن أصبح في ظل بني عباد ملوك إشبيلية معززا مكرما، وعن أهم المؤلفات التي عني بتأليفها ورفعها إلى مقاماتهم، أقف عند آخر نقطة في هذه الحطة قبل أن أنتقل إلى دراسة بعض كتيبه المرتبطة بموضوع بحثي. فالمصادر تذكر أنه كف بصر الأعلام في آخر عمره⁽³⁾، وقيل في سبب عماء أنه سئل عن وجه منع اعتبار محل اسم "إن" في النعت قبل استكمال الخبر دون غيره من التواضع، فقال وجه المنع عند الجمهور في النعت أن الغرض منه بيان المنعوت ليصح الإخبار فحقه أن يكون قبل الخبر فإن جاء بعده فعلى نية التقديس والتأخير، والحمل على الموضع لا يكون إلا بعد تمام الكلام فتكلفه للجواب، كان سبب نزول الماء في عينيه، لأنه كان أرمد فعمي رحمه الله⁽⁴⁾.

توفي الأعلام الشنتمري سنة 476 هـ بمدينة إشبيلية⁽⁵⁾. وبعد وفاته رثاه صديقه الشاعر السابق الذكر عبد الجليل بن وهيون المرسى بقصيدة أولها:

سبق الفناء فما يدوم بقاء تفنى النجوم وتسقط البيضاء

¹ انظر ترجمته على سبيل المثال في ابن حلكان: وفيات الأعيان 5: 21 - 39.

² ابن بشكوال: الصلاة ج: 643 - 644.

³ انظر الهامش رقم 1 من 314 من كتاب نكت الهيمان، وقد أفاد الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي.

⁴ ابن بشكوال: الصلاة ج: 681.

يقول فيها

نفسى وحسى إن وصفتها معا
لو تعلم الأجيال كيف مآلها
إننا لنعلم ما يراد بنا فلم
طيف المنايا في أساليب المنى
بتعاقب الأضداد مما قد ترى
ماذا على ابن الموت من إصاره
أبغرني أن يستطيل بى المدى
لم ينكر الإنسان ما هو ثابت
ونظير موت المرء بعد حياته
دنف ييكى للصحيح وإنما
وسواء أن تجلى للحاظ من القذى
ما النفس إلا شعلة سقطت إلى
حتى إذا خلصت تعود كما بدت

آل يذوب وصخرة خلقاء
علمي لما امتسكت لها أرجاء
تعيا القلوب وتغلب الأهواء
وعلى طريق الصحة الأدواء
جلبت عليك الحكمة الشنعاء
ولقائه هل غفت الأبناء
وأبى بحيث تواصلت الغبراء
في طبعه لو صحت الآراء
أن تستوي من جنسه الأعضاء
أمواتنا لو تشعر الأحياء
أو تنتضي من شخصها الخوباء
حيث استقل بها الغرى والماء
ومن الخلاص مشقة وعناء⁽¹⁾

طريقة الأعلام الشنمري في الشرح والتأليف:

صدر الشنمري مؤلفاته وشروحه بمقدمات ذات شأن كبير، تتضمن طريفته في التأليف، ودواعي هذا التأليف، وهي مؤلفات كانت تؤلف دوما بأمر من ملوك إشبيلية الذين خص بهم، فمن مقدمة تحصيل عين الذهب: "هذا كتاب أمر بتأليفه وتلخيصه، وتهذيبه وتخليصه، المعتض بالله [...] عناية منه بالأدب وميلا إليه، وتهما يعلم لسان العرب وحرصا عليه أمر باستخراج شواهد كتاب سيبويه... وتخليصها منه، وجمعها في كتاب يخصها، ويفصلها عنه مع تلخيص معانيها، وتقريب مراميها، وتسهيل مطالعها ومرافيقها، وجلاء ما غمض وخفي منها من وجوه الاستشادات فيها، ليقرب على الطالب تناول جملتها، ويسهل عليه حصر عامتها، ويجتني من كتب ثمر فائدها، فانتهيت إلى

ابن بسام: الذخيرة 2 م: 478 - 479.

أمره العلمي، وسلكت فيه منهاج مذهبه الرفيع السني، وأمليته على ما حد أيده الله وأعلى يده، وألفته على رتبة وقوع الشواهد في الكتاب، وأسندت كل شاهد منها إلى بابه أولا، ثم إلى شاعره إن كان معلوما آخر، وسميته بكتاب "تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب"، ليكون اسمه مطابقا لمعناه، وترجمته دالة على مغزاه، ولم أطل فيه إطالة تمل الطالب المتخصص للحقيقة، ولا قصرت تقصيرا يجل عنده بالفاقة، فإن جاء على ما يوافقه فبسطه، وتوفيق الله عز وجل، وإن جاء بخلاف ذلك فقد اجتهدت، ولكني حرمت التوفيق، وحسى الله ونعم الوكيل⁽¹⁾، والمتنبع لهذا الكتاب يقف فعلا على التحقيق العملي لهذه الحطة من جمع للآيات الشواهد مع شرحها، ويبان الشاهد النحوي فيها، ومن الأمثلة على ذلك قوله في شرح الشاهد 132، وهو بيت للزبرقان بن بدر:

مستحقني حلق الماذي يحفره بالمشرفي وغاب فوقه حصيد

الشاهد في حذف النون من مستحقين استخفا وأضفا إلى ما بعده، وصف جيشا فقال بخيرا عن فرسانه مستحقني حلق الماذي أي جعلوها في حقائبهم وهي ماخير الرحال معدة للباس، والماذي الدروع الصافية الحديد اللينة اللبس وأحدثها ماذية، وقوله يحفره إخبار عن الجيش، فلذلك وحده، والهاء عائدة على الماذي لأنه اسم جنس، والمشرقي، السيف نسب إلى المشرق، وهي قرى بالشام طبع بها السيوف، ومعنى يحفره بالمشرقي رفعه لحماضه وتشمير ذويله، وأراد بالغاب الرماح، سماها بمبنتها، والغاب جمع غابة وهي الغيضة والحصد المقطوع لأن الرماح تقطع من أجمتها فوصفها بذلك، ويقال الحصد الملتف من قولهم استحصد الشيء إذا قوي واشتد وحيل محصد أي يحكم القتل شديد⁽²⁾.

تلك كانت بعض الأمثلة من شرح الأعلام الشنمري لشواهد كتاب سيبويه، وهي تظهر ميل الأعلام إلى النحو، وسعة علمه بلغة العرب، ومعاني الشعراء وأخبارهم، مع مهارة في التحليل والتعليل.

¹ انظر تحصيل عين الذهب: 9 - 15.

² نفسه: 40.

وعندنا مثال آخر يدل على طريقة الشنمري في التأليف والشرح وهي رسالته في "المسهب" هل هو يفتح الهاء أو بكسرها، وهي عبارة عن جواب عن سؤال رفعه المعتمد بن عباد سلطان الأندلس إلى الفقيه الأستاذ أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي الشنمري المشهور بالأعلم، وفيما يلي أورد هذه الرسالة برمتها عن كتاب "فتح الطب من غصن الأندلس الربيب للشيخ المقرئ: وقال الحجاجي صاحب "المسهب في أخبار المغرب":

كم بت من أسر السهاد بليلة ناديت فيها هل لجنحك آخر
إذ قام هذا الصبح يظهر مله حكمت بأن ذبح الظلام الكافر

وعلى ذكر "المسهب" فقد كنت كثيرا ما أستشكل هذه التسمية، لما قال غير واحد، إن المسهب إنما هو يفتح الهاء، كقولهم سيل مفعم - يفتح العين - والفقرة الثانية وهي "المغرب" تقتضي أن يكون بكسر الهاء، ولم يزل ذلك يتردد في خاطري إلى أن وقت على سؤال في ذلك رفعه المعتمد ابن عباد سلطان الأندلس إلى الفقيه الأستاذ أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي الشنمري المشهور بالأعلم، ونص السؤال:

سألك - أبقاك الله - الوزير الكاتب أبو عمرو بن غطمس، سلمه الله عن "المسهب"، وزعم أنك تقول بالفتح والكسر، والذي ذكر ابن قتيبة في "أدب الكاتب" والزبيدي في "مختصر العين"، أسهب الرجل فهو مسهب إذا أكثر الكلام، بالفتح خاصة فبين لي - أبقاك الله تعالى - ما تعتقد فيه، وإلى أي كتاب تسند القولين، لأقف على صحة من ذلك، فأجابه وصل إلي - أدام الله تعالى توفيقك - هذا السؤال العزيز، ووقت على ما تضمنه، والذي أحفظه وأعتقد أن المسهب بالفتح المكثر في غير صواب، وأن المسهب بالكسر البليغ المكثر من الصواب، إلا أنني لا أسند إلى كتاب بعينه، ولكني أذكره عن أبي علي البغدادي من كتاب "البارع" أو غيره، معلقا في عدة نسخ من كتاب "البيان والتبيين"، على بيت في صدره لمكي بن سودة وهو:

حصر مسهب جريء جبان خير عي الرجال عي السكوت
والعلقة: "قول العرب: أسهب الرجل فهو مسهب وأحسن فهو محسن وألغح فهو ملغح، إذا افترق، قال الخليل، يقال رجل مسهب، قال أبو علي: أسهب الرجل فهو مسهب بالفتح إذا أكثر من خرف وتلف ذهن، وقال أبو عبيدة عن الأصمعي:

أسهب الرجل فهو مسهب بالفتح إذا خرف وأهتر، فإن أكثر من الخطأ قيل أفند فهو مفند، انتهت المعلقة. فرأي مملوكك - أيدك الله تعالى - واعتقاده أن المسهب بالفتح لا يوصف به البليغ المحسن، ولا المكثر المصيب، ألا ترى إلى قول الشاعر "حصر مسهب" أنه قرن فيه المسهب بالحصر وذمه بالصفتين، وجعل المسهب أحق بالعي من الساكت والحصر، فقال: خير عي الرجال عي السكوت، والدليل على أن المسهب بالكسر يقال للبليغ المكثر من الصواب أنهم يقولون للجواد من الحيل مسهب بالكسر خاصة، لأنها بمعنى الإجابة والإحسان، وليس قول ابن قتيبة والزبيدي في المسهب بالفتح هو المكثر من الكلام بموجب أن المكثر هو البليغ المصيب، لأن الإكثار من الكلام داخل في معنى الذم، لأنه من التثرة والهذر، ألا تراهم قالوا: رجل مكثار: كما قالوا: ثرثار، ومهذار، وقال الشاعر: "فلا تمارون إن ماروا بإكثار" فهذا ما عندي، والله تعالى الموفق للصواب.

قال الأعلام: ثم نظمت السؤال العزيز والجواب:

سلام الإله ورحمائه
سلام امرئ ظل من سببه
أتاني سؤالك أعزز به
يسائل عن حالتي مسهب
لم اختلفا في بناههما
أتى ذا على مفعول لم يعمل
قللت مقالا على صدقه
بناء البليغ أتى سالما
وأسهب ذاك مسيئا فزول
وأحسن ذا فجرى وصفه
فهذا مقالي مستصبرا
تقلدت في رأيه مذهبا
سموك في السروع مستشرفا
كأنك فيها هلال السما
بل أنت مظل كيدر السماء

على الملك المجتبي المستخل
خصيب الجناح رحيب المحل
سؤال مير على من سأل
ومسهب المبطل العليل
وحكمها واحد في فعل
وذاك على مفعول قد أعمل
شهيد من العقل لا يستزل
سلامته من فضول الخطل
زليلا ثنى مثنه فانهخذل
على سنن المحسن المستقل
ولست كمن قال حدسا فضل
يخصك بين الطبقي والأسل
إلى مهجة المستميت البطل
يزيد بهاء إذا ما أطل
يفسى الظلام إذا ما أطل

تبيانها مقارنا بين عمله في هذا الشرح، وعمل الشراح في شرح هذه الأشعار. ومما جاء في هذه المقدمة:

أما بعد، فلما كان لسان العرب خير الألسنة، ولغتها أحسن اللغات، لنزول القرآن بلسانها، وشهادته لها ببينها، وكان الشعر ديوانها المتقف لأخبارها، وأيامها وحكمها، وسائر ما خصت به من فضائلها، وكان أشرف من كلامها المتنور وحكمها المأنور - قال الله تعالى: "وما علمناه الشعر وما ينبغي له"، فأبان أن أهل الشعر أقدر على تأليف الكلام، وسرد النظام، وأبانت أن أجمع من أشعار العرب ديوانا، يعين على التصرف في جملة المنظوم والمنثور، وأن أقصر فيه على القليل، إذ كان شعر العرب كله متشابه الأغراض، متجانس المعاني والألفاظ، وأن أوثر بذلك من الشعر ما أجمع الرواة على تفضيله، وآثر الناس استعماله على غيره، فجعلت الديوان متضمنا لشعر امرئ القيس بن حجر الكندي، وشعر النابغة زياد بن عمرو الذبياني، وشعر علقمة بن عبدة التميمي، وشعر زهير بن أبي سلمى المزني، وشعر طرفة بن العبد البكري، وشعر عنترة بن شداد العبسي.

واعتمدت فيما جلبته من هذه الأشعار، على أصح روايتها وأوضح طرقاتها، وهي رواية عبد الملك ابن قريش الأصمعي، لنواظف الناس عليها، واعتبادهم لها، واتفاق الجمهور، على تفضيلها، واتبع ما صح من روايته قصائد متخيرة من رواية غيره، وشرحت جميع ذلك شرحا، يقتضي تفسير جميع غريبه وتبيين معانيه، وما غمض من إعرابه، ولم أطل في ذلك إطالة تغل بالفائدة، وتغل الطالب المتنم للتحقيق، فإني رأيت أكثر من ألف في شروح هذه الأشعار قد تشاغلوها عن كشف المعاني، وتبيين الأغراض، وجلب الروايات، والتوقف على الاختلافات، والتقصي لجميع ما حوت اللفظة الغريبة من المعاني المختلفة، حتى إن كتبهم خالية من أكثر المعاني المحتاج إليها، ومشتملة على الألفاظ والروايات المستغنى عنها. وفائدة الشعر معرفة لغته ومعناه، وإلا فراوي له كالتنطق بما لا يفهم، والعالم بما لا يعلم، وهذه صفة البهائم، ولذلك قال أحد الشعراء يذكر قوما بكثرة الرواية وقلة التمييز والدراية:

زوامل للأشعار، لا علم عندهم يجيدها، إلا كعلم الأياضر
لعمر ك ما يدري السعير، إذ غدا بأوساقه أوراخ ما في الغرائر

قلت: رأيت في بعض الحواشي الأندلسية: أن ابن السكيت ذكر في بعض كتبه في بعض ما جعله بعض العرب فاعلا ويضعهم مفعولا، وجعل مسهب ومسهب الكثير الكلام، وهذا يدل على أنهما بمعنى واحد، انتهى⁽¹⁾.

وأورد له الشيخ المقرئ جوابا آخر عن مسألة نحوية أخرى فقال: "وسأل بعض الأدياء الأستاذ الأعلم المذكور عن المسألة الزنوبية، المقترنة بالشهادة الزورية، الجارية بين سيبويه والكسائي أو الفراء، والقضاء بينهم فيها، وهي "ظننت أن العرق أشد لسعة من الزنور، فإذا هو هي، أو إياها"، وعن نسب سيبويه: هل هو صريح أو مولى؟ وعن سبب لزومه الخليل بعد أن كان يطلب الحديث والتفسير، وعن علة تعرضه لمناظرة الكسائي والفراء، وعن كتابه الجاري بين الناس: هل هو أول كتاب أو أنشأه بعد كتاب أول ضاع كما زعم بعض الناس؟ فاجاب: وأما نسب سيبويه [...] وأما سبب تعويله على الخليل في طلب النحو [...] وأما سبب وفوده على الرشيد ببغداد، وتعرضه لمناظرة الكسائي والفراء... وأما كتابه الجاري بين الناس، فلم يصح أنه أنشأه بعد كتاب آخر قبله، على أن ذلك قد ذكر، فهذا ما حضر فيما سألت عنه، فمن قرأه وأشرف فيه على تقصير فليبسط العذر - فإنه لساعتين من نهار إملاء يوم الثلاثاء عشى النهار لثمان خلون لصفر سنة 476 انتهى"⁽²⁾.

مقدمة شرح الأشعار الستة:

وهذا أثر آخر من الآثار التي خلفها الأعلم الشنتمري، وقدم له كذلك مقدمة بالغة الأهمية، تحدث فيها عن اللسان العربي وأهله، وعن الشعر والغرض منه، وعن موضوع كتابه والداعي إلى تأليفه، وعن الرواية التي اعتمدها، وعن الدواوين التي شرح وهي شعر امرئ القيس، وشعر النابغة الذبياني، وشعر علقمة، وشعر زهير بن أبي سلمى، وشعر طرفة، وشعر عنترة، كما تكلم عن طريقته في الشرح، والجوانب التي قصد إلى

¹
²

وقد فُسر جميع ما تضمنته هذا الكتاب، تفسيراً، لا يسع الطالب جهله، ويتبين للناظر المنصف فضله، والله الموفق للصواب وهو حسبي ونعم الوكيل.

ولما صح لي من ذلك ما أملت، وظفرت منه بما رجوته وقتنيته، سميته باسم من شهد أهل العصر بسموه وتقديمه، وأجمعت الجماعة على تعظيمه وتكرمه، من إذا ذكر المجد فهو المزدى برده، والكرم فهو العار لفته، والبأس فهو الحامل للواء، وجميل الفعل فهو صاحب أرضه وسمائه، الظافر أبو القاسم محمد بن المعتض بالله، المنصور بفعل الله، أبي عمرو عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد، أدام الله علاهما، وفي درج العز ارتقاءهما، وأبقى بهجة الدنيا ببقائهما، وزينتها باعتلائهما، وكبت من سامهما كما أكبى من جاراتهما، ولا أخلاهما من زيادة تنيف على آمالهما ورغباتهما، وتقدم أمام أمانتهما وإرادتهما، ونعمة لا يوافي منها آت، إلا كان زانداً على الماضي، ومصرة لا يغيظ منها متجدد إلا قصر عنه الحالي بمنه، وهذا حين أخذ فيما قصده، وأبندى بما اشتراطته، والله أستعين، وعليه أتوكل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم⁽¹⁾.

فمن قوله في شرح قصيدة لامرئ القيس:

- 1- قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
- 2- فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمال

السقط والسقط والسقط الرمل، واللوى يلتوي ويرق، وإنما خص منقطع الرمل وملتواه لأنهم كانوا لا يزلون إلا في صلابه من الأرض ليكون ذلك أثبت لأوتاد الأبنية وأمكن حفر النوى، وإنما تكون الصلابه حيث ينقطع الرمل ويلتوي ويرق، والدخول وحومل بلدان، وتوضح والمقراة موضعان، ومعنى يعف يدرس، والرسم الأثر، والجنوب الريح القبلية، والشمال الجنوبية، ومعنى نسجتها تعاقبت عليها فمحت آثارها، وقوله: "لم يعف رسمها"، يقول تغير لتقادم عهده، وبقيت منه آثار تدل عليه منها من أن تذهب البتة اختلاف الريح عليه، فكلمنا رسمته هذه ودفنته بما حالت عليه من الرمل

¹ شعر زهير بن أبي سلمى: 5 - 7.

سُفرت عنه الأخرى وأظهرته، فهو وإن تغير أثره باق فنحن ننظر إليه فنحنز، ولو ذهب كل الذهاب لاسترحنا ولم ننظر إلى ما مخزننا كما قال ابن أحرمر:

ألا ليست المنازل قد بلبسا فلا يبرمين عن شزر حزيننا

أي بعد شذر، والشزر الضعف وسوء الحال، وأنت ضمير المنزل في قوله رسمها لأنه في معنى الدار والمنزلة، ويرى عن غير الأصمعي⁽¹⁾.

ومن الأمثلة الدالة على منهجه في الشرح، شرحه لقسم من شعر أبي الطيب المتنبي الذي ذكرت أنه ساعد شيخه ابن الإفليلي على تأليفه، وأسوق فيما يلي فقراته:

قال يوسف بن سليمان بن عيسى النحوي أخيرني الشيخ [] أبو القاسم إبراهيم ابن محمد بن زكرياء القرشي الزهري المعروف بابن الإفليلي عند قراءتي عليه شعر أبي الطيب، قال ولد أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن المتنبي بالكوفة في كعدة سنة ثلاث وثلاث مائة ونشأ بها وبالبادية، وقال الشعر صبياً، فمن أول قوله بين يدي مؤدبه:

أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدني وفرق الهجر بين الجفن والوسن

الأسف، الحزن، والنوى الفراق والبعد، والوسن، والسنة اختلاط النوم بالعين، يقول [قام] يوم النوى لبده في تغيره وشدة التأثير فيه مقام الأيام المتواليه والأزمنة المتعاقبة لأن البلى إنما يكون مع تقادم عهد وتفاوت مدة وأمد.

روح تردد في مثل الحلال إذا أطارط الريح عنه الشوب لم يبن
كفى بجسمي غولا أنسي رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترني

الروح مذكر، وأنته على معنى النفس، وبأن الشيء وأبأن وتبين بمعنى، يقول لم يبق من جسمه إلا مثل الحلال غولا وبلى، فإن نزع الريح عنه الشوب لم يتبين الناظر، وأكد هذا المعنى بأن قال لولا مخاطبتي إياك زاستللاك على مكاني [بتكلمك] لم ترني لحاء شخصي وضوؤله جسمي، وجعل نزع [] الريح لأن ليس فيه فضل لنزعه لبلاء وضعف قوته، وضناء وذهاب [].

¹ شرح ديوان امرئ القيس: 60.

ومن هذا الشعر ما قاله أيضا في صباه على لسان بعض التوخييين وسأله ذلك:

قضاة تعلم أنسي الفتى — سذي ادخرت لصروف الزمان

قضاة من اليمين، وتوخ من قضاة وهو قضاة بن [] بن حمير، وبعضهم يقول هي من معد لحقت باليمن، وخزف امرأة إلياس، بن مضر، وجمهور مضر ينسب إلى خزف، يقول إذا نظرت مضر وقبائلها إلى مجدي اعترفت بالفضل لليمن.

أنا ابن اللقاء أنا ابن السخاء أنا ابن الضراب أنا ابن الطعان
أنا ابن القيافي أنا ابن القنوافي أنا ابن السروج أنا ابن الرعان

إذا عرف الرجل بالشيء وشهر به قيل هو ابن كذا، وأبو كذا أي قد لازمته وشهر به شهرة الابن بأبيه أو الأب به، والقيافي القفار، وصف نفسه بالجرأة وشرف الهمة، والرعان أنوف الجبال، فيحتمل أن يريد أنه صاحب جيوش كالجبال، وأن يريد أنه لا ينزل إلا بشرف من الأرض لترى ناره فيقصد قصده.

طويل النجاد طويل العماد طويل القناة طويل السنان
حديد اللحاط حديد الحفاط حديد الحام حديد الجنان

النجاد حاملات السيف، وطولها كناية عن طول حاملها، والعماد ما يعمد به البناء ويكون واحدا، فيجمع على أعمدة وعمد، ويكون جمع عمد وعمد جمع عمود، وطوله إشارة إلى أنه تام مرموق مقصود، وإن كان في الإرضاء والطول مساويا لغيره، وطول القناة كناية عن قوة صاحبها وعمله بتصرفها، وإلا فطولها يورثها الحطل والاضطراب، والمحمود منها أن تزيد ذراعا على العشر، وطول السنان كناية عن الجرأة والإقدام حتى يصل إلى قرنه، وإن بعد عنه، واللحاط جمع لحطة، وقد يكون اللحاط طرف العين مما يلي الصدغ وحده، واللحاط كناية عن الذكاء والقطعة، والحفاط الغضب أي هو شديد الأنفة للغضب... وحده... من السيوف كناية عن معرفة صاحبه بالضرب، واضد... إلى المقاتل، والجنان القلب، وحده كناية عن الفهم... والجرأة... والمضاء...

يسابق سيفي منيأة العباد إليهم كأنهما في رهان
يسرني جده غامضات القلوب إذا كنت في منبؤة لا أراهمي
سأجعله حكما في النفوس ولو خاب عنه لساني كفاني

يقول سيفي موكل بذهاب النفوس فهو في ذلك بمنزلة المنية فيبينها ويعارضها، ومنازعة كأنهما من ذلك في رهان كرهات الحبل في المسابقة، ثم قال إذا لقيت الأقران به في المعترك، وقد عشي من هبوة الحرب وغيرتها ما لا أكاد أرى نفسي معها فكيف غيري اهتدى سيفي بمضانه وجراتي إلى ما غمض من المقاتل وخفي من الجوارح ولو وصف بهذا السنان لكان أشبه لأنه يصل إلى القلب والسيف لا يوصف بذلك، ثم قال سأجعل سيفي حكما بيني وبين أعدائي حكما في نفوسهم مثلنا لولائي وللساني في المضاء كسيفي فلو أقمته مقامه لكفاني منه⁽¹⁾.

هذه مقدمات بعض كتب الأعلام الشنتمري أثبتها مع بعض التماذج من شروحه وتأليفه لاستخلاص طريقته في التأليف، والدارس لما كتب الأعلام الشنتمري يرى سعة اطلاعه وعلمه، مع تركيز على تبليغ المعنى المراد وطول نفس في التحليل وحرص على أن تكون التعابير موفية بالمعاني المقصودة مع جودة في الربط بين هذه التعابير، وتظهر ثقافته النحوية جلية في رسالة "المسهب"، وفي تحليل شواهد كتاب سيبويه مما جعل منه أدبيا غويا ماهرا في إيجاد العلل لكل قضية نحوية تعرض له في أثناء تحليله، ولعل هذه الثقافة النحوية هي التي صبغت شروحه الأدبية أحيانا بنوع من الاختصار والإيجاز والابتعاد عن الإسهاب في الشرح.

ومكنتنا الآن أن نتعد بحثا خاصا نعرف فيه بكتابه الذي خصصه لشرح شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، وقد ألف الأعلام الشنتمري هذا الشرح للمعتضد بن عباد كما ألف له غيره من المؤلفات، ففي مقدمة هذا الشرح نجد الأعلام الشنتمري يثني على المعتضد، ويذكر فضله على أهل عصره، وينوه بعنايته بالعلم، ويذكر سبب تأليفه الكتاب، ومنهجه في الشرح، وما اعتمد من الروايات فيه.

يثني على المعتضد بالله فيقول "... وحقا أقول إن الله تبارك وتعالى أنعم على أهل عصرنا وأبناءه أهدانا بالملك الكريم ذي المآثر الشريفة، والماسي الرقيقة المنيفة المعتضد بالله أبي عمرو عباد بن محمد بن عباد أطال الله عمره، كما رفع قدره، وزاده مما أناله، كما كثر فينا نواله، وقد شملت نعمه التالي عنه والداني منه، وعمت مواهبه العالم والجاهل، والمشهور والخاص، فوجب على كل ذي لسان شكرها بمقدار ما في قوته

1- مقتطعات من مخطوط شرح الأعلام لشعر الحسين بن حوزة د. محمد بشر شريف بمكتبة المحاضرة.

وحيلته، والدعاء إلى الله عز وجل في إدامته بدماء سلطانه وتخليد ملكه، وترفيه شأنه، والاجتهاد فيما يتقرب به إليه، ويتزلف به عنده". وتربط بهذا سبب تأليفه للكتاب وموضوعه، وطريقته في الشرح، ذلك أن المعتضد بالله كان من أشد ملوك الأندلس في هذا العصر عناية بالعلم وأهله، يقول الأعلام الشنتمري: "ولما كان العلم من أقوى أسباب الوصول وأوكد وسائل القرية لعلمه بسراره المطوية، وظهوره على وجوهه الحفية أهديت إليه قفلة من فضلهأ أنها من غمره ودره ورتقها وحسنها أنها من بجره، وقصدي بغائتها واعتمادي في ثمنها ثمرتها كوكب الغرب الذي أنار سناه الشرق، ويدر التمس الذي عم نوره الخلق الحاجب الظفار أبو القاسم المعتضد بالله المنصور بفضل الله زاد الله حظه ناء وقدره علاء لينظر فيها مع سائر ما ينظر فيه من كتب الأدب الذي قصرت الهمم النفيسة على الاعتناء به، والتجلي بحسنه وبهائه، والذي خصصته به أعزه الله تعالى شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي بعد أن تكلفت له قرب شرح معانيه، وتبيين أغراضه وتقريب مراميه، وفتح مغالقه ما أرجو أن العالم المنصف سيقرب فضله على ما تقدمه من الشروح المؤلفة فيه إن شاء...".

وهذه عبارة دالة على اطلاع الأعلام الشنتمري على شروح شعر أبي تمام متقدمة عليه، ولم يصرح بها كما صرح بالرواية التي اعتمدها في شرحه حيث قال: "واعتمدت من الروايات فيه على رواية أبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي وشهرة قصائدها مع ما ضمه إليها الشيخ أبو القاسم بن الإفلح في شعر القرايطس التي اجتلبها أبو علي، وذكر أنها بخط أبي تمام، وما اختاره أبو القاسم أيضا، وجمعه من رواية الصولي، والذي رواه أبو علي من هذا الشعر هو ما قيده في سفر الكاغد الذي قرأ فيه على أبي محمد عبد الله بن جعفر ابن درستويه، وأقرأه إياه رواية عن علي بن محمد عن أبي تمام، واستقر السفر المذكور عند الحاجب جعفر بن عثمان، وصار من قبله إلى صاحب الشرطة الكاتب أبي حفص بن فضل، وأخبرنا أبو القاسم بن الإفلح أنه استعاره من ابنه، وأضاف إليه ما ذكرناه من قصائد القرايطس، وما اختاره من رواية الصولي، وما ألفاه في الكتب التي استقرت بخط أبي علي البغدادي، وروايته في خزنة المنصور أبي عامر، وزعم أن هذه الكتب المذكورة أخرجها إليه أبو القاسم الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف". وتلاحظ من خلال هذه الفترة أن الأعلام الشنتمري قرأ هذا الشعر على شيخه

أبي القاسم بن الإفلح كما قرأ عليه غيره من الكتب، وقد رأينا من قبل أنه ساعده في شرح شعر أبي الطيب المتنبي.

ويستنتج الدارس لشروح الأعلام الشنتمري تركيزه في شروحه على استخراج المعاني وإيضاحها بأقرب طريق وأوجه، وهو ما نهجه أيضا في شرحه لشعر أبي تمام حيث ذكر أنه يقصد إلى شرح معانيه وتبيين أغراضه، وأنه مقدمته بالتنبيه إلى صعوبة هذا المرام، حيث قال: "ونقدم إلى من نظر في شرحنا هذا بالاعتدال والتوصل مما يؤدي إليه نقصان البشرية وضعف الإنسانية من السهو والزلل والزيغ في القول والمحصل لاسيما معاني الشعر أصعب ما حوول، وأبعد ما إليه سويق وفيه تنوخل، ونعود بالله من العجب بما تحسنه من العلم والادعاء لما لا غوزه من صحيح الفهم، ونسأل الله تعالى عملا يرتضيه ويرضينا به، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وعدد القصائد التي شرح الأعلام الشنتمري مائة وسبع وخمسون قصيدة.

ويتضح من خلال تصنيف القصائد الواردة في هذا الشرح أن قصائد المدح أكثر من غيرها التي نظمت في أغراض أخرى حيث لا تتعدى نسبتها القصيدة أو القصيدتان، ويتلو غرض المدح من حيث النسبة غرض الرثاء، وهذا ما حدا ببعض الباحثين إلى استنتاج أن أبا تمام برع في هذين الغرضين الشعريين، إلا أن غرض المدح كان أغلب، ويأتي المدح مقترا بأغراض أخرى في الأحوال والمقامات الداعية لذلك فقد جاء مقترا بالرثاء كما هو الشأن في القصيدة التي رثى فيها المعتصم ومدح الوائق، وجاء مقترا بالاعتدال وبالإستياء. وبالإضافة إلى هذه الأغراض هناك أغراض أخرى نظم فيها أبو تمام قصائد ولكنها بنسب ضئيلة كغرض الوصف والفخر والعتاب والمطالب، وقصيدة في الإخوانيات. وقد رأينا من قبل أن أبا بكر الصولي ألف كتاب "أخبار أبي تمام" وعدد فيه ممدوحى أبي تمام وأخباره معهم، والقصائد التي نظم أو أنشد في مجالسهم ومنتهياتهم، ومن المتأخرين من رتبهم حسب مكانتهم الاجتماعية، يقول الأستاذ عمر فروخ في مبحث بعنوان "ممدوحو أبي تمام": "يبلغ عدد ممدوحى أبي تمام ستين - أكثرهم من العرب ينتشرون في الهيئة الاجتماعية بين الحلفاء كالأماون والمعتصم، وبين الكتاب كرجل اسمه أبو زيد كان كاتباً لعبد الله بن طاهر وترى هنا قائمة مفصلة

بأسماء المدحون مع مقامهم الاجتماعي، وعدد القصائد التي مدحوا بها، مثبتا بعد أسمائهم.

أ- آل البيت الملك وأسلافهم - علي بن أبي طالب وآله (1)، المأمون (2)، المعتصم (9)، الواثق (3)، أحمد بن المعتصم (2)، محمد بن عبد الملك بن صالح (1)، الفضل بن صالح (1).

ب - وزراء الدولة: يحيى بن ثابت (1)، الحسن بن سهل (2)، وهما من وزراء المأمون، محمد بن عبد الملك الزيات (6).

ج - القواد - خالد بن يزيد بن مزيد (7)، ابنه محمد (1)، أبو سعيد محمد بن يوسف الثغري (29)، آل حميد الطوسي (1)، الأقشبن حيدر بن كاوس (1)، جعفر الحياط (1)، وأبو دلف العجلي (5).

د- الأمراء، ورجال الدولة والقبائل، عبد الله بن طاهر أمير خراسان (4)، آل طوق أمراء عرب الشام: مالك بن طوق (8)، عمر بن طوق (8)، أبو المغيث الراقي (5)، إسحاق بن إبراهيم المصعبي (4)، القاضي أحمد بن أبي دؤاد (13)، القاضي حبش بن المعالي التنوخي (1).

هـ - رجال الاسر الكبرى - آل وهب (ولوا الوزارة، ولكن بعد أبي تمام): سليمان (13)، والحسن (12)، علي بن مرة وابنه الحسن (2)، أحمد بن عبد الكريم الطائي (2)، داوود بن داوود الطائي (2)، عمر بن عبد العزيز الطائي (2)، محمد ابن شقيق الطائي (1)، عياش بن لهيعة الحضرمي (3).

و- الشاعر أبو العباس نصر بن منصور بن بسام (2)، الشاعر علي ابن الجهم (1)، محمد بن حسان الصفي (4)، غالب بن عبد الحميد الصغدني (4)، محمد ابن الهيثم بن شبانة (7).

أما سائر المدحون فهم متفاوتو المنزلة، وقد خصهم الشاعر بقصيدة قصيدة، منهم من كان نصيبه اثنتين أو ثلاثا في النادر⁽¹⁾.

¹ - أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله: 121 - 123

ونستطيع بعد هذا أن نتحدث عن الأغراض الشعرية وعن فنون الشعر في ديوان أبي تمام، وعن خصائص شعره اللفظية، والمعنوية والبلاغية، وعن بناء القصيدة في شعره. يقول ذ. أحمد بدوي في كتابه: "أسس النقد الأدبي عند العرب" عن فنون الشعر: "وقاد العرب يختلفون في عدد هذه الفنون، وفي الألوان التي تندرج تحت هذه الأعداد، فبعضهم يجعلها أربعة فنون: هي الفخر، والمدح، والهجاء، والنسيب، ويعدّها بعضهم أربعة كذلك، ولكنه يضع الوصف مكان النسيب، بينما يضع الآخر الرثاء رابعا للمدح والهجاء والنسيب، أو يضع الاعتذار مكان الرثاء، أو يجعلها أربعة هي: المدح والهجاء، والحكمة، واللهو، ويفصل البعض هذه الأربعة بما يشمل ألوانا كثيرة من الشعر العربي، فيجعل المدح شامل للثناء على الأحياء، وهو ما نسميه عادة بفن المدح، وللثناء على الميت، وهو الرثاء، وللثناء على النفس، وهو الفخر، وللثناء على المنعم، وهو الشكر، ويجعل الهجاء شاملا للذم، وهو ما نسميه عادة بفن الهجاء، وللعتاب، وللاستنباط، بينما تشمل الحكمة الأمثال، والتزهيد، والموعظة، ويشمل اللهو والغزل وصفة الجمر، وزادها بعض النقاد إلى خمسة، مضيفا الوصف إلى المدح والهجاء والنسيب والفخر، والبعض إلى ستة جاعلا التشبيه لتأثيره بابا بفرده، ومضيفا إلى ذلك المدح، والهجاء، والنسيب، والمرائي، والوصف.

وجعل أبو هلال العسكري أشهر فنون الشعر ستة هي المدح، والهجاء والوصف، والنسيب والمرائي، والفخر، ورفعها بعضهم إلى سبعة هي المدح، والهجاء، والمرائي، والاعتذار، والتشبيب، والتشبيه، واقتصاص الأخبار، بينما جعلها ابن رشيقي تسعة فنون درس كل فن منها في باب مستقل وهي: النسيب، والمدح، والافتخار، والرثاء، والافتضاء والاستنباط، والعتاب، والوعيد، والهجاء، والاعتذار، وإذا كان قد زادها بعضهم إلى تسعة، فقد أجمعها بعضهم في اثنين هما المدح والهجاء، مدخلا في المدح: الرثاء والفخر، والتشبيب، وتجدد الحق، ويدخل فيه الأمثال، والحكم والمواعظ، والتزهيد، ومدخلا في الهجاء كل ما عدا هذه الأنواع، بينما جعل العتاب وسطا بين المدح والهجاء، وجعل بعضهم الشعر العربي كله وصفا، مدخلا تحت الوصف كل فنون الشعر: إذ المدح في الحقيقة وصف للممدوح بصفات النبيل، والهجاء وصف للمهجو بصفات الذم، والنسيب وصف للحبيبة الجميلة حينا، ووصف للمحب وما يلقاه في سبيل حبه حينا آخر، والرثاء وصف لفقد عزيز، وفاقد متألم، وهكذا نجد الوصف أساسا لكل

فنون الشعر العربي"⁽¹⁾ وبعد أن عرض هذه التقسيمات وما تعود إليه من أصول كبيرة يقول: "وبعد فهذه التقسيمات للشعر العربي مبنية على أساس فني، وهناك تقسيم آخر لهذه الفنون مبني على أساس خلقي ديني، فقد روى صاحب العمدة أن بعض النقاد جعل الشعر أصنافاً "فشعر هو خير كله، وذلك ما كان في باب الزهد والمواظ الحسنة، والمثل العائد على من مثل به بالحير، وما أشبه ذلك، وشعر هو طرف كله، وذلك القول في الأوصاف، والوعوت، والتشبيه وما يفتن به من المعاني والأدب، وشعر هو شر كله، وذلك الهجاء، وما تسرع به الشاعر إلى أعراض الناس، وشعر يتكسب به، وذلك أن يحمل إلى كل سوق ما ينفق فيها"⁽²⁾.

هذه النصوص جعلتها توطئة لما سأقدم عليه من دراسة لفنون الشعر وأغراضه التي ألّف فيها أبو تمام، وسنرى أن شاعرنا قد طرق هذه الفنون كلها تقريباً، يقول أحد الباحثين: "لم يترك أبو تمام باباً من الشعر إلا ولجه، وكان له حظ فيه، ولكن شهرته قامت على مدحه وروثه"⁽³⁾، وقد رأينا من قبل أن أبا تمام يرسم للبحري خطة في المدح حيث قال له: "وإذا أخذت في مدح سيد ذي أباد، فأشهر مناقبه، وأظهر مناسبه، وأبن معاملة، وشرف مقامه، وتقاض المعاني، واحذر المجهول منها، وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الزرية، وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجسام"⁽⁴⁾، ويستطيع الدارس لشعر أبي تمام أن يستنتج عدم خروجه عن المقياس التي رسمها النقاد لفن المدح، فمدحه فيه تركيز على الفضائل الإنسانية ولا يتعداها إلا إلى تفرجات تعود إليها، وقد عدد قدامة ابن جعفر هذه الفضائل وتفرجاتها في كتابه "نقد الشعر" واعتبر من مدح بغيرها مخطئاً، فقال: "إنه لما كانت فضائل الناس من حيث إنهم ناس لامن طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان، على ما عليه أهل الألباب، من الاتفاق في ذلك، إنما هي العقل والشجاعة والعدل والعفة، كان القاصد لمدح الرجال بهذه الأربع الحصا مصيباً، والملاح بغيرها مخطئاً، وقد يجوز في ذلك أن يقصد الشاعر للمدح منها ببعض والإغراق فيه، دون البعض، مثل أن يصف الشاعر إنساناً بالجوّد الذي هو أحد أقسام العدل وحده

يفرق فيه، ويتفنن، في معانيه أو بالنجدة فقط، فيحمل فيها مثل ذلك. أو بهما أو يقتصر عليهما دون غيرهما، فلا يسمى مخطئاً، في مدح الإنسان ببعض فضائله، لكن يسمى مقصراً عن استعمال جميع المدح، فقد وجب أن يكون على هذا القياس المصيب من الشعراء من مدح الرجال بهذه الخلال، لا بغيرها، والبالغ في التجويد إلى أقصى حدوده من استوعبها، ولم يقتصر على بعضها [...]، وقد تفنن الشعراء في المدح، بأن يصفوا حسن خلقه الإنسان وبعدها أنواع الأبرع الفضائل التي قدما ذكرها، وأقسامها وأصناف تركيب بعضها مع بعض، وما أقل من يشعر بأن ذلك داخل في الأربع الخلال على الأفراد أو بالتركيب إلا أهل الفهم، مثل أن يذكروا من أقسام العقل ثقافة المعرفة والحياء، والبيان، والسياسة، والكفاية، والصدق بالحجة، والعلم والحلم عن سفاهة الجهلة، وغير ذلك، مما يجري هذا المجرى، ومن أقسام العفة القناعة. وقلة الشره وطهارة الإزار، وغير ذلك مما يجري مجراه. ومن أقسام الشجاعة الحماية، والدفاع، والأخذ بالثأر، والنكاية في العدو والمهاجمة، وقتل الأفران، والسير في المهام المتوشحة، وما أشبه ذلك، ومن أقسام العدل السماحة، ويزاد السماحة التباين، وهو من أنواعها، والانظام، والتبرع بالنائل، وإجاية السائل وقرى الأضياف، وما جازي ذلك، فأما تركيب بعضها مع البعض فيحدث منه ستة أقسام: أما ما يحدث من تركيب العقل مع الشجاعة فالصبر على الملمات، ونوازل الخطوب، والوفاء بالإبعاد، وعن تركيب العقل مع السخاء فإجاز الوعد وما أشبه ذلك، وعن تركيب العقل والعفة فارغية عن المسألة، والافتقار على أدنى معيشة، وما أشبه ذلك.

وعن تركيب الشجاعة مع السخاء الإنثلاف، والإخلاف، وما أشبه ذلك، وعن تركيب الشجاعة مع العفة، إنكار القواش، والغيرة على الحرم، وعن السخاء مع العفة الإسعاف بالقوت، والإثراء على النفس، وما شاكل ذلك⁽⁵⁾.

ونستطيع من خلال عرض شعر أبي تمام في المدح على هذه المقياس التي وضع النقاد لغرض المدح أن أبا تمام وفق في وصف ممدوحيه بهذه الفضائل النفسية، ولذلك جاء مدحه تصورياً للوقائع والمعارك التي كان ممدوحوه يخوضونها ضد أعدائهم في أطراف الدولة الإسلامية.

¹ - أسس النقد الأدبي عند العرب: 134 - 135

² - نفس: 136 - 137.

³ - أدباء العرب في العصر العباسي: 96.

⁴ - أسس النقد الأدبي عند العرب: 187.

ومن الأمثلة على ذلك قوله في مدح محمد بن يوسف:

إلى حائط الشجر الذي يورد القنا من الشجرة السريا القلب المهدما
بصابع معروف الأمير محمد حدا هجمات المال من كان مصرما
وحط السدي في الصامتين رحله وكان زمانا في عدي بن أخزما
يرى العلقم المأدوم بالعز أريسة يانسية، والأري بالضم علقما⁽¹⁾
وهي قصيدة مدحية طويلة، وقد استهلها بمقدمة طليعية غزلية.

عسى وطن يدنو بهم ولعلمنا وان تعتب الأيام فيهم فربما
لهم منزل قد كان بالبيض كالهما فصيح المغاني ثم أصبح أعجما

ويرى القارئ للقصيدة أن أبا تمام لما خلس إلى المدح وصف ممدوحه بصفات البطولة والشجاعة في حماية الثغور، ومقاتلة الأعداء، ثم وصفه بالجوّد والندى والعز وإباء الضيم، والصبر، ثم وصفه بالغة، وأن أيامه أيام طعن بالسيوف لا أيام لهو وأنس وانصراف إلى الملذات، وهذه الفضائل جعلت منه سيدا مهيبا ذا نجدة ونكاية في الأعداء، وأن جنده لا ينكصون في المعارك لعلهم بشجاعته وإيمانهم بأن معاركه معارك قتال بين الشرّك والإسلام، وهكذا استطاع الشاعر أن يصف معركة من معاركه وما كان من ظهوره على أعدائه مصورا ذلك أبلغ تصويرا جعل رغبته في الجراء تبدو خافتة بالمقارنة مع ما حشد من التشابه والاستعارات وأساليب البديع الأخرى التي تضافرت لإخراج هذه القصيدة الشعرية في هذا الطراز البديع. ويستنتج الدارس لشعر أبي تمام في المدح أن قصائده المدحية تفجر لصفه البأس والندى وما تفرع عنهما، وأنه برع في نظم هذه المعاني بما أوتي من علم ومعرفة بأساليب اللغة العربية، وما ركب فيه من حس وشعور وفؤاد إلى حدّ ما كان يجول في عصره من أحداث كبار، وهذا ما جعله أحيانا يتناول الغرض ابتداء دون توطئة واستطراد⁽²⁾، كما في قصيدته التي مدح بها المعتصم بالله حينما فتح عمورية، وفي الحبر أن المنجمون قد حكموا أن المعتصم لا يفتح عمورية، وراسلته الروم بأنا نجد في كتبنا أنه لا تفتح مدينتنا إلا وقت إدراك الثين والعتب، وبيننا ذلك

الوقت شهور يمتنع من المقام بها البرد والتلج، فأبى أن ينصرف، وأكب عليها ففتحها فأبطل ما قالوا، فقال حبيب بن أوس الطائي قصيدته الشهيرة:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
ويرى الدارس للقصيدة العاطفة الشعرية التي كانت تتخلل هذه المعاني الشعرية، ويرى الاتجاه العام للشاعر في قصيدته المدحية، وهو نفس شعري نجده في مدحه كله، يقول ذ، عمر فروخ في كتابه: "أبو تمام: شاعر الخليفة المعتصم بالله" في دراسته لشعر المدح عند أبي تمام: "يمتاز مديح أبي تمام بأربعة مظاهر احتجاز بها حقوق الشعراء جميعا:

1- الإشادة بالقومية العربية والدين الإسلامي، فهو يستمد منها تاريخا وعظمة وشهامة ينثرها في مدائحه، وقد استطاع من أجل ذلك أن يفوز بإعجاب بني العباس مع احتفاظه بحب آل البيت.

2- استخدام الحوادث القديمة والحديثة: إذا كان لها علاقة بالممدوح أو بآله أو بقبيلته أو بقبومه، ليرفع بها من شأنه وبشهر مناقبه ويظهر مناسبه وبين معاملة وشرف مقامه، إن أبان تمام لا يغفل عن حادثة كبيرة يذكرها أو صغيرة يجلو أوجهها. وهذا يمكننا أحيانا من تعيين تاريخ قصائده.

3- فخامة الألفاظ والتراكيب: يحب أبو تمام من الألفاظ ما ملأ الأسماع ومن التراكيب ما شغل الفكر، ثم يحيك حولها أقوالا وآراء يستعيرها من قوى الطبيعة المختلفة كالطير والبحر والنار والحياة والموت والحرب... ويعتدّن يحكيها بحكمة عرفها أو اخترعها.

4- احتفاظه بمركزه الشخصي: يضرب أبو تمام في الأرض إلى ممدوحه، فإذا وصل إلى أبعدهم مكانا هان عليه أن يرجع صفر اليدين منه على أن ينال رفته، ويجمل في سبيل ذلك شيئا من المنّة، أو يبدي قليلا من التذلل، وإذا أشد فإثما ينشد جالسا، فإذا اتفق أن طرب الممدوح فوقف وقت هو أيضا، وقد سبق القول - في أنه كان يرفع نفسه إلى مركز الممدوح أو فقه أحيانا، ويرفع شعره فوق النوال الذي يأخذه. وقد لا يتفق القارئ مع الباحث بخصوص هذا المنصر الأخير، بحجة أن أبا تمام كان يقصد دوما في مدحه إلى التبل من جود ممدوحه على الرغم من أنه كان متلافا لما ينال من

¹ - تنظر القصيدة كاملة في شرح الديوان، وهي القصيدة الأولى في شرح الأظم الشنمري.

² - أدباء العرب في العصر العباسي: 96 - 97.

أعطيانهم، وقد رأينا من قبل قصته مع خالد بن يزيد الشيباني حين مدحه بإرمينية فأمر له بعشرة آلاف درهم ونفقة لسفره، وأمره ألا يقيم إن كان عازما على الخروج، فودعه ومضت أيام، فركب خالد ليصيد، فرآه تحت شجرة وقدامه زكرة فيها نبيذ وغلّام بيده طنورا، فقال: حبيب. قال: خادمك وعيدك، قال: ما فعل المال؟ فقال:

علمني جودك السماح فما أبى قيت شيئا لدي من صلتك
ما مر شهر حتى سمحت به كأن لي قدرة كمقدرك
تنفق في اليوم بالهبات وفي السد ساعة ما تجتبيه في ستك
فلست أدري من أين تنفق لو لا أن ربي يمد في هبتك

فأمر له بعشرة آلاف درهم أخرى فأخذها⁽¹⁾.

وعلى هذا المتوال كانت حياته في اتصال بالأمرء، وأخذ أعطيانهم حتى قال بعضهم: "ما كان أحد من الشعراء يقدر أن يأخذ درهما واحدا في أيام أبي تمام، فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه"⁽²⁾، إلا أنه كان أحيانا لا ينال من ممدوحيه ما يرغب فيه فيعاتيهم ويستطوهم، ويتعنتهم باللؤم والبخل، وهذا نهج اختطه أبو تمام في حياته وحياة شعره، فقد اعترف أن المدح لا بد أن يجازى قائله ويكرم، لأن في المدح رفع ذكر للممدوح وإشادة بمناقبه وأجماده، ونسوق الخبر الآتي لنجلو ما سبقته الإشارة إليه، روى الصولي في كتابه كيف اتصل الشاعر البحتري بأبي تمام، وكيف وجه أبو تمام شعره إلى الغرض الذي يجلب به نيل ممدوحيه فقال: "حدثني سوار بن أبي شراة قال: حدثني البحتري قال: كان أول أمري في الشعر، ونباهتي فيه، أني صرت إلى أبي تمام وهو بمصر، فعرضت عليه شعري، وكان يجلس فلا يبقى شاعر إلا قصده، وعرض عليه شعري، فلما سمع شعري أقبل علي وترك سائر الناس، فلما تفرقوا قال: أنت أشعر من أنشدني، فكيف حالك؟ فشكوت خلّة، فكتب لي إلى أهل مرة النعمان، وشهد لي بالخلق، وقال، امتدحهم، فصرت إليهم، فأكرموني بكتابه، ووظفوا لي أربعة آلاف درهم، فكانت أول ما أصبته"⁽³⁾.

¹ أخبار أبي تمام 158 - 159

² نفس: 104 - 105.

³ أبو تمام: حياته وحياة شعره: 89 - 90.

وهذه النصوص كافية للدلالة على المكانة التي كان أبو تمام يضع شعر المدح فيها، فهو يربط إذا لقي ما يرضوه، ويعاتب إذا لم يصب مبتغاه، وهذا ما يلج بنا إلى لون شعري آخر من شعره وهو فن الاستبطاء والعتاب، وهو الفن الذي يبدو فيه الشاعر أكثر حبا في الاحتفاظ بمركزه الشخصي.

ومن أمثلة هذا اللون الشعري قوله في مدح مالك بن طوق واستبطائه:

تزكو مواعيده إذا وعد امرئ أنساك أحلام الكرى الأضغاثا
وترى تسجينا عليه كأننا جئناه نطلب عنده ميراثا

ومن شعره في الاستبطاء أيضا:

أصب بمحميا كأسها مقتل القرن يكن عوضا إن عنفوك من النيل
وكأس كمعسول الأماني شربتها ولكنها أجلت وقد شربت عقلي

وهذه الأمثلة من فن الاستبطاء في شعر أبي تمام، تبين كيف كان يشعر بالحاجة حين لا يصادف ما يأمل عند ممدوحه الذي قصده وحل بفناه، فكانت قصيدته في هذا الفن نوع من الحكم على الممدوح المقصود باللؤم والبخل كما رأينا في المثال الأول، حيث انتقل الشاعر من المدح إلى العتاب والاستبطاء، والقارئ للقصيدة يرى أنه ابتدأها بمقدمة طليئة غزلية، ثم ذكر رحلته إلى مالك بن طوق على ظهر ناقته، ثم وصفه بالجرأة والعفة، والذب عن قبيلته ومشاركته في حروبها، مع وصفه لوقاعته مع قومه بني تغلب، وأن جده موروث عن جده عمرو بن كلثوم، وأنه صادق المواعد، لكن أبا تمام حين قصده لم يظفر منه بنائل فوصفه بالتباطؤ وإخلاف الموعد، وختم قصيدته بدم بلد مالك ابن طوق ووصفه بغلط الطبع وفساد الهواء.

ويلبس القارئ هذا النفس الشعري أيضا في المثال الثاني، إذ تبين الشاعر أنه سوف لا ينال من ممدوحه ما يريد، فظم قصيدته في عتابه، مقارنا بين الشام ومصر، فأهل الشام أهل نجدة وجود في مواطن الحرب وفي مواطن الندى، لذلك دعا لهم بالسقا، ووجه اللوم لنفسه إذ ترك أهله وتغرب، ثم وصف حاله بمصر حيث لم يظفر بالمال الذي جاء من أجله، فذم ممدوحه وقومه ووصفهم باللؤم والبخل، ويمكن للدارس أن يعود إلى كتاب ذ. نجيب البيهتي ليقرا كيف كانت حياة أبي تمام في مصر، وكيف أرغل عنها

فقال: "نزل أبو تمام مصر طلقاً لم يبعغ يطلب الغنى، فوهبت له علماً، وغمرت قلبه نوراً، وفتحت عينيه على دنيا جديدة، وأشاعت فيه أملاً واسعاً، ولكنها لم تهب له من المال ما كان يطمح إليه، قذفت به إلى الدنيا بعد أن أعدته أحسن الإعداد، وزودته بسراج يستعين به على اقتحام الدهر وأحداثه، ولكنه كان ممدود اليدين، يريد أن ينال بهما جميعاً، فلما لم يجد بإحداهما ما طلب، ألهاه ذلك عما باليد الأخرى، فانقلب غاضباً في شيء من بأس الشباب، ولكنه لم يكن ندلاً، فلم يخلط بين الوطن الذي آواه، وبين الرجل الذي ضن عليه"⁽¹⁾. وبعد هذا هل كان أبو تمام موقفاً في فن الاستبطاء والعتاب؟ لقد كان أبو تمام صادق العاطفة في هذا الفن، إذ يصور شعره بأسه من الممدوح، ولذلك فقد كان من أصحاب الميل إلى الشدة والغلظة في عتابه، لا من أولئك الشعراء الذين يمازح عتابهم الاستعطف وإصراراً منهم ببقاء الود، ولعل أصدق شاهد على هذا قوله في عتاب أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي دؤاد:

أندري أي بارقة تشميم	ومهلكة إليها تستقيم
إلى مـ وكـم يفيك أذا صفح	ومجد عنك في غضيبي حليم
فإنك لم تعود من سهادي	إذا ما عاتق السنة النجوم
ومن قلب قلبي لي لسان	إذا باتت تقلبه المهموم
أترجو أن تعد كريم قوم	وباك لا يطيف به كريم
كمن تحذ الخضيض له مهادا	ويزعم أن إخوته النجوم
حلفت بيوم أوب أبي سعيد	سعيداً إنه يوم عظيم
فتى من أكثر الفتيان غرماً	لتالده وليس له غريم
فمت ونام عرضك والقوا في	سواخط ما تنام ولا تنيم
يبيت يثير هالك أعفوان	بلصـب ما يبـلـل له سليم
يسرى في كل واد أنت فيه	بلؤمك كامن أبداً يهيم

ومن خلال هذا يمكن أن نستنتج أن عتابه نوع من الهجاء، والهجاء في شعر أبي تمام له بابه ودواعيه، والهجاء في الجملة تقيض المدح وعكسه، وصاحبه يعتمد إلى

تقاض الفضائل فيهجو بها صاحبه⁽¹⁾، وقد عني الباحثون بفن الهجاء في شعر أبي تمام واستطاعوا أن يحددوا معالمه البارزة، وخصائصه الواضحة، فقال الأستاذ بطرس البستاني: "لم يكن أبو تمام بالهجو السياسي، لأنه كان علوي النزعة، مقرباً من العباسيين، فلم يأت له أن يهجو الشيعة، ولا بني العباس، وكان عظيم الخطوة عند الأمراء، وأكثرهم من الموالي، فأقصر عن هجاء الشيعة، والرّد على شعرائها الذين أفحشوا في تعيير العرب"⁽²⁾، لكن من هم الأشخاص الذين هجاهم أبو تمام، بقول الأستاذ عمر فروخ: "تناول الشاعر بهجائه نحو عشرين شخصاً فيهم ستة أشخاص كان قد مدحهم، منهم عياش بن لهيعة، وقد اختصه بانثي عشرة قطعة، قال واحدة منها بعد موته، ومنهم أبو المغيث الراقي، هجاء بخمس مقطعات، وله قطعة قطعة في مالك ابن طوق، وصالح بن عبد الله الهاشمي، وإسحاق بن إبراهيم المصعبي، وقيل عرض بهجاء أحد بني حميد، ولم يهجه لمكان أسرته [...] وهناك بضع قطع أخرى في أشخاص مختلفين"⁽³⁾.

ومن أمثلة هجائه قوله في عتبة بن أبي عاصم [شاعر أهل حمص]:

السدرا ناطقة وليست تنطق	بدورها أن الجديد سيخلق
دمن جمعت السنو في ريعها	وتفرقت فيها السحاب الفرق
تفرقت عيني دما فيها إلى	أن خلعت مهجتي التي تفرق
ياسهم كيف يفتق من سكر الهوى	حران يصبح بالفراق ويغيب

والقصيدة تبين لونا من ألوان الهجاء عند أبي تمام، حيث يخصص شطرا من قصيدته لمدح آل عبد الكريم الذين نال الشاعر الحمصي منهم، وشرطاً منها لهجاء عتبة بن أبي عاصم، وفي هذا الشطر نراه يصور لنا الحالة التي سيصير إليها عتبة بعد أن نال من أبي بني عبد الكريم من خوف بطشهم إذ هدده بما سيجعون من الرجال لقبضه، وما سينظم فيه الشعراء من الشعر الذي يريعه ويربكه فلا يدري كيف ينتصر لنفسه، وكان السبب في تأليف هذه القصيدة في هذا النظام هو الذب عن أحساب آل عبد الكريم الذين كان الشاعر زمناً في كنفهم.

¹ - أسبق النقد الأدنى عند العرب: 250.

² - أدباء العرب في العصر العباسي: 105.

³ - أبو تمام شاعر الخليفة محمد المصطفى بالله: 131.

¹ - أخبار أبي تمام: 66.

وفي هذه الأمثلة نرى الصفات التي يرثي بها الشاعر هؤلاء الأشخاص، وهي صفات تجدد مواقعهم في قبالتهم، وما شهروا به من كسب المعالي والمكارم، فالقصيدة الأولى تصور مبلغ الحزن والأسى الذي أصاب الشاعر، وهذا الحس الشعري يجده أيضا في القصيدة الثانية، ففي مطلع القصيدة يجده يشبه حقطبة يزيد الحيل المشهور بالشجاعة والكرم في الجاهلية والإسلام، وأن موته كان سبب البكاء والتحسر عليه، ثم انتقل إلى مدح بني حميد، فوصف كبير وقع هذا الحدث في أنفسهم وفي قراباتهم، ولما انتهى إلى رثاء حقطبة ركز على فضيلة واحدة من فضائله وهي فضيلة الشجاعة في الحرب، ومواقع الجلاد ذبا عن أعراض قبيلته مصورا شفقه بالنضحية في سبيلها، وما خلف ذلك من أثر طيب لمن بعده.

وقد عد أبو تمام من النماذج التي ينبغي أن نتخذى في فن الرثاء، يقول ذ. أحمد أحمد بدوي في دراسته لفن الرثاء:

"وتحدث النقاد عن رثاء الأطفال، وعن صعوبة طريقه [...] ولعلمهم يقصدون برثاء الأطفال، رثاء أطفال غيرهم، فوجدوا أن الطريق إليه هو أن يذكر الشاعر مغايلهم، وما كانت القراصة تعطيه فيهم، مع تحزن لمصائبهم، وتضع بهم، ويضربون المثل لذلك بما صنعه أبو تمام في رثاء ابني عبد الله بن طاهر، إذ يقول فيهما:

تجمان شاء الله ألا يطلعا إلا ارتداد الطرف حتى يافلا
إن الفجيعة بالرياض نواضرا لأجل منها بالرياض ذوابلا
لهفي على تلك الشواهد فيهما لو أمهلت، حتى تكون شمائلنا
لغدا سكوتهما حجي وصباهما حلما، وتلك الأرمحية نائلنا
ولاعقب النجم المبرذ بديمة ولعاد ذاك الطفل جسودا وإبلا
إن الهللال إذا رأيت نعوه أغفنت أن سيكون بدرا كاملا

والشاعر هنا يتحدث عن أمل قد فقد، بعد أن كانت الدلائل تشير إلى أنه سيتحقق [...] وقال أيضا: "وعرف النقاد كذلك أن من صعب الرثاء أيضا الجمع بين التعزية والتهنئة [...] وبعد أن رشق النموذج الرفيع في هذا الباب قصيدة أبي تمام التي قالها للوائق بعد موت المعصم، فقد صرف الكلام فينا كيف شاء، وذهب كما أراد،

وهناك لون آخر يجده في هذه القصيدة التي يعرض فيها ببعض بني حميد، وقد أسمعته وأرأيت عليه بعد قتل محمد بن حميد، فلم يكنه التصريح بهجانه لتكرره بالمدح عليهم، ولأنهم طائيون:

إذا جارت في خلق ديننا فأنت ومن تجاربه سواء
رأيت الحر يجتنب المخازي ومحبه عن الغدر الوفاء
ونرى أن الشاعر يصف هذا الشخص بضد ما كان يمدح به بني حميد، فقد أتى في هذه القطعة بتناقض اللؤم والبخل والتكرر لسجاياء السلف، ويلاحظ من هجانه أنه يتجه قصدا ولا تلويح فيه على الرغم من أن النقاد يرون أن التعريض أهجن من التصريح، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن شعر أبي تمام في جملة ما يتجه إلى مخاطبة العقل، وهو في ذلك يصدر عن عاطفة صادقة، وثقافة واسعة ومعرفة بمخاطبيه وبأساليب إيصال المعنى الشعري إلى القلب والذهن.

ونجعل هذا كالتوطئة لدراسة العاطفة الشعرية في لون شعري آخر من شعره وهو فن الرثاء الذي يرى النقاد أنه لا يفصله عن فن المدح إلا فروق لفظية وما سوى ذلك فهو تعداد لفنائيل المرنى ومحاسنه مع إظهار الألم والتأسي على فقدانه، وقد برزت مقدرة أبي تمام الشعرية في تصوير عاطفته عند فقدانه لأشخاص لقي عندهم المكانة والوجاهة، حتى عد علما في هذا الفن، ونسوق أمثلة من مرتباته لنطلع على أسلوبه في الرثاء:

يقول أبو تمام في رثاء بني حميد:

ذكرت أبا نصر يقتل محمد وحقطبة ذكرى طوبى للابل
وكان الأسى قد آل فيه إلى الحشا فلما استخفاه جرى في المفاصل
كماء الغدير امتد بعد وقوعه بما هاج من فيض التلاع القوابل
وله في رثاء حقطبة بن حميد:

اليوم أدرج زيد الحيل في كفن واغل معقود دمع الاعين الهين
بني حميد لو أن الدهر مر تدع لصد من عزكم عن جانب خشن
إن ينتخل حدثان الدهر أنفسكم ويسلم الناس بين الحوض والعطن
فلما ليس عجيبا أن أعذبهم يفنى ويمتد عمر الإجن الأسن

واحتج فيها فأسهب، وتقدم فيها على كل من سلك هذه الناحية من الشعراء، ومطلع هذه القصيدة:

ما للدموع تروم كل مرام والجفن تاكل جمعة ومنام
ومضي بعدنذ في رثاء المعصم، فيقول:

يا تربة المعصوم، تريك مودع ماء الحياة، وقاتل الإعدام
ضربت دعائمه على الإسلام ضربت صروف الدهر أطول حائط
دخلت على ملك الملوك رواقه وتشجرت لمقوم القوام
ورث الخلافة عن أسنبيه التي منعت حمى الآباء والأعمام
أخذ الخلافة بالوراثة أهلها ويكل ماضي الشفرتين حمام

ثم يتحدث عن الواصل، فيقول:

إننا رحلنا واتقن بوائق بالله، شمس ضحى، وبدر تمام
لله أي حياة انبعثت لنا يوم الخميس، وبعد أي حمام
أودى بخير إمام اضطربت به شعب الرحال، وقام خير إمام
ما إن رأى الأقوام شما قبلها أفلت، فلم تعقبهم بظلام

ويستمر بعدنذ في مدح الواصل وخلافته، إذ يقول:

أكرم بيومهم الذي ملكتهم في صدره، ويعامهم من عام
لما دعوتهم لأخذ عهودهم طار السرور بمعرق وشام
فكان هذا قدام من غيبة وكان ذاك مبشر بظلام

وهكذا بدأ أبو تمام قصيدته بأكبا حزينا على الخليفة الراحل، وبعد فضائله، ثم انتقل من ذلك إلى انتقال الخلافة إلى ابنه الواصل، وموقف الناس بين موت خليفة، وقيام خليفة، ثم عاد إلى الخليفة الجديد يقدمه إلى الشعب الإسلامي حاكما جديرا بأن يحكم المسلمين حكما دينيا سليما، لا عت فيه، ولا ظلم، ولا إجحاف⁽¹⁾، وهذه استنتاجات استنتجها النقاد عن فن الرثاء في شعر أبي تمام على الرغم من أنه لم يكن من المكثرين في

⁽¹⁾ أسس النقد الأدبي عند العرب: 242 - 245.

هذا الغرض كما ألف في المدح وما يقاربه من المعاني البعيدة عن الفجعية والتحسر لفقدان محبوب على النفس، وقد لخص الأستاذ عمر فروخ سمات الرثاء عند أبي تمام فقال: "لم يرث أبو تمام من الذين مدحهم إلا خالد بن يزيد بن مزيد، وإسحاق بن أبي ربيع، وعبد الحميد بن غالب، وإلا بني حميد، وقد عزى أبا سعيد الغنوي بولد له، أما الذين رثاهم من غير هؤلاء الذين لم يدحهم قبضة عشر شخصا منهم أقارب بعض المدحون، ولم يرث أبو تمام المعصم بقصيدة مستقلة، بل أدخل رثاءه في تهنئة ابنه الواصل بالخلافة" وأضاف "نثر في ديوان أبي تمام بطائفة من الأبيات رثى الشاعر بها بعض آله وإخوانه، فإذا قرأناها لم تشك قط في أن الشاعر تسيل نفسه لوعة وأسى، وأن الأسى كان من نفسه في قرارتها، أما رثاؤه لغيرهم فكان قسم منه يشبه ما تقدم ويشف عن عاطفة متأصلة، وقسم منه يشف عن عاطفة مكتسبة تكاد تعرفها من قوله في رثاء خالد بن يزيد بن مزيد:

وكنا جميعا شريكى عنان رضيعي لبان، خليلي صفاء
وكنيت أراه بعين السجلال وكان يرانسي بعين الإخفاء

وكثير من شعره في الرثاء على هذا النمط، وقد أجاد في سائر مرانته إظهار الأسى، وإن لم يكن بحس إحساسه في رثاء ولده الوحيد، أما إنه "كان يتخذ موت الميت سببا ليعرب عن أحزان نفسه لأنه من أولئك الذين صاحب الحزن نفوسهم" فحكم يصيب هوى من نفوس الذين تعمقوا في دراسة أبي تمام، ولكن يعترضهم في سبيل اعتقاد ذلك قلة الرثاء في ديوان الشاعر، ثم إذا نحن كابدنا وجامدنا واستشهدنا لإثبات هذا الرأي لم نخرج بغير ما ألفناه عند جميع الشعراء المداحين الرثائين من أنهم يتصنعون الأسى أحيانا، وكان بعضهم يعد قصائد المدح والرثاء قبل أمد، فإذا فوجئوا بإنعام على رجل أو موته لم يمتح أحدهم إلا إلى بضعة أبيات فيها اسم المدوح أو المرتي، وفيها ذكر المناسبة⁽²⁾.

وقصيدته التي رثى فيها ابنه حمدا هي:

لا يشمت الأعداء بالموت إننا سنخلي لهم من عرصة الموت موردا
ولا تحين الموت عارا فلننا رأينا النسايا قد أصن محمدا

⁽²⁾ أعر الخليفة محمد المعصم بالله: 128 - 129.

ولا يجب الأعداء أن مصيبتني أكلت لهم مني لسانا ولايدا
تصابع في عام بني وإخوتي فأصبحت إن لم يخلف الله واحدا

وبعد أن تعرفنا على العاطفة الشعرية وعلى النفس الشعرية اللذين ميزا المرتبة عند أبي تمام، ننقل إلى فن آخر من الفنون التي عني بها، وهي فن الوصف، وقد عني أبو تمام بالوصف في شعره عناية قصوى جعل من شعره تفجرا لفن الوصف في صورته العامة، يقول الأستاذ الباحث عصام قصبجي في مبحث طويل عن فن المحاكاة في شعر أبي تمام: "... ولأن ما الذي كان يحاكيه أبو تمام؟ أكان يعتمد إلى ظاهر الأشياء فيصوره على نحو ما كان يصوره غيره، غير أنه يوشيه بالصنعة البديعية؟ أم كان يعتمد إلى الأفكار فيصورها تصويرا فنيا حيا؟ أكان أبو تمام يصور ظاهر الأشياء أم باطن الأفكار؟ لا بد قبل كل شيء من دقة التمييز بين الأشياء والأفكار في مجال الفن والتصوير الظاهر للشيء كان يفضي غالبا إلى الوقوع في العجز الفني، لأنه إما أن يضطر الشاعر إلى الوقوع في قيد اللعب بالألفاظ إذا كان المعنى مطروقا، وإما أن يضطره إلى إعادة صياغة المعنى مع تغيير طفيف، على نحو يعرضه للاتهام بالسبق أم السرقة، أما إذا جرى على الإنبان بمعنى جديد في وصف الأشياء فكان يتهم غالبا بالخروج على العرف الفني، وواضح أن مراد هذا كله هو ما جعل الشعر تصويرا حسيا لظاهر الأشياء، والذي فعله أبو تمام إذن، وشغل به الناس هو أنه غير هذا المفهوم، فجعل الشعر تصويرا للأفكار أيضا، لا للأشياء فحسب، وإذا كانت الأفكار تحتاج إلى أن تجلى على الأذهان في مظهر حسي يغمرها بالحياة، فإن الأشياء لا تحتاج إلى ذلك المظهر، لأنها هي ذاتها محسوسة، مما يجعل تصويرها الحسي تكرارا مملا، أو تسجيلا سطحيًا، بل لعل الشاعر يحتاج في تصوير الأشياء إلى ضرب من الغموض يخفي وضوحها ليوشيه بشيء من الفنتة التي تعتري الذهن في محاولته كشف الحفي الغامض، أي أنه إذا كانت الفكرة تحتاج إلى إيضاحها في صورة محسوسة، فإن الشيء يحتاج إلى إغماضه في صورة ذهنية، ويبدو أن أبا تمام بما عرف عنه من ذكاء فذ، لم يكن يرضى بأن يكون شعره صورة مألوفة من صور الفن، ومن ثم فقد أراد أن يجعله وسيلة لتصوير ما يتجلى عقله المثقف من أفكار دقيقة، وهو بذلك يرضي فنه عندما يجعله مظهرا لعقله، ويرضي طموحه عندما يظول الشعر من تناوله القريب للأشياء إلى تناوله البعيد للأفكار، حقا إن أبا تمام لم يجعل

شعره خالصا لهذا الذي أتى به من تصوير الأفكار، ولكنه - باعتباره رائدا مبدعا - أفرغ جهده في إخضاع الشعر لأكثر الأفكار دقة - أو تعقيدا كما يقول خصومه⁽¹⁾، وخلاصة هذا النص أن الفن عند أبي تمام يميل إلى تصوير جواهر الأشياء، ولا يقتصر على وصف مظاهرها الخارجية، وهذه استنتاجات تنطبق على شعره كله، وقد رأينا أمثلة منه، وسنرى فيما يلي بعض الأمثلة من شعره في الوصف خاصة:

من ذلك قوله في وصف أحوال الدهر:

كان نفسي أمل فانتقصي فاصبح اليأس لها معرضا
أسخطني دهري بعد الرضا وارتجع العرف الذي قد مضى
لم يظلم الدهر ولكنني أفرضني الإحسان ثم اقتضى

وعني أبو تمام بوصف المظاهر الطبيعية وأحوالها، وفي ديوانه نجد قصائد في وصف المطر والبرد، وما يصاحبها، يقول الأستاذ عصام قصبجي عن عمل الشاعر في هذا اللون الشعري: "... فقد حاكي هذا الفن صور الطبيعة مثلما حاكي صور العقل، وأضفى عليها من ضروب الخيال ما جعلها تبدو أقرب إلى الموسيقى منها إلى التصوير، فقد كان أبو تمام مصورا ولكن ليس بالأصباغ وإنما بالإبهارات وهو لا يهدي صوره إلى العين، فيصورها على قطعة من قماش جامد، وإنما يهديها إلى النفس، فيصورها على قطعة من خيال حي، فكانه يحاكي الحياة ذاتها، وذلك يعني أنه إذا كان يحاكي الطبيعة، فهو إنما يحاكي جوهرها لا مظهرها..."⁽²⁾.

ومن أقواله في وصف الغيث:

ألا ترى ما أصدق الأنواء قد أفنت الحجر والالواء
قلو عصرت الصخر صار ماء من ليلة بضنا بها ليلاء
إن هي عادت ليلة عدااء أصبحت الأرض إذن سماء

وله أيضا فيه:

¹ - نظرية المحاكاة في النقد العربي القديم: 234.
² - نفس: 261 - 262.

لم أر عيرا جملة الدؤوب
أبعد من أين ومن لغوب
تواصل التهجير بالتأويب
منها غداة الشارق المهبوب
شبابه الأعناق بالعجوب
ليس من نجيب

وهو في هذه الأمثلة يصور أثر الغيث في الأرض، ويصف تبدل حالها بعد الجذب وانقطاع المطر عنها، وتشوقها له، وأن هذه المطرة كانت راوية لها أشد الإرواء، فقد احتجبت الشمس من غير ما غروب، وذلك لكثرة غيم السماء وسحبها، وأن الرد كان شديد الدوي، وهو يصحب المطر الغزير، ولما تكشف المطر ثبات الأرض وأزهر، وقد وصف الشاعر أيضا هذه الحالة الجديدة، وفي ديوانه قصائد جيدة في وصف المطر والربيع حتى إن وصفه للربيع قد غدا ربيع الشعر حقا بما اشتمل عليه من خيال بهيج كما قال الأستاذ عصام قصبجي الذي نورد تحليله لقصيدة لآبي تمام في وصف الربيع:

رقت حواشي الدهر فهي ترمز
نزلت مقدمة المصيف حميدة
ويد الشتاء جديدة لا تكفر
لاقى المصيف هشائما لا تثمر
فيها ويوم وبله متعنجبر
صحو يكاد من الغضارة يطر
لك وجهه والصحو غيث مضم
خلت السحاب آتاه وهو مغدر
وندى إذا ادمنت به لعمى الترى

إن المرء ليحار في وحي هذه الصور التي تتوالى فتروغ الخيال، وأي إبداع يغمر النفس إذ تنو إلى حواشي الدهر، وحلى الترى، لا في إطار السكون الجامد، وإنما في إطار التموج الحي، فكأنها تبصر روح الربيع، على أنه سرعان ما يغلب على أبي تمام نزوعه الفلسفي فيلاحظ أن بهجة الربيع إنما نشأت من كآبة الشتاء، وجفاف الصيف، ثم يتوقف قليلا عند الشتاء الذي طالما ألّف أمطاره وتلوجه، في تصوير مواساته للبلاد إبداعا موسيقيا مفعما بالإبداع، فمن العسير أن تدرك العين مطر الصحو، وصحو المطر، فتلك موسيقيا تحس بها النفس على نحو غامض لا يدركه العقل، وكأنها موسيقيا فلسفية تنبئ المرء بأن الشيء ينطوي على تقريض انطواء المطر على الصحو، أو الصحو على المطر، فإذا ما نظر المرء في باطن الشيء لا في ظاهره فحسب أبصر ذلك التقريض، فازداد

شعوره بجمال الشيء تبعا لازدياد إدراكه لحقيقته، فكأن الجمال قرين المعرفة، إن العين مثلا تدرك الجمال في الغيث كما هو ظاهر، ولكن الشعور يتجاوز هذا الظاهر إلى الباطن فيبصر الصحو كامنا فيه باعتبار أنه سيؤول إليه، مثلما يبصر الغيث مضمرا في الصحو، وذلك كله ضمن حالة من الغموض يصعب معها تحليل كنه هذا الشعور، وإذا كان هذا يرجع بنا إلى مذهب أبي تمام في تولد الأضداد بعضها من بعض، وهو ما أفاض فيه في معظم شعره، فمن الملاحظ أنه عبر هنا عن غنا على نحو آخر، فلقد كان يعبر عنه عادة تعبيراً عقليا، ولكنه يعبر عنه هنا تعبيراً نفسيا، أي أنه كان يعبر عنه بالتصوير، فغدا يعبر عنه بالموسيقا، وظاهر أن منظر الصحو بعد المطر يوحي إلى النفس حقا بأنه مشتمل على مطر لقرب عهده به، بل إنه كثيرا ما يختلط المطر بالصحو أمام العين، وهذا أدعى إلى الإبداع بفكرة التضاد، إذ يكون الشعور جزءا من الأرض الحائرة بين مطر أعقبه صحو، وصحو يوشك أن يعقبه مطر، في دورة الطبيعة الغامضة، ويمضي أبو تمام، في إيجائه الشعري فيصور الندى طيبا خضبت به غدائر السحاب لم الترى، وهامنا بفوح الطيب في أعماق النفس التي يبهرها منظر غدائر السحاب تعانق لم الترى في تناعم عجيب بين السماء والأرض، أليست هذه الصورة لنا موسيقيا⁽¹⁾.

هذه هي السمات العامة لفن الوصف عند أبي تمام فيما يعود إلى وصف مظاهر الطبيعة خاصة، وقد رأينا أنه أجاد في وصف هذه المظاهر واختار لها اللفظ واللحن الموسيقي المعبر مع استعارات وتشبيه دالة على صدق شعور الشاعر في معانيته للمطر في سقيه الأرض المشتاقة له، وما نبت فيها من غرس وزهر مختلف ألوانه.

واشتهر أبو تمام أيضا بوصف المعارك ومشاهد الأبطال فيها لزامته الخلفاء والأمراء في غزواتهم وحروبهم، يقول ذ. عمر فروخ في مبحث عن شعر الوصف عند أبي تمام: "وأما الأوصاف التي يجدها شاعرا فأوصاف المعارك والحروب، هناك تنشر حقيقة أن شعور أبي تمام يغمره ويستولي عليك فتفتصل نفسك بنفسه، ولا بدع أن وصف أبو تمام معركة عمورية وأجاذ، فلقد شاهدناها بنفسه⁽²⁾".

¹ نفس: 262 - 263.

² أبو تمام شاعر الخليفة محمد المستنصر بالله: 134

وبهذه الخلاصة تكون قد وقفنا عند أهم الفنون الشعرية التي كتب فيها أبو تمام، وقد رأينا فيها أبا تمام الشاعر المثقف العالم بصناعته، كما رأينا فيها أيضاً إجادته للتصوير الموسيقي للمعاني الشعرية التي تضمنتها قصائده.

ولم ينظم أبو تمام في هذه الفنون فقط، بل إن ديوانه شمل أغراضاً شعرية أخرى كالفرح والغزل والرهو والحكمة، أفرد فيها قصائد أو جاءت هذه المعاني متفرقة متناثرة في أبيات قصائده في الأغراض الأخرى.

فمن الأمثلة في فخره قوله من قصيدة في الفخر بقومه عند انصرافه من مصر:

تصدت وحيل البين مستحصد شزر	وقد سهل الخوديع ما وعز الهجر
بكنه بما أبكنه أيام صدرها	خلي وما يخلو له من هوى صدر
وقالت أتتسى البدر، قلت تجلدا	إذا الشمس لم تغرب فلا طلع البدر
فأذرت جماناً من دموع نظامها	على الصدر إلا أن صانفها الشفر

ويلاحظ الدارس لهذه القصيدة فخر الشاعر بقومه الذين ينتسب إليهم، ونشأ فيهم إذ وصفهم ومدحهم بصفات وأخلاق تحرسه من أن يذال عند من يرضن عليه بفضلهم وعطائه، وأول ما بدأ الشاعر به فخره أصله في طبعه، وما شهرته به هذه القبيلة من الكرم والحلم وبذل المال، ومن الغضب في الذب عن أعراضها أن تمس بسوء، ومدحهم برعايتهم للناس في الأيام الشداد الصعبة، وهكذا يجعل هذه القبيلة جامعة لأسباب المجد والعلى مجودها وبأسها.

بناء القصيدة في شعر أبي تمام:

انفق النقاد على أن أبا تمام خالف عمود الشعر في أكثر قصائد ديوانه، ونرى قبل أن نعرض لبناء القصيدة في ديوانه أن نقف عند بنود عمود الشعر عند العرب كما ذكرها المزوقي في مقدمة شرح ديوان الحماسة حيث قال: "... فإذا كان الأمر على هذا، فالواجب أن يبين ما هو عمود الشعر المعروف عند العرب، لتمييز تليد الصنعة من الطريف، وقديم نظام القريض من الحديث ولتعرف مواطن أقدام المختارين فيما اختاروه، ومراسم إقدام المزيين على ما زيفوه، ويعلم أيضاً فرق ما بين المصنوع والمطبوع، وفضيلة الأتي السمع على الأبي الصعب، فنقول وبالله التوفيق، إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى

وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف - ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال، وشوارد الأبيات، والمقارفة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتناميها على تحير من لذيق الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للفاقية حتى لا منافاة بينهما فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر، ولكل باب منها معيار، فمعيار المعنى أن يعرض على العقل الصحيح والقهم الناقب، فإذا انعطف عليه جنتنا القبول والاصطفاء، مستأنساً بقرائنه، خرج أفاها، وإلا انتقص بمقدار شوبه ووحشته، وعيار اللفظ الطبع والرواية والاستعمال، فما سلم مما يهجنه عند العرض عليها فهو المختار المستقيم، وهذا في مفرداته وجملته مراعى، لأن اللفظة تستكرم بانفرادها، فإذا ضامها ما لا يوافقها عادت الجملة هجيناً.

وعيار الإصابة في الوصف الذكاء وحسن التمييز، فما وجداه صادقا في العلوق مما جازا في اللصوق، يتعسر الخروج عنه، والتبرؤ منه، فذاك سيماء الإصابة فيه، ويروى عن عمر رض الله عنه أنه قال في زهير: "كان لا يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال" فتأمل هذا الكلام، فإن تفسيره ما ذكرناه.

وعيار المقارفة في التشبيه القطة وحسن التقدير، فأصدقه ما لا يتنقض عند العكس، وأحسنه ما أوقع بين شيتين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما لبين وجه التشبيه بلا كلفة، إلا أن يكون المطلوب من التشبيه أشهر صفات المشبه به، وأملكها له، لأنه حينئذ يدل على نفسه ويحميه من الغموض والالتباس..

وقد قيل: "أقسام الشعر ثلاثة: مثل سائر، وتشبيه نادر، واستعارة قريبة". وعيار التحام أجزاء النظم والتنامي على تحير من لذيق الوزن، الطبع واللسان، فما لم يتعسر الطبع بأبنيته وعقوده، ولم يتحسب اللسان في فصوله ووصلوه، بل استمرأ فيه واستسهلاه، بلا ملال ولا كلال، فذاك يوشك أن يكون القصيدة منه كالكبوت والبيت كالكلمة تسالماً لأجزائه وتقارناً، وألا يكون كما قيل فيه:

وشعر كسعر الكسبش فربك يسنه لسان دعسي في القريض دخيل

وكما قال خلف:

ويعض قريض الشعر أولاد علة يكس لسان المناطق المتحفظ

وكما قال رؤية لايته عقية، وقد عرض عليه شيئا مما قاله، فقال:

"قد قلت لو كان له قرآن".

وإنما قلنا "على غير من لذيد الوزن" لأن لذيد يطرب الطبع لإبقاعه ويمارجه بصفاته، كما يطرب الفهم لاصواب تركيبه، واعتدال نظومه، ولذلك قال حسان:

تغن في كل شعر أنت قاله - إن الغناء لهذا الشعر مضمار

وعيار الاستعارة الذهن والفطنة، وملاك الأمر تقريب التشبيه إلى الأصل، حتى يتناسب المشبه والمشبه به، ثم يكفي فيه بالاسم المستعار لأنه المنقول عما كان له في الوضع إلى المستعار له.

وعيار مشكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للواقعة، طول الدرية ودوام المدرسة، فإذا حكما بحسن التباس بعضها ببعض، لا جفاء في خلاليها ولا نبو، ولا زيادة فيها ولا قصور، وكان اللفظ مقسوما على رتب المعاني، قد جعل الأخص للأخص، فهو البريء من العيب وأما القافية فيجب أن تكون كالموعد [به] المنتظر، يتشوقها المعنى بحقه واللفظ بقسطه، وإلا كانت قلقة في مقرها مجتلبة لمستنغن عنها.

فهذه الحصا لعمود الشعر عند العرب، فمن لزمها بحقها وبنى شعره عليها، فهو عندهم المفلح المعظم والمحسن المقدم، ومن لم يجمعها كلها فيقدر سهمته منها يكون نصيبه من التقدم والإحسان، وهذا إجماع مأخوذ به ومتبع نهجه حتى الآن⁽¹⁾، وقد شرح د. أحمد أحمد بدوي هذا النص وفسره وعلق عليه بقوله: "وعلى هذا الأساس يعرف مدى التزام الشاعر عمود الشعر، ومدى مفارقتها إياه، فهذا الشاعر الذي لا يعنى بالإصابة فيما يصف، فينسب إلى الشيء ما ليس له، ولا يعنى بصحة المعنى ولا بدقته (وينبغي أن أوجه النظر إلى أن المعنى هنا يشمل العاطفة أيضا، وصحة المعنى فيها معناه صدق الشعور بها) فهذا الشاعر الذي لا يعنى بتصوير عاطفة صحيحة، أو ينتج إلى الصنعة والزخرف المتكلف، وإن مات المعنى في يده، وهذا الذي لا يعنى بانتقاء ألفاظه بحيث تكون نبيلة، نصا في المعنى دقيقة في أدائه، ومشكلة له، ولا يعنى بأن يكون نسج قصيدته موحدا متجانسا، لا يرتفع حيننا وينحط حيننا آخره، ولا يعنى بتخير الوزن وسواء أجاز

¹ لشرح ديوان الحماسة: 8 - 11.

زحاف في وزنه أم لم يجيء، ارتكب ضرورة أم لم يرتكب غمض المعنى أم اتضح، قرب التشبيه أم بعد، ظهرت الاستعارة أم خفي فيها وجه الشبه، هذا الشاعر مفارق عمود الشعر، ويقدر بعده عن هذه الأصول، تكون مفارقتها لهذا العمود، وهؤلاء الشعراء الذين يغوصون على المعاني، ويريدون استخراج غريبها ونادها، ولا يعينهم أن توضع هذه المعاني في أي أسلوب، وفي أي عبارة، مفارقون لعمود الشعر متبعون عن تقاليده، وهؤلاء الذين يعينهم أمر الجناس والمطابقة، وفنون البديع أكثر مما يعينهم أمر المعنى ووضوحه وصحته، بل لا يبالون أن يغمض المعنى إذا سلم لهم فن من فنون المحسنات البديعية. هؤلاء كذلك متبعون عن عمود الشعر وتقاليده، والبحري عند نقاد العرب ممن التزموا عمود الشعر، ولم يفارقه، بينما فارق أبو تمام هذا العمود في كثير من شعره الذي عني فيه بأمر المحسنات⁽¹⁾، وقد فصل الأمدى قديما في موازنته في أمر الأفضلية بين هذين الشاعرين اللذين اختلفت نظرتهما إلى عمود الشعر فقال:

"فإن كنت - أدام الله سلامك - ممن يفضل سهل الكلام وقربه، ويؤثر صراحة السبك، وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرويق فالحبتي أشعر عندك ضرورة، وإن كنت تميل إلى الصنعة، والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة، ولا تلوي على غير ذلك، فأبو تمام عندك أشعر لا محالة⁽²⁾، هذه النصوص مجمعة تبين الأصول العامة التي ينبغي أن يمتلكها الشاعر المقبل على قول الشعر ونظمه، فمنها ما يعود إلى المعاني والألفاظ، ومنها ما يعود إلى النظم وما يدخل في تنميته وتزيينه وتحسينه كالأوصاف والتشابه والاستعارات، على الرغم من أن الشعراء لم يكونوا كلهم يتقيدون بهذه البنود بخلافها، بل منهم من أكثر التكلف في شعره حتى صعب شعره، عن الإدراك والفهم خاصة بالنسبة لطبقات الشعراء المجهولين، والأعراب المطبوعين، وقد سجر الأمدى من هذا الصنف فقال: "فإن الشاعر يعاب أشد العيب إذا قصد بالصنعة سائر شعره، وبالإبداع جميع فنونه، فإن مجاهدة الطبع ومغالبة الفريحة مخرجة سهل التأليف إلى سوء التكلف وشدة التعلل، كما عيب صالح بن عبد القدوس وغيره ممن سلك هذه الطريقة حتى سقط شعره، لأن لكل شيء حدا، إذا تجاوز المتجاوز سمي مفرطا، وما وقع الإفراط في شيء إلا شانه، وأعاد إلى الفساد صحته، وإلى القبح حسنه وبهائه، فكيف

¹ أسس النقد الأدبي عند العرب: 536.

² الموازنة: 11.

إذا تتبع الشاعر ما لا طائل فيه، من لفظة شائعة لمقدم، أو معنى وحشي فجعله إماماً، واستكثر من أشباهه، ووضح شعره بنظائره، إن هذا لعين الخطأ وغاية في سوء الاختيار⁽¹⁾.

ومما يرتبط بهذه الأصول الشاملة التي ينبغي أن يراعيها الشاعر في أثناء نظمته بناء القصيدة العربية، والمراحل التي تتكون منها قبل أن تكتمل قصيدة تامة الأجزاء لها مقدمة وغرض ووزن فيه نظم هذا الغرض وقافية، وروعي فيها حسن التخلص من بيت إلى بيت ومن معنى إلى معنى، وقد سار الشعراء العرب على خطة شعرية في تأليفهم هي التي احتراموها في جل أطوار تاريخ الشعر العربي، وقد وضعها ابن قتيبة في شكل عبار في كتابه "الشعر والشعراء"، فقال: سمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمع والآثار فبكى وشكا وخاطب الربيع واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الطاعنين، إذ كانت نازلة العمد في الحلول والظمن على خلاف ما عليه نازلة المدر لانتاجهم الكلاً وانتقالهم من ماء إلى ماء، وتبعهم مساقط الغيث حيث كان، ثم وصل ذلك بالنسب فشكا شدة الشوق وألم الوجد والفراق وفرط الصبابة ليميل غوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه، لأن التشبيب قريب من النفوس لانه بالقلوب لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل والفت النساء، فلا يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب وضارياً فيه بسهم حلال أو حرام، فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له، عقب بإجباب الحقوق فرحل في شعره، وشكا النصب والسهو وسرى الليل وحر الهجير وأنضاء الراحلة والبعير، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وزمام التأميل، وقدر عنده ما ناله من المكاد في المسير، بدأ في المديح فيبعثه على المكافأة، وهزه على السماع، وفضله على الأشياء وصغر في قدره الجزيل⁽²⁾.

وهذا النص يبين المراحل التي كان يقطعها الشاعر العربي في قصيدته قبل أن يصل إلى غرضه الذي يسعى إليه، وهو يدل كما قال د. أحمد أحمد بدوي: "على أن الشاعر كان يتصور عمله وحدة متصلة الأجزاء يسلم الواحد منها إلى صاحبه، ويتقدم

بعضه بعضاً، لأن ذلك هو الترتيب الطبيعي، فلم يكن يعتقد أن قصيدته أخلط متفرقة لا توافق بينها ولا انسجام"⁽³⁾.

ويكمن لدارس شعر أبي تمام أن يستنتج عناصر هذه الوحدة قائمة في قصائده في الفنون الشعرية التي طرفها، وأنه مهر في الانتقال من غرض إلى آخره، ومن بيت إلى بيت، وساعده في ذلك خياله الواسع الذي مكّنه من التحكم في الصور الشعرية المتنوعة والتشابه والاستعارات والمشهد التي نقلها، كما ساعده سعة معرفته بمبادئ الشعرية وما تتطلبه من علم ومعركة باللفظ والأخبار، والإشارات التاريخية، وأخبار الناس، والقبائل والأيام، فضلاً عن أن أبا تمام كان ناقداً يعرض الشعراء عليه أشعارهم فهو يلتزم الرسوم ويسعى أن تكون القصائد خاضعة لما قرره أهل الأدب والعلماء بصناعة الشعر.

وقد خلص الأستاذ محمد نجيب البهيتي في دراسته لشعر أبي تمام إلى أنه كان محافظاً على هذه الرسوم التي قررها النقاد للقصيدة العربية فقال: "أبو تمام محافظ في أغلب قصائده إذا نحن نظرنا إلى نهجها، فهو يبدأ أكثر مدائحه بمخاطبة الأطلال، والتحسر لمراها، ثم ينتقل من ذلك إلى غزل يختلف طولاً وقصرًا، يصف فيه حبيبته وصفا جسمانياً أو معنوياً، ثم يخرج من هذا إلى وصف الرحلة، إن كان قد رحل إلى ممدوحه، فإن لم يكن رحل إليه، لم يعرج عليها، ثم يخرج من هذا إلى ممدوحه، فيأخذ في مدحه، ثم يأخذ في طلب عطائه، طلباً سافراً أم متوارباً، وكثيراً ما ينتج قصيدته بوصف شعره والفخر به، هذا هو النمط الغالب على قصائده، وهو لا يختلف فيه إلا قليلاً عن نمط القصيدة العربية التقليدية، وقد نجد عن هذا شيئاً، فيبدأ بوصف الحر أو الطبيعة، وقد يجمع بين هذين النمطين في قصيدة واحدة، وفي أبيات متقاربة"⁽⁴⁾.

وقد سجل النقاد لأبي تمام ما في بناء قصيدته من حسن، وبينوا ما فيها من عيوب، وتبعهم في ذلك الباحثون الجدد، فالأستاذ عمر فروخ في عنوان من عناوين مبحثه في الخصائص الأدبية: المعنوية واللفظية في شعر أبي تمام يقول: "في النقاد نفر يرون أن تكون مطالع القصائد بارعة جداً لأن المطالع أول ما يقرع الأذن من القصيدة، ويسمون ذلك براعة الاستهلال وحسن الابتداء، ويرى هؤلاء أن المطلع إذا كان حلو الألفاظ

¹ - أسس النقد الأدبي عند العرب: 320.

² - أبو تمام الطائي: حياته وحياته شعره 225.

¹ - نفس: 227 - 228.

² - الشعر والشعراء: 20 - 21.

واضح المعنى متين التركيب ترك في نفس السامع أو القارئ أثرا باقيا قد لا ينحي ولو جاء في القصيدة عدد من الأبيات الرديئة، ومطالع أبي تمام بارعة في الأكثر، وخصوصا في الحوادث الكبار، فمن مطالعه الجيدة:

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب
من سجايا الطلول ألا تحيبا
فصواب من مقلتي أن تصوبا
الحق أبهج، والسيوف عوار
فحذار من أسد العرين حذار
كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر
فليس لعين لم يفض ماؤها عذار
وقال الأستاذ أحمد أحمد بدوي: "كما قالوا: إن أحسن مرثية إسلامية ابتداء

قول أبي تمام:

أصم بك الناعي، وإن كان أسمعنا
وأصيح مُعْنَى الجود بعدك بلقعنا
وهذا المطلع - كما يقول الباحث - يبين في جلاء شدة وقع النبأ على النفوس
والآذان، حتى لقد أصابها الصمم بعد أن سمعته من فم الناعي، ولم لا يحزن الشاعر على
فقدته، وقد مات الجود بموته... وجعل الناس قول أبي تمام:

يا بعد غاية دمع العين إن بعدوا
هي الصبابة طول الدهر والسهد
من جبار الابتداعات لجمال موسيقاه من ناحية، وجودة معناه من ناحية أخرى،
والغالب على أبي تمام أنه فخم الابتداء له روعة وعليه أنه⁽¹⁾.

وقد وضع النقاد لمطلع القصيدة أسسا لبراعها الشاعر في ابتدائه فقال الأستاذ
أحمد أحمد بدوي: "وقيل النقاد من المطالع ما كان بينا واضحا لا غموض فيه، سهل
الماخذ، لا تعقيد في تركيبه، ولا صعوبة في فهم معناه، ولا يبتني ذلك أن يكون أسلوبه
فخما جزلا، وشرطوا لجودتها تناسب قسمها، بحيث لا يكون شطرها الأول أجنبيا من
شطرها الثاني، وألا يرتفع شطرها الأول إلى منزلة سامية من حيث المعاني، والصبغة،
وينزل شطرها الثاني عن تلك المنزلة السامية، كما شرطوا أن يكون الذوق المرفه الملهذ
مصدرا وينبوعها، فلا يكون فيها ما يشتم منه راحة تشاؤم أو تطير، أو تشمل ما لا

يصح أن يوجه به الخطاب إلى السامع، أو أن يكون في عبارتها ما قد يثير في ذهن
السامع ما لا يريد الشاعر أن يتجه إليه الذهن"، ومن أجل ذلك لم تستحسن بعض
المطالع في شعر أبي تمام وعيبت عليه، "لما فيها من التعقيد أو لغرتها في الذوق أو
لغموض معناها، من هذه مثلا:

خشنت عليه، أخت بني خشين
والجح فيك قول العاذلين
وعابوا عليه أيضا قوله:

هن عوادي يوسف وصواحبه
فعزما قدما أدرك الثائر طالبه
فالشرط الثاني يكاد يكون ميتور الصلة من الشرط الأول، فالشرط الأول يتحدث
عن سيدات يظهرن غير ما يبطن، والثاني يتحدث عن العزم، وأنه الذي يدرك به الثائر،
كما عابوا ابتداءه بقوله:

قدك انتب، أرايت في الغلواء
كم تعذلون وانتم سجراني
فاستخدام "قدك"، قليل، كاستخدام "انتب" في الغزل، وكلمة "سجراني" مما
يلقى ظلا من الخفاء، وإن كان قليلا، على معنى الغزل، فضلا عما في مخاطبة الصديق
"بانتب" من مخالفة للذوق المرفه⁽²⁾.

ويمكننا الآن أن نقف عند نقطة أخرى وهي طريقته في التخلص، وحسن التخلص
من الأمور التي يحمده عليها الشعراء، وهو أن "يخرج الشاعر مما بدأ كلامه به من
النسب مثلا إلى المنح أو غيره بلطف تخيل، ومع رعاية الملاءمة بينهما، بحيث لا يشعر
السامع بالانتقال من المعنى الأول "إلا وقد وقع في الثاني لشدة المازحة والالتزام
والانسجام بينهما، حتى كأنهما قد أفرغا في قالب واحد، فلا يكاد السامع يفرغ من
التشبيب حتى يجد نفسه قد انتقل إلى الغرض الذي أنشأ الشاعر له قصيدته"⁽³⁾. والنص
يبين الطريقة التي يتم فيها الانتقال من مطلع القصيدة إلى بقية أجزائها، والمتتبع لشعر
أبي تمام يدرك معرفته بأساليب الانتقال من معنى إلى معنى، وقد عد له النقاد قوله:

¹ - غمد: 300.

² - غمد: 308.

³ - أسس النقد الأدبي عند العرب: 298-299.

يقول في "قوس" قومي، وقد أخذت
منها السرى، وخطا المهريه القود
أطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا
فقلت كلا ولكن مطلع الجود
من التخلصات المختارة⁽¹⁾.

وكما عني أبو تمام بمطالع قصائده، وراعى أساليب التخلص فيها، أحسن
خواتمها، والخاصة أو القطع في القصيدة له فائدة كبيرة لأنه آخر ما يبقى في الأسماع،
وربما حفظ من دون سائر الكلام في غالب الأحوال⁽²⁾. يقول ذ. عمر فروخ في كتابه:
"وأبو تمام يحسن اختتام القصائد كما يحسن مطالعها، وخواتيم قصائد أبي تمام واضحة
المعنى بينة القصد موجزة القول ترسخ في الذهن بأدنى تأمل، من ذلك قوله:

كنيت، ولو قدرت هوى وشوقا إليك لكنك سطرًا في الجواب
وختم أبو تمام قصيدة مدح بها أبا دلف العجلي بيتين هما:

أقول لأصحابي هو القاسم الذي به شرح الجود تنبأ المذاهب
وإنني لأرجو عاجلا أن تردني مواهبه بحرا ترجى مواهبي⁽³⁾

2. شرح الأعلام الشنتمري لديوان أبي تمام الطائي:

أ. مركبة التأليف في شرح أبي تمام قبل الأعلام الشنتمري:

يعتبر أبو بكر الصولي أقدم من ألف في شرح شعر أبي تمام الطائي. وهو أبو بكر
محمد ابن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول تكين الكاتب المعروف بالصولي
الشرطي. نادم الراضي، وكان أولا يعلمه ثم نادم المقتدر، ونام قبله المكتفي. له
التصانيف المشهورة منها كتاب أخبار أبي تمام، وكان أغلب فنونه أخبار الناس، توفي سنة

335هـ بالبصرة وقيل سنة 336هـ⁽¹⁾. وقد أخرج بعزمه على شرح شعر أبي تمام في كتابه
أخبار أبي تمام حيث قال بعد كلامه عن رسالته إلى مزاحم بن فائق في شأن انقسام
الناس: "أبي تمام وشعره، وعن كتابه أخبار أبي تمام: "ثم أرتني عين الرأي بقية في نفسك
منه، لم تعلمها لي لسانك... فسانك إبانته وتكليفه جميع ما تريد منه، فعرفتني أن
تكميل ذلك لك، ويلوغي فيه أقصى إرادتك، اتباعي أخباره بعمل شعره كله معربا
مفسرا، حتى لا يشذ منه حرف، ولا يغمض منه معنى، ولا ينبو عنه فهم، ولا ينجس سمع،
فأسرعت بذلك إجابتي، وعلمته بالفكر نبتي، وتضمنت عمل شعره لك بعد أخباره في
مدحه وهجائه، وفخره، وغزله، وأوصافه ومرائيه، وأن أبدأ في كل فن من هذه الفنون
بشعره على قافية الألف والباء ثم على توالي الحروف إلى آخرها، ليكون أقرب عليك
منى أردتها⁽²⁾.

وشرح أبي بكر الصولي مشهور منذ القديم، وعليه عول كثير من ألف في أبي
تمام وشعره، وهو شرح مطبوع في ثلاثة أجزاء تضم 479 قصيدة يتضمن الجزء الأول من
القصيدة 1 إلى القصيدة 90، ويتضمن الجزء الثاني من القصيدة 91 إلى القصيدة 157،
ويتضمن الجزء الثالث من القصيدة 158 إلى القصيدة 479. وعني بتحقيقه ودراسته
الدكتور خلف رشيد نعمان، وقد صدر عن وزارة الثقافة والإعلام للجمهورية العراقية.

يقول أبو بكر الصولي في مقدمة شرحه: "أما بعد. فقد وفيت... بما وعدتك من
عمل أخبار أبي تمام... وبقي شعره الذي سألتني عنه بعد انقضاء أخباره. وهو ثمانية
أصناف: مدح وهجاء، ومعانيات وأوصاف وفخر وغزل ومرات. أجلبها وأكثرها
المدح... وأنا مبتدئ بالمدح على قافية الألف ثم على توالي الحروف إن شاء الله
تعالى"⁽³⁾. وأول قصيدة في هذا الشرح، همزية أبي تمام في مدح خالد بن يزيد الشيباني
ومطلعها:

يا موضع الشدنية الوجناء ومصراع الإدلاج والإسراء

1. أنظر ترجمته في وفيات الأعيان ج: 4 - 356 - 361.

2. أبو بكر الصولي: أخبار أبي تمام: 5 - 6.

3. أبو بكر الصولي: شرح ديوان أبي تمام ج: 1 - 165 - 166.

1. نفس: 308.

2. نفس: 312.

3. أبو تمام شاعر الخليفة محمد المصمم بالله: 67.

ومما جاء في شرحه: "الإيضاح: سير سريع من سير الإبل. وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أوضع بعيره في وادي عمن"، وأوضع الرجل جملة وثاقته إذا حملها على سرعة السير، يوضع إضعا. والشدنية منسوبة إلى شدن، فحل معروف. والوجناء: الغليظة الوجنات، وقال الأصمعي: هي الصلبة، مأخوذة من الوجين، وهو ما صلب من الأرض "ومصارع الإدلاج والإسراء" يقول: لا يفتر عن الإدلاج والإسراء، فهو مواصل لهما. وسرى وأسرى لغتان. وأدلاج يدلاج إدلاجاً: إذا سار من أول الليل. وأدلاج إذا سار من آخره. ويروى، مضارع، وهو تصحيف⁽¹⁾.

ويقول في شرح البيت الأخير من القصيدة:

فالجو جوي إن أقمت بغسطة والأرض أرضي والسماء سمائي
يقول: هذا البلد ليس ببلد إلا بك، فإذا أقمت فجوه جوي، وأرضه أرضي وسماءه سمائي أي علوه علوي.

الحيز: حدثني أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خلاد قال: رفع بعض العمال إلى المعتصم بالله، وكان يلي الحراج لموضع يلي خالد بن يزيد، قبل إن خالد بن يزيد اقتلع الأموال واحتجز بعضها وقرق بعضها. فغضب المعتصم وحلف ليقتل خالداً أو لياخذن أمواله وليغنيه. فلجأ إلى ابن أبي دؤاد، فاحتال حتى جمع بين خالد وخصمه، فلم يقم على خالد حجة، وأحضره المعتصم للعقوبة. وكان ابن أبي دؤاد عرف المعتصم خبره وبطلان ما رفع عليه وشفع فيه فلم يشفعه. فلما أحضر المعتصم خالد، حضر ابن أبي دؤاد فجلس دون مجلسه. فقال له المعتصم: إلى مكانك يا أبا عبد الله. فقال: يا أمير المؤمنين، ما استحق إلا دون هذا المجلس. فقال: وكيف ذلك؟ فقال: لأن الناس يزعمون أنه ليس خلي محل من يشفع في رجل بريء، قال: فارتفع إلى موضعه، قال: مشعاً أو غير مشع؟ فقال: بل مشعاً وقد وهبت خالداً لك ورضيت عنه لكلامك، قال: إن قال إن الناس لا يعلمون برضاك عنه بعد غضبك إلا بعد أن تخلع عليه. قال: اخلعوا عليه. قال: وقد استحق هو وأصحابه أرزاق أربعة أشهر وسيقبضونها لا محالة، فإن أمرت لهم بها في هذا الوقت قامت مقام الصلة، قال: ليحمل معه ما يستحقه هو

نفسه: 167

وأصحابه، قال: فخرج خالد وعليه الخلع وبين يديه المال، وأن الناس لينتظرون الإيقاع به، فصاح به رجل: يا سيد العرب، فقال له: كذبت والله، سيد العرب ابن أبي دؤاد⁽²⁾.

أما القصيدة الأخيرة في هذا الشرح فمعروضة بدون شرح وهي من باب الزهد، ومطلعها:

ألم يان تركسي لا علي ولا ليا وعزمي على ما فيه إصلاح حاليا⁽²⁾
وكان آخر تدخل للصولي للشرح في القصيدة 473 وهي من باب الفخر يقول:

"وقال يصف قومه ويفخر بهم:

ألا صنع السبن الذي هو صانع فإن تك مجزاعا فما السبن جازع
هو الربع من أسماء والعام رابع له يلوى خبت فهل أنت رابع
ألا إن صبري من عزائي بلاقع شعية شافني الديار البلاقع
كان السحاب الغر غسين غتها حيبا فما ترقا لهن مدامع

قال أبو بكر: فسر هذا البيت قوم فقالوا: يعني محبوب نفسه، والله ما أدري هذا التفسير. والمعنى: أن تحتها الألف والهاء للديار، يقول: من كثرة ما تخطر هذه السحاب الغر هذه الديار البلاقع حسبتها قد غابت من السحاب حبيباً لها تحت هذه الديار البلاقع، فهي تبكي عليها أبداً بمطرها، وهذا يشير إلى قول ابن وهيب من جهة.

طللان طلال عليها الأمد درسا فلا علم ولا رصد
لبسا السبلى فكانهما وجدا بعد الأحبة مثلما أجدا⁽³⁾

هذه نظرة موجزة في شرح الصولي لشعر أبي تمام، وبهذا العمل افتتح الصولي حركة التأليف في هذا الموضوع حيث شرح هذا الشعر الإمام الحارثي في 348هـ⁽⁴⁾، وشرح أبو العباس وليد الطليخاني 352هـ⁽⁵⁾، ويأتي في هذه السلسلة أبو القاسم الأمدني ت 370هـ الذي ألف كتاب الموازنة، كما ألف أبو علي المرزقي ت 421هـ

¹ نفس: 175 - 176.

² نفس: ج: 644.

³ نفس: ج: 632 - 632.

⁴ عمر فروخ: أبو تمام شاعر الحليقة محمد المعتصم بالله: 110.

⁵ د. محمد بن شرفة: أبو تمام وأبو الطيب في أدب المعاصرة: 39.

كتاب "الانصار من ظلمة أبي تمام" وألف أبو العلا المعري ت 449 شرحا لديوان أبي تمام سماه "ذكرى حبيب"⁽¹⁾.

ويبدو بناء على هذا وبكل وضوح أنه لا يمكننا متابعة هذه السلسلة الزمنية في تنابع العلماء بالشعر في الانشغال ببيان أسرار شعر أبي تمام، وتوضيح معانيه وتقريبها إلى الألفهام لتحصل فائدته ويتضح لدى الألباب جماله دون أن نضع في حلقاتها شرح الأعلام الشنتمري ت 476هـ. ولئن كان قد ظل هذا الشرح مفقودا شأنه في ذلك شأن شرح الطيبي الذي مازال مفقودا حتى الآن، فإنه قد آن للباحث المتخصص والمشتغل بتاريخ نشأة التأليف في شرح شعر أبي تمام وتطورها أن يضع هذا الشرح في الحسبان في عمليات توضيح مناهج مواجهة شعر أبي تمام ومقارنتها، سواء في المشرق أو المغرب، إذ لم تكن هذه الصفة الغريبة بأقل اهتمام وشغف بدراسة شعر أبي تمام، والاستفادة من أسلوبه، والتمثل بمعانيه.

ب. توثيق الكتاب:

ليس من شك في أن أول من تبه على وجود نسخة هذا الشرح من الباحثين المعاصرين هو أستاذنا الكبير د. محمد ابن شريفة في كتابه "أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة" وذلك حيث يقول: "لقد ذكر الأعلام شرحه في شعر أبي تمام عند سرد مؤلفاته في مقدمة شرح حماسته، وروى القاضي عياض هذا الشرح عن أبي الحسن علي بن الأخضر الإشبيلي تلميذ الأعلام وذكره من مروياته عنه في فهرسته المعروفة بالغنية. ولم تقف على أي ذكر له بعد ذلك في المظان التي رجعنا إليها، ومن حسن الحظ أننا اهدنا إلى نسخة من هذا الشرح في خزنة القرويين تحت رقم 1839 كانت منسوبة إلى غير مؤلفها، وهي نسخة تقع في سفر كبير غير محبوك، وهي في وضعها الم محفوظ في الخزنة مخططة الأوراق مشوشة الترتيب، وقد أخذت لي صورة منها على هذه الحال، والورقة الأخيرة توجد في الوسط رقم 171 وتقرأ فيها ما نصه: "تم السفر بتمام جميع شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي شرح الأستاذ النحوي الأديب اللغوي أبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى رحمه الله، وذلك يوم الخميس والعشرين من شهر صفر عام ثلاثة

وتسعين وتسعمائة"⁽¹⁾. وعلى الرغم من أن هذا الشرح لم يشتهر وينتشر مثل بقية شروح الأعلام كشرحه على الأشعار الستة، وشرحه على أبيات شواهد سيبويه، وشرحه على الحماسة وغيرها، ولم يرد في كشف الظنون وشبهه، فإنه وبناء على ما سبق استنتاجه من كلام د. محمد ابن شريفة فإنه كان معروفا ومتداولاً في المغرب، فأبو عبد الله محمد بن الصغير بن محمد الإفرائي ت 1156 - 1157هـ في كتابه المسلك السهل في شرح توضيح ابن سهل اعتمد في شرحه على هذا الشرح حيث قال في شرح البيت.

أنتقي منه على حكم الغرام أسدا وردا وأهواه رشبا
اللقعة.... والورد، قال في القاموس، الأسد، كالثور، والورد من الحبل، بين الكمية والأشقر، قال الطرابلسي، وكأنه سمي بذلك لكونه على لون الورد [...] أبو تمام:

درسة خيل لا يزال لدى الوغى له غلب ورد من الأسد السورد

[...] المعاني: نكتة قوله: على حكم الغرام، ثم بأن الحب قضاء يبلى به العبد. ومعلوم أن القضاء إذا نزل عني به البصر. ووصف الأسد بالورد ولعله أضرم الأسود وأكثرها عداء، ثم بعد كسبي هذا وقتت على شرح ديوان أبي تمام ليوسف بن عيسى النحوي المعروف بالأعلم، فوجدته قال على قول أبي تمام:

أرد يدي عن عرض حر ومنطقي وأملؤها من شدة الأسد الورد، وهو أشدها"⁽²⁾. أي وأقدر على هجو اللثيم، ولو كان في الشدة كالأسد الورد، وهو أشدها"⁽²⁾.

وهذا النص دليل على أن شرح الأعلام لديوان أبي تمام كان متداولاً ومعتمداً لدى علماء المغرب، ولعله كان معروفاً ومعتمداً في المشرق كذلك، فإنه يبدو من خلال تعداد الخطيب التبريزي لمصادره في شرح ديوان أبي تمام أنه وقف عليه ولم يسمه وذلك حيث يقول: "وما وقع إلي مما روي عن أبي علي المعروف بالقالي وغيره من شيوخ المغرب"⁽³⁾.

¹ د. محمد بن شريفة: أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة: 40.

² الإفرائي: المسلك السهل: 280 - 283. رسالة مرفوعة بكلية الآداب بالرباط رقم: 811، ك. عمر.

³ د. محمد بن شريفة: أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة: 40 - 41. وانظر: شرح التبريزي لديوان أبي تمام ج 1: 2.

¹ د. عمر فروخ: أبو تمام شاعر الحليفة محمد المصمم بالله: 110.

إن النسخة الوحيدة المتوفرة حتى الآن من هذا الشرح هي تلك التي عرضنا سابقاً. وهي التي دفع لي أستاذنا الكبير د. محمد ابن شريفه لتصحيحها وتحقيقتها فكانت موضوع بحثي لنيل دبلوم الدراسات العليا في الآداب، وكانت من ثمة فاتحة خير في الاهتمام بهذا الشرح من جهة ويشعر أبي تمام الطائي في المصادر المغربية والأندلسية من جهة أخرى، إن مقابلة شرح الأعلام الشنتمري لديوان أبي تمام على شرعي أبي بكر الصولي بتحقيق د. رشيد خلف نعمان، والخطيب التبريزي بتحقيق د. عبده عزام كما كان هو عملي أثناء تقويم ذلك الشرح كفيّة بأن تبين بالإضافة إلى ما تقدّمنا به كثرة الروايات من تعدد أوجه القراءات وتعدد المعاني الشعرية، أن شرح الأعلام الشنتمري يقف في صف واحد مع الشروح الأدبية التي تتناول الدواوين الشعرية برمتها، ولا تقتصر على بعض الجزئيات فيها كما صنع الأملدي في الموازنة، وابن سيده 458هـ معاصر الأعلام الشنتمري في شرح مشكل شعر المتنبي.

دراسة المقدمة:

إن الإمعان في مقدمة الكتاب يطلعننا على موضوع الكتاب، ومنهج البحث فيه ومنهائه، والهدف من تأليفه، ويطلعننا كذلك على تاريخ تأليفه وغير ذلك من القضايا المرتبطة بموضوع التأليف. وبناء على هذا لا بد من الاطلاع على مقدمة الأعلام الشنتمري لهذا الشرح، لكن قبل أن نعرض لأهم الأفكار الواردة فيها لا بد أن نشير زيادة في توثيق هذا الكتاب أن هذه المقدمة كانت مبنية عن النسخة الموجودة في خزنة القرويين ضمن الورقات الإحدى عشر الناقصة منها، وقد عثر عليها د. محمد ابن شريفه في خزنة حسن حسني عبد الوهاب بنونس ومما قاله بخصوص هذه الورقات المبنية أنها هي بالضبط الورقات الناقصة من نسخة القرويين، وهي من هذه النسخة خطأ وورقا، ولا نعرف كيف بترت من النسخة القروية، وذهبت إلى خزنة حسن حسني عبد الوهاب. وكانت هذه الورقات وعليها طابع مكتبة حسن حسني عبد الوهاب مما دفع لي أعز الله أيام اشتغالي بتحقيق هذا الشرح.

ألف الأعلام الشنتمري هذا الشرح في مدة استيلائه إشبيلية وهي المرحلة الأخيرة في تاريخ حياته، وكانت هذه المرحلة أخصب مراحل التأليف والمشاركة في مضمواره نظراً للرعاية التي حظي بها عند بني عباد ملوك إشبيلية، وقد عودنا في مقدمات مؤلفاته أن

يشيد بالمعتضد بالله فقال في مقدمة هذا الشرح في هذا السياق: "وحقا أقول إن الله تبارك وتعالى أنعم على أهل عصرنا وأبناء دهرنا بالملك الكريم ذي المآثر الشريفة، والمساعي الرقيقة المثنية المعتضد بالله أبي عمرو عباد بن محمد بن عباد..." (1) وهو نفس المعنى الذي جده في مقدمة شرح الأشعار الستة حيث قال: "ولما صبح من ذلك ما أملت، وظفرت منا ما رجوت، وقيتبه، سميت به باسم من شهد أهل العصر بسموه وتقديمه، [...] الظافر أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله، المنصور بفضل الله، أبي عمرو عباد ابن محمد بن إسماعيل بن عباد، أدام الله علاهما..." (2)

وإذا علمنا أن المعتضد بالله ولي ملك إشبيلية في سنة 433هـ، وأن هذا التاريخ كان بداية رحلة الأعلام الشنتمري من شنتمرة إلى قرطبة، وهي المرحلة التي أمله ليكون قلب عصره في اللغة والأدب فيما بعد بإشبيلية، وعلمنا أن قضى مدة في التدريس بحلقات قرطبة أمكننا استنتاج أن هذا الشرح ألف في العشرين سنة الأخيرة من ولاية المعتضد بالله الذي توفي في سنة 461هـ.

ويظهر أن سبب تأليف هذا الكتاب مخالف لسبب تأليف كتابه "تحصيل عين الذهب في معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب" الذي أمّنه عام 457هـ، فإذا كان يقول في مقدمة هذا الكتاب "هذا كتاب أمر بتأليفه وتلخيصه وتهذيبه وتحليله، المعتضد بالله... عناية منه بالأدب وميلا إليه وتهنئتهما بعلم لسان العرب وحرصا عليه" (3) فإن مما يبدو من كلامه الآتي أنه أعد هذا الشرح للملك الناشئ ولي عهد المعتضد بالله، يقول: "ولما كان العلم من أقوى أسباب الوصول، وأوكد وسائل القرية لعلمه بسراره المطوية، وظهوره على وجوهه الخفية أهديت إليه فطرة من فضلها أنها من غمره ودره روثها وحسنها أنها من بحر، وقصدي بفائدتها واعتمادها في تني ثمرتها كوكب الغرب الذي أنار سناه الشرق، ويدر التسم الذي عم نوره الخلق الحاجب الظافر أبو القاسم المعتضد بالله المنصور بفضل الله زاد الله حظاء و قدره علاء لينظر فيها مع سائر ما ينظر فيه من كتب الأدب الذي قصرت الهمم النفيسة على الاعتناء به، والتحلي بحسنه وبهائه". ولعلنا لا نحتاج إلى البحث في عنوان هذا الشرح، فلننا حين نقرأ قوله "والذي

¹ - الأعلام الشنتمري: شرح ديوان أبي تمام ج2: 109.

² - الأعلام الشنتمري: شعر زهير بن أبي سلمى: 6 - 7.

³ - الأعلام الشنتمري: تحصيل عين الذهب: 3 - 5.

خصصته به أعزه الله تعالى شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، بعد أن تكلفت له قرب شرح معانيه، وتبيين أغراضه، وتقريب مرامييه، وفتح مغالقه، ما أرجو أن العالم المنصف سير فضله على ما تقدمه من الشروح المولقة فيه إن شاء".⁽¹⁾ نعلم أن صياغة العنوان ينبغي أن تكون كالتالي "شرح الأعلام الشنتمري لديوان أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، دون أن ننسى براعة الأعلام في صياغة عناوينه كما في تسميته لشرح شواهد سيبويه بـ "تحصيل عين الذهب في معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب" وتسميته لشرح الحماسة بـ "كتاب تجلي غرر المعاني، عن مثل صور الغواني، والتجلي بالقلاند، من جوهر القوائد"⁽²⁾.

تشهد مقدمات الأعلام الشنتمري على تحريه في باب الرواية البحث على أصح الروايات، فإذا كان يقول في مقدمة شرح الأشعار الستة "واعتمدت، فيما جليته من هذه الأشعار، على أصح رواياتها، وأوضح طرقها، وهي رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي، لتواطؤ الناس عليها، واعتبادهم لها، واتفاق الجمهور على تفضيلها"⁽³⁾. مركزاً في ذلك على عنصر الصحة في الرواية، فإن نفس التعبير عن هذا العنصر تجده في معرض حديثه عن مصادر روايته في شرحه لشعر أبي تمام الطائي: "واعتمدت من الروايات فيه على رواية أبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي لصحتها وشهرة قضاها مع ما ضمه إليها الشيخ أبو القاسم ابن الإفلح من شعر القراطيس التي اجتلبها أبو علي وذكر أنها بخط أبي تمام، وما اختاره أبو القاسم أيضاً، وجمعه من رواية الصولي، والذي رواه أبو علي من هذا الشعر هو ما قيده في سفر الكاغد الذي قرأ فيه علي أبي محمد عبد الله بن جعفر ابن درستويه، وأقرأه إياه رواية عن علي بن محمد عن أبي تمام، واستقر السفر المذكور عند الحاجب جعفر بن عثمان، وصار من قبله إلى صاحب الشرطة الكاتب أبي حفص بن فضل.

وأخيراً أبو القاسم ابن الإفلح أنه استعاره من ابنه، وأضاف إليه ما ذكرناه من قصائد القراطيس، وما اختاره من رواية الصولي، وما ألقاه في الكتب التي استقرت بخط أبي علي البغدادي، وروايته في خزنة المنصور أبي عامر، وزعم أن هذه الكتب المذكورة

أخرجها إليه أبو القاسم الحسين ابن الوليد المعروف بابن العريف". وختم مقدمته هذه بقوله: "وتقدم إلى من نظر في شرحنا هذا بالاعتدال والتفضل مما يؤدي إليه نقصان البشرية، وضعف الإنسانية من السهو والزلزل، والزيغ في القول، والمحصل، لاسيما معاني الشعر أصعب ما حوّل، وأبعد ما إليه سوق، وفيه تنوّل، ونعود بالله من العجب بما نخسسه من العلم والادعاء لما لا غوزه من صحيح الفهم..."⁽⁴⁾.

إن الأعلام الشنتمري الذي كتب هذه المقدمة ينطلق من تصور للشعر لعله تصور كل مثقف عالم بالشعر وأسرار بلاغته خبير بصعوبة فهمه دون امتلاك مفاتيحه وأسس مقارنته يقول في مقدمة شرح الأشعار الستة: "وفائدة الشعر معرفة لغته ومعناه، وإلا فالراوي له كالتلطيح بما لا يفهم، والعامل بما لا يعلم، وهذه صفة البهائم. ولذلك قال أحد الشعراء، يذكر قوماً بكثرة الرواية، وقلة التمييز والدراية:

زوامل للأشعار، لا علم عندهم بجديها، إلا كلمم الأباعر
لعمرك ما يذري البعير، إذا غسدا بأوساقه أو راح: ما في الغرائر
وقد فسر جميع ما ضمنت هذا الكتاب، تفسيراً لا يسع الطالب جهله، وتبين للناظر المنصف فضله"⁽⁵⁾. وفي سياق هذا التصور ينبغي أن نفهم عنايته بشرح شعر أبي تمام الطائي وتقريب معناه. وإننا بوقوفنا على أهم الأفكار الواردة في هذه المقدمة نكون قد تعرفنا أيضاً على التصور المنهجي والطريقة التي يريد تطبيقها في الكتاب وتتجلى خطوطها العريضة في المعالم التالية: 1- شرح معاني شعر أبي تمام. 2- تبين أغراضه. 3- تقريب مرامييه. 4- فتح مغالقه.

وقبل أن أعرض لمميزات وخصائص هذا المنهج في تقريب معاني شعر أبي تمام وتفسيرها أرى أن نضع تحليلاً خارجياً لهذا الشرع نتعرف من خلاله على بنائه الهندسي من توحيث فيما سبق عرض محتوى شرح الأعلام الشنتمري لديوان أبي تمام الطائي في بنائه الخارجي، وإن عرضه بهذه الطريقة يبين لها ترتيب القضايد في هذا الديوان، فلم يكن ترتيبها وفق الأغراض الشعرية، ووفق التوافيق كما هو الصنع عند سلفه أبي بكر الصولي، ولكنه أقرب إلى شرح شعر أبي تمام الطائي في فن المدح، بينما لم ترد الأغراض الأخرى إلا بنسبة ضئيلة متخلطة هذا الغرض الأساسي. يقول د. محمد ابن شريف

¹ الأعلام الشنتمري: شرح ديوان أبي تمام ج2: 109.

² الأعلام الشنتمري: تجلي غرر المعاني ج1: 2 - 3.

³ الأعلام الشنتمري: شعر زهير بن أبي سلمى: 6.

⁴ الأعلام الشنتمري: شرح ديوان أبي تمام ج2: 109 - 110.

⁵ الأعلام الشنتمري: شعر زهير بن أبي سلمى: 6.

مخصوص هذا الترتيب: "أما الشعر الذي شرحه فهو ما اشتملت عليه النسخة الأندلسية التي رواها أبو علي القالي، وأكملها ابن الإقبلي شيخ الأعلام، وقد سار في الشرح حسب ترتيب القصائد في هذه النسخة العتيقة [...] وليس لها ترتيب معين، وإنما جمعت فيها قصائد أبي تمام منقولة من القرائيس التي كتبها الشاعر بخط يده، وأول هذه النسخة القصيدة التي مطلعها:

عسى وطن يدنو بهم ولعلما وأن تعقب الأيام فيهم فرما
وأخرا شعره في هجاء عياش بن لهيعة بعد موته:

لا سقيت أطلالك الدائره ولا انتقضت عثرتك العائره
وتوجد من رواية القالي هذه [...] نسخ مخطوطة في الأسكوريال والخزانة الحسنية بالرباط⁽¹⁾.

أما النظر في داخل هذا الشرح، فإنه يبرز طريقة الأعلام الشنتمري في الشرح الأدبي، وهي في مكوناتها الظاهرة تكاد لا تختلف عن الطريقة المتبعة لدى أغلب الشراح في إيضاح معاني النصوص الشعرية، وتقريبها من الأفهام، وهو يتكون من مستويين أساسيين، مستوى معجمي يعنى بتفسير الألفاظ تفسيراً موجزاً ومركزاً، ومستوى مضموني يهدف إلى إيضاح غرض الشاعر المقصود، مع تجزئة هذا المعنى أحياناً وإيضاح أنواع المعارف المساهمة في تكوينه، وحتى تزداد اطلاعاً على هذه المستويات المكونة لطريقة الأعلام الشنتمري في هذا الشرح، مع الوقوف على أهم خصائصها أورد بعض النماذج من هذا الشرح الذي يدل دلالة كبيرة على إدراك الأعلام الشنتمري العميق لشعر أبي تمام أولاً، وعلى قدرته على تحليل معانيه والقيام عليها من جهة أخرى، يقول في تحليل أول قصيدة من هذا الديوان: "قال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي يمدح محمد بن يوسف الطائي:

1- عسى وطن يدنو بهم ولعلما وإن تعقب الأيام فيهم فرما
يقول عسى أن يذني الوطن الأحبة بعد نأيهم، ثم أكد الرجاء بقوله "ولعلما"
وقوله "وإن تعقب الأيام فيهم" أي إن أعقبني بالذي أمتنى من قريبهم فرما دنا بهم،

1- د. محمد بن شرفة: أبو تمام وأبو الطيب في أدب الغزاة: 51.

يشير إلى أن الأيام فرقت بينه وبين من يهواه، فإن أحسنت عاقبته فيهم جمعت بينه وبينهم.

2- لهم منزل قد كان بالبيض كالدمى فصيح المغاني ثم أصبح أعجماً
الدمى جمع دمية، وهي صورة رخام كانت تصور أحسن صورة، ويتخذها الرجل عند فقدته من يحب يتأسى بها ويقيمها مقام من فقد فتشبه العرب النساء [بها] كثيراً لحسنها واعتدال خلقها مع الرزاة والوقار، وأراد بالبيض النساء، وقوله "فصيح" أي بين حسن المغاني لما كان بها من النساء الحسن، والمعنى جمع معني، وهو موضع إقامة الحلي من موضع نزولهم، والأعجم الذي لا يفصح ضربه مثلاً، وقد يكون المعنى أن هذه المغاني زمن إقامة الحلي فيها ناطقة فصيحة لما يسمع فيها من مخاطبة عامرها، وترجع الكلام بينهم، وهي الآن على خلاف ذلك.

3- ورد عيون السناطين مهانة وقد كان مما يرجع الطرف مكروما
يقول من نظر إلى هذا المنزل الآن، وقد عفا وتغيرت عيونه، ورجعت خاشعة ذليلة بعد أن كانت ترى ما تلذ به، وتفر بالنظر إليه زمن إقامة الحلي فيه فترجع مكرومة عزيزة، وهذا كله مثل، وقوله: "مما يرجع" أي ربما يرجع، وقد يكون التقرير من النوع الذي يرجع الطرف مكروما، ويقال رجع الشيء ورجعته وفي التنزيل: "فإن رجعت الله إلى طائفة منهم".
ومنها:

52- إذا أجروما قنا القنا من دمانهم وإن لم يجد جرماً عليهم تجرماً
قوله "قنا القنا من دمانهم" أي خضبه بالدم يقال أحمر قاني أي شديد الحمرة وهو مهموز فخففه، يقول لفظاً طعنه على أهل الشرك تخشب الرماح من دمانهم معاقبة لهم على إجرامهم فإن لم يجد قبلهم جرماً تعلق عليهم، ونسب الجرم إليهم لقوة سلطانهم وشدة سعيه في ذات الله تعالى وقد ألم بقول زهير:

جرئ متى يظلم يعاقب بظلمه سريعا وإلا يسبد بالظلم يظلم

وأنتهى شرح القصيدة بقوله:

60. ومن خدم الأقوام يرجو نوالهم فلإني لم أخدمك إلا لأخدمها

يقول إن خدم غيري الأقوام طمعا في معروفهم وتعرضا لإقامة عيشه فانا لا أفتع بتلك الحال إنما خدمتني لك طلبا لبلوغ أقصى الأمل بك حتى أغني غيري من عطائك وأخدمه بما أنيله من معروفك أي أكسبه خدما، ويروى لأخدما بفتح الدال، والأول امدح وأبلغ⁽¹⁾.

وسار الأعلام الشنتمري على هذه الحطة في جميع شرحه لشعر أبي تمام الطائي المتضمن في النسخة الأندلسية مركزا اهتمامه على إيضاح معاني أبي تمام وتفسيرها مما يجعلها مستساغة واضحة عند طلاب العلم والأدب الذين يستشكلون شعره لأول مواجهة معه، يقول في تفسير القصيدة 157 وهي آخر قصيدة في هذا الشرح:

"وقال يهجو عياش بن لبيعة بعد موته:

- 1- لا سقيت أطلالك الدائره ولا انقضت عشرتك العائره
- 2- ما حفرة وراك ملحودها بنزرة الرجس ولا طاهره
- 3- ما قبلت كفرك حقلا ولا شركك إلا أنها كافره

دعا على أطلال منزله لا تسقى بعده، والدائرة الدراسة المتغيرة، وإنما قال عشرتك العائرة على المبالغة كما يقال شعر شاعر، وموت ماتت أي شديدة، ومعنى وراك سترك، والمالحود اللحد، والنزرة القليلة.

- 4- كرت على السيل بماءه وناءه كـرتك الحاسره
- 5- كـ سهرت عين اللؤم لما انطوت عليك أنوابك بالساهره
- 6- فممن يشن الشعر غاراته بعدك وأمثاله السائره

يقول كان البخل واللؤم مسرورين لحياته لأنه كان يقيهما، فلما مات وصار إلى كرة خاسرة ماء البخل وناء أي أنقله [فأسهر] عين اللؤم حزنا لفقده [في كفن

وأودع] الساهرة، وهي الأرض، ومعنى يشن بغير، وهذا مثل أي فممن يتردد الهجو بعدك وشن غاراته من الأمثال السائرة في الناس المأثورة.

- 7- قد كانت الدنيا شفت لوعتي منك ولكن عذت بالآخرة
- 8- يا أسد الموت تخلصته من بين لحسي أسد قاصرة
- 9- أبارك المكروه من مثله فاقصرة بجنتك من فاقرة

يقول شفت نفسي بهجوه وإذلاله حتى عاذ منه بالآخرة التي صار إليها، والفاصرة الأجمة. يقول قد كنت عليه أسدا تخلصه مني أسد الموت، فتخلصته داهية من ناهية، وأجاره مكروه من مكروه، والفاقرة الداهية تقصم فقار الدهر⁽¹⁾.

هذه بعض النماذج من شرح الأعلام لشعر أبي تمام، من شرح أول قصيدة وشرح آخر قصيدة في هذا المجموع الشعري، وبين هذا وذاك يلاحظ الدارس للشرح أن طريقة الأعلام في عمله هذا متماثلة الخطوات، متشابهة المراحل، فهو يبدأ شرح القصيدة بموجز يعرف فيه بغرضها مدحا أو صفاء أو رثاء أو هجاء أو غير ذلك. مع تخصيص الغرض بذلك بالتنبيه على المدح، أو المراثي أو المهجو أو الموصوف، ثم ينتقل بعد هذا إلى نرح الأبيات الشعرية، والنظر في طريقته في هذا الشرح من الناحية الخارجية بين أنها تارجح بين شرح بيت واحد، وبين شرح أكثر من بيت اثنين أو ثلاث أو أكثر. وأما من الناحية الداخلية فإن طريقته متشابهة تقريبا، وهي تشبه الطريقة التي أشار إليها د. رضوان الداية في وصف طريقة الأعلام في شرحه على الدواوين الستة حيث قال: "...وهو يبدأ الشرح بإيضاح لغوي لعدد من المفردات الغريبة، ويتبعه بشرح المعنى العام، وهو اتفق في شرحه الغريب من الألفاظ، ويتوخى أن يكون ذلك ملائما لمعنى البيت، بمعنى أنه لا يورد من معاني الكلمة إلا ما يتسق مع الموضوع المطروح"⁽²⁾. وقد رأينا من خلال النماذج السابقة، ونرى ذلك من خلال متابعة شرح باقي القصائد أن الأعلام الشنتمري يتبع هذا النهج في شرح شعر أبي تمام، حيث إنه يعتمد على الجانب المعجمي لتوضيح المعاني، حيث يصير التحليل المعجمي خطوة ضرورية في الشرح، وهو على إيجازه باختصاره، يتصف بالدقة وعنصر الإشارة والإيجاء إلى المعنى المقصود وليس ضروريا في

⁽¹⁾ المصدر: ج: 4، ص: 763.

⁽²⁾ رضوان الداية: تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، 125.

¹ الأعلام: شرح ديوان أبي تمام ج: 2، 11 - 123.

شرح الأعلام لشعر أبي تمام الطائي أن يتبدأ دوما شرح الأبيات بهذا التقديم المعجمي، فإنه أحيانا أخرى يتخلل الشرح أو يتأخره مما يبين أن هذه الخطوة تعتبر عنصرا مهما في إبراز معاني أبي تمام وإيضاحها، وعنصرا مكونا لأسلوب الأعلام الشنتمري في التحليل والشرح الأدبي القائم على هذا النوع من التداخل والتكامل بين التحليل المعجمي والتحليل المعنوي، وكل منهما يصب في بؤرة واحدة وهي المكونة للهدف الذي ذكره الأعلام في مقدمته على شرح شعر أبي تمام وهو "شرح معانيه، وتبيين أغراضه، وتقريب مراميه، وفتح مغالقه". ومن أمثلة هذا التداخل قوله في شرح البيت 40 من القصيدة الأولى:

هزيرا غريف شد من زفرتيهما ومتنيهما قرب المزعفر منهنما
الهزير الأسد، والغريف أجمة الأسد، وأراد بالهزيرين بشرا ومحمد بن معاذ، والزفرة ما تكون عليه لبدته من أصل عنقه، والمتن الظهر، والمزعفر من الأسد الورد وهو أشدها، وعنى به محمد بن يوسف. يقول هذان الرجلان في المرأة والإقدام على العدو كالهزيرين، وزاد في جرأتهما قرب محمد بن يوسف الذي هو كالأسد الورد منهما، ويقال للمزعفر من الأسد الملقط بالدم، وأضاف الهزيرين إلى الغريف لأن الأسد أشد ما يكون عند أجمته لأنه يخاميه ويذب عنها⁽¹⁾.

وقوله في شرح البيتين 30 و31 من القصيدة السابعة:

لما رأيتك قد غذوت مودتي بالبشر واستجسنت وجه تنائي
أنبتت في قلبي لو أيك مشرعا ظلت تحوم عليه طير رجائي
جعل البشر غذاء للمودة لأنه يؤكد ما، ومحمل صاحب المودة على الرغبة في المودود، وإضعاف مودته له، ومعنى أنبتت استخرجت، والمشرع المورود من الماء. يقول لما قابلتني بالبشر، واستجسنت ثنائي عليك وودعتني بالجمليل من الفعل جعلت في قلبي موددا من أجل وأيك، والوأي الوعد، ظلت طيور رجائي تحوم على ذلك المورد وهذا مثل، وإنما يريد تذكير الرجاء من قلبه⁽²⁾.

¹ الأعلام الشنتمري: شرح ديوان أبي تمام ج: 2، 119.
² نفس: 171، 172.

وبلاحظ الدارس أيضا في هذا المستوى المعجمي أن الأعلام يكرر شرح بعض الألفاظ، ويبدو أنه يلجأ إلى ذلك لأن عملية التبيين تستدعي ذلك أكثر من الاكتفاء بالإحالة إلى تفاسيرها في شروحه على القصائد المتقدمة، ومن أمثلة الألفاظ التي نجد تكرار شرحها في شرح الأعلام هذا ألفاظ: القنا والفتق والقشع، والتجدد من الأرض، والمعرس والأجش، والدد، والأروع والحسام...

ويرتبط بهذا التحليل المعجمي التمييز بين المعنى اللغوي في ذاته وما أراد الشاعر كما هو الحال في قوله في شرح البيت 29 من القصيدة الأولى:

بساfer حر الوجه لوزام سوعة لكن مجلباب الدجى مثلثما

السافر المكتشف المضي، والسوة الفضلة القبيحة، وأراد بها الانتهزام، والجلباب ما يلتف فيه الإنسان من ثوب، وأراد هنا ما يستر من ظلام الليل⁽¹⁾. وقوله في شرح البيت 47 من القصيدة الثانية:

ألوى إذا خاض الكربة لم يكن بمزند فيها ولا بكهام²
الألوى الشديد الحوصمة، وأراد به الذي يعلو بقرنه في الحرب فلا يوجد مخلصا منه⁽²⁾. كما تظهر في هذا المستوى ثقافة الأعلام النحوية، وأثرها في التحليل في كثير من المواضيع، واستنتاجنا في هذا المجال لا يختلف عن استنتاج د. رضوان الداية بخصوص الأثر النحوي في شرحه على الأشعار الستة حيث يقول: "وهو يستخدم النحو في شروحه، وتستخرج منه بوادر يدل فيها بعلمه، ومعرفة بأطراف النحو، وميزة لمدارسه بين كوفة وبصرة⁽³⁾". ومن أمثلة هذا الأثر النحوي في شرحه قوله في شرح البيت 42 من القصيدة الأولى:

لخفتنهما في ساعة لو تأخرت لقد زجر الإسلام طائرا أشاما

¹ نفس: 117.

² نفس: 131.

³ د. رضوان الداية: تاريخ اللغة الأدي في الأندلس: 127.

100. وقوله "طائر اشأما" أي طائر شتوم أشام فأقام الصفة مقام الموصوف⁽¹⁾.
والأعلم يعتمد النحو لمناسبة سلامة الاستعمال اللغوي كما في قوله في شرح البيت 34 من القصيدة 28:

36. واستيقنوا إن جاش بحرك وارتنقى ذلك السزير وعز ذلك السزار
37. أن لست نعم الجار للسنن الأولى إلا إذا ما كنت بنس الجار
[...]. والأولى إنما هي بمعنى الذين، ولابد لها من علة، فإذا أن يكون قد غلظ
فوضعها موضع الأولى، وإما أن يريد الأول فحذف الواو ضرورة⁽²⁾ وهو في أثناء شرحه
لا يغفل لغة الشعر وما تلازم الشاعر من خرق لبعض القواعد والأعراف النحوية، ولذلك
فإنه أحيانا يشير إلى أن أبا تمام الطائي جأ إلى هذا الاستعمال أو ذاك ضرورة كما هو
في شرحه للبيت 2 من القصيدة الثانية:

يا حفرة المعصوم تبرك مودع ماء الحياة وقائل الإعسار
أراد المعتصم بالله قصيره ضرورة إلى هذا اللفظ لعلم السامع بما يعني⁽³⁾. وقوله
في شرح البيت 16، من القصيدة 8:

وأشجيت أيامي بصير حلون لي عواقبه والصير عند اسمه صبر
... وإن كان الصير شديدا مرا كالصير، واسمه كاسمه، وسكن الباء من الصير
ضرورة، وقد يجوز ذلك في الكلام⁽⁴⁾. وأحيانا أخرى يشير إلى أن ذلك الاستعمال غير
جائز عند بعض المدارس النحوية، كما في قوله في شرح البيت 43 من القصيدة 26:

41. حتى إذا حمي القتال فلم يكن إلا مجال الحيل حيث تجبول
42. أخذ اللواء خليفة الله السدي عند اللواء يؤمسه جربيل
43. فكأنه في الكر فيهم هارب للسلم طالب مرهق مذهبول

... وحذف التنوين من طالب ضرورة، ولا يجوز مثل هذا عند البصريين⁽¹⁾. وفي
هذا السياق نتذكر قول د. رضوان الداية: "وميزة لمدارسه بين كوكبة وبصرة⁽²⁾.
يقول في شرح البيت 21 من القصيدة 25:

عسرون لا يكبو دليل من عمسى فسيه ولا يسبغي عليه شهودا
... رد قوله "عريان" على النسب أي بينا منكشفاً ولم يصرفه ضرورة، وهو جائز
عند الكوفيين، وأكبر ظني أن ظنه من باب سكران ولم يصرفه لذلك وليس منه⁽³⁾. وهو
يشير بقوله، رد عريان على النسب إلى البيت 20 من القصيدة:

نسبا كان عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا⁽⁴⁾
وزيادة في التدليل على مدى بروز الأثر النحوي في شرح الأعلام الشنتمري لشعر
أبي تمام الطائي نضع هذا الجدول للإشارة إلى المواضع التي يظهر فيها هذا الأثر:

¹ - نفسه: 252.

² - د. رضوان الداية: تابع النقد الأدي في الأندلس: 127.

³ - الأعلام الشنتمري: شرح ديوان أبي تمام ج: 3، 443.

⁴ - نفسه: 443.

¹ - الأعلام الشنتمري: شرح ديوان أبي تمام الثاني ج: 2، 119 - 120.

² - نفسه: 266.

³ - نفسه: 124.

⁴ - نفسه: 175.

41-42	26
6	41
35	45
2	46
22	52
32	54
23	55
7	56
9	58
2	59
15	68
8	79
4	112
22	113
5	125
4	126
53	128
4	138
14	144
6	147

ويتأرجح شرح الأعلام للآيات الشعرية بين تناولها مباشرة لبيان مراد الشاعر فيها وبين تجزئتها إلى أجزاء يشرحها جزءا جزءا كما هو في شرحه للبيت 37 من القصيدة 8:

يشيعه أبناء موت إلى الوغى يشيعهم صبر يشيعه نصر

رقم القصيدة	رقم البيت المشروم
1	31
1	42
1	52
1	53
2	1-2
2	27
2	31
2	35
2	48
3	23
3	66
4	19
5	23
6	14
8	16
9	4
10	5
11	2
13	1-6
13	32-33
23	43
25	14
25	41
25	48

ويقول قد رأيت جميع الأشياء، وما رأيت كوارد ماء وبين لهاته في الخامس من يوم ورودها وذلك انه كان بالموصل، والممدوح بالعراق، فكان يهدي إليه، وقد بين هذا في البيت الذي يليه.⁽¹⁾ وهو أحياناً يتمم الشرح بكلام أبي تمام كما في قوله في شرح البيت 35 من القصيدة 35:

33. حيران بحسب سيف النقع من دهش طودا يحاذر أن ينقض أو جرفا
34. ظل القنا يستقي من صفه مهجبا إما نمادا وإما ثرة خسفا
35. من مشرق دمه في وجهه بطسل أو واهل لونه للربيع قد نرفسا

[...] يقول ذهب بابك حيران بحسب ما أثار فرسه من الغبار جبلا أو جرفا لشدة دهشه وخوفه، فهو كأنه يفر خوفاً من أن يقع عليه، ثم قال نالت منهم الرماح كل جبان قد ذهب دمه جزعا بقي منه مثل الثمد، وكل شجاع لم يذهب دمه لجأته وقوة نفسه قدمه في كثرة ماء البئر لشدة، ثم فسر هذا بقوله، من مشرق [البيت]⁽²⁾.
وجد مثل هذا في شرحه للبيتين 4 و 5 من القصيدة 45:

سفته ذعافا غارة الدهر فيهم وسم اللبالي فوق سم الأسود
به علة صماء للبين لم تصح ليرة ولم توجب عيادة عائد
[...] يقول لما أغار الدهر في الأحية ففرقهم ناله من ذلك مثل السم، ثم بين أن فعل الدهر بالإنسان أشد من فعل السم، فقال وسم اللبالي فوق الأسود وقوله علة صماء أي شديدة كالحية الصماء التي لا تحب راقبا، ثم بين أنها من قبل الشوق والحب لا من مرض أو لذغ حية فقال: "لم توجب عيادة عائد"⁽³⁾ إن العناية بإبراز المعنى وتفسيره هي حقيقة الشرح الأدبي، ولذلك حاول الأعلام استيفاء المعاني في شرحه كما هو الشأن في شرحه للبيت 14 من القصيدة السابعة:

جهمية الوصاف إلا أنهم قد لتقربوها جوهر الأشياء
مذهب جهم ألا تثبت للبارئ سبحانه من الصفات التي يقع فيها الاشتراك، فيوصف بها المخلوقون، كقولنا: عالم وراحم، فقول الجهمية لا يقول الله عالم إنما يقول

أي يشع ذلك الكمي إلى الوغي أصحاب له يشيعهم صبر يشع ذلك الصبر نصر من عند الله، وقوله "أبناء موت" أي أبطال قد علموا الموت، وأنسوا به⁽¹⁾ فإننا نلاحظ أنه يخص عبارة "أبناء موت" بشرح خاص يفرد عن بقية شرح البيت، ونفس الملاحظة نراها في شرحه للبيتين 1 و 2 من القصيدة 15 في مدح مالك بن طوق يسأله فرسا:

1- قالت وعي النساء كالحرس وقد يصصن الفصوص في الحلس
2- هل يرجعن غير جانب فرسا ذو سبب من ربيعة القسرس
يقول قالت جاريته فأصابت في قولها، ولم تحط بالمفصل، والحقيقة على أن النساء عيهن كالحرس والبيكم، ولكن ربما أضيف بالمفصل فصوص الكلام في الحلس أي في الأحيان والقلبات، وهو من اختلاس الشيء وأخذه سرعة، ويقال أصاب فلان الفص، وطبق المفصل إذا قال الصواب. وقوله: "هل يرجعن"، هذا من أقوال المرأة له هل يرجع غير قائد فرسا من كان له سبب من هذا الممدوح الذي هو من ربيعة، وهو مالك بن طوق، وهو من بني ربيعة يلقب بالقرس لأن أباه نزارا أوصى له بفرسه، فلقب بذلك وأوصى لمضر ابنه بقبته الحمراء فسميت مضر الحمراء لذلك.⁽²⁾ ويبدو أن هذا التجزي الذي يتخلل شرح الأعلام، وهو أسلوب في الشرح، يتعلق برغبة الأعلام في زيادة إيضاح معنى البيت، وذلك بتفجيده لمكون من مكوناته، التي تزيد في توليد معانيه.

ويتميز شرحه أيضا بالعضوية ومعناها متابعة الأعلام لارتباط المعاني بين الأبيات ويتمثل ذلك في قوله في كثير من الأحيان: "وهذا البيت كالذي قبله" أو قوله: "وكذا معنى البيت بعده، وقوله: "وقد بين ذلك في البيت الآخر" أو قوله: "وقد بين هذا في البيت الذي يليه" وكلها تصب في معنى واحد، وهو إشارة من الأعلام إلى الترابط العضوي بين عناصر القصيدة عند أبي تمام الطائي، ومن أمثلة ذلك قوله في شرح البيت 15 و 16 من القصيدة 146:

ولقد رأيت وما رأيت كوارد والحمس بين لهاته والمنهل
ولقد سمعت فهل سمعت بموطن أرض العراق يضئف من الموصل

¹ - نفس: 736.

² - نفس ج: 321-322.

³ - نفس ج: 382.

¹ - الأعلام الشنمري: شرح ديوان أبي تمام ج 2: 178.

² - نفس: 207.

الله ليس بجاهل فينفي عنه ضد هذه الصفة التي تكون للمخلوق، ولا تقول عالم لأن هذه الصفة تكون للمخلوق، فكانا شبيها الله تعالى بغيره، حيث وصفناه كما يوصف غيره، وكذلك يفعلون في سائر الصفات. فيقول أبو تمام هذه الحمر لا نظير لها، فهي لا توصف بما يوصف به غيرها، ولكن ينفي عنها أضداد الصفات، كما فعلت جهنم في صفات البارئ جل وعز⁽¹⁾. ولا يعني الاستيفاء التطويل كما لا يعني الاختصار المقل بل يعني الإحاطة بالمعنى المقصود في الشعر، فالأعلم يعمل ما في وسعه لمتابعة معاني أبي تمام كما في قوله في شرح البيت 32، من القصيدة 23:

وأصرف وجهي عن بلاد غدا بها لساني معقولا وقلبي مقفلا
هذا مثل متصل بقوله "سأقطع أمطاء المطايا برحلة"⁽²⁾ وقوله هذا من البيت 26:

سأقطع أمطاء المطايا برحلة إلى الوطن الغربي هجرا وموصلا⁽³⁾
ويبدو من هذا الباب لجوءه إلى أسلوب الاحتمال للإحاطة بالمعاني حينما يبدو المعنى الشعري قابلا لذلك كما هو قوله في شرح البيت 35 و36 من القصيدة 53.

إن القصادن يُمسكتك شواردا فتحرمت بئذاك قبيل تحرمسي
ما عرست حتى أتاك بفارس ريعانها والغزو قبل المغنم

ريعان كل شيء أوله، يقول قصدتك شاردة غوك مسرعة إليك فاستجارت بئذاك وكرمك واحترمت به قبل تحرمي يعني أنه وجه إليه بها، ثم قال ما عرست القصادن حتى أتاك أولها بها يقوم عندك مقام القرس المولود سريعا سرورا بها فكان ذلك كمن أتاه ولد قبل أن يعرس وكمعتم قبل غزو، والمعهود أن يكون الغزو قبل المغنم، ويحتمل أن يريد أن القصيدة لم تعرس ولم تقم حتى أتته وهو مقيم بفارس وهو بلد فكان إتيانها إياه كالغزو، ثم غنمت مواهبه⁽⁴⁾.

¹ - نفسه ج: 168.

² - نفسه: 225.

³ - نفسه: 224.

⁴ - نفسه ج: 432.

فقوله في شرحه "ويحتمل أن يريد" أسلوب في عرض المعاني التي قد تحتملها الصياغة الشعرية عند أبي تمام، ولعله يلجأ إلى ذلك حينما لا يهتدي على وجه الدقة إلى المعنى المقصود.

ويمكن للدارس أن يشير إلى شبكة من المصطلحات تنتمي إلى علم البلاغة، وهي تأخذ صنعة عملية أكثر من بروزها في قواعد تنخلل الشرح، وصيغتها العملية تتجلى في كونها وسائل للتحليل والتمييز بين المعاني المعجمية الثابتة وبين المعاني الشعرية التي يرمي الشاعر إلى مقاصدها، ولذلك تنخلل الشرح عبارات: "وهذا مثل" أو "وهذه أمثال" أو "وهذه استعارة ومثل" أو "هذه كناية" أو "وجعل هذا مجازا" أو "وكنى" وفي مقابل هذه الألفاظ نجد أن هناك تمييزا بينها وبين المعنى أو الحقيقة المقصودة كما في قوله: "وهذا مثل والمعنى" أو قوله: "وحقيقته".

وذلك مثل قوله في شرح البيت 30 من القصيدة 14:

لك القلم الأعلى الذي بشباته يصاب من الأمر الكلى والمفاصل
الشاة الحد والطرف. يقول أنت كاتب الحليفة قللمك أعلى الأقلام وبجده
تصاب حقائق الأمور، وتقتل علما، وخمس الكلى لأنها من أوحى المقاتل وذكر المفاصل كناية عن حقائق الأمور وفصوله⁽¹⁾.

وقوله في شرح البيت 42 من القصيدة 14:

معمرس حق ماله ولسرعا تحيف منه الخطب والخطب باطل
المعرس موضع نزول المسافر في السحر، ثم يستعار لغيره...⁽²⁾.

وقوله في شرح البيت 32 من القصيدة 36:

يلقي بها حر السلاط وعبدده عند السؤال مصارعا وحتنفا

¹ - نفسه ج: 202.

² - نفسه: 303.

شعر البيت مكان الإشارة البلاغية ورقمه	القصيدة
5-6	2
48	2
5	3
6	3
13	3
45	3
46	3
49	3
2	4
15	5
4	6
2-3	7
34	7
1	8
33-34	8
29	9
27	13
30	14
42	14
51	14
6	21
18-17	23
31	23
14	24

التلاد المال القديم، وحره خالصه ونقيسه، وعبد رذله، وهذا مثل، والمعنى أن مواهبهم تأتي على جميع التلاد، فلا تبقى منه باقية فيبقى بثلث المواهب مضاعفا وحنوفا عند سؤال المعتفين⁽¹⁾.

وفيما يلي جدول نشر فيه إلى هذه الإشارات البلاغية لتبين مدى استعانة الأعلام بهذه المصطلحات المنتمية إلى حقل علم البلاغة في شرحه لشعر أبي تمام الطائي.

¹ نفسه: 329.

12	79
36	84
35	85
19	100
32	100
35	124
4	128
22	128
8	150
40	151
26	153
30	153

وعلى الرغم من قلة الاستشهاد بالنصوص داخل هذا الشرح، فإن متابعة توظيف الأعلام لمختلف أنواع النصوص العربية: القرآن الكريم والحديث النبوي، والأمثال والأخبار المأثورة وأبيات الشعر، تفيد أن توظيفه لها تارجح بين استعمالها في توضيح معاني أبي تمام الطائي والزيادة في تفسيرها وتقريبها، أو لبيان أصولها ومصادر في هذه النصوص. فمن أمثلة توظيفه للنص القرآني في إيضاح المعنى وتفسيره، قوله في شرح البيتين: 11-12 من القصيدة الثانية:

أخذ الخلافة بالوراثـة أهلها وبكل ماضي الشفرتين حسام
فلسورة الأنفال في ميراثه آثارها ولسورة الأنعام

يقول القرآن بوجوب أن تورث الخلافة كما يورث غيرها لقول الله عز وجل: "وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض". يعني في الموارث. فهذا في سورة الأنفال، والثاني في سورة الأنعام قوله تعالى: "ومن ذريته داود وسليمان." إلى قوله: "واسماعيل واليسع ويونس ولوطا." فجعل لوطا من ذرية إبراهيم وهو ابن أخيه يبين أن العم أب، وكذلك

34	25
53	28
4	29
52	30
47	32
4	33
23	33
16	36
32	36
4	36
10	40
52	43
43	44
14	48
40	50
51	50
28	51
22	53
13	54
41	54
16	59
7	65
6	66
5	67
18	67
12	76

العباس كالأب للنبي عليه السلام لأنه عمه، فجعله أحق بوائده من علي وغيره، وقوله: "آثارها" يعني آثار ميراث الخلافة⁽¹⁾.

ومن أمثلة استخدامه النص القرآني للإشارة إلى مصادر معاني أبي تمام قوله في شرح الأبيات 38 - 39 - من القصيدة 51:

38- حتى إذا أجنحت لكم داونكم من دانكم إن الشفاف يقوم
39- فقسا لتزجروا ومن يك حازما فليقس أحيانا على من يرحم
40- وأخافكم كي تغمدوا أسياكم إن الدم المغتر يجرسه الدم
41- ولقد جهدتم أن تزيلوا عزمه فإذا أبان قد رسا ويللم

[...] يقول لم تزالوا مخالفين للملك حتى تغيرت لكم أخلاقه فداونكم بما أوقع بكم من دانكم أي من خلافكم وفيكم تقومكم كما تنقف الرمح، ثم قال وأخافكم بشهر سيفه عليكم لتكفوا عن شركهم، وتغمدوا سيف الفتنة فإن الدم المشتهر المصاب غرة لا يجرسه وبقية من أن يسفك إلا سفك دم المشتهر له المعتدى عليه، وإنما اخذ هذا من قوله عز وجل: "ولكم في القصاص حياة".⁽²⁾ وظف الأعلام الحديث النبوي الشريف، وهو يرتبط أيضا بالتنبيه على مصادر معاني أبي تمام كما في قوله في شرح البيت 28 من القصيدة 23:

إلى الرحم الدنيا التي قد أجفها عقوقي عسى أسبابها أن تبلا

يقول سارحل إلى رحمتي الدنيا القريبة لأصلها، وأبل ما جف عقوقي منها، ومعنى أجف أبيض، وإنما أخذ هذا من قول النبي عليه السلام: "بلوا أرحامكم ولو بالسلام".⁽³⁾ أو زيادة في توضيح المعنى، كما في شرحه للبيتين 13 و14: من القصيدة 26:

ميراث عباس بإرث محمد نبابه في فضله التنزيل
بين الحطيم وزمزم في ريسوة أركى ثراها مصطفى وخلي

¹ - ن: ج: 126.

² - ن: ج: 421، 420.

³ - ن: ج: 225.

[...] والحطيم فناء البيت، والريوة ما ارتفع من الأرض، وجاء في الحديث: "إن البيت في أرفع موضع بالأرض، وإن الأرض دحيت من تحته".⁽¹⁾

وأما بالنسبة للنصوص الشعرية الأخرى فإن استعمالها يدخل أيضا في البحث عن مصادر معانيه بقوله في شرح البيتين 56 و57 من القصيدة 28:

وأرى الرياض حوافلا ومطافلا مذ كنت فيها والسحاب عشار
أيا من مصقولة أطرافها بك والليالي كلها أسحار

[...] ثم قال أيا من مصقولة بك مصقولة الأوائل والأواخر مشرقة وليالينا طلقة كأنها أسحار كلها، وإنما أخذ هذا من قول عبد الملك بن صالح وقد قال له الرشيد: كيف ليل منيع؟ قال له: "سحر كله"⁽²⁾ أو زيادة في توضيح المعنى المعجمي كما في قوله في شرح البيتين 11 و12 من القصيدة 31:

يقود نواصيههم جذيل مشارق إذا آبه هم عذيق مغارب
يرى بالكعب الرود طلعة نائر وبالعمرس الوجناء غرة آيب

الجذيل تصغير جذل، وهو عود ينصب للإبل تحتك إليه فتشقى به، ومنه قول الأنصاري يوم السقيفة: "أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب".⁽³⁾

أو زيادة في توضيح معاني البيت كما في قوله في شرح البيتين 32 و33 من القصيدة 37:

ألوى بذل الصعب إن هو ساه وتلين صعبته إذا ما سياه
وكذلك كانوا لا يرأس منهم من لم يجرب حزمه مرؤسا

¹ - ن: 250.

² - ن: 269.

³ - ن: 289.

[...] وحسن الطاعة مما يمدح به. ثم قال لا يستحق المرء أن يرأس حتى يكون ذا حزم وعزم قبل ذلك، ويعرف منه حسن الطاعة إذا كان مرؤوساً، وهذا كما قال عمر رضي الله عنه: "وقد أنا وإيل علينا"⁽¹⁾.

ووظف الأعلام النص الشعري أيضاً لغرض توضيح المعاني كما في قوله في شرح البيتين 24 و25 من القصيدة 57:

الشرق غرب حين تلاحظ قصده بعزيمة والتمني شآم
بالشد قميات العتاق كأنها ورحالها بين الإكمام إكمام

يقول لشدة عزمك إذا لحظت قصد الشرق وتاحتبه لعزيمتك وأنت بالغرب أحطت به فصار غرباً في سرعة وصولك إليه، وكذلك إذا أردت ناحية التيمني وهو موضع باليمن تقابل الشام مقابلة الغرب للشرق وصارت شاماً، وهذا كقول امرئ القيس:

فكأنما بدر وصيل كثيفة وكأنما من عاقل الأرمم⁽²⁾

أو مقارنة ومقابلة معني عند أبي تمام على معنى عند غيره كما في قوله في شرح البيت 30 من القصيدة 4:

قوالله لو لم يلبس الدهر فعله لأفسدت الماء القراح معاييه
يقول لولا أن هذا المدحج تلافي الزمان، وحلاه بكمه، وألبسه برود فضله، لتناهى فساد، وغير كل شيء بمعاييه حتى الماء القراح الخالص العذب البارد، وهذا ضد ما قال الفرزدق:

ولو لبس النهار بني كليب لدنس لؤمه وضج النهار⁽³⁾

أو مقارنة بين معاني شعر أبي تمام موضوع الشرح، كما في قوله في شرح البيت 14 من القصيدة 49:

سفيه الرمح جاهله إذا ما بدا فضل السفيه على الحليم

[...] يقول وهو لشدة بأسه وخروجه في الحرب عن القصد يبدو من رجه ما يظهر ويبدو من السفية الجاهل في تجاوز فعله وخرقه فيه وهذا كقول:

لهم جهل السباع إذا المنايا تمشت في القنا وحلوم عاد⁽¹⁾

ويكون توظيف الأعلام النص الشعري أيضاً للإشارة إلى مصادر معاني أبي تمام الطائي كما في قوله في شرح البيت 7 من القصيدة 99:

قتلته سرا ثم قالت جهرة قول الفرزدق لا بظبي أعفر

يقول قتلتي سرا بما أودعت قلبي من الحزن، ثم قالت جهرة به لا بظبي أعفر، وهذا مثل في الدعاء على الإنسان عند الشماتة به، وإنما ذكر الفرزدق لأنه قال حين بلغه موت زياد:

أقول له لـأ أناني نعيه به لا بظبي بالصريمة أعفر⁽²⁾

ويتميز منهج الأعلام في هذا الشرح أيضاً بإيراد روايات أخرى لبعض الألفاظ والتراكيب لشعر أبي تمام، مع الإشارة إلى أثر ذلك على المعنى أحياناً، ومن أمثلة ذلك قوله في شرح البيت 23 من القصيدة الثالثة:

كم بين حيطانها من فارس بطل قاني الذوائب من قاني دم سرب

القاني الشديد الحمرة، خفف همزه ضرورة، والسرب السائل الجاري، يقول كم بين حيطان عمورية من فارس شجاع قد قتل، فنخضبت ذوائب شعره، فاحمرت من دمه الجاري، ويروى من أبي دم، أي قد بلغ أناه وحينه⁽³⁾.

وإيراد الأعلام للروايات في شرحه برهان على تعمقه في دراسة شعر أبي تمام، خاصة وأنه كان تلميذ ابن الأثير في هذا المقصود، فالنسخة الأندلسية التي وضع عليها الأعلام شرحه مدينة بكثير من العرفان لابن الأثير، الذي عني بشعر أبي تمام في الرواية التي أدخلها أبو علي القالي إلى الأندلس، على أنها بخط أبي تمام، وانتسخ منها هذه

¹ - غصه ج: 406.

² - غصه ج: 617.

³ - غصه ج: 137.

¹ - غصه ج: 336.

² - غصه ج: 460.

³ - غصه ج: 154.

القصيدة	شعر البيت مكان الإشارة البلاغية ورقمه
1	21
1	60
3	23
3	36
8	40
9	7
14	25
21	12
23	39
24	73
26	46 و 43
27	35
28	51
32	36
33	32
34	16
35	2
35	18
35	46
38	21
40	45
44	15
47	30 و 25
51	45

النسخة، كما أنه عني بمقابلتها على رواية الصولي⁽¹⁾ ونحن لا نعدم إشارة الأعلام في شرحه هذا إلى شيوخه ابن الإفيلي كما في قوله في شرح البيت 24 من القصيدة 81:

ومن سائيد ما بروازقلت شبا فخر فسيح الطائفين
..... ووقع في رواية أبي علي روان وهو موضع أو ملك....⁽²⁾ وهو مؤشر على
عناية الأعلام بعنصر الرواية في عملية الشرح، وذلك لقائدها في تأكيد المعاني ونفي الخطأ
عنها.

ونظرا لأن الأعلام قد أورد في شرحه عددا لا يستهان به من الروايات نضع
الجدول التالي لبيان ذلك في مواضعه:

١- د. عبده عزام: مقدمة تحقيق شرح التبريزي لديوان أبي تمام: 38 - 40.
٢- الأعلام الشنمري: شرح ديوان أبي تمام ج: 3، 554.

16	112
30	122
8	129
12	130
6	133
5	139
16	147

وإذا كنا نجد أسماء بعض مصادره في سياق حديثنا عن الروايات التي أشار إليها في شرحه كقوله في شرحه البيت 24 من القصيدة 81: "وقع في رواية أبي علي"⁽¹⁾ وقوله في شرح البيت 45 من القصيدة 36:

عمري عظم الدين جهمي الهوى يسفني القسوى ويشبت التكليف

يقول هو مجتهد في الدين اجتهد عمر وبن عبيد، وكان من نساك المعتزلة، وهواه ورأيه هوى الجهمية وهواها ورأيها انهم لا يثبتون للإنسان قوة ولا استطاعة فيما يأتي من الأشياء، ويثبتون التكليف والاضطرار إلى فعله، فلا يرون عليه فيما يأتي من المعاصي حرجا لأنه مكلف مضطر إليه كذا أخبرني أبو القاسم بن الإفلح، ولا أعلم حقيقة هذا، وهم منسوبون إلى جهم بن صفوان⁽²⁾. فإن الإشارة إلى مصادره تكاد تنعدم باستثناء ما سبق ذكره، وقوله في شرح لفظ "الأصل" عند شرحه للبيت 48 من القصيدة 24:

وعشية التل التي نعيش الهدى أصل لها فخم من الأصل

الثل الجبل، والأصل العشي، وهو يكون واحدا، حكى ذلك ابن السكيت، ويكون جمع أصل..⁽³⁾ وكذلك قوله في شرح البيت 5 من القصيدة 27:

دعا شوقه يا ناصر الشوق دعوة فلباه طل الدمع بجري ووابله

7	54
2	55
11	56
21	56
27	56
51	56
57	56
23	59
20	60
42	60
12	66
15	68
39	70
5 و 1	71
17	71
21	78
30	78
26	81
29	81
10	84
16	91
21	98
19	100
20	105
25	11
33	11

¹ - نفسه: 554.

² - نفسه ج: 330.

³ - نفسه: 235.

يقول كنت أنطوي على الشوق والهوى وأسترهما، وأصبر عن إظهارهما، فكان الصبر غالبا على شوقي ظاهرا عليه، فلما حانت النوى وحضر الفراق حاج الشوق واستنصر الدمع واستنجد فاجابه ناصرا له، ولما أول دعوة مظهرها على الصبر قليل الدمع وكثيره، وظله ووابله، فهذا معنى البيت إن شاء الله تعالى، واتصل بي عن لا يفهم مثل هذا، ويدعي أن غيره يجزل عنه أنه زعم أن معنى البيت على غير ظاهر لفظه، وأنه يريد دعا شوقه يا ناصرا على الشوق وبها مذهبا له، وزعم أن الدمع يخفف الشوق، ومذهب به كما يفعل بالحزن، وليس كما زعم أن الحزين يستريح بالكاء والمشتاق يستتر شوقا مادام معينا فإذا قوي شوقه دعاء إلى الكاء فظهر شوقه وتبينت قوته، وهو مع ذلك باق لا يذهب إلا السلو عن طول عهد أو بأس، والحزن يفرط فإن بكى الإنسان خف حزنه، وربما ذهب البينة⁽¹⁾. وهذه دلائل على اعتماده في عمله هذا على مصادر في شرحه لشعر أبي تمام سواء في التحليل المعجمي للألفاظ، والبحث عن الروايات الأخرى، أو في التحليل المعنوي وشرح معاني الآيات الشعرية، ولعل أقوى دليل على اطلاع الأعلام على شروحه من سبقه قوله في مقدمة هذا الشرح: "والذي خصصته به أعزه الله تعالى شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي بعد أن تكلفت له قرب شرح معانيه، وتبيين أغراضه وتقريب مراميها، وفتح مغالقه ما أرجو أن العالم المنصف سيقرب فضله على ما تقدمه من الشروح المؤلفة فيه إن شاء الله"⁽²⁾، وهو في قوله هذا يصدر عن تصوره لمفهوم الشرح الأدبي للشعر الذي نجده في مقدمة شرحه على الأشعار الستة: "... ولم أطل في ذلك إطالة تخل بالفائدة، وتقل الطالب الملتبس للحقيقة، فإني رأيت أكثر من ألف في شروح هذه الأشعار قد تشاغلوها عن كشف المعاني، وتبيين الأغراض، بجلب الروايات، والتوقيف على الاختلافات، والتقصي لجميع ما حوته اللفظة الغريبة من المعاني المختلفة. حتى إن كتبهم خالية من أكثر المعاني المحتاج إليها، ومشمطلة على الألفاظ والروايات المستغنى عنها. وفائدة الشعر معرفة لغته ومعناه"⁽³⁾ فراجؤه الإقرار بفضل شرحه لشعر أبي تمام على شروح من تقدمه دليل على دراسته لهذه الشروح، ومعرفة أسرارها ومواطن الحلل والتقصير فيها، وعلى هذا النمط كان أسلوب الأعلام في دراسة المؤلفات والبحث في

أسرارها فإن عمله في هذا الشرح يدل على معرفة واسعة بشعر أبي تمام ويوزنه، وذلك ما نراه أيضا في افتتاحه لشرح القصيدة 26 في مدح المعصم:

- 1- عمر الطغاة لدى الإمام قليل ويلاؤهم من راحتيه طوبل
- 2- هذي مغانيهم كان رسومهم أشلاؤهم وشباههم المغفول

هذه القصيدة مما ثبت في رواية أبي علي، ولا تشبه عندي كلام أبي تمام، ولكنني أفسرها على ما بها من فتور لفظ وسخف معنى⁽¹⁾ وكذلك في قوله في مستهل شرح القصيدة 93، في مدح محمد بن يوسف الطائي: "وقال يمدحه أيضا، ولا يشبه قوة كلامه"⁽²⁾.

ولا بد في نهاية هذا العرض أن نشير إلى نوع من المقارنة بين شرح الأعلام وشرح أبي بكر الصولي كأقدم شرح على ديوان أبي تمام الطائي وشرح التبريزي باعتباره من الشروح المتأخرة عن الأعلام، وذلك بإعطاء أمثلة منها، على الرغم من أن عملية المقارنة تستدعي عملا أكثر عمقا من هذا التمثيل، فإن النظر في شرح القصيدة التي قالها أبو تمام في مدح محمد بن يوسف الطائي وأولها:

عسى وطن يدنو بهم ولعلما وأن تعقب الأيما ف جهم فرما

عند الأعلام الشنمري دلنا على أنها أقدم شرح مفصل لهذه القصيدة حتى الآن، إذا علمنا أن أبي بكر الصولي اكتفى بعرض القصيدة، دون تدخل حل معميات آياتها باستثناء بعض الإشارات البسيطة⁽³⁾.

ويقول الأعلام في شرح القصيدة الثالثة من ديوانه: "وقال يمدح المعصم بالله، ويذكر فتح عمورية وإحراقها:

¹ - الأعلام الشنمري: شرح ديوان أبي تمام ج: 2، 249.

² - نفسه ج: 4، 597، ومطلع القصيدة:

حتمه فاحتمى طعم اليهود غداة ردمه بالرف الصبود

(ج: 4، 597)، وهي مما أثبتته عتق شرح التبريزي لديوان أبي تمام في القسم الذي خصصه للقصائد المشكوك في صحتها (ج: 4، 635 - 642) وقدنا قال أبو بكر الصولي: "على أن أبا تمام قد حمل عليه أيضا ونسب إليه من حيث لا يدري، ثمرا لم يلقه" (شرح ديوان أبي تمام ج: 1، 188).

³ - أنظر شرح القصيدة في شرح الشنمري ج: 2، 111 - 124، وفي شرح أبي بكر الصولي ج: 2، 405 - 415.

¹ - نفسه: 255 - 256.

² - نفسه: 109.

³ - الأعلام الشنمري: شعر بن أبي سلمى: 6.

1- السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

كان أهل التنجيم يزعمون أن عمورية لا تفتح في ذلك الوقت، وأنه إن أتى زمان التين واللعب دون فتحها لم تفتح أبداً، فقال حبيب مكذبا لهم وردا لما في كتبهم من علم التنجيم، "السيف أصدق أنباء" وأصح خيرا من كتبهم لأن الذي تضمنته كتبكم لعب وباطل، وما أظهره السيف في أهل عمورية من استنصاهم، وقطع مرثهم حق وجد، فقد صار حد السيف وهو غربه وجانبه حدا فاصلا بين الحق والباطل، والجد واللعب.

2- بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب

هذا تفسير لما قبله ومبين له. يقول في متون السيوف البيض الصفائح، والصفحة السيف جلاء الشك أي تجليه وكشفه لا في متون الصحائف السود وهي الكتب، والريب جمع ريبة، وهو كل ما يشك فيه ويرتاب.

3- والعلم في شهب الأرماع لامة بين الحميسين لا في السبعة الشهب

هذا كالذي قبله في المعنى. يقول العلم الصحيح الذي لا يكذب هو ما أظهرت الرماح الشهب، يعني البيض من الصفائح حين افتتح بها عمورية، لا علم الشهب السبعة التي يقضون بها، الشهب جمع شهاب، وأراد بها زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر، وقوله: "لامعة" نصب على الرماح، والحميسان العسكران، يعني خميس المسلمين وخميس العدو⁽¹⁾.

وأما أبو بكر الصولي فقد قال في شرح هذه القصيدة: "وقال يمدح المعتمد بالله ويذكر حريق عمورية وفتحها:

1- السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

يقول حد السيف يفصل بين الجد واللعب، فيصير كالحد بين الموضعين، أصدق أنباء كانوا يريدون أنها لا تفتح في ذلك الوقت. فقال: السيف أصدق من روايتهم.

2- بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب

⁽¹⁾ العلم الشنمري: شرح ديوان أبي تمام ج: 2، 133.

قوله: بيض لا سود هو المطابق. كأنه طابق الشيء بضده، فتوع منهما، ومن المطابق قول ابن أذينة أو غيره:

وإذا تباع كريمة أو تشتري فسوالك بالنعما وأنت المشتري

التطبيق ذكر البيع والشراء، وربما اجتمع في البيت تجنيس وطباق. والصفحة صفحية السيف وهذا كاليبت الأول.

3- والعلم في شهب الأرماع لامة بين الحميسين لا في السبعة الشهب

يقول: صحيح العلم في الحرب لا ما استدلتتم عليه بالنجوم، والسبعة الشهب هي: زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر، ولامعة: نصب على الحال، كأنه قال: العلم في شهب الأرماع في حال لمعانها. وشهب الأرماع: قالوا: يريد الأسمنة. والزرة عندهم شبهه وقيل: وهو الصواب يريد الأسمنة إذ الأسمنة تنقد كالتيوان. فشهب جمع شهاب على هذا، ويروى: لامة: يريد العلم⁽¹⁾.

وقال الخطيب التبريزي في السياق نفسه: "وقال يمدح المعتمد بالله أبا إسحاق محمد بن هارون الرشيد (ويذكر حريق عمورية وفتحها:

1- السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

الأول من البسيط والقافية متراكب.

كان المنجمون قد حكموا أن المعتمد لا يفتح عمورية، وراسلته الروم بأننا نجد في كتبنا أنه لا تفتح مدينتنا إلا في وقت إدراك التين واللعب، وبيننا وبين ذلك الوقت شهور نمك من المقام بها الرد والتلج، فأبى أن ينصرف وأكب عليها ففتحها فأبطل ما قالوا. [ع] وقوله: "أصدق أنباء" كلام قد دخله ترجيح، وهو من مواطن التمييز، وإذا كان المميز ليس من نفس المميز جاز أن يقع واحدا وجمعا مثل قوله: "أصدق أنباء" ولو كان في غير الشعر لجاز أن يقال نبا، وكذلك أخوك أخدم الناس عبدا، ألا ترى أن العبد غير الأخ؟ فإن قلت أخوك اعظم الناس رأسا امتنع أن يكون الجمع في موضع المميز الواحد، وقوله: "في حده الحد" الحد الأول للسيف، والحد الثاني الذي يفصل بين

⁽¹⁾ أبو بكر الصولي: شرح ديوان أبي تمام ج: 1، 189 - 190.

الشيتين، كالدار والدار، والقراح والقراح. أي أن السيف إذا استعمل فقد برئ الأمر من الهزان.

2. بيض الصفايح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب

"الصحيفة" الكتاب، اسم شائع، فيقال للكتاب الذي يكتب في الحاجة صحيفة، وللدفتر صحيفة، وكذلك المصحف، وإذا قلت صحائف فالهزم واجب، ويجوز أن تجعل الهزمة بين، والذي دل عليه كلام سيويه أنه لا يجوز أن تجعلها ياء خالصة، وقد حكى غير ذلك أبو عمر الجرمي، فزعم أنهم يقولون عجائز بياء خالصة، وكذلك الحكم في كل ما كان على فعائل. و"الصفائح" جمع صفحة وهي الحديدة العريضة، ويقال للسيف العريض كذلك. والذين يتكلمون في نقد الشعر يسمون بجيء الصحائف مع الصفائح تجنيس القلب لأن الهجاء متساو، وإنا قدمت الفاء "والجلاء" ممدود: كشف الأمر ورفع الغطاء عنه يظهر الكامن المستتر فيه، و"الشك" و"الريب" واحد، ففكر لاختلاف اللفظتين. والمعنى أن السيوف تفصل بين الحق والباطل حتى تتبينه. ولم يقل جلاء الحق والريب لأن الحق معروف واضح جلي، وإنا بتبين ما يشك فيه. [ق]. ويحتمل أن يكون "لاسود" هو الحيز، ويكون المعنى: أن السيوف غير الكتب، كما تقول زيد غير عمرو، أي شأنه غير شأنه، ثم بين فقال: في متونهن كذا.

3. والعلم في شهب الأرماح لامية بين الخميسين لا في السبعة الشهب

يرد على المنجمين ما حكموا به لأن الظفر كان قبل حكمهم، ويعني ب"شهب الأرماح" أسنتها، وقد استعملت الشعراء ذلك قديما، قال الأفوه:

جحفصل أورق فيه هبوة ونجوم تتلظى وشوارر

ويعني ب"السبعة الشهب" الطوالع التي أرفعها زحل وأدناها القمر وبعضها الشمس [ع]. ولا يعرف أن الشمس جعلت شهابا في كلام قديم، ولكنها لما جاءت مع السطة التي تسمى كلها شهابا جعلت مثلهن، وكذلك القمر لعلية ما كثر على ما قل، وهذا أسهل من قولهم القمران يريدون الشمس والقمر، ويشبهه في بعض الوجوه ما جاء في التنزيل من قوله تعالى: "فمنهم من يمشي على بطنه"، لما خلط الإنس بغيرهم جاز أن يوقع "من" على ما لا يعقل، وقوله: "لامعة" نصب على الحال من شهب الأرماح، وهي

الرواية الصحيحة. ومنهم من يقول: "لامعة" فبيض "لامعا" إلى الهاء وذلك رديء، والوجه الأول هو الصواب. و"الخميسان" الجيشان، ويقال إن الجيش سمي خميسا في زمان كانت الملوك إذا غرت أخذت خمس الغنمية لأنفسها، فالخميس إذا في معنى المخصوص، من قولهم خمست القوم إذا أخذت خمس أموالهم. (1)

إن النظر في هذا المثال وغيره من الشروح عند هؤلاء الشراح يعطينا تصورا عن البناء المنهجي الذي كان يحكم عمل كل منهم، فأبو بكر الصولي باعتباره أول من أخذ على نفسه شرح شعر أبي تمام الطائي في غمرة الصراع بين أنصار مذهبه ومعارضيه، كان أهم ما يميز شرحه هو اعتماده على نفسه وهو يسير في عمله الريادي هذا بناء على خطة أوضحها في مقدمة شرحه ذاك حيث قال: "أما بعد، فقد وفيت [...] بما وعدتكم من عمل أخبار أبي تمام. وتبين فضله في شعره والاحتجاج له. والرد على عاتبه والجاهل بمقداره [...] وبقي شعره الذي سألتني عنه انقضاء أخباره. وهو ثمانية أصناف: مديح وهجاء. ومعاتبات وأوصاف وفخر وغزل ومراث، أجلبها وأكثرها المديح. وإنا نشطني بأعزك الله - لعمل أخباره وشعره. وجداني عليه. وجذبي إليه علمك بأن كل متسع يضيق عنه. وكل كثير يقل معه، وكل كبير يصغر عنده. فوهبت أخذ من لا يستحقه. ولا يقر بالفائدة لي فيه. ومن يستفيد ما أوردته. ويدعي أنه قد كان يعلمه لك - أعزك الله - ولن يشكرني عليه. ويقر بالفضل لي فيه. ويعلم أن أحدا (قط) ما تضمن القيام بقصائد منه، فضلا عن جميعه [...] وأنا مبتدئ بالمديح على قافية الألف ثم على توالي الحروف إن شاء الله." (2)

وأما الأعلام فإنه ينطلق من مفهومه لفائدة الشعر التي هي معرفة معناه ولغته، من أجل ذلك حرص كل الحرص على تحقيق خطته التي ذكر في مقدمة شرحه: "... شرح معانيه، وتبين أغراضه، وتقريب مراميه، وفتح مغالته." لذلك بدا أهم ما يميز هذا الشرح هو الإيجاز وتجنب الإطالة، وتركيز الفائدة وتكثيفها حتى تغدو سهلة المأخذ قريبة المثال، ويبدو أن الأعلام قد استعان بتوجيه المعتضد له في باب التأليف، فإنه يقول في مقدمة كتابه "تحصيل عين الذهب": "... هذا كتاب أمر تأليفه وتلخيصه، وتهذيبه

1. العريزي: شرح ديوان أبي تمام ج 1: 40 - 42.

2. أبو بكر الصولي: شرح ديوان أبي تمام ج 1: 165 - 166.

وتلخيصه المعتضد بالله... أمر باستخراج شواهد كتاب سيبويه... وتلخيصها منه، وجمعها في كتاب يخصه ويفصلها عنه مع تلخيص معانيها، وتقريب مراميها وتسهيل مطالعها ومراقيها، وجملاً ما غمض وخفي منها... ليقرّب على الطالب تناول جملتها ويسهل عليه حصر معانيها، ويجتني من كتب ثر فائدتها.⁽¹⁾ ولعل في مقابلة عمله لشعر على هذا النص ما يطلعنا على تشابه الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه في الكتابين، ونحن لا نعدم في كتب الأعلام تنويعها بعناية المعتضد الإشبيلي بالعلم والأدب، ولعل هذا أكثر ارتباطاً بالقيمة التاريخية لشعر الأعلام لشعر أبي تمام نظراً لارتباطه بالرعاية التي أولاها ملوك الأيبوية لمستوى الذوق الأدبي في شعر أبي تمام الطائي في وقت كان الصراع محتدماً بين الأدباء حول سيادة أحد النمطين القصيدة العربية في زينة القديم أو المحدث.

وأما التبريزي فإنه يبدو أكثر توسعاً وتطويلاً في شرحه لرجوعه إلى أغلب الشراح الذين سبقوه، يقول في مقدمة شرحه: "وبعد فإني نظرت في شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي، وفيما ذكر فيه من التفسير، فرأيت بعضهم ينحى عليه، ويهجن معانيه، ويزيف استعاراته، وبعضهم يتعصب له، ويقول من جهل شيئاً عابه، كما أن من اعتسف طريقاً ضل فيه [...] وإنما حدثني على الاشتغال به، وتيز ما ذكره العلماء فيه، من معنى أو أعراب، واختلفوا فيه، ميل المولى أبي نصر محمد بن عماد الدين بن مولى أمير المؤمنين إلى شعره، ورغبته فيه دون سائر دواوين المحدثين. فلما رأيت كثرة ميله إليه، وصدق رغبته فيه، استعنت الله تعالى على شرحه، وذكر الغريب والمعاني والإعراب فيه، وترجيح بعض أقوال العلماء فيه على بعض، لأن منهم من أنصفه، ومنهم من أغى عليه. وربما احتمل البيت معنيين ويكون أحد المعنيين أقوى من الآخر، فلا يميز بينهما إلا من حسن فهمه، وصفا ذهنه، لأن نقد الشعر أصعب من نظمه، فأوضحت ذلك بإيراد ما لا يحيد عنه للقارئ منه، والنظر فيه، بلفظ موجز [...] وأنا إن شاء الله أكتب شعره من أوله إلى آخره، وأذكر من غريبه وإعرابه ومعانيه وأخباره ما لا بد منه، أشير إلى ما ذكره أبو العلاء من الأبيات المشككة في مواضعها، وإلى ما ذكره أبو أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي في كتابه المعروف بالانتصار من ظلمة أبي تمام، وإلى ما ذكره أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى في معاني شعره، وما ذكره أبو بكر محمد ابن يحيى الصولي،

¹ الأعلام الشنمري: تحصيل عين الذهب: 4.

وما وقع إلي مما روي عن أبي علي المعروف بالقالي وغيره من شيوخ المغرب.⁽²⁾ وهذا إذن تبدل لنا بعض الاختلافات بين مناهج هؤلاء الشراح في مواجهة شعر أبي تمام الطائي، وهي ترتبط أكثر ما ترتبط بالطريقة التي يذكرونها في مقدمات شروحهم، ويسعون إلى احترامها، ولذلك اتخذنا من هذه المقدمات مقياس نقيس عليها عملية الشرح. وعموماً فإن الشراح يلتزمون بهذه الخطوات، وإن النظر إلى أعمالهم في سياق تاريخي ليزر نوعاً من التطور في عملية شرح أبي تمام الطائي، ويبقى مع ذلك أن أهم وأبرز اختلاف بين هذه الشروح هو الاختلاف في الرواية، وأن الرجوع إلى الهوامش التي خصصناها لتحقيق شرح الأعلام طري بأن يطلعنا على الفروق الكثيرة في الرواية بين هاته الشروح الثلاثة وغيرها من الروايات المعتمدة في تحقيق شعر أبي تمام الطائي.

وهناك اختلاف في ترتيب القصائد، فإن الترتيب في شرحي الصولي والتبريزي وفق الأغراض والحروف، وهو في شرح الأعلام الشنمري وفق رواية أبي علي القالي التي يصل سندها إلى أبي تمام، وقد يكون هذا الإسناد هو الذي دفع الأعلام إلى احترام ترتيبها التزاماً بالأمانة العلمية للحفاظ على قيمة الشرح من حيث تأصيل الرواية التي وضع عليها. وهذه المعطيات مجتمعة تدفعنا للحديث عن أهمية هذا الشرح.

أهمية شرح الأعلام لديوان أبي تمام الطائي:

تستند قيمة هذا الكتاب في شرح شعر أبي تمام الطائي إلى عنصر الأهمية التي يبدو أن هذا الكتاب يحتلها في تاريخ الاهتمام بشعر هذا الشاعر الذي خرق مفهوم الفصولة الشعرية بمذهبه الجديد في الصياغة الشعرية، وتفعيله لمكونات أركان البديع وعناصره في بنية القصيدة العربية، فشرح الأعلام يمثل الأسلوب الأندلسي في تفكيك النص الشعري عند أبي تمام وإبراز معانيه، وهو بذلك يقف إلى جانب الشروح التي تعاقبت على مواجهة شعر أبي تمام في خضم صراع حامى الوطيس بين أنصاره وخصومه كان على الدوام حاضراً وموجهاً لعملية الشرح. وهو في غياب شرح الطائي لشعر أبي تمام، وفي غياب مختصر شرح الطائي لمحمد بن زرق الله الأيوبي⁽²⁾، يعتبر مصدراً أساسياً في شرح شعر أبي تمام لدى علماء الغرب الإسلامي، يدل على مستوى العناية التي أولاها هؤلاء

¹ التبريزي: شرح ديوان أبي تمام ج: 1 - 2.

² د. محمد بن شرفة: أبو تمام وأبو الطيب في أدب المعاصرة: 51 - 52.

الأدباء لشعر أبي تمام، خاصة وأنهم يتفردون بالرواية التي تضم القصائد التي كتبها الشاعر بخط يده، وإن كانت نسخ هذه الرواية متوفرة في الأسكوريال والخزانة الحسنية بالرباط، فإن نسخ شرح الأعلام لهذا الشعر قد ضاعت، ولم يبق منها إلا تلك النسخة الوحيدة التي عثر عليها د. محمد ابن شرفية بجزارة القرويين، وهي قبل التحقيق وبعده تمثل اكتشافا نفيسا تقدم مقابلته على غيره من الشروح والروايات العديد من الاختلافات والأوجه في الرواية المفيدة في دراسة شعر أبي تمام.

وكان من قبل أمحننا إلى القيمة التاريخية لهذا الشرح، وهي قيمة كثيرة المستويات، منها ما يتصل بالنسخة التي وضع عليها الأعلام شرحه، ومنها ما يتصل باهتمام المعتضد الإشبيلي بشعر أبي تمام، وهي عناية قديمة عند ملوك الأندلس، كما رأينا في تكليف عبد الرحمان الناصر لجنة من الأدباء بعمل نسخة من ديوانه، ومنها ما يمكن دراسته داخل إطار حركة الأدبية للبحث عن إيقاع التطور في شرح الأعلام باعتبار عمله يسير مواكبا للسلسلة التي كان الصولي أول حلقة في نشأتها. وهو بذلك مصدر لا غنى عنه للدارس الباحث في شعر أبي تمام، لأنه يقدم دراسة أدبية تركز عنايتها وجهدها في إزالة العويص ورفع الغموض على قارئ هذا الشعر ومتذوقه، وهو في غرضه هذا لا يختلف عن أغراض الشراح الآخرين، ومن هنا تبرز قيمته الأدبية عنصر مفيد وعامل أساسي في خدمة النص الأدبي ومساعدة دارسه على استنباط خصائصه وبكواته، والاهتداء إلى عناصر داخلية أخرى لم ينلها الدرس من قبل. ومن هذا المنطلق تبدو لنا قيمة العثور على هذا الشرح، وقيمة الاعتماد عليه في دراسة شعر أبي تمام الطائي الذي يعتبر موضوعا قابلا للدراسة باستمرار، ولا أدل على ذلك من غزارة البحوث والدراسات التي ألفت بخصوصه قديما وحديثا. وفي هذا السياق لا ننكر مدى رغبة د. عبده عزام في الاطلاع على شرح الأعلام الشنتمري لديوان أبي تمام الطائي عند تحقيقه لشرح الحطيب التبريزي، فقد خصص مبحثا خاصا عند حديثه على مصادر تحقيقه للديوان للنسخة الأندلسية التي وضع عليها الأعلام شرحه منها بها وبصحتها، ومما قاله في هذا الصدد: "وأهم أصل يصح أن نخصه بالذكر هنا، هو نسخة الأسكوريال، التي أشرنا إليها في الهوامش بالحرف (س) فأما نسخة (س) فتعتبر مصدرا ممتازا لديوان أبي تمام، لأنها نسخة قديمة، وهي منقولة عن القراطيس التي كتبها أبو تمام بخطه، كما ذكر ذلك أبو علي القالي، وكانت معه في رحلته إلى بلاد الأندلس [...] فهذه إذن نسخة حسنية نسبته من

ديوان أبي تمام، فإذا صح ما قاله أبو علي القالي، وهو ثقة تكون هذه النسخة إذن أول مصدر وآخره لشعر أبي تمام، لأنها منقولة عن القراطيس التي كتبها هذا الشاعر بخط يده، والأبدي التي تداولتها جميعا لأصحابها مكانتهم العلمية..."⁽¹⁾، وهذه الرغبة التي نشير إليها تنبع من داخل الشرح، فالخطيب التبريزي في مقدمة كتابه يذكر أن شيوخ المغرب من بين مصادر التي رجع إليها، ومن هنا كانت رغبة المحقق في العثور على أعمال هؤلاء الشيوخ، وإن اطلعاه على قيمة النسخة الأندلسية دفعه إلى التنويه الفائق بها، وإن هذا التنويه العلمي بناء على هذا كان سيكون مضاعفا وأبلغ وقعا لو أن المحقق أمكنه الرجوع إلى شرح الأعلام والإفادة منه في عملية التحقيق.

البحث عن الإجابة بالمعاني التي تتضمنها هذه الأبيات.

وقد سار الأعلام الشنتمري على هذه الطريقة في شرحه كله، ويستطيع الدارس لشرحه أن يستنتج توقفه في هذا العمل، إذ تفيد مقارنة إدراكه للمعاني الشعرية عند أبي تمام مع إدراك الشراح الآخرين أنه كان منسجما في فهمه معها دوما، وأن الاختلافات بينهم اختلافات لفظية، كأن يتوسع شارح في الاستشهاد، أو يستطرد في تخرج لغوي، أو أن يدخل مصطلحات بلاغية مع اعترافه بانتهاها لميدان غير ميدان الشرح الأدبي، أو أن يحدد الأوزان الشعرية للقصائد.

وبهذا كانت عملية الشرح لشعر أبي تمام منسجمة الحلقات، متواصلة الأطوار، وقد أتاح هذا لأهل صناعة الأدب أن يستخلصوا الخصائص الأدبية الشاملة لشعر أبي تمام، وأن يناقشوا بجدل مكانة أبي تمام الشعرية، وأن يؤلفوا في ذلك المؤلفات والكتب التي تزخر بها المكتبة العربية الإسلامية.

منهج التحقيق:

إن النسخة التي اعتمدت في التحقيق نسخة عشر عليها الأستاذ محمد ابن شرفية ضمن المخطوطات المحفوظة بجزارة القرويين تحت رقم 1839، واعتنى بتصحيح نسبتها إلى مؤلفها ونسخها وإتمام ما نقص منها، ولما اتصلت به وعلم رغبتني في تحقيق بعض النصوص دفع لي هذه المخطوطة ومقابلها المنسوخ، وأمرني بمقابلتها على شرحي أبي بكر

¹ - أنظر مقدمة تحقيق شرح التبريزي لديوان أبي تمام لمحمد عبده عزام ص: 38 - 40.

الصولي والحطيب التبريزي وغيرها من شروح ديوان أبي تمام. فقامت بقراءتها ومقابلتها بالنسخة المكتوبة، والنسخة في وضعها الحالي تقع في سفر كبير مرتب، وذكر الناسخ في نهاية نسخته أنه فرغ من النسخ يوم الخميس والعشرين من شهر صفر عام ثلاثة وتسعين وتسع مائة، وأثبت هذا الناسخ اسمه بقوله "رحم الله كاتبه عبيد ربه" غير أنني لم أتمكن من قراءة بقية اسمه، فهناك فراغ مقداره كلمتين بين قوله السابق وقوله "رحمه الله" ووالديه وجميع المسلمين، والحمد لله رب العالمين" وقد كتبت هذه النسخة بخط واضح، إذ اعتنى الناسخ بإيضاح الأبيات، وكتابتها بشكل بارز يسهل تمييزها عن الخط الذي كتب به شرح الأبيات، ولا يعترض القارئ في هذه النسخة إلا بعض الفقرات غير الواضحة نظرا لتلاشي كلماتها، أو لازدحامها وتداخل حروفها تداخلًا بينًا: أو لنشابه هذه الحروف حيث يصعب أحيانًا تبيين الفرق بين العين والفاء أو بين الدال والراء وغيرها من الحروف التي تشابه في الرسم.

ولما قرأت هذه النسخة وقابلتها على مقابلها المنسوخ أعدت نقلها وضبطت متنها ورفقت القصائد وأبياتها وأثبت عروضها، ولاحظت في أثناء هذا وجود بعض الفراغات يصعب ملؤها اعتمادًا على النسخة وحدها، فهي إما كلمات يعسر قراءتها أو ثغرات داخل فقرة من فقرات الشرح، فكتبت أملؤها بما يجعل الكلام مطردًا والسباق متصلًا، وذلك اعتمادًا على النسخ المطبوعة التي قابلتها عليها الشرح.

ثم قابلت بعد ذلك هذا الشرح على شرح أبي بكر الصولي وشرح الحطيب التبريزي لديوان أبي تمام، وهما كتابان مطبوعان منشوران، وقد اعتنى بتحقيق شرح أبي بكر الصولي الأستاذ محمد خلف رشيد نعمان.

وقد رمرت لهذه النسخة بحرف (ص)، وحقق شرح التبريزي الأستاذ محمد عبده عزام، وقد جاء كتابه في أربعة أجزاء، وهي نسخة شاملة لشعر أبي تمام كله ورمزت لها بحرف ت.

وقد قابلت شرح الأعلام الشنتري على هاتين النسختين، وقد ساعدتني هذه المرحلة في تقويم النص، وتنظيم ما نقص فيه من جهة، وفي بيان أوجه الاختلاف بين الروايات لشعر أبي تمام من جهة أخرى، وهكذا رمرت للصولي بحرف (ص)، وللنبريزي بحرف (ت)، وجعلت لما أضاف الشراح والمحققون رموزًا أيضًا، فرمزت لإضافة الصولي

بحرفي (ص.ش)، وقصدت بذلك رواية ذكرها الصولي في شرحه، ورمزت لإضافة محقق شرح الصولي بحرفي (ح.ص) وقصدت بذلك ما أثبتته محقق شرح الصولي من روايات عن نسخ أخرى، ورمزت لإضافة محقق شرح التبريزي بحرفي (ح.ت) وقصدت بذلك ما أثبتته محقق شرح التبريزي من الروايات. وساعدتني هذه المرحلة في تقويم النص وملء ما يعتوره من فراغات ناتجة عن خروم في النسخة الأصل، وفقرات غير واضحة فيها، وذلك بوضع ما نقلته عنهما بين معوقتين.

وصاحبت هذه المرحلة مرحلة تخريج ما في النص من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية وأقوال مأثورة، وأشعار ضمنها الشارح في شرحه لتوضيح شرح المعاني التي تضمنها شعر أبي تمام، كما خرجت ما تضمن الشرح من أعلام وقبائل وبلدان وأيام مشهورة. وهكذا رجعت في تخريج الآيات القرآنية إلى القرآن الكريم، وبحث عن الأحاديث النبوية في المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، وموسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، فما وجدته فيهما رجعت إلى مصدره، وما لم أجده هناك، عثرت عليه في لسان العرب لابن منظور، وعدت في تخريج الأقوال المأثورة عن بعض الأعلام إلى مصادرها التاريخية، واعتمدت في تخريج الأمثال على معجم الأمثال العربية لرياض عبد الحميد مراد، وبحث عن أبيات الشعر وأشعارها في دواوين الشعراء، إن كان للشاعر ديوان شعري، أو في المصادر اللغوية والأدبية لأعين قائلها ومصدرها.

أما الأعلام من أمراء، وأدباء فقد رجعت في تخرجها إلى كتب التراجم الشاملة كوفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، والأعلام خير الدين الزركلي، بينما اعتمدت في التعرف بالبلدان على معجم ما استعجم للبكري، والروض المعطار في غير الأقطار للحميري، وللتعريف بأسماء القبائل اعتمدت على كتاب "معجم قبائل العرب القديمة والحديثة" لعمر رضا كحالة.

وهكذا يلاحظ الدارس أن عملنا كان يتوخى تقديم عمل متكامل يشمل إيضاح الفروق بين الروايات، وتقويم النص ليكون تامًا كاملاً سليم الفقرات مترابط الأجزاء، وتكون الهوامش متضمنة لما يزيد المتن وضوحًا.

فهرس موضوعات المقدمة

♦ أبو تمام الطائي ومذهبه الشعري:

- عصره وحياته. 1 - 8

- مذهبه الشعري. 8 - 14

- وفاته وآثاره. 14 - 17

- ديوانه والشرح عليه. 17 - 25

♦ الأعلام الخنتمري في ظل دولة بني محماد بإهليلية:

- الأحوال العامة في دولة بني عباد: 25 - 38

- الأعلام الشنتمري: حياته وآثاره: 39 - 49

♦ منبج الأعلام وطريقته في الفرع والتأليف:

- كتاب تحصيل عين الذهب 50 - 51

- رسالته في المسهب 51

- جوابه عن المسألة الزنبورية 53

- شرح الأشعار الستة: 53 - 55

- شرح شعر المتنبي: 55 - 57

- شرح شعر أبي تمام الطائي:

- سبب التأليف 57 - 59

- تصنيف القصائد الواردة في الشرح: 59 - 60

- الأغراض الشعرية في ديوان أبي تمام وخصائص شعره: 60 - 76

- بناء القصيدة في شعر أبي تمام: 76 - 83

- شرح الأعلام لديوان أبي تمام خصائصه وقيمته ومصادره: 84 - 122

- منهج التحقيق: 122 - 124

- صورة الورقة الأولى من المخطوط: 125

- صورة الورقة الأخيرة من المخطوط: 126

فهرس موضوعات المقدمة: 127.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله علي سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الحمد لله الذي علمنا الحكمة والبيان، وجعل من إحسانه تعريفنا أن من الإحسان المشكور عن نعمه بحق تطلوه بها، وعن شكره بحق توفيقه للشكر عليها، وصلى الله على محمد نبيه المرتضى ورسوله المصطفى، وعلى أهل بيته الطيبين وعترته الطاهرين، ثم أفضل الكلام ما أعضده الصدق، وشهد له الحق، وحقا أقول إن الله تبارك وتعالى أنعم على أهل عصرنا وأبناء دهرنا بالملك الكريم ذي المآثر الشريفة، والمساعي الرفيعة الشيفة المعتضد بالله أبي عمر وعباد بن محمد بن عباد أطل الله عمره، كما رفع قدره، وزاده مما أناله، كما كثر فينا نواله، وقد شغلت نعمه الثاني عنه والداني منه، وعمت مواهبه العالم والجاهل، والمشهور والخامل، فواجب على كل ذي لسان شكرها بمقدار ما في قوته وحيلته، والدعاء إلى الله عز وجل في إدامتها بدوام سلطانه وتخليد ملكه وترفيه شأنه، والاجتهاد فيما يتقرب به إليه، ويتزلف به عنده، ولما كان العلم من أقوى أسباب الوصول وأؤكد وسائل القرية لعلمه بسراره المطوية، وظهوره على وجوهه الحفية أهديت إليه قطرة من فضلها أنها من غمره ودرة رونقها وحسنها أنها من بحر، وقصدي بغائدها واعتقادي في ثمنها كوكب الغرب الذي أثار سناه الشرق، ويدر التم الذي عم نوره الخلق الحاجب الظاهر أبو القاسم المعتضد بالله المنصور بفضل الله زاد الله حظه ماء وقدره علاء لينظر فيها مع سائر ما ينظر فيه من كتب الأدب الذي قصرت الهمم النفيسة على الاعتناء به، والتحلي بحسنه وبهائه، والذي خصصته به أعزه الله تعالى شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي بعد أن، تكلفت له قرب شرح معانيه، وتبيين أغراضه وتقريب مراميه، وفتح مغالقه ما أرجو أن العالم المنصف سيقرب فضله على ما تقدمه من الشروح المؤلفة فيه إن شاء الله، واعتمدت من الروايات فيه على رواية أبي علي إسماعيل بن القاسم، البغدادي لصحتها وشهرة قصادها مع ما ضمه إليها الشيخ أبو القاسم ابن الإفيلي من شعر القراطيس التي اجتلبها أبو علي وذكر أنها بخط أبي تمام وما اختاره أبو القاسم أيضا وجمعه من رواية الصولي، والذي رواه أبو علي من هذا الشعر هو ما قيده في سفر الكاغد الذي قرأ فيه علي أبي محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه، وأقرأه إياه رواية عن علي بن محمد عن أبي تمام، واستقر السفر المذكور عند الحاجب جعفر بن عثمان، وصار من قبله إلى صاحب الشرطة الكاتب أبي حفص بن فضل وأخبرنا أبو القاسم ابن الإفيلي أنه استعاره من ابنه، وأضاف إليه ما ذكرناه من قصائد القراطيس،

وما اختاره من رواية الصولي وما ألفاه في الكتب التي استقرت بخط أبي علي البغدادي، وروايته في خزانة المنصور أبي عامر، وزعم أن هذه الكتب المذكورة أخرجها إليه أبو القاسم الحسين بن الوليد المعروف بابن العريف، وتقدم إلى من نظر في شرحنا هذا بالاعتذار والتنصل مما يؤدي إليه نقصان البشرية وضعف الإنسانية من السهو والزلل والزيع في القول والمحصل لاسيما معاني الشعر أصعب ما حوول، وأبعد ما إليه سويق وفيه تنوصل ونعوذ بالله من العجب بما تحسنه من العلم والادعاء لما لا غوزه من صحيح الفهم، ونسأل الله تعالى عملا يرتضيه ويرضينا به، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

القصيد [1] *

قال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي يمدح محمد بن يوسف الطائي (1) :

- 1- عسى وطن يدنو بهم ولعلما وأن تعقب الأيام فيهم فرما⁽²⁾
يقول عسى أن يدني الوطن الأحبة بعد نأيهم، ثم أكد الرجاء بقوله "ولعلما"
وقوله "وأن تعقب الأيام فيهم" أي إن أعقبتهن بالذي أتى من قريبهم فرما دنا بهم،
يشير إلى أن الأيام فرقت بينه وبين من يهواه، فإن أحسنت عاقبته فيهم جمعت بينه
وبينهم.
2- لهم منزل قد كان بالبيض كالدمى فصيح المغاني ثم أصبح أعجبا⁽³⁾
الدمى جمع دمية، وهي صورة رخام كانت تصور أحسن صورة، ويتخذها الرجل
عند فقدته من حب يتأسى بها، وقيمها مقام من فقد فتشبه العرب النساء بها كثيرا
لحسنها واعتدال خلقها مع الزناة والوقار، وأراد بالبيض النساء، وقوله "فصيح" أي بين
حسن المغنى لما كان بها من النساء الحسان، والمغاني جمع مغنى، وهو موضع إقامة الحى
من موضع نزولهم، والأعجم الذي لا يفصح ضربه مثلا، وقد يكون المغنى أن هذه المغاني
زمن إقامة الحى فيها ناطقة فصيحة لما يسمع فيها من مخاطبة عامرها، وترجع الكلام
بينهم، وهي الآن على خلاف ذلك.
3- ورد عيون السناطين مهانة وقد كان مما يرجع الطرف مكروما⁽⁴⁾
يقول من نظر إلى هذا المنزل الآن، وقد غفا وتغيرت عينه عنه، ورجعت
خاشعة ذليلة بعد أن كانت ترى ما تلذ به، وتفر بالنظر إليه زمن إقامة الحى فيه فترجع
مكرمة معززة، وهذا كله مثل، وقوله "مما يرجع" أي ربما يرجع، وقد يكون التقرير من

النوع الذي يرجع الطرف مكروما، ويقال رجع الشيء ورجعته وفي التنزيل : "فإن رجعك
الله إلى طائفة منهم"⁽¹⁾.

- 4- تبدل غاشيه برهم مسلم تدرى رداء الحسن طيفا ملما⁽²⁾
يقول من غشي هذا المنزل وألم به، وقد أقبر من أهله عدم السلام من جارته
كالرهم، وعوض من ذلك سلاما من طيف يلم به في منامه فيسلم عليه والريم الطيب
الأيض، والمرأة تشبه به لحن العينين وطول الجيد وانطوائه، وإنما يخص الريم لأنه جمع
مع هذه المحاسن بياض اللون فافهم.
5- ومن وشي خد لم ينعم فرنده معالم يذكركن الكتاب المنمنما⁽³⁾
المنمنم تدقيق الشيء مع تحسينه، ومنه الوشى المنمنم، والكتاب المنمنم دقيق
الحروف المحسن بالضيظ والنقطة، وفرند الحد والسيف مأوهما، وروقهما، والمعالم الآثار
الباقية في الديار من آثار الحى، وهي الرسوم من الأطلال. يقول تبدل أيضا غاشي هذا
المنزل من النظر إلى خد موسى النظر إلى هذه المعالم، وجعل للحد وشيا لما فيه من
البياض، وماء الشباب روقه إلا أنه غير منمنم أي ليس يوشى في الحقيقة، يريد تبدل
بهذا كله النظر إلى رسوم خفية لدروسها تذكره النظر إلى كتاب دقيق منمنم، أي هذه
الرسوم كهذا الكتاب.
6- وبالحلى إن قامت ترنم فوقها حماما إذا لاقى حماما ترنا⁽⁴⁾
يقول تبدل أيضا غاشي هذا المنزل لسماع وسواس الحلى على المرأة إذا حاولت
القيام لسماع صوت الحمام، وجعل صوت الحلى ترنا لذكره ترنم الحمام، والترنم تمديد
الصوت وترديده، والمعنى أن الحمام ألقت هذا المنزل لخلوه من الأنيس فإذا لاقى بعضها
بعضا هدر إليه، وترنم في هديره.
7- وبالحذلة الساق المخدمة الشوى قلائص يتلون العبنى المخدمما⁽⁵⁾
يقول من غشي هذا المنزل وألم به، وقد أقبر من أهله عدم السلام من جارته
كالرهم، وعوض من ذلك سلاما من طيف يلم به في منامه فيسلم عليه والريم الطيب
الأيض، والمرأة تشبه به لحن العينين وطول الجيد وانطوائه، وإنما يخص الريم لأنه جمع
مع هذه المحاسن بياض اللون فافهم.
5- ومن وشي خد لم ينعم فرنده معالم يذكركن الكتاب المنمنما⁽³⁾
المنمنم تدقيق الشيء مع تحسينه، ومنه الوشى المنمنم، والكتاب المنمنم دقيق
الحروف المحسن بالضيظ والنقطة، وفرند الحد والسيف مأوهما، وروقهما، والمعالم الآثار
الباقية في الديار من آثار الحى، وهي الرسوم من الأطلال. يقول تبدل أيضا غاشي هذا
المنزل من النظر إلى خد موسى النظر إلى هذه المعالم، وجعل للحد وشيا لما فيه من
البياض، وماء الشباب روقه إلا أنه غير منمنم أي ليس يوشى في الحقيقة، يريد تبدل
بهذا كله النظر إلى رسوم خفية لدروسها تذكره النظر إلى كتاب دقيق منمنم، أي هذه
الرسوم كهذا الكتاب.
6- وبالحلى إن قامت ترنم فوقها حماما إذا لاقى حماما ترنا⁽⁴⁾
يقول تبدل أيضا غاشي هذا المنزل لسماع وسواس الحلى على المرأة إذا حاولت
القيام لسماع صوت الحمام، وجعل صوت الحلى ترنا لذكره ترنم الحمام، والترنم تمديد
الصوت وترديده، والمعنى أن الحمام ألقت هذا المنزل لخلوه من الأنيس فإذا لاقى بعضها
بعضا هدر إليه، وترنم في هديره.
7- وبالحذلة الساق المخدمة الشوى قلائص يتلون العبنى المخدمما⁽⁵⁾

1- التوبة : 84.

2- ح : "ضعا".

3- من: "قلائص قد تلو عينا عندما" ح - من : "قلائص قد تلو عينا عندما" وقلائص يتلون عينا عندما" ح - من

وت : "قلائص العبنى المخدمما".

* هذه القصيدة من البحر الطويل.

1- أبو سعيد الغري طائي من أهل مرو، كان من فواد حميد الطوسي (أخبار أبي تمام : 277).

2- ص و ت : "وأن تعقب" و ح : "معت".

3- ص و ت : "كالمها".

4- من : "مهانة" يفتح الميم.

الحذلة الملتزمة الساق، والمخدمة ذات الحذاء وهي الخلاخل، والشوى الأطراف، وأراد بها هنا الساقين خالصة لأن الخلخال إنما هو للساق، وقد يمكن أنه أراد الساقين والذراعين على أن يتسع في تسمية السوار خدمة لشبهه [بها]⁽¹⁾، والقلائص النوق الفتية، والعيني الضخم من الإبل، والمخدم النعل، والخدم سيور تجعل فوق خف البعير تشد إليها نعله. يقول تبدل غاشي هذا المنزل أيضا بالنظر إلى امرأة هذه صفتها ملازمة هذه القلائص المستعملة في السفر، وجعلها تالية للعيني لأنه أسن منها، وأكثر تجربة وأهدى إلى السبيل فهو يتقدمها فتتلهو.

8- سوار إذا قاتل ممتنع القلا جعلن الشعارين الجديدل وشدقما⁽²⁾

السواري اللاتي يسرن ليلا يعني الإبل، والقلا جمع فلاة، والشعار أن ينتمي الرجل في الحرب إلى أشهر قومه وأشرفهم. فيقول بالقلائص باليني استطالة وفخرا، والجديلا وشدقم فحلان متجبان من الإبل. يقول إذا سرت هذه الإبل في الفلاة الصعبة المستنعة أظهرت من الجد في السير وقطع هذه الفلاة ما هو بمنزلة القتال حتى إنها لو كانت ممن يعقل فينتهي إلى غيره لانتمت إلى الجديلا وشدقم لما بدا من جلدها، وتبين من عقها وكرمها، والمعنى أن هذه الإبل من نسل الجديلا وشدقم.

9- إلى حائط الثغر الذي يورد القنا من الثغرة البريا القليب المهدما

أي هذه الإبل سوار إلى حائط الثغر، وهو محمد بن يوسف، وكان يتولى أمر الثغر. والقنا الرماح، والثغرة الهزعة بين الرقوتين، وأراد بالقليب الصدر، جعله متهدما لهتك القناة له وفرقها إياه، وأصل القليب البئر، فلما ذكر أن الرماح ترد الصدر كما يورد الماء سماء قليبا لذلك، وجعل الثغرة ربا لقور الدم منها عند مباشرة الطعن لها.

10- بسايغ معروف الأمير محمد حدا هجمات المال من كان مصرما⁽³⁾

الهجمة القطعة من الإبل، والصرمة ما بين العشرة والعشرين، والمصرم صاحب الصرمة. يقول من كان ذا صرمة صار بسايغ معروف هذا الممدوح ذا هجمات من الإبل، والمال الإبل، وقد يكون هذا مثلا، والمعنى أن الفقير صار بمعرّوه غنيا.

11- وحط الندى في الصامتين رحله وكان زمانا في عدي بن أخرم⁽⁴⁾

بنو صامت رهط محمد بن يوسف من طيين⁽²⁾، وعدي بن أخرم⁽³⁾ رهط حاتم بن عبد الله الطائي الجواد⁽⁴⁾. يقول انتقل الندى المنسوب إلى عدي بن أخرم يكون حاتم الجواد منهم، إلى بني صامت رهط هذا الممدوح، بما بسط من المعروف في الناس، وأظهر، من سوايغ النعم فيهم، وضرب حظ الرجل مثلا للزوم الندى هؤلاء القوم.

12- يرى العلقم المأدوم بالعز أربة يمانية، والأري بالضميم علقما

المأدوم المخلوط، والأري العسل، والأربة قطعة منه، والضميم الذل. يقول لكرم نفسه يرى ما يتحمل من الأمور الصعبة إذا كان في طيها ما يعز به ويشرفه حلوا كالعسل، وإن كان مرا كالعلقم، ويرى ما يكون فيه ضعة له وإن كان ظاهره معجبا حسنا كالعلقم في مرارته وكرهاته له، وخص اليماني من العسل لأنه أفضل العسل وأطيبه وهو العسل المادي الأبيض.

13- إذا فرشوه النصف نامت شداته وإن رتعوا في ظلمه كان أظلم⁽⁵⁾

التُصِفُ والتُصِفُ والإنصاف واحد، والشدة الحدة، ومعنى رتعوا دخلوا في ظلمه، وهو من رتعت الدابة إذا أهملت في المرعى، يقول إذا بسطوا لهذا الممدوح الإنصاف سكن عنهم ولم تكن منه بادرة إليهم، وإن تعرضوا لظلمه، وكفوا عن إنصافه كان أظلم منهم أي كان أقدر على عقابهم والانصاف منهم، ولم يرد أن ينسب إليهم الظلم، وإنما

1- ح.ص: "وكان قدما".

2- بنو صامت بطن من طيين بن أدد. من بني زيد كهلال، من القحطانية. (معجم قبائل العرب ج 1 : 12).

3- عدي بن أخرم بطن من طيين، وهم بنو عدي بن أخرم بن أبي أخرم بن ربيعة بن جروان بن لعل بن عمر بن الوثن بن طيين. (معجم قبائل العرب ج 2 : 764).

4- حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحضر الطائي القحطاني، أبو عدي فارس شاعر جواد، جاملي. (الأعلام ج : 151).

5- ح.ص: "نامت".

1- زيادة يقتضيه السياق.

2- "قائل".

3- ح.ص: "بنايع".

سمى انتصاره منهم ظلماً لأنه جازأ الظلم فسماء باسمه، ومثل هذا في القرآن والشعر كثير.

14- لقد أصبح الثغران سدين بعدما رأوا سرعان الذل فذا وتوأما⁽¹⁾

الثغر ما ولي بلاد العدو من بلاد المسلمين فخيخ الناس منه، والسد خلاف الثغر، والسداد ما يسد به الثغر، وسرعان كل شيء أوله وما يسرع منه ويتقدم، والذل المفرد، والتوأما المزدوج، يقول لما ولي هذا المدحج أمر الثغر حصنه وجعله سدا منيعا بعدما كان أهله قد رأوا إذلال العدو لهم مسرعا فذا وتوأما أي قليله وكثيره مسرع إليهم واقع بهم، وأراد بالثغرين ثغر المشرق الأدنى وثغر المشرق الأقصى.

15- وكنت لنأشيهن أبأ ولكهلهن أخا ولذي التقويس والكيرة ابنما⁽²⁾

النأش الحديث السن الشاب، يقول هو بر رقيق بأهل الثغرين فهو أب للشاب منهم وأخ للكهل، وابن للشيخ الكبير ذي التقويس من الكير. ويقال ابن وابنم بمعنى واحد.

16- ومن كان بالبيض الكواعب مغرما فمازلت بالبيض القواضب مغرما

الكواعب من النساء اللاتي كعبت نهودهن أي نهدت وننأت مثل الكعوب، والمغرم الكلف بمن يحب المشغوف به، وأصله من الغرام وهو أشد العذاب. يقول إذا عشق غيرك البيض الكواعب من النساء وأغرم بهن فأنت مغرم بالبيض من السيوف القواضب وهي القاضية القاطعة، وصفه بشرف الهمة والإعراض عما فيه ضعة.

17- ومن تيمت سمر الحسان وأدمها فمازلت بالسمر العوالي متيما

الأدمة بياض يجالطه سمرة، ومعنى تيمت ذللت وعبدت، والعوالي صدور الرماح، وهذا البيت كالذي قبله، يقول من عشق سمر الحسان من النساء وأدمهن فتيمته واستعبدته فحشك إنما هو للرماح السمر تستعملها في الحرب، وأراد بالعوالي جملة الرماح، ولم يخص الصدور، ولكنه اجتزا بذكرها لكن الرمح إذا كانت عاليته سمراء

¹ - ج ص وت : "في الدين".

² - ج ص : "بالكيرة".

فسأره أسمر، وإنما توصف الرماح بالسمرة لأنها تترك في غابيتها حتى تنضج وتسمر فيكون ذلك أصلب لها وأقنع.

18- جدعت لهم أنف الضلال بوقعة تحرمت في غمائها من تحرما

الجدع قطع الأنف، ومعنى تحرمت قطعت واستأصلت، والغماء الشدة، وقوله "من تحرما" أي من انتمى إلى دين الحرمة وهم المجوس. يقول كان الضلال قد عن بظهوره على الهدى فلما وليت حرب الثغر أوقعت بأهل الضلال من الحرمة وقعة ذلوا بها فذل الضلال فكانه مجذوع الأنف، واستأصلت في غمرة تلك الوقعة وغمائها من كان على دين الحرمة.

19- لنن كان أمسى في عقرقس أجدها لمن قيل ما أمسى بميمذ أخرما⁽¹⁾

الأخرم مثل الأجدع أنه أقل منه شيئا، وعقرقس وميمذ موضعان أوقع فيهما بالمشركين، فيقول إن كان أنف الضلال قد جدع بعقرقس فقد أمسى قبل ذلك غروما بميمذ.

20- ثلمتهم بالمشرقين وقلمها تثلم عز القوم إلا تهدما⁽²⁾

الثلم التأثير في الشيء وإذهاب بعضه، وأراد بالمشرقين أدنى المشرق وأقصاه، ولهذا قال أصبح الثغران سدين أراد الثغر الأقصى والثغر الأدنى وهما بالمشرق من بلاد المسلمين، يقول أوقعت بالمشرقين فكسرتهم وثلمت عزهم إذ ليس بعد التلم إلا الهدم وتستهدم إن شاء الله عزهم.

21- قطعت بنان الكفر منهم بميمذ وأتبعتها بالروم كفما ومعصما

المعصم موضع السوار من الذراع. يقول أوقعت بأهل الكفر في ميمذ وقعة كانت تقطع الأصابع، ثم أتبعها بالروم وقعة أخرى أشد من الأولى كانت كذاب الكف والمعصم، ويروي بالروم وهو موضع.

¹ - عقرقس اسم موضع، ذكره ياقوت بالواو ثم قال ويروي "عقرقس" بدل الواو (راجع البلدان - ج 4 : 138).

وميمذ بفتح أوله وهم أخرى بعد ثانيه، تكسر وتفتح، بعدما ذاك معجمة موضع في بلاد الروم. (معجم ما استعجم ج 4 : 1285).

² - ج ص وت : "بالمشركي".

22- وكم جبل بالبذ منهم هددته وغاوى غوى حلمته لو تحلما (1)

الذي حصن من حصون أهل الشرك، ومعنى هددته حركته وزلزلته، والغاوى الضلال، وقوله حلمته أي علمته الحلم، ودعوته إلى قبوله، وقوله لو تحلما أي لو نجح ذلك فيه. والمعنى أن هذا الحلم تخليعه القتل فلا سبيل له إلى أن يكون حليما لأنه مقتول.

23- ومقتبل حلت سيوفك رأسه ثغاما ولولا وقعها كان عظلمها (2)

المقتبل الشاب، والثغام نبت له نور أبيض يشبه به الشيب، ويقال هو شجر إذا يبس أبيض، والعظلم صبيغ أسود أو نبت يخضب به الشيب وهو الوسمة. يقول كم فتى مقتبل الشباب شبيهه خوف سيوفك ولولا مخافة وقعه برأسه لكان شعر رأسه في السواد كالوسمة.

24- فلما أبت أحكامه الشيبة اغتدى قناك لما قد ضيع الشيب محكما (3)

يقول لما شبيه خوفك فلم تحكمه الشيبة أي لم تسدده، ولم تجعله حكيمًا وضيعت ذلك منه أحكامه قناك وسددته وحفظت منه ما ضيع الشيب، والمعنى أنه قتله فصار محكما له.

25- إذا كنت للأولى الأصم مقوما فأورد ويريدسه الأصم المقوموا

الأولى الشديدة الخصومة، وأراد به ههنا الذي لا يقبل الوعظ ولا يزد جرمًا فيه، والأصم الذي لا يصغي إلى واعظ ولا يقبل وعظه، وهو من الرماح الصلب، والوريدان حبلا العنق، والمقوم الرمح الذي أدخل في الثقاف قوم. يقول من رام تقويم الأصم عن قبول الهدى فلا شيء أبغ فيه من أن يورد الرمح الأصم ويرداه أي لا شيء أفغ فيه من القتل.

1- من: "فحلما".

2- ج. ص: "ومقتبل حلت" و"علت" بالحاء.

3- ج. ص: "فلما أبت أحكامه الشيبة اغتدى" و"ج. ت: لما قد ضيع الشيب".

26- ولما التقى البشران أتقع بشرنا لبشرهم حوضا من الصبر مفعما (1)

البشران أحدهما من المسلمين، والآخر من المشركين، ومعنى أتقع أثبت وهو من إتقاع الماء في الحوض، والمفعم المملوء، يقول لما التقى المسلمون والمشركون أعد قائد المسلمين لقائد المشركين حوضا مفعما من الصبر، وهذا مثل أي بقاء بأشد الصبر.

27- وساعده تحت البيات فوارس تحالهم في فحمة الليل أنجما (2)

البيات أن تهتبل غرة الجيش في الليل فيهجم عليه، وفحمة الليل شدة ظلامه. يقول لما بيت المسلمون المشركين ساعد بشرًا من أصحابه فوارس ينفذون في ظلام الليل، ويهتدون فيه فكانهم أنجم يخرق نورها الظلام وتسري في سواد الليل.

28- وقد نثرتهم روعة ثم أحدقوا به مثلما ألفت عقدا مستظما قوله "نثرتهم" أي فرقتهن، وكانوا لما يتوا العدو أصابتهن روعة منه ففترقوا، وهما بالانهزام، فنبت بشر، وتراجع أصحابه، وأحدقوا به فصار لهم نظاما يجمعهم كما يجمع النظام العقد، ومعنى قوله "ألفت عقدا منظما" أي عقدا كان منشورا فنظم، وكان ينبغي أن يقول عقدا منشورا، ولكنه وصفه بما يؤول إليه بعد التأليف بقوله تعالى: "إني أراي أعصر خمرًا" (3) أي عنبا يصير بعد العصر خمرًا.

29- بسافر حر الوجه لو رام سوء لكان بجلباب الدجى متلثما السافر المكشف المضيء، والسوء الفضة اللبكية، وأراد بها الانهزام، والجلباب ما يلبس فيه الإنسان من ثوب، وأراد به هنا ما يستر من ظلام الليل، والدجى الظلمة، والمتلثم المستتر، وأصله من لثام القم، يقول أحدقوا برجل سافر الوجه بين الفضل يعني بشرًا حين نبت، ولم ينهزم، ولو رام الانهزام لاستتر بظلام الليل عن أن ينظر إليه منهزما فيعبر، ولكنه صبر وكرم عن ذلك.

1- ج. ص: "ولما التقى البشران أتقع بشرنا لشركم".

2- ج. ت: "في طية الليل".

3- يوسف: 36.

30- مثلت له تحت الظلام بصورة على البعد أقنسته الحياء فصمما مثلت له أي عرضت له متمثلا يخاطب محمد بن يوسف، ومعنى أقنسته ألزمته، وقوله "صمم" أي نهض قدما ولم يكع. يقول لما حال المسلمون، وتفرقوا ثبت وتشبهت له بصورة حملته على الاستحياء من أن ينهزم فصمم ولم ينهزم، وقوله "على البعد" أي مثلت له على أنك بعيد منه.

31- كيوسف لما أن رأى برهان ربه وقد هم أن يعروري الذنب أحجما (1) يقول كان بشر في تركه الانهزام حين مثل له محمد بن يوسف فاستحيا منه بمنزلة يوسف صلى الله عليه وسلم حين هم بامرأة العزيز فرجع عن ركوب المعصية لما رأى برهان ربه، وقوله رأى مقلوب راء، ومعنى قوله "يعروري" أي يركب الذنب وما يأتية، يقال اعروريت من فلان أمرا قبيحا، وأصله من عروته أعروه إذا أتيته ونزلت به، ومعنى أحجم وأججم كع وتأخر.

32- وقد قال إما أن أغادر بعدها عظيما وإما أن أغادر أعظما يقول ثبت ولم ينهزم ووطن نفسه، وقال إما أن أجو من هذه العمرة فتفارفتي عظيم الشأن رفيع المكان، وإما أن أموت كريما فاترك أعظما مفصولة بالية.

33- ونعم الصريح المستجاش محمد إذا حن نوء للمنايا وأرزمنا (2) الصريح المستغاث، وهو أيضا المستغيث، والمستجاش المستنصر، وهو من الجيش، وكان بشر قد أرسل إلى محمد بن يوسف في مرد فوجه إليه جيشا قائده محمد بن معاذ الأزدي، وهو الذي ذكره في البيت، وقوله "إذا حن نوء للمنايا" أي إذا أقبلت المنايا في شدتها إقبال النوء لحين الرعد وإرزمنا وهو شدة صوته.

34- أشاح بفتيان الصباح فأكرموا صدور القنا الحطبي حتى تحطما (3)

1- ح. ص. و ت : "أمر".

2- ص: "المستغاث" و ح. ص: "حن".

3- ح. ص: "حتى تهدبا".

يقول أشاح محمد بن معاذ أي جد وأسرع نحو بشر معنا له، وقوله "بفتيان الصباح" أي بفتيان مغربين في الصباح مصباحين بلاد العدو، القنا جمع قناة الرمح، وصدوره ما ولي الأستة، والحطبي منسوب إلى الحط جزيرة بالبحرين (1) كانت توفد إليها سفائن فيها الرماح فنسب كل رمح إليها، وقيل هو موضع بعينه، ومعنى تحطم كسر لشدة الاعتماد عليه عند الظفر.

35- هو اقترح الفتح الذي صار معرقا وأجند في علو البلاد وأنهمما يقول محمد بن معاذ هذا هو الذي اقترح الفتح العظيم المشهور أي أسبق إليه، والمعرق الذي يأتي للعراق (2)، والمنجد الذي يأتي نجدا (3) ونجد ما ارتفع من بلاد العرب، والمنهم الذي يأتي نهامة (4) مستقبله، فيقول عم هذا الفتح جميع الأرض لعظمه وشهرته.

36- له وقعة كانت سدى فأنرتها بأخرى وخير النصر ما كان ملجما (5) السدى قائم الثوب، والنير ما يلحم به القاتم، يقول لحمد بن معاذ وقعة في المشركين كانت كسدى الثوب فلما أوقعت بهم وقعة أخرى كانت لحمة للأولي، وكان نصر المسلمين ملجما وذلك أكمل.

37- هما طرتا الدهر الذي كان عهدنا بأوله غفلا فقد صار معلما (6) يقول صارت هاتان الوقتان طرتين للدهر وعلمين فيه كعلمي الثوب لاشتهار الزمان بهما وذكره من أجلهما بعد أن كان الزمان غفلا لا علم فيه، والغفل ضد المعلم.

1- الخط يفتح أوله، وتشديد ثانيه، قرية على ساحل البحرين، وهي لعبد القيس، فيها الرماح الجياد، قال الحليل فإذا نبت الرماح إليها قلت الرماح الجياد، قال الحليل فإذا نبت الرماح إليها قلت رماح خيلة. (معجم ما استمع ج 2 : 503).

2- العراق سمي بهذا الاسم لأنه على شاطئ دجلة والفرات، فالعراق لغة شاطئ البحر، والعراق ما بين هيت إلى السند والصين، إلى الري وغربان إلى الديلم. (الروض المعطار : 410).

3- نجد ما بين الحجاز إلى الشام إلى الديلم وأرض اليمامة والبحرين إلى عمان إلى العروص. (الروض المعطار : 572).

4- نهامة مكة لكن الصحيح أن مكة من نهامة كما أن المدينة من نجد وسميت نهامة لتغير مائها. (الروض المعطار : 141).

5- ح. ص: "قائمه".

6- ح. ص: "طرة". و ح. ص. و ت : "طرفا".

38- لقد أذكرنا بأس عمرو ومسرر وما قيل في اسبنذبا ورستما⁽¹⁾

عمرو ومسرر من أشجع فرسان العرب وأشهرهم، واسبنذبا ورستم من مشاهير فرسان العجم ولهما أيام مذكورة بخراسان⁽²⁾ في الزمان الأول، لقد أذكرنا بشر ومحمد بن معاذ لشدة بأسهما بأس هذين الرجلين من العرب، وما يتحدث به عن اسبنذبا ورستم في سير العجم من شدة الجرأة والشجاعة.

39- رأى الروم صبحا أنها هي إذ رأوا غداة التقى الزحفان أنهما هما⁽³⁾

يقول لما وقع بشر ومحمد بالروم في الصباح رأوا تلك الوقعة بمنزلة وقعة اسبنذبا ورستم، وجعلوا هذه الوقعة تلك الوقعة وهذين الرجلين ذينك الرجلين، والزحفان الجيشان يزحف أحدهما إلى الآخر للقتال.

40- هزبرا غريف شد من زفرتيها ومثنيهما قرب المزعفر منيها⁽⁴⁾

الهزبر الأسد، والغريف أجمة الأسد، وأراد بالهزبرين بشرا ومحمد بن معاذ، والزفرة ما تكون عليه لبدته من أصل عنقه، والمتن الظهر، والمزعفر من الأسد الورد، وهو أحدهما، وعنى به محمد بن يوسف. يقول هذان الرجلان في الجرأة والإقدام على العدو كالهزبرين، وزاد في جرأتها وشدهما قرب محمد بن يوسف الذي هو كالأسد الورد منيها، ويقال المزعفر من الأسد الملتخ بالدم، وأضاف الهزبرين إلى الغريف لأن الأسد أشد ما يكون عند أجمته لأنه يحاميها ويذب عنها.

41- فاعطيت يوما لو تقيت مثله لأعجز ريعان المتى والستوهما

ريعان كل شيء أوله. يقول أعطيت يوما لا نظير له من الظفر بالعدو لاستئصال له بإقبال خيرك وتكن سعدك ولو تقيت مثل ذلك اليوم، أو توجهت وقوة لأعجز منك وتوهمك أي لم تكن تهتدي المتى، والنوهم إلى التعلق بمثل هذا اليوم.

1- ص: و: "وما كان من اسبنذبا" ح: ص: "اسبنذبا".

2- خراسان قطر معروف، ومعنى خر: كل وإسان معناه سهل، أي كل بلا تعب، وقيل معنى خراسان بالفارسية مطلع الشمس، وهو عمل كبير، يشتمل على كور عظام، وكانت تسمى في القدم بلد آشرية سميت بأشورين بن سام بن نوح وهو أول من أضرع الصقع بعد الطوفان. "الروض المختار": 214.

3- ح: ص: "التقى الجمعان".

4- ص: و: "هزبريها".

42- خلقتيها في ساعة لو تأخرت لقد زجر الإسلام طائر أشاما

يخاطب محمد بن يوسف، وكان قد أحس بأن المسلمين في ضعف عن مقاومة العدو فنهد إليهم ناصرا لهم فيقول خلقت بشرا ومحمد بن معاذ في ساعة من ساعات الحرب لو تأخرت تلك الساعة التي أنت بها لكان الظهور على المسلمين شؤما أشام، وقوله "طائر أشاما" أي طائر شوم أشام فأقام الصفة مقام الموصوف.

43- فلو صح قول الجعفرية في التي تنص من الإلهام خلنك لمهما⁽¹⁾

الجعفرية قوم يزعمون أن الإنسان قد يلهم فيعلم ما غاب عنه، فيقول لمحمد بن يوسف إتيانك في تلك الساعة الشديدة إلى المسلمين دون موعد كأنه ضرب من الإلهام فلو صح ما تدعيه الجعفرية من ذلك لفلنك لمهما، ومعنى تنص تستند من هذا الخير الذي تدعيه وترفعه.

44- فإن يك نصرانيا النهر آلس فقد وجدوا وادي عقرقس مسلما⁽²⁾

يقول إن كان هذا اليوم نهر آلس⁽³⁾ للروم، وكان ظهور النصراني فيه فقد كان يوم وادي عقرقس للمسلمين استأصلوا فيه المشركين، وجعل النهر نصرانيا، والوادي مسلما لظهور النصراني والمسلمين فيها.

45- ه سبتوا في السبت بالبيض والقنا سباتا ثوروا منه إلى الحشر نوما

السبات السكون والنوم، والبيض السيوف الضعيلة، والقنا الرماح، يقول أوقع بالروم في وادي عقرقس وأهلكوا فسبتوا فيه سباتا لم يكن بعده تحرك ولا انتباه إلى يوم الحشر، فكانهم نيام أبدا، وكانت هذه الوقعة يوم السبت.

46- فلو لم تقصر بالعروية لم يزل لنا عمر الأيام عيدا وموسما⁽⁴⁾

1- ص: و: "الذي".

2- ح: ص: "فإن كان".

3- آلس بكسر اللام نهر في بلاد الروم، وآلس هو نهر سلوية قريب من البحر، وبين يمين طرسوس مسيرة يوم، وعليه كان اللقاء بين المسلمين والروم. وذكر في الغزوات في أيام المنصور كثير. معجم البلدان ج 1: 55.

4- ص: و: "تقصر" ح: ص: "لم تزل".

العروبة اسم ليوم الجمعة، والموسم حيث يجتمع، يقول لولا أن تقتصر بيوم الجمعة الذي جعله الله عبدا لنا ومجتمعنا لإقامة ديننا لعلنا يوم السبت لما كان فيه من ظهور المسلمين ونصر الله لهم على المشركين عبدا لنا ومجتمعنا مدة الأيام.

47- وما ذكر الدهر العيوس بأنه له ابن كيوم السبت إلا تسميا يقول إذا عيس الدهر، ثم تذكر أن هذا اليوم الذي كان فيه ظهور المسلمين ابن من أبناؤه الواقعة فيه سر بذلك قسمه وظهر عيوسه.

48- ولم يبق في أرض السبقار طائر ولا سبع إلا وقد بات مولعا⁽¹⁾ المولى صاحب الوليمة وهي طعام العرس. يقول صنعت سباع هذه الأرض وطيرها ولأن من لحوم هذه القتلى.

49- ولا رفعوا في ذلك اليوم إنلبا ولا حجرا إلا رأوا نخسته دما الإنلب والأنلب التراب مع الحجارة، ويقال التراب مع الرصاص، يقول عمت دماؤهم الأرض فلا يرفع إنلب ولا حجر إلا رني تحته دم.

50- رموا بآبن حرب سل فيهم سيوفه فكانت لنا عربا وللشرك مائتا قوله بآبن حرب أي برجل ملازم للحرب منسوب إليها يعني محمد بن يوسف، يقول لما رمى المشركون بهذا الرجل أعمال سيوفه في قتلهم فكانت لنا كالعرس، وكانت لأهل الشرك كالماتم، والماتم هنا المناحة.

51- أقط بني حواء قلبا عليهم ولم يقس منه القلب إلا ليرحمنا يقول هو على المشركين أقط الناس قلبا وأشدهم قسوة ولم يقس قلبه عليهم إلا في ذات الله وإيتعاء مرضاته قسوته عليهم إنما هي ذريعة إلى أن يرحمه الله ويؤف به.

52- إذا أجرموا قنا القنمان دمانهم وإن لم يجرد جرما عليهم تجرما⁽²⁾

قوله "قنا القنا من دمانهم" أي خضبه بالدم يقال أحمر قاني أي شديد الحمرة وهو مهووز فخففه، يقول لفظاظته على أهل الشرك مخضب الرماح من دمانهم معاقبة لهم على إجرامهم فإن لم يجد قبلهم جرما تملل عليهم، ونسب الجرم إليهم لقوة سلطانه وشدة سعيه في ذات الله تعالى وقد ألم بقول زهير :

جرىء متى يظلم يعاقب بظلمه سريعا وإلا يسد بالظلم يظلم⁽¹⁾
53- هو الليث ليث الغاب بأسا وبجدة وإن كان أحيا منه وجهها وأكرما

الغاب الأجمة، وأشد ما يكون الأسد عند أجمته، والنجدة الشدة، يقول هذا الممدوح كالأسد في أجمته وجذته إلا أنه أرق وجهها، وأشد حياء وأكرم نفسا من الليث، وإنما جاز أن يفصله على الأسد في هذه الأخلاق لأن الأسد ينسب إليه الحياء والكرم، وقد يجوز أن يكون تفضيلا في الحقيقة، وإن على لفظ التفضيل، كما تقول الإيمان خير من الكفر، وليس في الكفر شيء من الخير البتة، ومنه قوله تعالى : " أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا "⁽²⁾.

54- أشد ازدلا لفا بين درعين مقدما وأحسن وجهها بين بردين محرما⁽³⁾
الازدلاف أن ينهض إلى قرنه شيئا بعد شيء حتى يدنو منه ويلابسه. فيقول إذا ليس درعيه، وظاهر بينهما حزما وتوقفا، وازدلف إلى قرنه فهو أشد إقاما من الأسد، وإذا ليس برديه يعني برده وإزاره، وأخرم للحج فهو أحسن وجهها منه، والمعنى أن هذا الرجل جمع المشجاعة والتدنين.

1- زهير بن أبي سلمى من مضر، حكيم الشراء في الجاهلية، كان أبوه شاعرا، وعاله شاعرا، وأخته سلمى شاعرة، وبناه كعب وزهير شاعرين، وأخته الحساء شاعرة، كانت قصائده تسمى الموليوات لفرط اهتمامها بها فقد كان ينظم القصيدة في شهر ويقبضها ويهبتها في سنة (الإعلام ج 3 : 87). والبيت الذي استشهد به الأعلام من قصيدة قالها زهير في مدح الحارث ابن عوف من أبي حارثة، وهرم بن سنان حين سما بالصلح بين عيس وذيان ومطلعا :
أسم أم أوسى دمنة لم تكلم بمواساة الدراج فأنطلم بمواساة الدراج فأنطلم

(شعر زهير : ص 21)

2- القرطبان : 24.

3- ح. ص. و. ت. : "مقيلا" و. ح. ت. : "بين توين".

1- ح. ص. : "أرض المعالي".
2- ص. : "لديهم".

55- جدير إذا ما الخطب طال فلم تفل ذوابته أن يجعل السيف سلما⁽¹⁾

الخطب الأمر العظيم، وذوابة الشيء أعلاه، ومنه ذوابة الشعر. يقول إذا عز أمر من الأمور العظام الذي لا ينال آخرها لظولها وارتفاعها جعل سيفه سببا إلى إدراكه وسلما يرتقى إليه.

56- كريم إذا زرناء لم يقتصر بنا على الكرم المولود أو يستكرما

يقول هو أكرم الناس فإذا زرناء لم يقتنع لنا بما فيه من الكرم الطبيعي الذي ولد به حتى يستعمل كرما زائدا عليه.

57- تجشم حمل الفادحات وقلما أقيمت صدور المجد إلا تجشما

الفاذحات الأمور الصعبة المثقلة، وصدور المجد أعاليه. يقول تكلف هذا الرجل حمل ما حمل من الأمور واضطلع بها وقام بحملها فأقام بذلك صدور المجد، ورفع سمكه وكذلك لا تبلغ معالي الأمور ومكارم الأخلاق إلا بتكلف المشقة وتحمل المعضلة.

58- كنت أخوا الإعدام لسنا لعله فكم بك بعد اليوم أغنيت معدما⁽²⁾

بنو العلات هم بنو أمهات شتى. يقول كنت قبل قصدك أخوا العدم، والفقر لأم واحدة، وإنما يريد شدة لزوم الفقر له وتنشئته، فلما قصدتك أغنيتني فكم أغنيت بعد ذلك من فقير معدم لما أوليتني من جزيل المعروف وسابغ النعم.

59- وإذ أنا ممنون علي ومنعم فأصبحت من خضراء نعماك منعما⁽³⁾

المعنى واذكر إذ أنا ممنون علي قبل قصدي إياك فلما قصدتك أجزلت لي العطاء، وأسبغت علي النعماء فصرت منعما علي غيري من نعمك الخضراء بعد أن كان غيري منعما علي بما لا فضل فيه ممثنا علي به.

60- ومن خدم الأقوام يرجو نوالهم فلاني لم أخدمك إلا لأخدمنا

¹ - ص : "فلم تفل".

² - ص و ت : "بعد العدم" ح . ص : "فلم تك بعد اليوم".

³ - ص : "فلما أنا" ح . ص : "إنا أنا".

يقول إن خدم غيري الأقوام طمعا في معروفهم وتعرضا لإقامة عيشه فأننا لا أقنع بتلك الحال إنما خدمتي لك طلبا لبلوغ أقصى الأمل بك حتى أغني غيري من عطاياك وأخدمه بما أنيله من معروفك أي أكسبه خدما، ويروى لأخدما بفتح الدال، والأولى أمدح وأبلغ.

القصة [2] *

وقال يريش المعتصم بالله⁽¹⁾، ويُدعى الواصل بالله⁽²⁾ :

1- ما للدموع تروم كل مرام والجفن ثاكل جعنة ومنام

الفاكل الفاقد، والهجة من النوم، يقول متعجبا من حاله ومعجبا غيره ما للدموع تروم كل مرام من الانهال وطول الانسكاب، وما لجفني ثاكلا للنوم فاقد له، وإنما كسر المنام وعطفه على الهجة لاختلاف لفظيهما، ولأن الهجوع من نوم خاصة، ونظير هذا قولهم أنادون فلان تأتي والبعد.

2- يا حفرة المصوم تريك مودع ماء الحياة وقاتل الإعدام

أراد المعتصم بالله قصيره ضرورة إلى هذا اللفظ لعلم السامع بما يعني، ولأن من اعتصم بالله فهو مصوم بعصمة الله له، وأراد بالحفرة قبر المعتصم وجعلها متضمنة لماء الحياة لما أودعت من دفن المعتصم بالله، وقد كان كالماء في إحيائه الغنى والوجد وقتله الإعدام والفقر.

3- إن الصفائح منك، وقد نضدت على ملقى عظام لو علمت عظام

العظام الأولى جمع عظم، والثانية جمع عظيم، والصفائح الحجارة العراض، والنضد أن يجعل بعضها على بعض. يقول للحفرة صفائحك منضودة على عظام عظيمة ملقاة عليك لو علمت عظمتها وجلالة قدرها.

4- فتق المدامع أن لحذك حله سكن الزمان وممسك الأيام⁽³⁾

* هذه القصيدة من البحر الكامل.

1- المعتصم بالله هو محمد بن مارون الرشيد بن المهدي بن المتوكل أبو إسحاق، خليفة عباسي، ولد في سنة 179هـ، وبيع بالخلافة سنة 217هـ وفاة أخيه المأمون وبعهد منه، وهو فاتح عمورية في بلاد الروم الشرقية، وهو أول من أضاف إلى اسمه الله تعالى، من الخلفاء، توفي في سنة 227هـ (الأعلام 7 : 127-128).

2- الواصل بالله هو مارون بن محمد المعتصم بالله بن مارون الرشيد أبو جعفر من خلفاء الدولة العباسية، ولد في سنة 200هـ ببغداد، وولي الخلافة بعد وفاة أبيه في سنة 227هـ فاضمن الناس في خلق القرآن. توفي في سنة 232هـ، وخلافته خمس سنين وتسعة أو ستة أيام. (الأعلام ج : 62-63).

3- ج. ص : "سكن الزمان". ت : "ومسد الأيام".

اللحد الشق في جانب القبر، والسكن كل ما سكن إليه وأُس به. يقول فتق مجاري الدموع، وأطلق محبوسها في الشؤون لحول هذا الملك الذي كان للزمان سكنا، وللأيام عن أن تنوب بكمروه ممسكا في لحد هذه الحفرة.

5- ومصرف الملك الجموح كأنه قد زم مصعبه له بزمزم

الجموح من الحيل الذي لا يمكن رأسه شدة ونزقا، والمصعب من الإبل الفحل الذي لم يرض ضربهما مثلا لشدة أمر الملك، وتضعبه على من يليه، ويقوم به إلا أنه وإن كان كذلك فقد صار للمعتصم متقادا سهل المرام لصحة رأيه وشدة حزمه وتنفيذ عزمه فصرف كيف شاء.

6- هدمت صروف الموت أرفع حائط ضربت دعائمه على الإسلام⁽¹⁾

هذا مثل. يقول كان أمر المعتصم مبنيا على الإسلام معتمدا على أصل الدين فلما أتته المنية فذهبت به هدمت بجوته أرفع حائط بنيت دعائمه على دين الإسلام، وأقرت عمدته على الحق.

7- دخلت على ملك الملوك رواقه وتشرزت لمقوم القوام⁽²⁾

التشرن التنكر والتغير، والقوام جمع قائم بمعنى مستقيم، يقال قام الأمر واستقام بمعنى واحد. يقول هجمت صروف الموت على المعتصم الذي كان للملوك ملكا، ودخلت عليه رواقه، وتكررت له بعد أن كانت تطيعه فيما يريد من إهلاك أعدائه وتقف عند أمره، وقوله "لمقوم القوام" أي لمقوم من اعوج عن طريقه، وزاغ عن طاعته حتى يستقيم بتقويمه له فسمى المعوج مستقيما لأنه إلى الاستقامة.

8- مفتاح كل مدينة قد أهتمت غلقا وخلصي كل دار مقام⁽³⁾

أهتمت الباب أي أغلقت. يقول كان لقوة وإقبال سعدة لا يتعدى عليه فتح مدينة، وإن كانت محصنة متنيعة، ولا يقيم من أجله عدو في دار مقامة بل يخليها رهبة

1- ج. ص : "صروف الدهر".

2- ص : "وتشرزت". و. ج. ص : "تشرزت".

3- ج. ص : "غلقا" و"خلصي". ت : "ومغلق".

منه، وقد يحتمل أن يريد أن المعتصم مستعمل للغزو أبدا فلا يقيم بدار ملكه بل يخلها ويؤثر الغزو على الإقامة فيها. صح.

9- ويعرف الخلفاء أن حظوظها في حيز الإسراج والإلجام⁽¹⁾

يقول يزل المعتصم مؤثرا للغزو ومستعملا لركوب الخيل المرسجة الملجمة طاقرا لأعدائه مدر لأوفر الحظوظ وأجزل الأقسام حتى عرف الخلفاء أن حظهم من المملكة وقسمتهم من . والرغبة في حيز استعمال الغزو وتصريف الخيل في الغارة والحرب لا في الدعة والسكون.

10- ورت الخلافة عن أسنته التي منعت حمى الآباء والأعمام⁽²⁾

يقول استوجب الخلافة دون غيره مما علم من حسن بلائه وعهد من حزمه وعنايه وعلمه باستعمال الأسنة والسيوف التي منع بها حمى آباءه وأعمامه من أن يستباح فأسنته وسيوفه ورثته الخلافة مع الذي يستوجب من ميراث النسب، وقد بين هذا فيما بعد.

11- أخذ الخلافة بالوراثة أهلها ويكل ماضي الشفرتين حمام⁽³⁾

12- فلسورة الأنفال في ميراثه آثارها وللسورة الأعمام

يقول القرآن يوجب أن تورث الخلافة كما يورث غيرها لقول الله عز وجل "وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض"⁽⁴⁾. يعني في الموارث. فهذا في سورة الأنفال، والثاني في سورة الأنعام قوله تعالى: "ومن ذريته داود وسليمان" إلى قوله "وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا"⁽⁵⁾، فجعل لوطا من ذرية إبراهيم وهو ابن أخيه يبين أن العم أب، وكذلك العباس كالأب للنبي عليه السلام لأنه عمه، فجعله أحق بميراثه من علي وغيره، وقوله "آثارها" يعني آثار ميراث الخلافة.

1- ج. من: "أن خطريها" وهو تصحيف.

2- ج. و. ت: "أخذ الخلافة".

3- هذا البيت لم يرد في ج. و. ت.

4- الأنفال: 75.

5- الأنعام: 84.

13- مادام هارون الخليفة فالهدي في غبطة موصولة بدوام

يعني هارون بن المعتصم وهو الوائق، وكان قد بوع له يوم مات أبوه المعتصم بالله، فيقول لا يزال الهدي وأهله مغتربين بأن ولي أمورهم هارون الخليفة ولا تزال غيبتهم دائمة مادام لهم.

14- إنا غدونا وأتقن بوائق بالله شمس ضحى وبدر قمام⁽¹⁾

يقول هو وائق بالله فيما مله من النصر على العدو وغير ذلك من أموره، ونحن نتق به فيما يلي من أمورنا، وجعله شمسا ويدرا.

15- لله أي حياة انبعث لنا يوم الحميس وبعد أي حمام⁽²⁾

16- أودى بخير إمام اضطربت به شعب الرجال وقام خير إمام⁽³⁾

17- تلك الرزية لا رزية مثلها والقسم ليس كسائر الأقسام

18- إن أصبحت مضيات قدس أصابها قدر فما زالت مضيات شمام⁽⁴⁾

19- أو يفنقد ذو النون في الهيجا فقد دفع الإلاه لنا عن الصمصام⁽⁵⁾

"ذو النون" سيف كان لعمر بن معدى كرب، وكذلك، "الصمصام" وروي أنه ارتجز في بعض الحروب فقال:

أنا أبو ثور وسيفي ذو النون

أضربهم ضرب غلام مجنون

يأال زبيد إنهم يموتون

1- ج. و. ت: "رحلتنا".

2- هذه الأبيات من البيت (له أي حياة انبعث لنا) إلى البيت (لعدوا وذاك الحول حول عباد). منقولة مع شروحها من شرح الصوري للشمس أبي تمام.

3- ج. و. ت: "اضطربت له".

4- ج. و. ت: "أزاليا قدر".

5- ج. و. ت: "أن يفنقد".

وقد روي أنه كان لملك بن زهير سيف يقال له "ذو النون" كانت عليه صورة سمكة، وكذلك فسروا قول الشاعر :

فأعلمه مكان النون مني وما أعطيته عرق الخلال
أراد "ذا النون" و"عرق الخلال" مفعول من أجله، ومعناه أنه ما أخذ به إلا غصبا.

20- أوجب منا غارب غدوا فقد رحلنا بأفك ذروة وسنام
"جب" استؤصل و"الغارب" أعلى الظهر و"أفك" أشرف.

21- هل غير يؤسى ساعة ألبستها بئس لك ما لبست من الإنعام
يقول هل أصابنا من فقد الخليفة أيبك إلا حزن ساعة فقدناه فيها، حتى كشفت ذلك بقيامك مقامه وسدك مسده.

22- تقض كرجع الطرف قد أبرمته يا ابن الخلائف أمبا إبرام

23- ما إن رأى الأقوام شمساً قبلها أقبلت فلم تعقبهم بظلام

24- أكرم بيومهم الذي ملكتهم في صدره وعامهم من عام

25- لو لم يكن بدعا لقد نصبوا له سمة يبين بها من الأعوام⁽¹⁾

أي لو لم يكن بدعا أن يسموا العام اسما غير العام، لسموه باسم مفرد على حياله، يعرف به من سائر الأعوام، لجلالة موقعه، وقيل لجلوه عام صلاة وصيام، كما يفعل ذلك عند الآيات، كصلاة الكسوف.

26- لغدوا وذاك الحول حول عبادة قسبهم وذاك الشهر شهر صيام

27- لما دعوتهم لأخذ عهودهم طار السرور بعمروق وشأم

¹ - ح: "وقوا له".

يقول لما دعوت المسلمين للمبايعة وأخذ عهودهم منك سروا أشد السرور ودخلوا في طاعتك (جميعهم)⁽¹⁾ ما بين عراقي وشأم على أن أهل العراق وأهل الشام كانوا مختلفين في الطاعة أبدا فانفقوا على طاعتك وطار السرور بهم حين دعوتهم لمبايعتك وأخذ العهود عليهم لك، ويقال أعرق الرجل إذا أتى العراق، فوضع معرقا موضع عراقي ضرورة.

28- فكان هذا قادم من غيبة وكان ذلك مبشر بسلام

يقول لشدة سرورهم بما دعوتهم إليه كان بعضهم أب من غيبة فسر بوصوله إلى أهله واجتماع شمله، وكان بعضهم قد بشر بسلام.

29- لو يقدرون مشوا على وجناتهم وخذودهم فضلا عن الأقدام⁽²⁾

يقول من تعظيمهم لك وحرصهم على إجتانك فيما دعوتهم إليه لو استطاعوا مشيا إليك على وجناتهم وخذودهم لمشوا عليها فكيف على أقدامهم.

30- قسمت أمير المؤمنين قلوبهم بين المحبة فيك والإعظام
يقول فيهم من محب لك ومعظم لقدرك.

31- شرحت بدولتك الصدور وأصبحت جمع العيون إليك وهي سوام⁽³⁾
يقول الصدور مشروحة بدولتك سرورا بها، والعيون جمع سامية إليك عجا وتعتا برؤيتك، وقوله جمع العيون أراد بها العيون جمع تقدم التوكيد ضرورة وأنزله منزلة كل وجمع فأضافه إلى التوكيد.

32- ما أحسب القمر المنير إذا بدا بدرا بأضوأ منك في الأوهام

يقول أنت والقمر ليلة البدر سواء في النور والضياء لأن ضياء القمر في العين وضياؤك في الوهم.

¹ - زيادة يقتضيا السياق.
² - ص و ت : "وموئهم".
³ - ص و ت : "خنع".

33-حي بيعة الرضوان يشرع وسطها باب السلامة فادخلوا بسلام

يقول بيعتك كبيعة المؤمنين للتي عليه السلام تحت الشجرة [وهي بيعة رضي الله بها على المؤمنين، فيبينهما بيعة الرضوان، يقول الدخول في هذه البيعة سبب للسلامة، فادخلوا بسلام، ومعنى "يشرع وسطها باب السلامة" أي يفضي وسطها باب من السلامة من دخله سلم، وهذا مثل⁽¹⁾].

34-والركب المنجي فمن يعدل به يركب جموحا غير ذات لحام

يقول الدخول في هذه البيعة سبب للنجاة وداعية إلى الفوز والعدول عنها إلى غيرها سبب للهلاك فمثل الداخل فيها كمن ركب مركبا ينجيه من الهلاك والعطب ومثل الخارج عنها والعالء بها غيرها كمن ركب فرسا جموحا لا يثني رأسها وهي مع ذلك غير ملجمة [فأجدر له]⁽²⁾ أن تطرحه في مهلكة.

35-يتسع غواه ولا لقاح لرهطه بسل وليست أرضه بحرام⁽³⁾

اللقاح العزيز الممتنع، يقال قوم لقاح وبلد لقاح إذا لم يظاه جبار، والبسل الحرام الممتنع. فيقول من عدل عن البيعة يبع غواه، والهلاك في اتباع الهوى، وليس لرهطه أي منعة وعز ولا أرضه وإن بعدت بحرام ممتنعة عن الواثق بالله لقوة سلطانه، وتحقيق قوله "ولا لقاح لرهطه بسل" أي قوله "لقاح" مصدر بمعنى امتناع، وقوله "بسل" صفة له وتوكيد على الموضع والامتناع لرهطه ممتنع، كما يقال شعر شاعر وموت مائت على المبالغة والتوكيد، وإنما قيل بلد لقاح فوصف به لأن معناه ذو لقاح أي ذو امتناع وقد يكون قوله "لقاح" بمعنى ممتنع ويكون التقدير ولا ممتنع لرهطه بسل أي ليس لرهطه مخفوف ممتنع بهم حرام على الواثق بالله والأول أصح وأبين.

36-عبادة الأهواء في تطويجها بالدين فوق عبادة الأصنام⁽⁴⁾

1- زيادة بقضها السباق.

2- زيادة بقضها السباق.

3- ص: "ولا لقاح رهطه".

4- ح: ص: "في تطويجها" وهو تطويج.

يقول من اتبع هواه في مخالفة الواثق بالله هلك وجعله بمنزلة من عبد هواه فطوح ذلك بدينه أي أذهبه وأبطله، وإنما أخذ هذا من قول الله تعالى: "أفرأيت من اتخذ إلهه هواه"⁽¹⁾ ومن قول ابن عباس: "الهوى إله عبود"⁽²⁾.

37-إن الخلافه أصبحت حجراتها ضربت على ضخم الهموم همام

يقول الخلافة مشتتة على هذا الملك اشتغال الحجرات على ساكنها، والحجرات البيوت، وقوله "على ضخم الهموم" أي على رجل فخم الهممة لا يرضى إلا بمعالي الأمور وأشرفها، والهموم الهمم، واحداها هم، والهمام الذي ينفذ ما هم به.

38-حملك يرى الدنيا يؤخر عينه ويرى النقى رحما من الأرحام⁽³⁾

يقول هو زاهد في الدنيا معرض عنها لا يقبل عليها بالنظر إليها لحقارتها عنده، ويرى تقى الله رحما يصلها ويحافظ عليها أي يصل أهل التقى ويبرهم.

39-لا قدح في عود الإمامة بعدما منتت إليك بحمرة وذمام⁽⁴⁾

القدح التلم والفساد. يقول لما أفضت إليك الإمامة، ومنت إليك بحمرتها منك وذمامها بك حميتها حتى لا يوصل إليها تنتقص ولا فساد، وجعل للإمام عودا للذكره القدح، والقوادح دود تؤثر في العود.

40-محبتها تلك قلادة الله التي مما كان يتركها بغير نظام

هيئات أي ما أبعد القوادح والفساد من عود الإمامة قلادة الله، أي شيء من الأشياء، التي يجمع الله بها الكلمة ويظهر بها الدين فلم يكن تجليها من خليفة يكون لها نظاما ويمنع جانبها ويرعى ذمامها.

1- الجانية: 23.

2- أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن ماثم بن عبد مناف، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وله ثلاث عشرة سنة، وكان صلى الله عليه وسلم دعا له فقال: "الله فقه في الدين وعلمه التأويل مات ابن عباس بالطائف في فتنة ابن الزبير وبلغ سبعين سنة، (وفيات الأعيان ج 3: 64). والمثل في (جمع الأمثال ج 2: 410).

3- ص: وت: "بأسر لحظه".

4- ح: ص: "في عود الخلافة".

41- إرث النبي وجمرة الدين التي لم تخل من لهب بكم وضرام⁽¹⁾

يقول إن الواثق من آل النبي صلى الله عليه وسلم، والخلافة موروثه عنه، فالواثق بها أحق بها من غيره لأن نسيه من النبي عليه السلام أقرب نسب وجعلها جمرة لذكره اللهب والضرام وهو اشتعال النار وتوهجها، والمعنى أن الخلافة لم تزل بالواثق وآبائه [كاملة]⁽²⁾ متناهية لحسن بلائهم فيها وشدة قيامهم بها.

42- عذخورة أحرزتها بحكومة لله تشدخ أرواس الحكم⁽³⁾

يقول الخلافة مذخورة لك عند الله قد حكم لك بها في كتابه فمن حكم لغيرك شذخت حكومة الله رأسه لأن حكم الله حق وحكم من حكم بخلافه باطل، والحق يعلو الباطل ويدمغه فيزحق.

43- لسننا مريدي حجة نشفي بها من ريبة سقما من الأسقام

44- الصبح مشهور بغير دلائل من غيره ابتغيست ولا أعلام⁽⁴⁾

يقول أملك أوضح وأبين من أن يحتج له لا ريبة فيه ولا شبهة ووضوحه وشهرته كوضوح الصبح لمن نظر إليه وشهرته عنده دون أن يستدل عليه بغيره أو يحتاج إلى علم يعلمه به.

45- فاقم مخالفهم بكل مقوم واحسم معاندهم بكل حسام⁽⁵⁾

المقوم: من الرماح الذي قوم بالثقاف، والحسام: السيف، ومعنى أقم قوم، يقال قام الشيء إذا استقام وأقمته أنا. يقول من أعوج عن طاعتك وخالفها فقومه بكل رمح مقوم أي أقتله مرة وأقطع مرة من عائد الحق بكل سيف قاطع، والمعاندة: العدول عن الحق.

1- ص: "وجرة الملك" و: "وجرة الملك"

2- زيادة يقتضيه السياق.

3- ص: "معلو".

4- ج: ص: "ابتغيت" و"ابتغت".

5- ص: و: "عائدا" و"معاندا".

46- تركت أسود الغابتين زيرها لما أناها وارت الأحلام⁽¹⁾

الغابة أجمعة الأسود وثناها لأنه أراد أسد الشرى وأسد خفية وهما موضعان تنسب إليهما الأسد. قال الشاعر:

47- أسود شرى لاقت أسود خفية تساقوا على حرد دماء الأسود⁽²⁾

والزئير صوت الأسد. يقول لما أفضت الخلافة إلى الواثق بالله قطع رجاءه عنها كل من كان له طمع فيها لعلهم بأن الواثق أحق بها وأجدر بوراثتها فكانوا أكاسد كان لها زئير وجرأة وحماية لأجامها فأناها أسد أجراً منها فحال بينها وبين آجامها.

48- ألوى إذا خاض الكربة لم يكن بمزند فبيها ولا بكهام

الآلوى: الشديد الحصومة، وأراد به الذي يعلو قرته في الحرب فلا يوجد له مخلصا منه، والكربة: الحرب، والمزند: الضيق الخلق القليل الخير، والكهام: السيف الكليل الذي ينسو عن الضربة. يقول إن الواثق بالله إذا علا قرنا لم يتخلص منه، وإذا خاض غمرات الحرب لم يكن فيها قليل الغناء ولا ضيق الصدر.

49- لبياس سرد الصير مدرج به في الحادث الجلل ادراع اللام⁽³⁾

السرد: سرد الدرع ضربه مثلا لقوة الصير، والجلل هنا الجليل، واللام جميع لأمة وهي الدرع وأصلها بالهمز لأنها من الالتئام فخففها للردف، يقول إذا ناب الواثق أمر جليل لبس له الصير وادرج به كالمدرج باللام.

50- والصير بالأرواح يعرف فضله صير الملوك وليس بالأجسام⁽⁴⁾

يقول صير الملوك إنما هو بأرواحهم لا بأجسامهم لأنهم يعرضون أرواحهم للذهاب في الحرب ويتبعونها بالنظر في أمر الرعية وتدير المملكة في السلم، وإن كانت

1- ص: و: "مغارها".

2- البيت للأشهب بن ربيعة (معجم ما استمع ج 2: 506).

3- البيت ابن منظور في لسان العرب مادة "سقا" ورواية صبر البيت عنده (تساقوا على لوح دماء الأسود).

4- ص: "مدرج له".

5- قال علق شرح الصولي: قال ل المزدني: الأصح عدي: "يعرف فضله صير..." ينصب اللام ورفع الراء.

القصيد [3] *

وقال يمدح المعصم بالله، ويذكر فتح عمورية⁽¹⁾ وإحراقها :

- 1- السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
كان أهل التنجيم يزعمون أن عمورية لا تفتح في ذلك الوقت، وأنه إن أتى زمان
التي والغلب دون فتحها لم تفتح أبداً، فقال حبيب مكذبا لهم واداً لما في كتبهم من علم
التنجيم. "السيف أصدق أنباء" وأصح خيرا من كتبكم لأن الذي تضمنته كتبكم لعب
وباطل، وما أظهره السيف في أهل عمورية من استنصالحهم، وقطع مرتهم حق وجد، فقد
صار حد السيف وهو غربه وجانبه حدا فاصلا بين الحق والباطل، والجد واللعب.
- 2- بيض الصفائح لا سود الصحائف في مستونهم جلاء الشك والريب
هذا تفسير لما قبله ومبين له. يقول في متون السيوف البيض الصفائح، والصفحة
السيف، جلاء الشك أي تجليته وكشفه لا في متون الصحائف السود وهي الكتب،
والريب جمع ريبة، وهو كل ما يشك فيه ويرتاب.
- 3- والعلم في شهب الأرماع لامعة بين الحميسين لا في السبعة الشهب
هذا كالأذي قبله في المعنى. يقول العلم الصحيح الذي لا يكذب هو ما أظهرت
الرماع الشهب، يعني البيض من الصفائح حين الفتح بها عمورية، لا علم الشهب السبعة
التي يقضون بها، والشهب جمع شهاب. وأراد بها زحل والمشتري والمريخ والشمس
والزهرة وعطارد والقمر، وقوله "لامعة" نصب على الحال من الرماح، والحميسان
العسكران، يعني خميس المسلمين وخميس العدو.
- 4- أين الرواية أم أين النجوم وما صاغوه من زخرف فيها ومن كذب⁽²⁾

اجسامهم ساكنة وأدعة وليس صير غيرهم إلا بأجسامهم يتبعونها في متصرفاتهم فصر
الملوك أفضل من صير غيرهم.

51- لا تذهبوا في حلمه فالبحر قد تسري غواربه وليس بطام
يقول لا تغتروا بما تلون من رأفته بكم ولين جانبه لكم فإن البحر قد يغرق راكبه
وإن كان غير طام، والطامي المرتفع، والغوارب الأمواج، ومعنى تسري تهلك.

52- يا ابن الكواكب من أئمة هاشم والبرج الأحساب والأحلام

53- أهدي إليك الشعر كل منه غطل وسدد فيك كل عيام

جعلهم كواكب لشهرتهم وعلو مكانهم، والمفهه العبي، والخطل المضطرب في
كلامه، والعيام التفليل الخلق الأوج. يقول لبيان فضلك وشهرة كرمك يهتدي كل من لا
يحسن الشعر، ولا يتصرف في الوصف إلى نظم مكارمك ووصف مآثرك ويسدد السهم كل
عيام فيصيب الغرض في مدحك.

54- غرض المديح تقاربت آفاقه ورمى قسطنس فيك غير الرام⁽¹⁾

هذا مؤكد لما قبله مبين له. يقول لبيان مكارمك من أراد مدحك فرت عليه
وسهل مرماه فأصاب الحقيقة كما أن الرامي غير المحسن يصيب الغرض إذا دنا منه،
ويحتمل أن يريد أنه أكثر من الجود حتى صير الناس كلهم شعراء، يقول الشاعر :

ما ألقينا من فضل جود ابن يحيى صير الناس كلهم شعراء⁽²⁾

¹ - القصيدة من البحر البسيط.

² - عمورية فتح أولها، وتشديد ثمانية. بلد في بلاد الروم غراه المعصم حين سبع بأسر شرارة العلوية، فتحها وفتح أنقرة في
سنة 223م في قصة طسويلة، وصيبت بعمورية بنت الروم بن البز بن سام بن نوح عليه السلام. (معجم البلدان ج 4 :
158).

³ - من "بل".

¹ - من و ت : "فيه غير الرامي".

² - أوردته ابن جلكان في ترجمة الفضل بن يحيى الرمكي بهذه الرواية :
ما ألقينا من جود فضل ابن يحيى ترك الناس كلهم شعراء
وقد عمله فيه بعض الشعراء. (وفيات الأعيان ج 4 : 35).

يقول مكذبا لهم أين ما روه في كتبهم، وما أخبرتكم به النجوم بزعمهم، وما زغرفوا فيها من الكذب، وموهوا به من الباطل واللعب.

5- غرصا وأحاديثا ملفقة ليست ينسج إذا عدت ولا غرب النبع من أكرم الشجر وأعتقها وأصلبها عودا، وأحسن ما تكون القسي منه، والغرب دونه في الجودة والصلابة، ضربهما مثلا. يقول أحاديث المتجيمين ملفقة من أباطيل غرصوا فيها ليست بصحيحة قوية كالنبي ولا بمتوسطة الصحة والقوة كالغرب لكنها ضعيفة مدخولة.

6- غرائب زعموا الأيام مجفلة عنهن في صفر الأصفار أو رجب⁽¹⁾ المجفلة السريعة الانكشاف. يقول كان المنجمون قد أئذروا بأمر عظيم وخطب

جليل في صفر أو رجب، وأن الأيام ستكشف غرابيا في أحد هذين الشهرين فكان الأمر يتجلى ما زعموا، وذلك أنهم كانوا يزعمون أن الكوكب ذا الذنب إذا طلع تكون وقبعة عظيمة على المسلمين يكون ذلك في صفر أو رجب فكانت الوقعة على المشركين في رمضان، وقوله "في صفر الأصفار" معنى التعظيم والتشجيع لما كانوا يرون فيه من الأمور العظام، وهذا كما يقال فارس الفرسان مبالغة وتقخيما.

7- وخوفوا الناس من دهيا داهية إذا بدا الكوكب الغربي ذو الذنب⁽²⁾ الداهية الأمر الشديد، والدهيا الشديدة، وقدمنا قبل هذا البيت ما يدل على تفسيره.

8- وصيروا الأبرج العليا مرتبة ما كان منقلبا أو غير منقلب⁽³⁾ يقول صيروا الأبرج مديرة لما ضون على وقوعه وكونه منقلبها وغير منقلبها، وهي الإتنا عشر برجاً الحمل والثو والجوزاء والسرطان والأسد والنسبة والميزان والمقرب والقوس والجدي والدلو والمحو. فكانوا يحكمون في أخبارهم بهذه البروج فإذا

1. ص و ت: "مجانا". ص و ج ت: "مجانبا" على الابتداء. و ت: "ش". "جلية". و ح ت: "مشفة".
2. ص و ت: "مطلقة". و ح: "من". "الدرى".
3. ص: "مرتبة". يفتح الباء. و ح: "ت". "مديرة".

ورد عليهم خير في وقت طالعه برج ثابت غير منقلب حقوه، وإذا كان الطالع برجاً منقلباً لم يحقوه، والبروج المنقلبة عندهم أربعة وهي التي تحل الشمس عند انقلاب فصول السنة في رأس كل برج منها، وهي الحمل لفصل الصيف والسرطان لفصل القيظ، والميزان لفصل الخريف، وهو الربيع عند العرب والجدي لفصل الشتاء.

9- يقضون بالامر عنها وهي غافلة ما دار في فلك منها وفي قطب يقول إن المنجمين يقضون بالامر عن هذه النجوم، وينسبون إليها الاستطاعة والتأثير، وهي في غفلة عن ذلك، لا تشعر بشيء منه، ولا تعلم به إذ هي جماد لا يعقل ولا يميز فضلا عن أن تعقل وتريد.

10- لو بينت قط أمرا قبل موقعه لم يخف ما حل بالأوثان والصلب⁽¹⁾ يقول لو كان للنجوم حقيقة فيما يزعمون من الاستدلال بها على غائب الأمور لتبينت ما حل بأهل عمورية وأوثانهم وصلبهم قبل أن تقع، والأوثان الأصنام.

11- فتح الفتوح تعالي أن يحيط به نظم من الشعر أو نثر من الخطب⁽²⁾ أي الشيء الذي حل بالأوثان هو فتح الفتوح، أو الفتح الذي لا فتح مثله، كما تقول فارس الفرسان وفتى الفتيان. يقول هذا الفتح أجل وأعلى من أن يحيط بصفاته شعر منظوم أو كلام منثور.

12- ففتح ففتح أبواب السماء له وتبرز الأرض في أبوابها القشب⁽³⁾ يقول كان هذا الفتح في طاعة الله سبحانه وإظهار دينه، فصعد إلى السماء، ففتحت أبوابها، فقبله الله عز وجل، وسرت الأرض به لظهور دين الله عز وجل فيها، وارتاحت إليه فيرت في أبوابها القشب. والقشب جمع قشيب وهو الجديد وخوه.

13- يا يوم وقعة عمورية انصرفت منك المنى فخلا معسولة الحلب⁽⁴⁾

1. ص و ت: "لم غف".
2. ص: "المنى".
3. ح: "أرادها".
4. ص: "عك".

جعلها بكرا لأنها لم تفتح قط قبل المعتصم، ولا نالتها حادثة من حوادث الدهر بكروها، ولما جعلها بكرا ذكر الافتراء وهو الانفضاض، والثوب جمع ثابته على غير قياس. يقول لم يكن للنواب فيها مطمع ولا ترقى إليها همة بتأثير فيها.

19- حتى إذا خض الله السنين محض الحليسة كانت زبدة الحقب⁽¹⁾ يقول صرف الله الدهور، وأجرى الليالي والأيام، وهي تتخطى عمورية، ولا تنالها بمداغة حتى كملت وتناهت، فكان فعل الله ذلك بها كالخض للسنين وهي الحقب، فصرحت تلك السنون، وانكشف للمعتصم عن عمورية، وكأنها زبدة حسنها وعظيم فائدتها، والمعنى أن الله تعالى جعل لفتحها مدة ينتهي إليها فأجرى السنين، وصرفها حتى انتهت إلى أقصى المدة فأخذ أمره فيها.

20- أقتهم الكربة السوداء سادرة⁽²⁾ منها وكان اسمها فراجة الكرب⁽³⁾

السادة المتحيرة، وإنما جعل الكربة متحيرة اتساعا ومجازا، والمعنى أنها تحير من حلت به، فيقول أتاهم من قبل عمورية حين انفتحت كربة سوداء أي شديدة مظلمة لا يهتدى إلى التخلص منها بعد أن كانت تفرح بكربهم وتجلي همومهم، فكانوا يسمونها فراجة الكرب.

21- جرى لها القال برحا يوم أقررة⁽⁴⁾ إذ غودرت وحشة الساحات والرحب⁽⁵⁾

أقررة بلدة من بلاد الروم⁽⁶⁾، وهي التي مات فيها امرؤ القيس، وكانت قد فتحت قبل عمورية، والريح من البارح وهو ضد السانح، فالبارح يتشام به وهو الظبي يأخذ من مياسر الرامي إلى ميامنه فلا يمكنه رميته حتى يدور له، والسانح يأخذ من ميامنه إلى مياسره فيتيسر عليه رميته من غير أن يدور له فضرته العرب مثلا لليمن

¹ - وسماء هذا البيت في س و ت بعد البيت (من عهد إسكندر أو قبل ذلك قد...) ح . م و ت : "الخبلة" و ت . ش : "غض التيلة" . و ح ت : "غض الحليب فعات"

² - ح م : "كارة منها"

³ - ت ش : "وخشة الساحات" بالحاء.

⁴ - ذكر الحمصي في الروض المطار أن أقررة موضع من بلاد الروم من أرض الشام، وأن المعتصم لما حاصر عمورية وفتحها ستة ثلاث وعشرين ومائتين وقتل بها مقلعة عظيمة وسب سبي كبيرا، وغرب ما مر به من (الارض) غرب في غزوته تلك أقررة. (الروض المطار: 32)

الحفل المملوءة المجتمعة، وأصله في الناقة والشاء، يقال ناقة حافل ومحفلة إذا اجتمعت الدرة في ضرعها، ومنه مجلس حافل، فضرب هذا مثلا لبلوغ المسلمين أقصى مناهم وأقها لما جعلها حفلا ذكر الحلب، وهو اللين، وجعل اللين حلوا كأنه مزج بالعمل، وهذا كله مثل.

14- أقيت جد بني الإسلام في صعد والمشركين وجد الشرك في صبيب⁽¹⁾

الصعد الارتفاع، والصبيب الإخدار. يقول مخاطبا لليوم أقيت جد المسلمين صاعدا مرتفعا بإظهارهم على عدوهم، وجد المشركين عائرا متحدرا لإلحاق الظفر بهم.

15- أم لهم لو رجوا أن تفتدى جعلوا فداءها كل أم بئرة وأب⁽²⁾

يقول عمورية للمشركين في جمعها لهم وتخصيها لأمرهم كالأم البرة فلو أمكنهم أن يفندوها مما حل بها لقدوها بالآباء والأمهات.

16- وبرزرة الوجه قد أعبت رياضتها كسرى وصدت صدودا عن أبي كرب

البرزة الظاهرة المشهورة، وكسرى ملك الفرس، وأبو كرب تبع وهو ملك العرب. يقول عمورية مشهورة الأمر، وكانت مع ذا حصينة منيعة قد رامها كسرى وتبع فأعيتها وأعجزتها.

17- حين عهد إسكندر أو قبل ذلك قد شابت نواصي الليالي وهي لم تشب⁽³⁾

يقول عمورية أزلية قديمة من لدن عهد ذي القرنين وهو الإسكندر أو قبل ذلك إلا أنه لم يزد هذا قدم عهدا ومرور الليالي إلا جدة وكمالا ولو كان لليالي الأيام نواصٍ لشابت من قدم مرورها عليها.

18- بكر فما افترعتها كف حادثنة ولا ترقى إليها همة النوب⁽⁴⁾

¹ - م و ت : "ودار الشرك" . و ح م : "الكفر".

² - ح م و ت : "منهم" مكان "برو" . و ح . ت : "فدى لها".

³ - هذا البيت (من عهد إسكندر أو قبل ذلك قد...) جاء في س و ت .

بعد البيت التالي له (بكر فما افترعتها كف حادثنة...) و ح م : "كروا الليالي" . و ح ت : "أو قبل ذلك قد"

⁴ - ورد هذا البيت في س و ت . بعد البيت (برزرة الوجه قد أعبت رياضتها...)

وضربت البارح مثلا في الشؤم والشر. فيقول جرى لعمورية الشيء الذي قيل لها به بارحا لا سالحا حين افتتحت أنقرة وخرت فتركت موحشة الأقيّة والرحاب.

22- لما رأت أختها بالأمد قد خربت كان الحراب لها أعدى من الحسرب
يقول لما أخذ المسلمون أنقرة كان ذلك شؤما لعمورية، فلحقها ما لحق أنقرة من الحراب والتغيير فكانها أعدتها تجربها كما يعدي الحرب من الإبل الصحيح بجربه ومعنى "أعدى" أشد تعلقا.

23- كم بين حيطانها من فارس بطل قاني الذواب من قاني دم سرب⁽¹⁾
القاني الشديد الحمرة، خفف همزه ضرورة، والسرب السائل الجاري. يقول كم بين حيطان عمورية من فارس شجاع قد قتل، فتنضبت ذواب شعره فاحمرت من دم الجاري، ويروي من أني دم، أي قد بلغ أنه وحيته.

24- بسنة السيف والحناء من دمه لا سنة الدين والإسلام مختضب⁽²⁾
يقول كم بين حيطانها من فارس مختضب، والحناء من دمه ومن أسنة السيف أي بما يسنة السيف وبوجهه لا بسنة الإسلام ودين الله، يعني خضاب السيف والحناء وغيرها.

25- لقد تركت أمير المؤمنين بها للنار يوما ذليل الصخر والحشب
يقول حرق عمورية فترك بها يوما من أيام الحرب قد ذل صخره بالعلق والتساقط، وخشبها بالاحتراق عند مباشرة النار لهما.

26- غادرت فيهم الليل وهو ضحى يشله وسطها صبح من اللهب⁽³⁾
27- حتى كأن جلايب الدجى رغب عن لونها وكان الشمس لم تغب⁽⁴⁾

يقول تركت في أهل عمورية الليل مشرقا لما أجبت فيها من النيران فكان ضوءها يشل ظلام الليل ويطرده كما يطرده ضوء الصبح، فمن نظر إلى الليل وظلمه، قد أجلت ظن أن الشمس لم تغب، أو توهم أن جلايب الظلام رغبته عن السواد الذي هو لونها، وزهدت فيه، والجلايب كل ما يلبس من الثياب، والدجى الظلمة.

28- ضوء من النار والظلماء عاكفة وظلمة من دخان في ضحى شحب⁽¹⁾
29- فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت والشمس واجبة من ذا ولم تجب

يقول هذا الضوء إذا هو من قبل النار لا من قبل الصبح والنهار لأن ظلماء الليل عاكفة مقيمة لم ترح بمدّة الحقيقة، وللضحى ظلمة ليست من ظلام الليل، وإنما هي من دخان غير النهار، وشحب لونه، فالشمس كأنها طالعة في الليل من لهب النار، وكأنها واجبة في الضحى أي ساقطة للغروب من سواد الدخان.

30- تصرح الدهر تصرّح الغمام لها عن يوم هيجاء منها طاهر جنب⁽²⁾
31- لم تطلع الشمس فيه يوم ذاك على بان بأهل ولم تغرب على عزب⁽³⁾

يقول تكشف الدهر لعمورية عن يوم حرب ظهر فيه المسلمون على المشركين فسوا النساء فيأشروهن في آخره، فصاروا جنبا بعد أن كانوا في أوله طاهرين من الجناية لأنهم لم يسيئوا بعده، وقد بين هذا المعنى في البيت الذي يليه، وقوله: "تصرّح الغمام" أي تكشف الدهر عن هذا اليوم الذي كان في طيه مشتملا عليه كما يتكشف الغمام عن الشمس فيبيدها بعد أن كان ساترا لها، وجعل اليوم طاهرا جنبا على السعة كما يقال نهارك صائم وليلك قائم، وغو هذا كثير.

32- ما ربيع مية معمور يطيف به غيلان ابهى ربا من ريعها الحرب⁽⁴⁾

1- ح. من: "صح".

2- م. من: "تكتف الدهر تصرّح".

3- ح. من: "فهم" و ح. ت: "منه".

4- م. من: "معمور" و ح. من: "مجان" و ح. ت: "معمودا".

1- ح. من: "أني الذواب" وهو تصحيف. و ت: "من أني".

2- م. من: "والطلي".

3- م. من: "غادرت فيها".

4- ح. ت: "بشبه".

غيلان هو ذو الرمة⁽¹⁾، والربا جمع ربة، وهي الشرف من الأرض، والربع المنزل، ومعنى يطيف به يحل فيه. يقال طفت بالشيء إذا درت حوله، وأطفت به إذا أملت به. فيقول لم يكن ربع مية وذو الرمة يطيف به معمورا بأهله بأهلي في عين ذي الرمة. ولا أحسن منظرا من عمورية في أعيننا حين فتحت فخر بربعها وغير.

33- ولا الحدود وإن أدهين من خجل أشهى إلى ناظر من خدها الترت⁽²⁾ هذا مؤكد للآول، يقول ليست حدود المعشوقين إذا نظر إليهم العشاق فخلجوا، وأحمرت حدودهن بأحسن في أعينهم ولا أشهى منظرا إليهم من خد عمورية الترت المغير في أعيننا وقلوبنا.

34- سماجة غيت منا العيون بها عن كل حسن بدا أو منظر عجب⁽³⁾ وهذا أيضا كالذي قبله. يقول خراب عمورية وتغير خدها بالأرض سماجة استغنت عيوننا بالنظر إليها عن كل حسن ظهر أو منظر عجب.

35- وحسن منقلب تبتقى عواقبه جاءت بشاشته من سوء منقلب⁽⁴⁾ يقول انقلب المسلمون عن عمورية انقلابا حسنا تبتقى عاقبته لهم أبدا على حسنها وبشاشتها، وكان هذا المنقلب الحسن جاءت بشاشته وحسنه من سوء منقلب المشركين لأنهم قتلوا فصاروا إلى النار.

36- لم يعلم الكفر كم من أعصر خيات له العواقب بين السر والقتض⁽⁵⁾ معنى "خيات له العواقب" أي خيات العواقب للكفر وأهله سوء المنقلب بين الرماح السمر، والسيوف القضب حتى أبدت لهم ما خيات فاستوصلوا وقلبوا شر

منقلب، وقوله "لم يعلم الكفر" أي أهل الكفر، والقضب جمع قضيب وهو السيف القاطع، ويروي "كمنت له العواقب".

37- تدبير معتصم بالله منتقم لله مرتقب في الله مرتقب⁽¹⁾ يقول الذي ألجأ فتح عمورية هو تدبير رجل معتصم بالله في أموره، منتقم لله من عدوه مرتقب له فيما أمره وما نهاه عنه، مرتقب فيما يقربه من الله تعالى ويرضى عنه به.

38- ومطعم النصر لم تكهم أسنته يوم ولا حجبت عن روح محتجب يقول المعتصم [مسدد]⁽²⁾ أبدا، فكان الله عز وجل قد جعل له النصر طعمة ورزقا مغذيا له، وقوله: "لم تكهم أسنته" أي لم تكل عن القطع والنفوذ، وأكثر ما يستعمل هذا في السيف، يقال سيف كهام إذا لم يقطع، ومعنى قوله: "و لا حجبت عن روح محتجب" أي من كان من عدوه متحصنا متمنعا لم تحتجب نفسه عن وصول أسنته إليها وإتلافها لها.

39- لم يرم قوما ولم ينهد إلى بلد إلا تقدمه جيش من الرعب⁽³⁾ يقول لقوة سلطانه وشدة [تلبيه]⁽⁴⁾. للمشركين لا يروم التقدم إلى بلد من بلادهم لرميه بدهاية إلا تقدمه إليه الرعب، واستولى على أهله الجرع والخوف، ومعنى [لم ينهد لم ينهض إليه]⁽⁵⁾.

40- لو لم يقد جحفلا يوم الوغى لغدا من نفسه وحدها في جحفل لب الجحفل الجيش العظيم، والوغى الحرب، واللجب المختلط الأصوات، يقول قد ملأ صدور أعدائه هيبة ورعبا، فلو نهد إلى الحرب وحده لغامت له نفسه مقام الجحفل.

¹ ص: "له مغرب في الله مرتقب" و ج: ص: "له مرتقب في الله مرتقب"

² كلمة غير واضحة في الأصل، والنصوب يقتضيه السياق.

³ ج: ص: وت: "لم يفر قوما" و ج: ص: وت: "ينهد" و "جند".

⁴ كلمة غير واضحة في الأصل، والنصوب من المعجم الوسيط.

⁵ زيادة من ت.

¹ ذو الرمة هو غيلان بن عتبة بن نهي من مسعود العدوي من مضر وهو شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره قال أبو عمر وابن الملا: فتح الشعر بامرئ القيس، ويختم بذي الرمة. أكثر شعره تشبيب وبكاء أحلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين، وكان مقيما بالبادية، يحضر إلى البعثة والعصرة كثيرا. قال جرير لو خرس ذو الرمة بعد قصيدته (ما بال عينك منها الماء يسكب) لكان أشعر الناس. (الأعلام ج 5: 124)

² ص: "ولو أدهين" و ت: "وقد أدهين" و ج: ت: "إلى ناظر"

³ ج: ص: وت: "منها" ولعله تصحيف كما ذكر عقق شرح الصولي. و ج: ت: "سماجة غيت فيها العيون بها".

⁴ ص: ش: وت: "يدو عواقب" و ج: ت: "يدو".

⁵ ص: وت: "كمنت" و ج: ص: "ما يعلم" و ج: ص: وت: "لو يعلم".

41- رمى بك الله برجيهما فهدهما ولو رمى بك غير الله لم تصب⁽¹⁾

يقول لما توجهت إلى عمورية محتسبا مبتغيا ما عند الله علم نيتك فنصرك على أعدائك، ولو علم منك خلاف ذلك لحذلك. فلم تصب خيرا في غزواتك، ومعنى رمى بك الله برجيهما يعني برجي عمورية اللذين كانا على بابها الأعظم، ويهدهما افتتحت عمورية.

42- من بعد ما أنشوها واقتنح بها والله مفتاح باب المعقل الأشب⁽²⁾

معنى أنشوها حصونها بكثرة الشجر حولها، ويكثر الرماح والسيوف، والمعقل الحصن المنيع. يقول كانوا قد وتقوا بتحسينهم لها، ولم يعلموا أن الله تعالى يفتح للمسلمين باب الحصن المنيع، ويسهل عليهم ما وعر المشركون.

43- وقال ذو أمرهم لا مرتع صدد للشارحين وليس السورد من كتب⁽³⁾

المرتع المرعى، والصدد القريب، والسورد الماء المورد، والكتب القريب، يقول إن صاحب الأمر بعمورية طمع أهلها بانتقال جيش المسلمين عنها لبعدها الماء، والمرعى عنهم.

44- أمانيا سلبتهم نجح هاجسها ظبي السيوف وأطراف القنا السلب⁽⁴⁾

الظبي جمع ظبية وهي حد السيف، والهاجس ما يقوم في النفس وما يسر الضمير من أمانة وغيرها، والسلب الرماح الطوال، يقول [كان التقدير أمانيا سلبتهم تصديقها ظبي السيوف أي حدها]⁽⁵⁾.

45- إن الحمايين من بيض ومن سمر دلوا الحياتين من ماء ومن عشب

هذا مثل، يقول تكلفت للمسلمين السيوف والرماح بالحياتين من ماء ومن مرعى حين وصلوا بهما إلى القفر بالمشركين، فكانا حامين لهم ضربا وطعنا، وقوله: "دلوا الحياتين" أي سببان يوصلان إلى الماء والعشب كما توصل الدلو إلى خيل الماء، وإنما سمي سبب المرعى دلوا لأن الماء أصل الحياة وسببه يسمى دلوا، فأشرك معه العشب لاجتماعهما في إقامة الحياة فيسمى بسببه دلوا.

46- لبيت صوتا زيطريا هرفت له كأس الكرى ورضاب الحرد العرب

زيطرة مدينة من تغور المسلمين⁽¹⁾. وكان المشركون قد أغاروا عليها، وسبوا نساءها، فصاحت امرأة منهم "يا معتمدا!" فبلغه ذلك فقال لبيك لبيك وخرج من وقته فكان ذلك سبب فتح عمورية، وقوله "كأس الكرى" هذا مثل، وحقيقته تركت النوم والدعة وآثرت عليها الغزو والتعب، والرضاب قطع الريق. والحرد الحيات، والعرب المحبيات لأزواجهن، والمعنى أثرت الغزو على التلذذ بهؤلاء الحرد العرب.

47- عداك حر الثنايا المستضاة عن برد الثغور وعن سلسالها الحصب⁽²⁾

عداك أي صرفك ومال بك، وحر الثغور إشفاقك عليها، واحتراق نفسك لضمير العدو لها، والسلسال الماء العذب السلس، والحصب الجاري على الحصاء، وشبه ماء أفواه جواربه وجريه على تغورهم بالماء العذب البارد الجاري على الحصاء، أي صرفك ما تجتد بقلبك من حرّ الصيبة حين أبيحت الثغور على التمتع بهؤلاء الجوارب وترشف مياه أفواههم العذبة الباردة.

48- أجيته معلما بالسيف منصلتا ولو دعيت بغير السيف لم تجب⁽³⁾

التصلت المتجرد من غمده، يقول أجيته ذلك الصوت الزيطري، وقد أعلمت نفسك بعلامة تدل على جذتك وشجاعتك، وأنت مصلت لسيفك مستعدة به، ولو دعيت

¹ زيطرة من الثغور الجارية، بينها وبين طليعة أربعة فراسخ. وفي حصن متبع كثير الأهل قديم رومي، فتحه حبيب بن مسلمة القهري وكان قائما إلى أن أخبرته الروم أيام الوليد بن زيد، فبني فهدته الروم فبناء الرشيد فطرقه الروم في خلافة المأمون وأغاروا على سرح أهله فأمر المأمون بزمته وقصبيه، ثم خرجت الروم إلى زيطرة أيام المعصم بالله عليهم توفيل بن مختاريل ملك الروم في عساكره، وذلك سنة ثلاث وعشرين ومائتين، فخرج إليهم المعصم مليا نداه المستعنيين، فأقام عليها أربعة أيام يهدم ويحرق، ثم أمر بعد ذلك بيناتها وفتحها فرأها العدو بعد ذلك فلم يقدّر عليها. (الروض المطالع: 285)

² ص و ت: "الثغور المنضاة". ح و ج: "حماك".

³ ص و ت: "ولو أجيته". ح و ج: "معلنا".

إلى التصرف في غير الحرب لم تجب لجلالة قدرك، وإنك لا تبتذل نفسك إلا في الحرب خاصة، ونحو هذا قوله: (1).

لا تدعون نوح بن عمرو دعوة للخطب إلا أن يكون جليلا وهذا كقول الآخر: (2).

نعرض للطعان إذا التقينا وجوها لا تعرض للسباب
49- حتى تركت عمود الشرك منعفرا ولم تعرج على الأوتاد والطنب

هذا مثل، يقول إن الشرك كعبة عمودها عمورية، وأوتادها وطنبها ما حول عمورية من الحصون، فعمدت إلى عمورية التي هي كعمود القبة لقوة سلطانك هدمتها وغفرتها بالأرض ولم تعرج على ما حولها من الحصون التي هي كأوتاد الحياء وطنبها.

50- لما رأى الحرب رأي العين توفلس والحرب مشتقة المعنى من الحرب توفلس هو صاحب عمورية، والحرب السلب، يقول لما رأى توفلس الحرب رؤية صحيحة، وأيقن أن عاقبتها سلب النفوس والأموال لأن الحرب إنما سميت حربا لذلك. وهذا كقول النابغة: (3).

وتستلب الذهب التي كان رهبها ضنينا بها والحرب فيها الحرائب
جعل يبذل للمعتصم أموالا ليرجع عنه، ويبان هذا في الذي بعده.

51- غدا يصرف بالأموال جريتها فعزه البحر ذو التيار والحدب (4)

1- البيت لأي قام من قصيدته في مدح نوح بن عمرو السكسكي:

لم تنق لسي جليلا ولا معقولا يوم الفراق لقد خلقت طويلا

2- البيت لرجل من غير بن عامر بن صعصعة (الحسابه 11 من تجلي غر المعاني ج 1: 8)

3- قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدي العامري. أبو ليلى شاعر مفلح صحابي من الممسين، أشهر في الجاهلية، وسعي النابغة لأنه أنام ثلاثين سنة لا يقول الشعر ثم نبع فقامه، وقد على النبي (ص) فأسلم وأدرك مدني، فقتلها مع علي، ثم سكن الكوفة، فسره معاوية إلى أصحان مع أحد ولاتها، فقام فيها وقد كلف بصره، وجاوز المنة. (الأعلام ج 5: 207) والبيت في (ديوانه: 184).

4- ج. من: "ذو التيار والعقب" وفي م. و. ت. ش: "جزيتها" بالزاي وهو تصحيف.

يقول لما رأى الحرب جعل يبذل المال للمعتصم ليصرف جرية الحرب التي هي كالبحر ذي التيار في جريها، فعزه تيار الحرب وغلبه عن أن يقطع جريه. ومعنى عزه غلبه، والحدب الأمواج، ومعنى يصرف كمعنى يصرف، إلا أن قوله يصرف للتكثر من الفعل، ويحتمل أن يريد بالبحر المعتصم أي رام [أن يصرفه عن أمر الحرب فعزه وغلبه] (1).

52- هيهات زعزت الأرض الوقور به عن غزو محتسب لا غزو مكتسب
هيهات أي ما أبعد الذي رجوت من قبول المعتصم المال، ورجوعه عنكم، وكيف يكون ذلك، وهو لم يخرج في طلب اكتساب المال، إنما خرج ناصرا لدين الله تعالى، ومحتسبا في مرضاة الله تعالى، وقوله "زعزت الأرض الوقور" أي لما خرج نحو عمورية، فنظرت الأرض إلى جيوشه، وعظم سلطانه، زعزت به أي زلزلت وقلقلت هيبته على أنها وقور أبدا.

53- لم ينفق الذهب المبري بكثرتة على الحصى وبه فقر إلى الذهب (2)
هذا في المعنى مثل الأول، يقول لو كان مفتقرا إلى الذهب وكسب المال، لما أفتق في غزوه ذاك من الذهب ما أربى بكثرتة على الحصى، ومعنى أربى زاد.

54- إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكربية في المسلوب لا السلب (3)
وهذا أيضا مؤكد للأول. يقول لو كان أسود الغاب إذا اعترضت الناس في يوم كربية أي في يوم شدة تصيب الناس بها، فإما همتها وغرضها بنفوسهم المسلوطة لا أسلابهم يعني أموالهم ونياهم، فكذلك المعتصم إنما طلبه نفوس المشركين لا أموالهم.

55- ولى وقد أجم الحطمي منطفة بسكنة تحتها الأحشاء في صخب (4)

1- زيادة يقتضها السياق.

2- ج. من: "لم تنفق".

3- ج. من: "أسود الغل".

4- ج. من: "خلفها" بالقاف و ج. ت. "خلفها" بالقاف.

يقول ولي توفلس هاربا، وخوف الخطي قد أَلَمَ منطقته، وأُخِرِسَ لسانه بسكينة، وجعل السكوت لجاما للكلام لأنه يمنعه ويكفه كما يمنع اللجام الدابة، والصخب الصوت، يقول هو ساكت وأحشاؤه تصطخب وتضطرب رهبة وجبنا.

56- أخذى قرايينه صرف الردى ومضى بحثت أخفى مطاياه من الرهب⁽¹⁾

معنى أخذى أعطى، والحذية العطية، والقرايين خاصة الملك وقرابته وجلساؤه واحدهم قريان، وصرف الردى ما ينصرف منه على الإنسان، والردى الهلاك، والصرف الخلاص، ومعنى بحث مطاياه يجرىها، ويحملها على السير الخفيف، وهو السريع، وقوله أخفى مطاياه أي أَلَفَ وأرفق من قولك فلان خفي بفلان أي لطيف به مكرم له، وليس من أخفى الدابة، والرهب الخوف.

يقول أعطى أصحابه صروف الردى، ومضى منهزما عنهم خاذلا لهم ويجوز أن يكون من حفا أي لا يعذر ما به خفي تحبيرة في الهرب.

57- مَوَكَّلًا بـيـفـاع ا يـقـرعه من خفة الخوف لا من خفة ب⁽²⁾

البيفاع المكان المشرف، ومعنى يقرعه يعلوه، والطرب هنا السرور، يقول مضى توفلس منهزما وقد وكل بالجلال فرغها وعلوها بخفة.

58- إن تعد من حرما عدو الظلم فقد أوسعت جاحمها من كثرة الخطب⁽³⁾

الظلم ذكر النعام، والجامح التهاب النار وشدتها، ضربه مثلا لشدة الحرب. يقول لتوفلس إن تسرع في الهرب وتعد مثل عدو الظلم الأشرد خوفا من

حرها [أي]⁽⁴⁾ الحرب، فلم يكن ذلك إلا بعدما أوسعت جاحم الحرب خطيا كثيرا من أصحابك.

59- تسعون ألفا كآساد الشرى نضجت جلودهم قبل نضج السنين والعنب⁽²⁾

إنما ذكر السنين والعنب جوابا لهم لأنهم كانوا يقولون لا يفتح مدينتنا إلا أولاد الزنا، وإن أقاموا إلى وقت نضج السنين والعنب لم يفلت منهم أحد، فوقع الأمر بهم قبل ذلك، فقال أبو تمام هذا مجيبا لهم ومستظيلا عليهم منهكما بهم والشرى موضع، وأسده أشد الأسد، أي كان أصحاب توفلس في الجرأة كآسد الشرى فأهلكوا قتلًا وإحراقا.

60- يا رب حوياء لما اجثت دابرهم طابت ولو ضمخت بالمسك لم تطلب

الحوياء النفس، ومعنى اجثت قطع واستوصلت جثته، يقول كم من نفس مسلمة طابت بقطع دابر المشركين من أهل عمورية، ولو ضمخت قبل ذلك بالمسك لما طابت لغلبة المكروه والتغير عليها.

61- ومغضب رجعت بيض السيف به حي الرضا من رذاهم ميت الغضب⁽³⁾

يقول كم من مغضب مسلم رجعت به السيوف من عمورية، وقد حيي رضاه. ومات غضبه لما ولي من استئصال المشركين.

62- والحرب قائمة في مآزق لجج يجشو القيام به جثوا على الركب⁽⁴⁾

المآزق [مضيق]⁽⁵⁾ الحرب، ومعنى يجشو على الركب [أي] لشدة الحرب وما يرى من هولها لا يستطيع الإنسان القيام فهو يجشو على ركبيته، فالحرب قائمة شديدة الأمر والقوم لها⁽⁶⁾ جائئون على الركب. واللجج الضيق.

¹ زيادة يقتضها السياق.

² ص و ت: "أعمارهم"

³ ص: "بعض السيوف به" و ح ص: "من رذاهم".

⁴ ص و ت: "صغرا" و ص: "فصرا" و ح ص و ت: "فجوا" و ح و ت: "صغرا" بالعين المهملة، و ت ت: "فجوا الكداء به".

⁵ زيادة من ص

⁶ ما بين المعقوفين غير واضح في الأصل، والتصويب من شرح التبريزي.

63- كم نيل تحت سناها من سنا قمر وتحت عارضها من عارض شنب

السني الضوء، والعارض الأول من السحاب، والثاني من الأضراس، والشنب البارد العذب، يقول كم نيل تحت شوبها أي الحرب من ضوء وجه كالفقر في الحسن يعني من سبي من النساء، وتحت عارض الحرب الذي يطر المنايا من عارض جارية باردة ماء القم عذبه شنبه العارض حرقته.

64- كم كان في قطع أسباب الرقاب بها إلى المخدرة العذراء من سبب

وهذا مثل الأول، يقول كم من سبب وصل إلى المخدرة العذراء كان ذلك السبب في قطع أسباب الأعناق، وأسباب الأعناق حبالها. يقول لما قبل الرجال بهذه الحرب وصل ذلك إلى سبي المخدرات من النساء، والمخدرة المستورة بالحد.

65- كم أحرزت قضب الهندي مصلته تهتز من قضب تهتز في كضب

وهذا أيضا مثل الأول، يقول كم نصبت، وجارت سيوف الهند حين أصلت لمحاربة العدو، وهزمت من جوار قدودهن كالفضيبي في التثني واللطافة وأعجازهن كالكتبان من الرمل في الامتلاء والكثافة فكانهن قضب الهندي على معنى قضب الحديد الهندي.

66- بيض إذا انتضيت من حجبها رجعت أحق بالبيض أبدانا من الحجب

البيض السيوف الصقيلة، ومعنى انتضيت أصلنت، وحجبها أغماها، لأنها تحجبها، وقوله: "بالبيض أبدانا" أي بالنساء البيض الأبدان، ونصب أبدانا على التمييز، والحجب جمع حجاب يعني ستور النساء. يقول إذا جردت السيوف من أغماها رجعت عن العدو وهي أحق بالنساء البيض الأبدان في الستور والحبال.

67- خليفة الله جازي الله سعيك عن جرثومة الملك والإسلام والحسب

68- بصرت بالراحة العليا فلم ترها تنال إلا على جسر من التعب⁽¹⁾

جرثومة الملك أصله ومستقره. ومعنى بصرت شعرت وعلمت، والراحة العليا الجنة، والجسر مثل القنطرة، يقول الجنة لا تنال إلا على قنطرة من الصبر يحتمله المرء من أن يجلد إلى الراحة.

69- إن كان بين صروف الدهر من رحم موصولة أو ذمام غير منقضب⁽²⁾

70- فبين أيامك اللاتي نصرت بها وبين أيام بدر أقرب النسب

يقول إن كانت صروف الدهر ترجع إلى رحم موصولة، وقت بعضها إلى بعض بأدلة غير منقضية منقطعة، فبين هذه الأيام التي نصرت بها، واقتنحت عمورية فيها، وبين أيام بدر التي نصر بها المسلمون بالنبي صلى الله عليه وسلم أقرب نسب وأمن رحم لأن كل وقعة منهما تشبه صاحبها في الفخامة والشهرة وإظهار الدين بها وإعلاء كلمة المسلمين بها.

71- أبتت بني الأصفر المصفر كاسهم صفر الوجوه وجلت أوجه العرب⁽³⁾

يقول أبتت أيام نصرتك وظهور كلمتك الروم وهم بنو الأصفر صفر الوجوه جزعا منك ودهية لعنابك وجلت وجوه العرب وحسننتها لما بدا من استشارهم وسرورهم بظهور أمرهم، والأصفر هو عيصو بن اسحاق صلى الله عليه. ويعصو أصل الروم ومنسلهم، وكان [4]

1- ص. و. ح. ت. "العظمى" و. ح. و. ت. "الكبرى".

2- ص. و. ح. ت. "مرور الدهر". و. ح. و. ت. "مرور". وهو تصحيف.

3- ص. "الأصفر المراض كاسهم" وجلت أوجه "ضم الهاء". و. ت. "الأصفر المراض كاسهم". و. ح. ت. "العتل".

4- ما بين المعقوفين مقدار كلمة غير واضحة في الأصل.

1- ح. ص. "لها" و. ح. و. ح. ت. "الحساء".

2- ص. و. ح. ت. "في قضب".

3- ص. و. ح. ت. "أحق بالبيض من خدر ومن حجب". و. ح. و. ت. "أزاليا". و. ح. و. ح. ت. "الرقاب".

4- ص. و. ت. "جرثومة الدين" و. ح. ص. "كافى الله". و. ت. ح. "كافا الله سعيك".

القصيد [4]:*

وقال يمدح أبا العباس عبد الله بن طاهر⁽¹⁾.

1- من عوادي يوسف وصواحيه فعزما قدما أدرك السؤل طالبه⁽²⁾

يقول النساء عوادي يوسف صلى الله عليه وسلم، وصواحيه اللاتي كدته وملن به عن خلفه لولا عصمة الله له، فلا ينبغي أن يصغي إليهن، ولا أن يقبل نصيحتن وعذلن، فاعزم على ما نويت من السفر، وأنا عن الوطن، قدما أدرك سؤلہ من طلبه وسعی له.

ومعنى العوادي الصوارف عن الحق: وقوله: "وصواحيه" أي صواحب كیده والمكر [به].

2- إذا المرء لم يستخلص الحزم نفسه فذروته للحادثات وغاربه⁽³⁾

يقول إذا لم يكن للمرء حزم يستخلصه ويعمل له ضاع وركبته الحوادث في الذروة والغارب. والذروة السنام. والغارب قدام السنام ضربهما مثلاً، وقد يحتمل أن يريد أن الحوادث تغير حاله فتذهب بقوته وأعلى أموره، لأن البعير إذا هزل اخط سنامه وغاربه.

3- أعادلت ما أخشن الليل مركبا وأخشن منه في الملمات راكمه⁽⁴⁾

يقول لعادلت على ركوب الليل والتشبث بأهواله ما أخشن الليل من مركب وأشدّه إلا أن الذي يركبه عند ملعة تنزل به، ويسيره للدفق نائبة تنويه أخشن منه.

*- هذه القصيدة من البحر الطويل.

1- عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الجرامي، بالولاء، أبو العباس، أمير خراسان، ومن أشهر الولاة في العصر العباسي. أصله من "بافقيش" بخراسان، ولد في سنة 82هـ، ولي إمرة الشام مدة ونقل إلى مصر في سنة 211هـ، ثم نقل إلى الدببور، وظهرت كفايته فكانت له طرستان وكرمان وخراسان والري والسواد، واستمر إلى أن توفي ببغداد (أقبل بمرور في سنة 230هـ، أنشئ عليه الموزعون وقالوا: كان المأمون كثير الاعتماد عليه. (الأعلام ج 4: 93-94).

2- من و ح ت "أحسن". و ت ن: "بري". و ت ن: "من" بغير استظهار، وربما جعلت في أوله "ألف" و ص و ت: "ش". "التار" و ح ت: "لهن". و ح و ح ت "أدرك الناي" و ح من: "وقدما" و "لديما".

3- ح ت: "ستخلص الحزم نفسه" و "تستفرك" مكان "يستخلص".

4- ح و ت: "أعادلت" و ح و ح ت: "أعادلتا ما أحسن الليل مركبا" و "وأحسن منه".

4- دعيني وأهوال الزمان أفانها فأهواله العظمى تلجها ورغائبه⁽¹⁾

قوله أفانها أي تفنيتني وأفانها، وأهواله شدائده، ورغائبه فوائده المرجوة، يقول لئذلت دعيني مع أهوال الزمان وشدائده، فأما أن أفانها ببلوغ ما آمله وإما أن تفنيتني ناستريح من تكبد الدنيا وأعابها، فأهواله العظمى والضير على ركوبها سبب لفوائدها المرغوب فيها.

5- أ لم تعلمي أن الزماع على السرى أخو النجح عند النائبات وصاحبه⁽²⁾

الزماع العزم والجِد، والسرى سر الليل، والنجح الظفر المطلوب. يقول من جد في أمره وآثر السرى والسعي على سكونه ودعته، ففعله ذلك كفتيل له بالنجح والظفر عند نائبة تنويه وأمر يحزنه.

6- دعيني على أخلاقي الصم للتي هي الوفر أو سرب ترن نواديه⁽³⁾

الصم الشداد الصلب، والوفر الغنى، ومعنى ترن ترفع أصواتها بالندب، يقول دعيني على أخلاقي الشديدة التي لا يستطيع كفي عنها بالعدل وكثرة اللوم، فإما أن تؤدبني إلى نيل الوفر، وإما أن تؤدبني إلى الهلاك والردى فيندبني من النساء سرب أي جماعة، ليكأنهن زين ولذبهن حنين.

7- فإن الحسام الهندواني إنما خشونته ما لم تنقل مضاربه⁽⁴⁾

هذا مثل، يقول السيف الهندي ما لم يستعمل ويصرف في الضرب به، وتنقل مضاربه عند استعماله، فهو خشن جاف، وإنما يلين ويصير ماضيا ويلطف باستعماله وتصريفه، وكذلك المرء لا ينفذ في الأمور إلا بجهده لنفسه وإيثاره السفر وتصرفه فيما

1- ص و ت: "فزيني". و ص ح ت: "أفانها". و ح و ح ت: "أفانها". و ح و ح ت: "أهوال".

2- ص و ت: "كفتي".

3- ص و ت: "عند الحداثات".

4- ص و ت: "كفتي". و ص و ت: "دعيني إلى أخلاقي العمل التي" و "الفر للتي" و "الصم للتي" ج صامل، و ص و ح ت: "كفتي إلى" و "الفر للتي" و "دعيني على أخلاقي الصم التي هي الوفر أو سرب ترن نواديه" و "فزيني على أخلاقي الصم للتي هي الوفر أو سرب". و ح ت: "الصم للتي" و "دعيني إلى أخلاقي الصم".

5- ص و ت: "فعل" و ح ت: "خشونته" و "ما لم تنقل مضاربه" باقواء.

يشق عليه، ومعنى "تفل مضاربه" أي تفل حدوده وجوانبه عند الضرب به أي كلما تفلل مضرب منه نقل الضرب إلى مضرب آخر.

8- ولقلل فأي من خراسان جأشها قفلت اطمئني أنضر الروض عازبه⁽¹⁾

العازب البعيد، والجأش النفس، يقول لما عزمت على الرحيل والثاني إلى خراسان جزعت لفرافي، وقلل نفسها نأي، قفلت لها أسكني وأهدني، فأبعد السفر أكثره فائدة كما أن عازب الروض، وما تباعد منه عن الناس أخضب وأنضر مما قرب منه.

9- وركب كأطراف الأسنة عرسوا على مثلها والليل تسطو غياهبه⁽²⁾

الغيب الظلمة، ومعنى تسطو تهيج وتترافد، والتعريس نزول المسافر في آخر الليل لبسامة نومة يستريح بها. يقول رب ركب هم في النفاذ والعزم على الأمر كأطراف الرماح عرسوا على الإبل مثلها في النفود والضمير، وغياهب الليل تسطو بعضها على بعض، ويحتمل أن يريد عرسوا على مثل أطراف الأسنة خوفاً ومهابة من القفلة وحوادث الليل، كما قال امرؤ القيس: ⁽³⁾

"كأنني وأصحابي على قرن أعفرا"⁽⁴⁾. يعني أنهم لا يهدوون إلا يسكنون⁽⁵⁾.

10- لأمر عليهم أن نتم صدوره وليس عليهم أن نتم عواقبه

يقول هؤلاء الركب يعني نفسه وأصحابه راحلون لأمر يروونه صواباً فعلهم أن يبتدروا تنفيذ أوامره، وعلى الله عز وجل تنعيم أو آخره وعواقبه بما شاء من قضائه، وهذا كقول بعض العرب في رجل تقحم حرباً قتل: ⁽⁶⁾

وكان على الفتى الإقدام فيها وليس عليه ما جنبت المسنون

¹ ح ت: "نأي".

² ح ت: "فأشأت".

³ امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي من بني أكل المرار، شاعر يمني الأصل: ولد في سنة 130ق هـ، وتوفي سنة 80 ق هـ. (معجم المؤلفين ج 2: 320)

⁴ وصدر البيت: "ولا مثل يوم في قداران ظنة" ديوان امرؤ القيس: 70.

⁵ زيادة بقضها السابق.

⁶ أ عيار أبي قلاب: 53.

11- على كل رواد الملاط تهدمت عريكته العليا وانضم حاله⁽¹⁾

الرواد المضطرب الذي يجيء ويذهب، والملاط عضد البعير، ويوصف بالاضطراب ونحو ذلك منه لأنه لا يكون كذلك إلا وقد بان عضده من كركرته فلا يصيبه ضابط "ولا ناكث ولا ضب، وهذه كلها جزوز وأثار تصبیه في كركرته من مباشرة عضده لها، والعريكة السنام، والحالب عرق في السرة إذا هزل البعير انضم واتقبض كما يتهدم سنامه ويذهب هزالاً".

12- رعته القيا في بعدما كان حقة رعاهما وماء الروض ينهل ساكبه

يقول لما استعمل هذا البعير في السفر وركوب القيا، وهي القفار، هزل بعدما كان ناعماً سميناً، فكان، القيا في رعته بإذهابها [لحمه]⁽²⁾، بعدما كان زماناً قد رعى نبتها، وتقلب في روضها، وذلك الرض في أتم ما يكون من الحصب لانهمال الماء فيه وانسكابه عليه، والمنهل المنسوب، والساكب السائل.

13- فاضى القلا قد جد في بري غضه وكان زماناً قبل ذاك يلاعبه⁽³⁾

القلا جمع قفلة يذكر ويؤنث، والنحش اللحم. يقول صار القلا جادا مجتهداً في بري لحظ هذا البعير وإذهابه بعد أن كان يلاعه عند رعيه فيه وتقلبه في روضه، ويحتمل أن يريد أن سفره الآن أبعد سفر وأشقّه يجد السير في القلا في إذهاب لحمه بذلك، وكانت أسفاره قبل قريبة سهلة لا تأخذ من لحمه شيئاً كثيراً، فكانها كانت تلعبه.

14- وكم جزع واد جب ذروة غارب وبالأمس كانت أتكته مذانبه⁽⁴⁾

الجزع منعطف الوادي، وقيل وسطه، ومعنى جب قطع، والغارب قدام السنام، وذروته أعلاه، ومعنى أتكته أعلته، يقال سنام نامك إذا كان عالياً، والمذاب مجاري الماء إلى الرياض، وهي أبداً أخضب من غيرها. يقول كم من واد هزل بعيراً بكثرة السير

¹ ص: "موار البلاط" ح ص: "ومن كل موار" ح ت: "موار البلاط".

² زيادة من ص.

³ ح ت: "شخص".

⁴ ص: "فكم جزع" ح ص و ت: "فكم جزع" ح ص و ت: "وكانت فدماً أتكته مذانبه".

فيه فحط غاربه، وجب سنامه بعد أن كانت مذائب ذلك الوادي قد أعلنت سنامه وغاربه برعيه فيها.

15- إليك جرعتنا مغرب الملك كلما وسطنا ملا صلت عليك سياسيه⁽¹⁾
أراد بقوله "مغرب الملك" الشام⁽²⁾، لأن ملك بني أمية⁽³⁾. كان فيه، وكان قد نهض من الشام إلى خراسان، وهي في المشرق من الشام، ومعنى وسطنا توسطنا، والملا ما اتسع من الأرض، والسبابس الفقار المستوية. يقول قطعنا إليك بلادنا والملا الذي بينك وبيننا، فكلما مررنا بملا دعت لك قناره، وصلت عليك لما عم الأرض من فضلك وطيب ذكرك.

16- فلو أن سيرا رمته فاستطعنه لصاحبنا شوقا إليك مغاربه⁽⁴⁾
يقول لو أن السياب ممن يروم السير فيستطيعه لصاحبنا مغارب الملا، وسارت معنا شوقا إليك ورغبة في لقاءك.

17- إلى ملك لم يلق كللك بأسه على ملك إلا وللذل جانبه⁽⁵⁾
الكلكل الصدر، والباس الشدة. يقول جرعتنا مغرب الملك إلى ملك عزيز لم يعتمد غيره من الملوك، وأغى عليه بأسه، وألقى عليه بكلكلة ملازما له بالمكرهه أن ظفر به، وأباح للذل جانبه، وضرب بإلقاء الكللك مثلا للزومه له بالحرب وإقامته عليه حتى يظفر به، وأصله في البعير إذا برك بنحره.

18- إلى سالب الجبار بيضة ملكه وأمله غاد عليه فسأله⁽⁶⁾

بيضة الملك قاعدته ومستقره، يقول هذا المدوح شجاع جواد، فكلما سلب جبارا ملكه غدا عليه مؤمله فسلبه ماله.

19- وأي مرام عنه يبعد شأوه مدى أو تقل الساعجات أخاشبه⁽¹⁾
شأوه طلقه، والمدى الغاية، ومعنى تقل تكسر وتكل، والناعجات الإبل البيض، ويقال السراع، والأخاشب جمع أخشب، وهو [الموضع] الغليظ. يقول أي مرام يرام فيبعد على من يرومه ويبعد شأوه عنه وعر المدوح مداه وغايته ويسر مدى الإبل لتذهب قوية [في] ذلك المدى رجاء جوده قد قرب البعيد. وكتانيه قد سهلت وعور الأرض، ويبان هذا في الذي بعده، والهاء في عنه للممدوح، والهاء في شأوه للمرام، والهاء في قوله "أخاشبه" للمدى.⁽²⁾

20- وقد قرب المرمى البعيد رجأوه وسهلت الأرض العزاز كئاشبه
هذا تفسير لما قبله، وقد نهينا عليه، والعزاز الأرض الصلبة المجتمععة، والكتائب الجيوش، وهذا كقول النابغة⁽³⁾. في وصف الجيش: "يدع الإكام كأنهن صحار".⁽⁴⁾

21- إذا أنت وجهت الركاب لقصده تينبت طعم المساء ذو أنت شاربه
يقول هو ميمون مبارك فمن وجه الركاب قاصدا إليه متعرضا لمعرفه تبتين السنج والظفر بما يأمله، وعلم ما يصل إليه من جوده وفضله قيل أن يصل إليه لما يراه

¹ من: "بعد نياطه غذا وتكل" و من ش: "دواء أو مالك:

وأي مرام عنه يبعد شأوه مدى وتقل الناعجات أخاشبه

ح من: "وأي حمام" و هذا أو قل: "ت: بعد نياطه" و ت ش: "نياطه غذا" و ح ت: "وأي مرام عنه يبعد شأوه مدى" و "أو تكل".

² زيادة بتضيها السباق.

³ النابغة الذبياني زياد بن ضباب الذبياني العطاراني المصري، أو أمانة: شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر يسوق عكاظ فقصده الشعراء فنحروا عليه أشعارا، شعره كثير، جمع بعضه في ديوان. (الأعلام ج: 54)

⁴ من قصيدة قالها النابغة في رزعة بن خويلد، ولقيه بمكاظ قنار. أنه يشير على قومه بأكل بني أزد وترك حلقهم، فأبى النابغة الفدر، وبلغه أن رزعة يتوعد بهالجاء فقال وأولها عبد الأصمعي: (بنت رزعة والسفاعة كاسهما) وصدر البيت (جمع يظل به القضاء معضلا) (ديوان النابغة: 99)

¹ ص و ت: "الشمس" و ح ص و ت: "هبطا ملا" و ح ت: "وسطنا فلا".

² الشام مهموز الألف وقد لا يهجر، وهو البلد المعروف قيل إنه سمي بشامات هناك حمر ونود. ولم يدخلها سام بن نوح قط، كما قال بعض الناس: إنه أول من اختطها. فسميت (بمعجم ما استعجم ج 3: 773).

³ بنو أمية: بطن عظيم من قرشي، من العدنانية، وهو بنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. كانت مساكنهم في الحجاز، ثم هجروا بعد انتشار الإسلام في البلاد.... (معجم قبائل العرب ج 1: 43-44).

⁴ ح ت: "قلو شرقا".

⁵ ح . ح . ح: "كامل" و ح ت: "على ناكث"

⁶ من: "وسأله".

من تبسر أمره، وتسهل السير عليه، فكان في ذلك بمنزلة من نظر إلى ماء فتبين طعمه قبل أن يشربه، وقوله: "ذو أنت شارب" وهي لغة طيء.

22- جدير بأن يستحي الله باديًا به ثم يستحي الندى ويراقبه يقول هو أهل لأن يقوم بحق الله أولاً، ولأن يقوم بحق الندى والكرم آخرًا، فهو يستحي من الله تعالى مؤد حقه المفترض عليه مستحي من الندى مراقب له قائم بما يوجب عليه من المعروف والتفعل.

23- سما للعلی من جانبیه کلیهما سمو عیاب البحر جاشت غواریه (1) عیاب البحر معظمه، وغواره أمواجه، ومعنی جاشت اضطربت وماجت. يقول ارتفع للمعالي طالبًا لها محيطًا من جانبیها کلیهما، وجانبیها اللذان یسمو منهما إلیها هما تادیة حق الله تعالی، وتادیة حق الندی، وهما الموصولان إلی نبل العلی، ثم شبه سموه إلی العلی شیئا بعد شیء، وتقادیه فی ذلك بسمو البحر إذا هاجت أمواجه وارتفعت وتتابعت شیئا بعد شیء، وإنما اقتدی فی هذا التشبیه بقول امرئ القیس:

سموت إلیها بعد ما نام أهلها سمو حیاب الماء حالًا علی حال (2) 24- فنزل حتی لم یجد من ینسله وحارب حتی لم یجد من یحاربه يقول أكثر من النائل حتی أغنی الناس، فلم یجد سائلًا فیسأله، وحارب العدو حتی استأصله، ودخل فی طاعته فلم یبق یحاربها له.

25- وذو یقظلات مستمر مریرها إذا الحطبت لاقاها اضمحلت نوابیه (3) المستمر المحکم، والمریر المحکم من الأمور، وأصله فی الحبل المحکم القتل، ضربه مثلاً. يقول هو یقظ فی کل أمر حاضر الرأي فیهِ شدید الیقظات مستحکم ما

1- ص و ت: "من جانبها" و "عیاب الماء".

2- من قصیده قالها امرؤ القیس ومثلها: ألا عم صباحا أیها الطلل البالی وعل یعم من كان فی العصر الحالی

(دیوانه : 31)

3- ح ص و ح ت: "لا قاذ".

أحکم منها فإذا باشر بها خطیبا من الخطوب ذوات النواب أذهبه بشدة عزمه، وجلاه بصحة رأیه وتدیبره، فاضمحلت نوابیه، ولانت جوانبه.

26- وأین یوجه الحزم عنه و إنما مرانی الأمور المشکلات تجاربه (1) المراتی جمع مرآة الوجه. يقول أين یعدل عنه وجه الحزم، أو إلی من ینتهی به سواه، وتجاربه مرآة ینظر بها فیتبین الأمر من قبل یجحا للتعامل.

27- أری الناس منهج الندی بعدما عفت مهایمه المثلی ومحت لواحبه المنهاج الطریق البین، والمهاجع جمع مہجع، وهو الطریق الواسع، واللواحج الطرق البینة أيضا. ومعنی تحت درست. يقول علم الناس الکرم والندی، و بین لهم طرقه بما بسط من المعروف بعدما كانت قد عفت، ودرست بجمود أیدی الناس عن التفعل ودعولهم عن طرائق الجود والکرم والمثل القاصدة.

28- فسی کل یجد فی السبلاد وغائر مواهب لیست منه وهي مواهبه (2) يقول أكثر من المعروف حتی أغنی کل من سأله فجادوا علی غیرهم، وأنا لوهم مما أنالهم هذا الممدوح، فقی جمیع الأرض من یجد وغور مواهب لم یهبها هو ولكن وهبها غیره من مواهبه التي وهبت له. فإن لم تكن تلك المواهب له فأصلها راجع إلیه وهذا کقول زهير:

وذي نسب نساء بعسید وصلته بمال وما یدری بأنک واصله (3) 29- لتحدث له الأيام شکر خناعة تطیب صبا یجد به وجنائیه (4)

الخناعة السطمان والذل، والصبا الريح الشرقية، والجناذب الريح القبلية، يقول قد أحسن هذا الممدوح إلی الدهر، وحلاه بکريم فعله، فلیشکره شکر ممنون علیه خانع للمان المنعم حتی تطیب ریح یجد بذلك الشکر الذي یتحملة عن الدهر إلی هذا الممدوح.

1- من: "قائ" و ح ص: "منه" و "مرابا" و ح ت: "وجه الرأي" و "مر أي الأمور".

2- ح ص و ح ت: "ففي كل شرق في البلاد وغرب".

3- شعر زهير بن أبي سلمى: صنعة الأعلام الفتنري: 58.

4- ح ص و ح ت: "لشكر له الأيام" و "شكر خناعة" و ح ص: "شفاعه".

30- فو الله لو لم يابس الدهر فعله لأفسدت الماء الفراح معانيه⁽¹⁾

يقول لولا أن هذا الممدوح تلافى الزمان، وحلاه بكرمه، وألبسه برود فضله، لتناهى فساد، وغير كل شيء بمعايه حتى الماء الفراح الحاصل العذب البارد، وهذا ضد ما قال الفرزدق⁽²⁾.

ولو لبس السهارة بسني كليب لدنس لؤمة وضح السهارة⁽³⁾

31- ويأبها الساري أسر غير محاذر جنان ظلام أوردى أنبت هائبه⁽⁴⁾

32- فقدبست عبد الله خوف انتقامه على الليل حتى ما تدب عقارب

جنان الظلام ما ستر منه، والردى الهلاك، ومعنى بث بسط ونشر، والعقارب مثل في المكروه والشر. يقول من أراد السرى بالليل فليسر آمنا غير محاذر لما يأتي به الليل من الأهوال، وما يهايه الساري من أسباب الردى، فقد بسط هذا الممدوح انتقامه المخوف وعقابه المتوقع، ونشره على الليل وأهله حتى ما تدب له عقرب، ولا يتوقع فيه شر.

33- يقولون إن الليث ليث خفية نواجهه مطرورة ومخالبه

34- وما الليث كل الليث إلا ابن عشرة يعيش فوق ناقة وهو راهبه⁽⁵⁾

الليث الأسد، الخفية [الماسدة]⁽⁶⁾. والمطرورة المحددة، والفواق والفيقة ما بين أن تحلب الناقة ثم تترك ثم يعاود الحلب، يقول إن الناس يزعمون أن الليث هو السبع أ. ح: ت: "قاسم" مكان "قواله" و "شكره" مكان "فعله".

¹ الفرزدق هو أبو فراس همام بن غالب، كنيته أبو الأخط، شاعر أموي مشهور كانت له مهاجاة مع جرير، وقد اختلف العلماء أهل المعرفة بالشعر فيهما والمفاضلة بينهما، والأكثرون على أن جريرا أشعر منه. جمع لهما كتاب يسمى "القفائين". توفي الفرزدق بالبصرة سنة عشرة ومائة. (وفيات الأعيان ج 6: 100).

² من قصيدة قالها الفرزدق في حماد جرير، ورواية الليث في الديون:

ولو لبس السهارة بسني كليب لدنس لؤمهم وضح السهارة

(ديوان الفرزدق: 144)

³ ح ص و ت: "أيا أها".

⁴ ح ت: "يعيش فوقها ناقة". على تنجية "فواق" وأورد بعده ورواية "فواق" مفردا مزاحفا أحسن منه متى ومنوا.

⁵ زيادة بقضيها السباق.

ذو النواجذ المطرورة والمخالب المحددة وليس هو كما زعموا. وإنما الليث في الحقيقة رجل زلت به قدمه فأذنبت إلى هذا الممدوح، ثم ندم وذهب عقابه، وعاش مقدار فوق ناقة، وهو في تلك الحال غير ميت، فليس هذا إلا أنه أجزأ من الأسد وأقوى نفا.

35- ويوم أمام الملك دحض وقفته ولو خر فيه الدين لا نزال كائيه⁽¹⁾

الدحض الصعب، وأصله من الزلق، والكائب من الدين أعلاه وأشرفه، وأصل الكائب للداة وهو الحارث فاستعاره للدين.

يقول رب يوم من أيام الحرب صعب شديد وقتت فيه أمام الملك تحمية، وتذب عنه، ولو خر فيه الدين وتواضع ذهب أعلاه وتخاشع.

36- جلوت به وجه الخلافة والقنا قد اتسعت بين الضلوع مذاهبه

يقول أبرزت في ذلك اليوم وجه الخلافة بحسن بلاتك وذك عنها في وقت اشتداد الحرب، واتساع طرق الرماح بين الضلوع ووصولها إلى الأكباد والقلوب.

37- رضيت صداه والصفيح من الطلى رواء نواحيه عذاب مشاربة⁽²⁾

الصدى شدة العطن، والصفيح جمع صفيحة، وهو السيف، والطلى صفحة الأعناق والرواء المرتوية من الدم. يقول رضيت عطش ذلك اليوم وشدته، وصيرت على ذلك، والسيف مرتوية من دماء الرقاب عذبة المشارب لأنها دماء ملوك له أكفاء.

38- ليالي لم يقعد سيفك أن يرى هو الموت إلا أن غفوك غالية⁽³⁾

يقول كأن سيفك بمنزلة الموت في إنلاف النفوس، ولم يقس به أن يكون هو الموت على الحقيقة إلا أغلبه غفوك، ولا قصر به عن ذلك إلا كريم منحل.

39- فلو نطقت حرب لقات محفة ألا هكذا فليكبس المجد كاسيه

أي لما نظرت الحرب إلى شدة جرأتك وحسن بلاتك، عجبت فلو أنها ممن ينطق لقاتل بجد منها وحقيقة ألا هكذا فليكبس المجد كاسيه.

¹ - ص و ت ش: "النهال" و ح ص: "الموت" و ح ص و ت ش: "لأنه كائيه"

² - ص و ح ت: "سقيت" و ح ص و ت: "فقتت" و ح ص و ت: "رضيت جداه" و "رضيت صداه"

³ - ص و ت ش و ح: "بيد العدى والغفوك عندك غالية"

40- لتعلم أن الغر من آل مصعب

غداة الوغى آل الوغى وأقاربه⁽¹⁾

أي كانت الحرب تقول ذلك ليعلم ويتيقن عندنا بإقرارها أن هؤلاء الغر من آل مصعب قاتمون بأمر الحرب حاملون لأفعالها متصلون بها اتصال الأهل والأقارب. وآل مصعب رهط عبد الله بن طاهر. والوغي الحرب تذكر وتؤنت، وأصل الوغى الصوت في الحرب فسميت به.

41- كواكب جمد يعلل الليل أنها

إذا أجمعت باءت بصغر كواكبها⁽²⁾

يقال نجم النجم إذا طلع، ومعنى باءت أقرت، ومنه باء فلان بذنبه أي أقر به، والصغر الذل. يقول أفعال هؤلاء شريفة مشهورة إذا طلعت علم الليل أن نجومه نبوء بذل وصغار، لأن نجوم هؤلاء تفضحها وتخزيها.

42- وبها أيها الساعي ليدرك شأوه

تزحزح قضيا أسوأ الظن كاذبه

43- بحسبك من نبل المناقب أن ترى

عليما بأن ليست تنال مناقبه⁽³⁾

الشأو الطلق، والقضي البعيد والمناقب المكارم، يقول يا من يسعى طمعا في إدراك شأو هذا الممدوح تأخر بعيدا، وأرجع عن هذا الظن الكاذب والطمع الفاسد، فأسوأ الظن كاذبه، وحسبك من نبل المناقب وإدراك المساعي والمكارم أن تكون عالما مقرا بأن مناقب الممدوح لا تنال، ومساعيه لا ترام، فإذا علمت ذلك فهو شرف لك ورفعة بك.

44- إذا ما أمرؤ ألقى بربيعك رحله

فقد طالبتة بالنجاح مطالبه

يقول من كان طالبا للمعروف فوصل إليك، وألقى رحله بربيعك، فمطالبه التي تطالبه بالنجاح، وتلق عليه بإدراك ما طلب، وبئيل ما سعى له.

القصيد [5] *

وقال يمدح ديار بن عبد الله:

1- مهاة النقا لولا الشوى والمأبض وإن محض التصريح لي منك ماحض⁽¹⁾

المهاة البقرة الوحشية، والنقى الرمل، والشوى القوائم، والمأبض باطن ما انطوى من القمام كالركبتين والعروقيين، ومن ذراعي الإنسان باطن ما انطوى منهما، والتصريح بتبيين الأمر وكشف حقيقته، والماحض المخلص المصرح، يقول أنت مهاة النقا في حسن العيتين، وسكون المشي، وطى الكشحين، فلولا شوى المهاة ومأبضها لكتنت مهاة وإن محض لي التصريح بإبداء الهجران لي والإعراض عني.

2- رعت طرفها في هامة قد تنكرت

وصوح منها نبتها وهو بارض⁽²⁾

يقول نظرت بطرفها وقد تنكرت بالشيب، وصوح نبتها أي جف ويس وهو بارض أي صغير أول ما طلع ونبت، وهذا مثل، والمعنى أنه شاب قبل أوان الشيب، فكان شعره كتبت صواح يعني أول ما نبت وطلع، وإنما قال رعت طرفها فذكر الرعي لذكره النبت.

3- فصدت وعاضته أسمى وصباية

وما عاض منها وإن جل عائض⁽³⁾

يقول لما رأت شيبي صدت. وعوضتي من وصاليها والتمعت بقرنها الأسى والصبابة. وما العوض الجليل عندي بعوض منها فكيف الأسى والصبابة، والأسى الحزن، والصبابة رقة الشوق، والعائض هنا بمعنى العوض كأن يدعى فاعل للمبالغة على أنه يريد العوض عائض كما يقال شعر شاعر، وموت مائت.

4- فما صقل السيف البياني لمشهد

كما صقلت بالأسس تلك العوارض

* القصيدة من البحر الطويل.

1- ص و ت: "لعل" و ح ص: "لعل أن الغر" و ح ص و ت: "أسود الوغى أسهارة وأقاربه".

2- ص و ت: "نجمت" و ص و ت و ح: "بذل كواكب" و "بانت" وهو تصحيف، و "كواكب ليل" و ح ص و ت: "أنه" و ح ت: "إذا أجمعت".

3- ح ص: "حسبك" و ح ص و ت: "المناقب".

يقول هي إفة العوارض تقيتها، فليس السيف اليماني الصقيل الذي صنع لمشهد من مشاهد الحرب بأقنى من عوارضها المصفولة لصفائها وجلاتها بالسلك، ومعنى قوله "بالأمس" أي حين كانت تواصلني وتضحك لي فأنظر إلى عوارضها.

ولا كشف الليل النهار وقد بدا كما كشفت تلك الشؤون الغوامض⁽¹⁾

الشؤون هنا الأمور، واحدها شأن، والغوامض الخفية. يقول ليس بيان النهار إذا انكشف عنه الليل فيداً باين من إظهارها لي ما كانت تنطوي عليه. وتكنمه عني من محبتها وكلفها بي، وإنما يريد أنها إذ كانت راغبة فيه زمن شابه كانت تساتره، وتكنم عنه محبتها له، فلما شاب أعرضت عنه، وأطلعت على ما كانت تنطوي عليه له.

6- ولا عملت خرقاء أوهت شعبيها كما عملت تلك الدموع الفوانض

الخرقاء التي لا تحسن عمل الأشياء، وهي ضد الصناع، ومعنى أوهت ضعفت وأفسدت، والشعيب المزادة، يقول لا تفيض المزاغة التي خرزتها المرأة الخرقاء فأوهنتها كفيض دموع حين صدت عني فكشفت تلك الشؤون لي، وقد يحتمل أن تكون هي بكت حزناً لذهاب شبيهه، ويذكر الزمان شغفها به.

7- وأخرى لحني حين لم أمتع النوى قيادي ولم ينقض زماعي ناقض⁽²⁾

8- أرادت بأن يحوي الغنى وهو وادع وهل يفرس الليث الطلى وهو رابض⁽³⁾

الزمام العزمة والجهد، والوداع الساكن، ومعنى يفرس يندق ويكسر، ومنه فرصة الأسد، والطللى صفحات الأعناق، وأراد بها الأعناق أنفسها. يقول لما أزمعت السفر، وزعمت على النوى، وأبعدت لها لحني عاذلة من العوادل على ذلك، قالت لم تعرض نفسك للتلغف، وتطلب الرزق على الغر، وإنما رزقك مقدر لك أتيتك وأنت مقيم في ديارك وادع في أهلك، فقال رادا عليها، وهل يفرس الأسد وهو رابض في أجمنه، أي إنما ينال الغنى باستعمال السفر والضرب في الأرض.

¹ - ح ص: "السوف" مكان "الشؤون" وهو تصحيف و ح ت: "العوون".

² - ح ص: "غفادي" و "زمانتي" وهو تصحيف و "زمانتي" و ح ت: "يوم" مكان "حين".

³ - ح ص: "بأن يحوي الرغيبات وادع" و ح ت: "بأن يحوي الرغيبات وادع".

9- هي الحرة الوجنا وابن ملمة وجأش على ما يحدث الفقر خافض⁽¹⁾

الحرة الناقة العتيقة، والوجناء العظيمة الوجنة، وقال الغليظة الصلبة، والجأش النفس، والخافض الساكن المطمئن، فيقول الناقة التي استعملتها في طلب الغنى هي الحرة الوجناء، وراكبها ابن ملمة أي المضطلع بالملمة، الصابر للشدة، يعني نفسه وجأش جأش ساكن مطمئن، وإن أحدث الفقر ما يوجب الجزع ويحرك الجأش، وإنما يريد أنه جلد قد اعتاد ركوب الأهوال حتى أشبهه بها.

10- إذا ما رأته العيس ظلت كأنما عليها من الورد اليماني ناقض⁽²⁾

العيس البيض من الإبل، والورد حمى كل يوم، والناقض المرعد. يقول قد علمت منه الإبل كثرة الأسفار، فإذا نظرت إليه فزعت منه، واثقت أنعابه، فأرعدت حتى كأن ناقضاً من حمى ورد، وخص حمى اليمن لأنها أشد الحمى.

11- إليك سرى بالمدح ركب كأنهم على المسح حيات اللصاب النضاض⁽³⁾

المسح شجر تصنع منه الد، واللصاب جمع لصب وهو الشق في الجبال، والنضاض التي تحرك ألسنتها من العا، وشدة الحر. يقول إليك سرى مادحاً لك ركب كأنهم على ظهور الإبل حيات نضاض مرهم وذكاكهم، وقوله: "على المسح" أي على رجال المسح.

12- معبدون ورد الحوض قد هدم البلى نصائبه وأصبح منه المراكض⁽⁴⁾

النصائب حجارة تنصب حول الحوض، والمراكض ما حول الحوض حيث تركض الإبل إذا وردت، وأمحت درست. يقول هؤلاء الركب سالكون طريقاً لم تسلك منذ

¹ - ح ص و ت: "الدمر" و ح ت: "الفقر" و "على ما يحدث الفقر".

² - ح ص و ت: "اليماني" مكان "اليماني" وقال التبريزي في شرحه للبيت: "الوجه أن يروى "بالورد اليماني" منسوب إلى اليمامة لأن الحمى تكثر فيها.. فأما اليمن فلم وصف بذلك.

³ - فغري رواية من روى "اليماني" يبين أن "اليماني" بتشديد الياء ليس باللمة العالية".

⁴ - ح ص و ت: "قوم" و ح ص: "العيس" مكان "المسح" وهو تصحيف.

⁵ - ح ص و ت: "معدن" و "الفتح" و ت ث: "معين".

دحر فهم معيدون للورد فيه مرة بعد مرة من حوض قدم عهده، فهدم البلى حروفه، وعفى آثار وارديه.

- 13- نشيم بروفا من نذاك كانها وقد لاح أولاهها عروق نوابض⁽¹⁾
14- فما زلن يستشربن حتى كأنما على أفق الدنيا سيوف روامض⁽²⁾

الشميم النظر إلى الرق، والنوابض المضطربة، ومعنى يستشربن ينتشرن ويقوين، يعني البروق، والروامض المشحونة الصقيلة، كأنها رمضت أي رقت وشحذت من حجرين، يقول غن نشيم بروق نذاك وشواهد كرمك كما نشيم بروق السحاب التي هي دلالة الغيث فكان بالآخر من أولائها أو ماظهر من خفتها عروق تنبض وتتابع في الاضطراب، فكلمنا شمتها استطارت وانتشرت وقوي لمعانها، واشتد وميضها فكانها وقد عمت الأفاق سيوف صقيلة تلمع بهاء في الأفق.

- 15- فلم تنصرم إلا وفي كل وحدة ونشر لها واد من العرف فائض⁽³⁾

الوحدة البطن من الأرض الملمتن، والنشر الظهر من الأرض المرتفع. يقول لم تنصرم تلك البروق ولا انقطع لمعانها إلا وقدم السهل والجبل أودية فائضة من عرفك، وهذه كلها أمثال لكثرة عطائه.

- 16- أخوا الحرب كم ألقحتها وهي حائل وأخرتها عن وقتها وهي ماخض

الحائل التي لم تحمل، والإقحاح أن يحمل عليها الفحل حتى تلقح، والماخض التي جاءها ولادها، وأصابها وجع الولادة. يقول [إذا حالت الحرب أي لم تكن في عام وأردتها الفحت الحرب وهيبتها] وإن كانت ساكنة فكانت كناقطة حائل لم تحمل حملة [فحملت عليها] الفحل فألقحتها وإذا ما أنت كرهتها أسكنتها [وإن كانت هانجة شديدة قربة الوقوع تقرب ولادة الماخض⁽⁴⁾].

- 17- إذا عرض رعديد تدنس في الوغى فسيغفك في الهيجى لعرضك راحض

الرعديد الجبان الذي يرعد جيننا، والهيجى الحرب، والراحض الغاسل. يقول إذا تدنس عرض الجبان في الحرب بما يلحق به من اللوم والعب لجبنه فانت حينئذ تقي العرض من الدنس مما يبدو من شجاعته، وبين من كرم نفسك، وجعل السيف حاميا لعرضه، لأنه يقي عنه ما يلزم عرض الجبان من اللوم.

- 18- إذا كانت الأنفاس حمرا لدى الوغى وضائق ثياب القوم وهي فضافض⁽¹⁾

الفضاض الواسعة الكاملة. يقول أنت تحمي عرضك من اللوم، إذا اشتدت الحرب، واستولي على الناس الكرب، وكانت أنفاسهم مستحرة ملتهبة كأنها النار، وضائق عليهم الثياب على سعتها وكمالها لما هم فيه من توهج الحرب، وإنما جعل الأنفاس حمرا وإن كانت غير ملونة مرتبة إغارة وتشبيها بالنار لشدة حرها، ويروى جمرا.

- 19- بحيث القلوب الساكنات خوافق وماء الوجوه الأريحيات غائض⁽²⁾

الغائض الغائي الذاهب، والأريحيات المسرورات المستبشرات. يقول إن القلوب الساكنات لجرأتها وشدتها تخفق في الحرب، وتتقلقل رعبا وهيبا، والوجوه الطلقة الناضرة تتغير فصيغ مغيرة باسرة، قد ذهب ماؤها.

- 20- فأنت الذي تستنطق الحرب بأسه إذا جاسض عن حشد الأسنة جائض⁽³⁾

جاسض عدل ومال، يقول إذا اشتدت الحرب فهاب الناس أطراف الأسنة، فعدلوا عنها، فأنت حينئذ ثابت تحاطب الحرب مستمدة من بأسك مستعينة بك.

- 21- إذا قبض النقع العيون سمالة هممام على جمر المنية قابض⁽⁴⁾

النقع الغبار، والهممام الذي ينفذ ما هم به، يقول إذا اشتدت الحرب، وحجب النقع عيون الأقران فلم ير بعضهم بعضا، فهذا الممدوح يسمو لذلك النقع،

1- ص: وت: "جمرا" و ج: "خمرا"

2- ص: "السوف" مكان "القولوب".

3- ص: وت: "تسقط الحرب باسمه" و ج: "فانت الذي تستنطق الحرب باسمه" و "المنية" مكان "الاسنة".

4- ص: وت: "الحقيقة" مكان "المنية" و ج: "الحية".

1- ج: ت: "تواضع".

2- ج: ص: و ج: ت: "بروق تواضع" مكان "سيوف روامض".

3- ص: "تنصرف" و ج: ص: "ينصرف" و "فلم ينصرف".

4- ما وضع في هذه الفقرة بين مقوفين غير واضح في الأصل، والزيادة اعتمادا على شرح الصولي للبيت.

ويبادر الدخول فيه، وإن كانت المنية ملتبسة به، فهو قابض على جمرها مستسهل أصعبها.

22- وقد علم الحزم الذي أنت ربه بأن لا يعي العظم الذي أنت هائض وعلى العظم إذا انجبر، والهائض الكاسر للشيء بعد أن جبر، وهو أشد الكسر. يقول قد علم حزمك وصحة تدبيرك أنك متى انتهكت حرمة للعدو أو قلت له حدا، فهو لا ينجر، ولا يتوب له حال، كما أن العظم إذا هيض لم ينجر

23- وقد علم القرن المناويك أنه سيعرق في البحر الذي أنت خائض⁽¹⁾

المناواة المعادة، وهي من ذوات الهمز فخففت ضرورة. يقول قد أيقن كل قرن مناوئ لك أنه غير مقاومك، وأنكما إذا باشرقا غمرة الحرب ولجتها فانت خائض لها خارج منها، وهو غريق في بحرهما غير متخلص منها.

24- كما علم المستشعرون بأنهم بطاء عن النحو الذي أنا قارض⁽²⁾

المستشعرون المنتمون إلى صناعة الشعر، والقارض الشاعر، والقرض الشعر. يقول علم قرتك بأنه لا يفوقك كعلم الشعراء بأنهم عاجزون عن مثل شعري، وبطاء عن النحو والصنف الذي أذهب إليه من قريضي.

25- كأي دينار ينسادي ألا امرؤ يسبارز إذ ناديت من ذا يعارض⁽³⁾

26- فلا تنكروا ذل القوافي وقد رأى محرمها أنني لها الدهر رائض⁽⁴⁾

دينار اسم المدوح، والمحرم الذي لم يرض، يقال يعير محرم، وأعرابي محرم أي بين الأعرابية جاف لم تطفه الحواضر، وأصل التحريم المنع، فالمحرم من الدواب الصعب المتنع، يقول لما ناديت الشعراء للمعارضة تأخروا عن ذلك، فكأني دينار إذا نادى الأقران من ذا يبارز فلم يقدم عليه قرن، ثم قال لا تنكروا أن تكون قوافي الشعر

1- ص: "المناويك" و ج م و ت: "المناويك".

2- م و ت: "الشعر" و ج م: "بطاء من النحو الذي أنا قارض".

3- ج م و ت: "الرائض".

4- م و ت: "قد" و ج م: "له" مكان "لها" وهو تصحيف.

مستقادة لي ذليلة فقد رضت المحرم منها الصعب حتى صار ذلولاً سهلاً ولو كان ذل القوافي بكسر الذال لكان أتم في المعنى والضمير له لأنه مصدر الذلول من الدواب.

القصة [6] *

وقال يمدح الحسن بن رجاء⁽¹⁾:

- 1- أأمانا ما كنت إلا مواهبا
المواهب العطايا. يقول كنت لنا في استحساننا لك، ورغبتنا فيك
كالمواهب، وكنت محبة إلينا بإسعاف الحبيب لنا، ومواصلته إيانا.
 - 2- تفرقن أيام حمدت نعيمها
ككذا كل أيام يعدن ذواهبها⁽²⁾
 - 3- سنغرب تجديدا لعهدك في البكا
فما كنت في الأيام إلا غرابيا
يقول تفرقت تلك الأيام حمودة النعيم، بعد اجتماعها واتلافنا فيها،
وكذا كل الأيام تنعود ذاهية متفرقة، وقوله سنغرب أي سنأتي من البكاء بشيء غريب
يجد به ذكر عهدك، وما ولينا من حسن أثرك، فقد كنت غراب في الأيام لا نظير لك.
 - 4- ومعترك للشوق أهدى به الهوى
إلى ذي الهوى جل العيون ربائبها⁽³⁾
 - 5- كواعب زارت في ليال قصيرة
يخيلن لي من حسنهن كواعبا⁽⁴⁾
- المعترك مجتمع الناس في الحرب، وموضع تزاحمهم، ضربه مثلا لموضع
اجتماعه مع الأحبة وشكواه إليهن هواه وشوقه، والتجل الواسعات الأعين، والربائب
المربيات. يقول جمعنا الشوق والهوى، فنظرنا إلى جوار جل العيون كثير الوحش إلا
أنهن ربائب أنساب، وقوله إلى ذي الهوى أي العاشق يعني نفسه.
- الكواعب الشواب اللاتي كعبت نهودهن أي نثأت كالكعوب. يقول هؤلاء
الكواعب لما زرتنا سررنا بهن فقصرت علينا الليالي من أجلهن، وحسنت عندنا حتى
ظنناها نساء كواعب من حسنهن.

* القصة من البحر الطويل.

1. من و: "الحسن بن سهل".

2. هذا البيت لم يرد في ص و ت، وذكره عقق شرح التبريزي وأورد رواية "نولين" مكان "تفرق".

3. ح. من: "به الكرى".

4. ح. من: "كواكبا".

6- سلبنا غطاء الحسن عن حسن أوجه نظل للب السالبيها سواببا⁽¹⁾

يقول لما زرتنا كشفنا عن وجوههن مايسر الحسن ويغطيه من القناع
والبرقع، فلما نظرنا إلى ذلك الحسن سلب عقولنا وألباننا.

7- وجوه لو أن الأرض فيها كواكب توقد للساري لكانت كواكبا⁽²⁾

يقول وجوههن كالتجوم في الضياء والحسن، فلو كان في الأرض نجوم
يستضيء بها الساري بالليل لكانت هذه الوجوه نجومًا.

8- سلي هل عمرت القفر وهي سباب وغادرت رعي من ركابي سبابا⁽³⁾

السباب والسباب القفار، والربع المنزل، والركاب الإبل. يقول مفتخرا
بجلده وصبره سلي عني هل عمرت القفر كركوبي له وتردد في، على أنها قفار مستوية،
وذلك أشد لهولها، وتركت رعي قرا سببا خلوه مني ومن ركابي.

9- وغربت حتى لم أجد ذكر مشرق وشرقت حتى قد نسيت المغاربا

أي أمعنت في المغرب حتى صرت منه بحيث لا يذكر المشرق ولا يعرف
وأمعنت في المشرق حتى نسيت المغرب لبعده عهدي به.

10- خطوب إذا لاقيتهم رددتني جريحا كاني قد لقيت الكتابا⁽⁴⁾

أي التي وصفت خطوب شديدة إذا وليتها ولا يستها أثرت في فعادرتني
جريحا كاني قد قابلت كتابا.

11- ومن لم يسلم للنواب أصبحت خلا نقه طرا عليه نوابا⁽⁵⁾

يقول من نابه النواب فلم يصير لها ولم يسلم لله فيها، ضاق صدره عنها،
وتكدرت أخلاقه من أجلها، فصارت عليه أخلاقه نواب إلى نواب الزمان وحوادثه.

1. ص و ت: "حر" ح. من: "سلي".

2. ح. من و ت: "لكن".

3. ص و ت: "وهو سباب".

4. ص و ت: "كتابا".

5. ح. من و ت: "جمعا".

12- وقد يكهم السيف المسمى منية وقد يرجع المرء المظفر خائباً

الكهام من السيوف الذي لا يقطع. يقول قد ينبو السيف الصارم المسمى منية لمضاه، وقد يجيب المرء الذي عود النصر والمظفر.

13- قاعة ذا ألا يصادف مضرباً وآفة ذا ألا يصادف ضارباً⁽¹⁾

يقول آفة الرجل المظفر ألا يصادف مضرباً في الأرض، يمتحن فيه نفسه، وآفة السيف الماضي ألا يوافق من يحسن الضرب به، وإنما يشير بهذا كله إلى أنه محروم لا يوافق من يعرف حقه، ويوفيه واجبه.

14- وملان من ضغن كواه توقلسي إلى الهمة العليا سناما وغاربا

التوقل العلو في الجبل. يقول رب حاسد ممتلئ من ضغن كلما رأيي أضعده في أعلى الهمم وأرتقي إلى أشرف الأخلاق والشيم أحرقة ذلك وكواه. وقوله "سناما وغاربا" تمييز. والمعنى إلى الهمة التي علت سناما.

15- شهدت جسيمات العلى وهو غائب ولو كان أيضاً شاهداً كان غائباً

يقول شهدت معالي الأمور وجسيمها لحسن بلاني فيها، وهذا الحاسد غائب عنها، ولو كان شاهداً لها لفضيت دونه، ولم يشارك في شيء، فكانه غائب عنها.

16- إلى الحسن اقتدنا ركايب صيرت لها الحزن من أرض القلاة ركايباً⁽²⁾

يقول ركايبنا ملازمة لحزن الأرض ووعورتها فكانها راكبة عليها، فهي ركايب لنا، وحزون الأرض ركايب لها.

17- نبذت إليه همتي فكانما كدردت به نجماً على الدهر ثاقباً⁽³⁾

يقول لما أفضيت إليه بهمتي، ووقفت عليه أملي أعذاني على الدهر، وكأنما أنا الآن أرمي الدهر بنجم ثاقب يد حره ويخرقه، وكدرت بمعنى قضضته عليه فانقض.

¹ - "صارما" مكان "مضرباً" و. ح. ت. "قاعة ذا ألا يصادف ضارباً" و "ألا يصادف ماجداً".

² - ص. و. ح. ت. "صيرت لنا" و. ص. ش. و. ح. ت. "لها البية".

³ - ح. م. ت. "لها" مكان "إليه" وهو نصحيح.

18- وكنت امرءاً ألقى الزمان مسالماً فأليت لا ألقاه إلا محارباً

أي كان الزمان قبل علاني قبل اتصالي بهذا المدحوخ، فكنت ألقاه مسالماً له مدارباً، فلما اتصلت به ظهرت على الزمان، فأليت ألا ألقاه إلا محارباً له طالباً للنار منه.

19- لو اقتسمت أخلاقه الغر لم تجد معيباً ولا خلقاً من الناس عائباً

يقول [أخلاقه الغر ليست هينة فلو اقتسمت بين] ⁽¹⁾ العباد لما كان فيهم معيب وإذا عدم المعيب لم يوجد عائب أصلاً.

20- إذا شئت أن تحصى فواضل كفه فكن كاتباً أو فائزاً لك كاتباً⁽²⁾

يقول فواضل كفه أكثر من أن تحصى عدا لأن العدد إذا كثر وقع فيه الغلط فلم تعلم حقيقة المعداد، والكتاب مثقف له ضابط لكميته، فإن أردت إحصاء فواضله فاكْتُبها أوفاً تأخذ من يكتبها، وفي ذكرها وإحصائها بالكتاب تنبئ لما ذكر من كثرتها، وأنها لا تحصى بالعدد ولو ذكر أنها أشبه بكتاب أو غيره لكان أبغ، ولكنه أراد المقارنة والتنبيه لما ذكره من امتناع حصرها بالقرب، وحسن هذا أيضاً مع ما ذكرناه أنه وصف به كاتباً ففيه تنويه بالكتاب.

21- عطايا هي الأنواء إلا علامة دعت تلك أنواء وهذي مواهباً⁽³⁾

يقول عطاياها في العموم والنفع بمنزلة الأنواء، فلا فرق بينها وبين الأنواء إلا التسمية بعلامة من اسمين مختلفين أحدهما نوء والآخر مواهب.

22- هو الغيث لو أفرطت في الوصف عامداً لأكذب في مدحه ما كنت كاذباً⁽⁴⁾

23- نوى ماله نهب المعالي فأوجسبت عليه زكاة الجود ما ليس واجباً⁽⁵⁾

¹ - زيادة يقتضيها السياق.

² - ح. ت. "أو فالنسي".

³ - ص. و. ت. "ونك" مكان "وهذي" و. ت. ش. "ينشد هذا البيت "دعت" على معنى "دعيت" على أنها لغة طرية، وما يجب أن يكون الشاعر قال إلا دعت "فتح الدال".

⁴ - ح. م. ت. "فأقمت" و. ح. م. و. ح. ت. "فأقسم" مكان "هو الغيث" و "لم أك" مكان "ما كنت".

⁵ - ح. م. ت. "نصب المعالي".

القصيد [7] *

وقال يندح يحيى بن ثابت، ثم صيرها في محمد بن حسان: (1).

1- قدك انتب أريبت في الغلواء كم تعذلون وأنتم سجرائسي (2)

معنى قدك حبسك، ومعناه اكفف عما أنت فيه، ومعنى انتب استحي، وهو من الإبة والنوبة، وهو كل ما يستحي منه، ومعنى أريبت زدت أصله من الربا، والغلواء المجاوز في الغلو، والسجرا جمع سجير، وهو الصديق الملوء محبة، وأصله من البحر المسجور. يقول لعاذله على البكاء اكفف عن عذلي، واستحي مني، فقد زدت في غلواء عذلك، ثم رجع من خطاب الواحد إلى خطاب الجماعة، فقال كم تعذلون وأنتم أصحابي وإخواني هلا ساعدتوني كما يساعد السجير سجيرو، ولم تقطعوني ملاما.

2- لا تسقني ماء اللام فلأنسي صب قد استعذبت ماء بكائسي

رجع إلى خطاب عاذله وحده. فيقول لا تلمني على البكاء فانا لا أصغي إلى قولك، ولأقبل نصحك لأنني مستحسن للبكاء مستعذب لمانه. ولما ذكر ماء البكاء جعل لللام ماء استعارة ومثلا.

3- ومعرس للغيث تخفف بيسنه رايات كل دجنة وطفاء (3)

المعرس موضع نزول المسافر في آخر الليل ليسترح، فاستعارة للغيث لنزوله فيه، والرايات البنود، والدجنة السحابة المظلمة المطيعة للسماء، والوظفاء الدانية من الأرض التي تراها كأن لها حيلاً متصلة بالأرض، والعين الوظفاء الكثيرة شعر الشجر. يصف روضة لازرها الغيث مخففة فيها راياته، وهذا مثل، وحقيقته أنه أراد كثرة المطر، ويحتمل أن يريد بالرايات البروق.

* القصيدة من البحر الكامل.

1- محمد بن حسان الفسي أدب من ولاء الأعمال له شعر. أدب أولاد المأمون العباسي، فواله مطاير الجزيرة وفسرين والعراسم والشنور سنة 215هـ ثم زاد مطاير الموصل وأرمينية، وولاه المعصم مطاير الرقة سنة 224هـ وأقره الوائق عليها. العلل ج 6 : 4779.

2- ح: "سرفت".

3- ح: "س و ح: "لركب" و "قوة" و ح: "للين" و "وسله".

يقول ما له نهب للمعالي، يتحكم فيه ويبدره، وتوجب عليه زكاة الجود مالا يجب عليه، فهو يعطي في الواجب وغير الواجب.

24- تخمن في عينيه إن جنت زائرا وتزداد حسنا كلما جنت طالبا (1)

يقول إن زرتة حسنت في عينيه، وكزمت عليه، فإن جنته طالبا لمعروفه ازددت في عينيه حسنا وكزما.

25- خدين العلى أبقى له البذل والتقى عواقب من عصف كفته العواقبا (2)

يقول هو للعلى خدين، أي صاحب لها تأسى به وتلازمه، وقد أبقى له بذله لئلا، ويقاه الله عز وجل عواقب جميلة تكفيه شر عواقب الدنيا والآخرة. (3).

26- تطول استشارات التجارب رأيه إذا ما ذوو الرأي استشاروا التجاربا

يقول رأيه أقوى من التجارب وأصح، فإذا استشار أهل الرأي التجارب واستعانوا بها في تصحيح رأيهم فالتجارب تستشير رأي هذا الممدوح وتستعين به أبدا.

27- برئت من الآمال وهي كثيرة إليك وإن جاءتك حديبا لواغيا (4)

يقول ربيت إليك بآمالي، وبرئت منها إليك، وهي كثيرة، وإن أتتك كالإبل الحديب اللواغب يعني أنه أمل غيره فلم يجي بطائل حتى فئت آماله ولبيت وتغيرت، وقد بين هذا بعده، والحديب التي عوجت من هزال وتقوست، واللواغب المعيبة.

28- وهل كنت إلا مذبنا يوم أتحتي سواك بآمالي فأقبلت تابعا (5)

يقول كنت مذبنا حين اعتمدت غيرك بآمالي، فلذلك ما جزيت إلا الحية فأقبلت تابعا إليك لتجزيني جزءا التائب منه.

1- ح: "وتخمن" و ح: "س و ح: "إن كنت" مكان "إن جنت".

2- س: "ش و ح: "أبقى له الدين والندى" و ح: "ش و ح: "أبقى له الدين والندى".

3- س: "ش و ح: "تطول استشارات التجارب رأيه" و ح: "ش: "تطول استشارات القاصم" ح: "تطيل" و "إذا ما ذوو الحرم استشاروا التجارب".

4- س: "برئت" بالفتح. و س: "و ح: "لديك".

5- س: "بآمال".

4- نشرت حدائقه فصـرن مآلفـا لطرائف الأنواء والأنباء⁽¹⁾

يقول نشرت هذه الدجنة حدائق ذلك المعرس، فصارت الحدائق مواضع تألفها طرائف الأقطار، وطرائفها ما أنبتت في الحدائق من ضروب النبات وأصناف الزهر، ومعنى "نشرت حدائقه" أظهرت بهجة رياضه".

5- فسقا مسك الطل كفافور الصبا واغسل فيه خيط كل سماء⁽²⁾

[يقول طبيب الصبا يجمع الغيم، ويجلب طبيب الطل لهذا المعرس، وجعل للطل مسكا لأنه إذا باشر الأرض ووقع فيها مع ما يمتزج به من طيب نبتها فكانه مسك، والطل أضعف المطر، وشبه نزول الماء من السحاب يجيئ محلولاً من السماء إلى الأرض]⁽³⁾

6- عني الربيع بروضته فكأنما أهدى إليه الوشي من صنعاء

يقول عني الربيع بروض هذا المعرس، وأكمل نبتة ونوره، فكأنما أهدى إليه وشيا صنعانيا، وهو من أفضل الوشي.

7- صبحتة بسلافة صبحتها بسلافة الخلطاء والندماء

سلافة الحمر خالصها وما سال منها دون عصر. يقول أنبت هذا المعرس صباها بسلافة خمر صبحتها للشرب بسلافة من الخلطاء والندماء، أي بالخلص منهم الذين هم في الإخوان كالسلافة في الحمر.

8- بمدامة تغدو المنى لكؤوسها غولا على السراء والضراء

المدامة الحمر التي أودعت في دنها حتى عتقت، والحول الأعوان، يقول صبحت المعرس بمدامة تساعف المنى كؤوسها، فتعينها على الزيادة في السراء وعلى إذهاب الضراء.

9- راح إذا ما السراح كن مطيها كانت مطايا الشوق في الأحشاء

¹ - ح. ص. ج. ت. "نشرت حدائقه" على أنه فعل ما لم يسم فاعله

² - ح. ص. ج. ت. "كافور الندي" و. ح. ت. "واغسل فيه".

³ - هذه الفقرة غير واضحة في الأصل، والنسوب من شرح الصولي والتبريزي للبيت.

السراح الأول الحمر، والسراح الثانية جمع راحة الكف، يقول إذا حملت هذه السراح التي هي الحمر على راح الألف إلى أفواه الشراب حملت الشوق والهوى إلى أحشائهم فأحشاهم مطي للخمر، والحمر مطية للشوق تحمله حتى يجل في الأحشاء.

10- عنبقة ذهبية سبكت لها ذهب المعاني صاغة الشعراء⁽¹⁾

يقول هي من أفضل الحمر لأنها عنبية الأصل ذهبية اللون فالشعراء تتسابق في وصفها فتسبك لها من المعاني [ما هو كاذبها]⁽²⁾.

11- صعبت وراض المزج سي خلقها فتعلمت من حسن خلق الماء⁽³⁾

يقول كانت هذه الحمر قوية شديدة صعبة، فلما مزجت بالماء وراضها المزج ولين شدتها، وأحسن خلقها حتى صارت آخذة من حسن خلق الماء ولينه.

12- خرقاء يلعب بالعقول حياها كتلأعب الأفعال بالأسماء⁽⁴⁾

إنما جعل الحمر خرقاء، لأن شاربها يخرق، فنسب ذلك إليها، لأنها تسب الخرق، ثم قال وهي مع خرقتها تلعب بالعقول، وتصرفها على حكميتها كما تصرف الأفعال الأسماء من نصب إلى رفع ومن رفع إلى نصب، والحياب طرائفها إذا مزجت بالماء، وجعل العقل للحياب، لأن حياها منها ففعله من فعلها.

13- وضعيفة فإذا أصابت قدرة قتلت كذلك قدرة الضعفاء⁽⁵⁾

يقول الحمر مع قوة جوهرها ضعيفة لا تبطش، فإذا أكثر منها وجدت بذلك فبطشت بشاربها فصعرتة سكرًا، وكان كالقتيل، وكذلك الضعيف أبدا إذا وجد فرصة استهزأها، ويطش بصاحبه، ولم يستبق شيئا من جهده ومطاقته، لأنه قد علم أنه متى أبقي على صاحبه عطف عليه فلم يقاومه، وهذا كقول جرير:

¹ - ص. "سبكت" وجاء بعد هذا البيت في ص. و. ت. بيت لم يرد في شرح الشنمري وهو:

أكل الزمان بطول مكث بقائها ما كان خامرما من الأقداء

وفي ح. ص. و. ت. "طول" و. ح. ت. "طول"

² - زيادة بقضيتها السباق.

³ - ص. "فراض" و. ص. و. ح. ت. "وراض الماء".

⁴ - ص. و. ت. "كتلأعب".

⁵ - ص. و. ت. "قدرة" و. ح. ص. و. ح. ت. "فقلة" و. ح. ت. "قوة" و. "قدرة الضعفاء" مكان "قدرة الضعفاء".

يصر عن ذا اللب حتى لا حراك له ومن أضعف خلق الله أركاناً⁽¹⁾
14- جهمية الوصف إلا أنهم قد لقبوها جوهر الأشياء⁽²⁾

مذهب جهم ألا تثبت صفة للبارئ سبحانه من الصفات التي يقع فيها الاشتراك، فيوصف بها المخلوقون، كقولنا: عالم وراحم، فقول الجهمية لا يقول الله عالم إنما يقول الله ليس بمجهل فينفي عنه ضد هذه الصفة التي تكون للمخلوق، ولا تقول عالم لأن هذه الصفة تكون للمخلوق، فكأننا شهبنا الله تعالى بغيره، حيث وصفناه كما يوصف غيره، وكذلك يفعلون في سائر الصفات.

فيقول أبو تمام هذه الحمر لا نظير لها، فهي لا توصف بما يوصف به غيرها، ولكن ينفي عنها أضداد الصفات، كما فعلت جهم في صفات البارئ جل وعز.

ثم قال إلا أنهم يلقبونها بلقب تنفرد به لا يشركها غيرها فيه، وذلك اللقب أن يقال هي جوهر الأشياء. فإذا كانت جوهر الأشياء فالأشياء كلها أعراض، فقد أفردت بلقب لا يكون لغيرها لأن اسم الجوهر لا يقع على العارض كما أن قولنا إله وخالق لا يقع لغير الله تعالى، وهذا مما يشبهه جهم، فإذا سميت الحمر جوهرًا فسائر الأشياء أعراض، والجوهر أفضل من الأعراض، والحمر إذا أفضل الأشياء.

15- وكان بهجتها وبهجته كأسها نار ونور قيدها بوعاء⁽³⁾

يقول كان شعاع هذه الحمر وبهجتها، وشعاع كأسها وبهجته حين اجتماع نار ونور جمع بينهما، فقيدا بوعاء واحد، فشب الحمر بالنار لحمرتها، وشبه الكأس بنور الشمس أو غيرها من النيران لبياضها.

16- أو درة بيضاء بكر أطبقت حبلًا على يساقوتة حمراء⁽¹⁾

شبه الكأس لبياضها بكرة بكر وهي التي لم تنقب، وذلك أصفى لها وأشد لبياضها، وجعل الحمر في جوف الكأس كساقوتة قد حملت به هذه الكأس التي هي كالدرة، وأطبقت عليها، كما تطبق الحبل على حملها، وقد صح ما شاء في قوله بكر، ثم قال أطبقت حبلًا، والبكر لا تحمل البنت ما دامت بكرًا.

17- ومسافة كسافة الهجر التقت في صدر باقي الحزن والرحاء⁽²⁾

يقول رب مسافة قطعتهما، وهي في الصعوبة والشدة على النفوس والبعد بمنزلة مسافة الهجر عند العاشق المهجور [لقي ذلك]⁽³⁾ الهجر بقية الحزن والتبريح الذي أضنى جسمه، وأضعف نفسه، والرحاء المشقة، يقال برح به إذا شق عليه، وقوله "التقت" أي التقت مسافة الهجر، في صدر رجل باقي الحزن كما يقول فلان باقي الحوادث أي هيب للحوادث، ويجوز أن يروى باقيًا حزنه ويرحأؤه.

18- بيد لنسل الريح في إلميدها ما شئت من عدو ومن عدواء⁽⁴⁾

البيد جمع بيداء وهي القفر، ونسل الريح الإبل، ويقال إنها خلقت من الريح، والعدو شدة السير، والعدواء مشتقة على النفس وعدوانه عليها، والعدواء أيضا البعد، والإلميد الأملس الذي لا شيء فيه، يقول تلك المسافة في قفار للإبل في مستواها وأملسها ما شئت من شدة العدو وعدوانه.

¹ - ص. ح. ت: "حملًا" وذكر علق شرح الفريزي أنه ورد في شرح ديوان أبي قاسم محمد بن عبد الحميد بعد هذا البيت البيتان التاليان:

ينفي الرجاجة لونها فكأنها في الكف قائمة بغير إزاء

ولها نسيم كالرياح تنفست في أوجه الأرواح بالآداء

وقال الشاعر هذان البيتان للبخري من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف.

² - من: "الهجر" و ص و ت: "ارتقى" و ح و ن: "بقي الحب".

³ - زيادة يفتضها السياق.

⁴ - ص و ت: "بيد لنسل العبد في أملودها" و "من عيد" وقال علق شرح الصولي: ورواية البيت في بعض النسخ:

بيد لنسل العبد في إلميدها ما ارتد من عيد ومن عدواء

وفي غيرها: "لسير العبد في إلميسها وأملودها".

و ت: "ما ارتد من عيد" و ح ت: "لسير العبد في إلميسها" و "في إرمدها" و "من عيد" و "من علواء".

¹ - جرير بن عطية بن حذيفة الحطلي بن بدر الكلبي البزيعي، من قديم أشعر أهل عصره، عاش عمره كله يتأخّل شعراء زمانه وساجلهم، توفي في سنة 110هـ "الأعلام ج 2: 1199". والبيت في ديوان جرير ربوابة: "حتى لا صراع به" ديوان جرير: 595.

² - ص و ت: "الأوصاف".

³ - ص. ح. ت: "وزعرة كأسها".

19- مزقت ثوب عكوبها بركوبها والنار تنبع المعزاء⁽¹⁾

يقول قطعت هذه المسافة، ومزقت ثوب غبارها الذي تثيره الإبل لشدة سيرها بركوب هذه المسافة، وكان قطعي لها في الهاجرة، وشدة الحر تنبع وتنبع من حصي المعزاء لشدة حمي الشمس، عليها، والمعزاء الأرض الصلبة ذات الحصى، والعكوب الغبار.

20- بأبي محمد افتتحت قصائدي ورفعت للمتشهدين لوائتي⁽²⁾

21- يحيى بن ثابت الذي سن الندى وحوى المكارم من حيا وحيا

يقول أول ما رضت نفسي، وفتحت شعري في هذا الرجل، فهو أول من مدحته حتى عرفت بالشعر، فلما عرفت به، وشهرت كنت كمن رفع لواءه فشهري موضعه، فقصدني الناس يستنشدوني فأنشدتهم، وقوله من حي وحيا أي من ندى كان من الغيث واستحياء [في الخلق]⁽³⁾.

22- وإلى ابن حسان اغتدت بي همة وقصت عليه خلتي وإخائي⁽⁴⁾

23- يا غاية الأدياء والظرفاء بل يا سيد الشعراء والخطباء⁽⁵⁾

يقول أفضت بي همة إلى ابن حسان فوقت عليه صداقتي وأخوتي فانا لا أمل غيره ولا اعتمد سواه.

24- عرفت بك الآداب جملة كما عرفت قريش الله بالبطحاء⁽⁶⁾

يقول الآداب جملة فيك لا يشد منها شيء كما أن قريشا⁽¹⁾ جميعهم في مكة لا يعمر من الأرض غيرها، وإنما أضاف قريشا إلى الله تعالى لأنهم كانوا خدمة البيت الحرام وجيرانه.

25- ساويتهم أديا وجودك شاهد بل حالف أن لستم بسواء⁽²⁾

يقول ساويت الأدياء والظرفاء والشعراء والخطباء في الأدب، وفضلتهم الجود والكرم فجودك شاهد بل حالف أنك أفضل [منهم]⁽³⁾.

26- جلائق أسكنتها خلد الثرى فجهدت منها جهد كل بلاء⁽⁴⁾

أي فضلتهم جلائق من الجود والكرم أسكنتها نفس الثرى، وإنما يعني نفس المدحود فجهدت من تلك الجلائق كل جهد وأسكنت نفسك منها كل [ما يعينك منها]⁽⁵⁾.

27- لم يسبق فوغدر لربيب ملعة إلا وقد الجمته بوفاء⁽⁶⁾

يقول كلما أغدرت لمعات الزمان، وخان ربيبها الإنسان استقبلتها بالوفاء والمشاركة حتى لم يبق لها قم إلا هو ملجم بوفائك، ويكون أيضا أن الزمان كان غادرا فتعلم الوفاء من هذا المدحود.

28- وإذا تشاجرت الخطوب قريتها رأيا يفيل مضارب الأعداء⁽⁷⁾

يقول إذا أخلخت الأمور وأشكلت صيرت لها رأيك قرى أي قابلتها برأي نافذ يفيل حد العدو، ويرد كيده، والمضارب جمع مضرب السيف، وهو حده.

¹ قريش قبيلة عظيمة تنقسم إلى قسمين عظيمين: قريش البطاح وقريش الطواهر، ويرجع الفصل في جمع قريش من متفرقات مواضعهم من شبه جزيرة العرب إلى قصي، الذي استدان بن أمية العرب على حرب خزاعة وإجلالهم عن البيت وسلمهم إلى قصي. (معجم لائل العرب ج 3: 948).

² لم يرد في ص و ت، وجاء في الزيادة التي ذكرت سابقا

³ كلمة غير واضحة في الأصل.

⁴ لم يرد في ص و ت، وجاء في الزيادة التي ذكرت سابقا.

⁵ ما بين المقوفين غير واضح تماما في الأصل.

⁶ لم يرد في ص و ت، وفي زيادة ابن درستويه: "فوغدر" و "ألمته".

⁷ ص و ت: "قريتها جدلا" و ح ت: "يكف".

¹ ح: من: "تفتح" و ت: "ت" "العكوب" يضم العين وفتحها.

² وأنه على وجود اختلاف في نوال الأبيات بين رواية التنمري ورواية الصولي والتبريزي مباشرة بعد هذا البيت.

³ ح: "و" إلى محمد أصبحت قصائدي".

⁴ زيادة يقتضيه السياق.

⁵ ح: من: "وصفائي" و ح و ح ت: "أخوتي وصفائي" و "أصلت" و "مودتي" و "عيني" و ح ت: "ارتقت بي همة".

⁶ ح: "والحكماء".

⁷ هذا البيت لم يرد في ص و ت، وذكره المحققان في الهامش ضمن ما قلنا من الأبيات التي وقع فيها التقديم والتأخير.

نعمك، وما ارجوه من نيلك في بحور عنائي أي في كثرة عنائي، وضرب البحور مثلا للكثرة، ثم قال مقتضيا لعدته "يسرلقولك مهر فعلك"⁽¹⁾. أي تمّ العدة بالإيجاز، والقول بالفعل كما يتم النكاح بالمهر، فإن قولك ينوي منك لي صنعة بكرا لم تسبق إلى مثلها يفتضها كما تفتض الجارية البكر، وهذا كله مثل واستعارة.

29- رأي لو استسقيت ماء نصيحة لجعلته أريبا من الأراء⁽¹⁾

الأرى العسل، والأراء جمع رأي. يقول رأيه كالعسل في حلاوة موقعه من النفس والشفي به، فلو كان نصيحة ماء يستقى لظننت ما رأى هذا الرجل إذا استسقيته إياه مستنصحا عسلا من آراء.

30- لما رأيته قد غدت مودتي بالبشر واستحسن وجه ثنائي⁽²⁾

31- أنبتت في قلبي لوأيك مشرعا ظلت تحوم عليه طير رجائي⁽³⁾

جعل البشر غذاءا لليمودة لأنه يؤكدها ويحمل صاحب المودة على الرغبة في المودود، وإضعاف مودته له، ومعنى أنبتت استخرجت، والمشرع المورود من الماء. يقول لما قابلتني بالبشر، واستحسن ثنائي عليك و وعدتني بالجميل من الفعل جعلت في قلبي موردا من أجل وأيك، والوأي الوعد، فظلت طيور رجائي تحوم على ذلك المورد وهذا مثل، وإنما يريد تمكن الرجاء من قلبه.

32- فتويت جارا للحضيض وهمتي قد طوقت بكواكب الجوزاء⁽⁴⁾

الحضيض أسفل الجبل. يقول قد بسطت رجائي، ومكنته حتى سمت همتي على السماء، فطوقت بكواكب الجوزاء، أي صارت لها كالطوق، فأنا وإن كنت في الأرض فهمتي في السماء.

33- إيه فدتك مغارسي ومنابتي اطرح عناءك في بحور غنائي⁽⁵⁾

34- يسر لقولك مهر فعلك إنه ينوي اقتضاض صنعة عذراء

قوله "إيه" أي زدنا من [صنائعك] الكريمة، ونعمك الجزيلة، فدتك مغارسي أي أصولي من آبائي وأجدادي، ومنابتي أي فروعي وأبنائي ومالي، اطرح عناءك أي

¹ - هذا البيت لم يرد في ص و ت. وفي زيادة علق شرح التبريزي: "رأيا".

² - ح ت: "معتي".

³ - ح. ص و ح. ت: "من قلبي".

⁴ - ح. ص و ح. ت: "مقرونة" و ح. ت: "قد طوقت" بالقاء و "مناكب".

⁵ - من: "اطرح عناءك في غور عنائي" و ص. ش و ح. ت: "الذرف غناءك في غور عنائي".

¹ - زيادة يقتضيه السياق.

القصيد [8]:

وقال في الفخر: (*)

1- تصدت وحبل البين مستحصد شزر وقد سهل التوديع ما وعر الهجر (1)

تصدت أي عرضت لي حين أحكمت أمر البين والسفر، وصار حبله مستمرا شديد القتل شزرا وهو القتل إلى جهة، وهذا مثل، يقول لما استحكم أمر السفر والبين عنها أعرضت لي مودعة فسهل علي التوديع من لقائنا وتكليمها ما كان الهجر موعدا له من ذلك، ومن شغفي وتعزضي لوصالها.

2- بكته بما أبكته أيام صدرها خلي وما يخلو له من هوى صدر (2)

يقول بكت هذه الجارية حبيباً، بإعراضه عنها وترك الصغاية إليها، وبذلك أبكته هي زمن كان صدرها خالياً من الهموم، وكان حبيب لا يخلو له من هوى صدر فهو الآن كالحلي الصدر من هواها لاهتمامه بالسفر.

3- وقالت أنتسى البدر قلت تجلدا إذا الشمس لم تطلع فلا طلع البدر (3)

أي قالت له حين لم يصغ لها أنتسى البدر، تعني نفسها، فقال لها تجلدا لا أسلو عنها إذا طلع لي من صحت رأيي ونفاذ عزمي ما هو كالشمس فلا طلع البدر، إذ لا حاجة بنا إلى البدر مع الشمس.

4- فأبدت جماناً من دموع نظامها على النحر إلا أن صانعتها الشفر (4)

الجمان حب من قصة على هيئة اللؤلؤ. يقول لما لم أصغ إليها، بكت فأبدت من دموعها مثل الجمال المتناثر نظامها على النحر، أي تنصب الدموع لكثرة النحر على النحر فينظم فيه ويحتجم، ثم قال إلا أن الذي صاغه ودرجبه الشفر، أي ليس بجمان على الحقيقة.

* القصيدة من البحر الطويل.

1- ج.ح: وقال يفرق بوقه عند انصرافه من مصر.

2- ج.ح: "ما أوعز الهجر". و"من جوى صدر".

3- ص.و: "لم تغرب".

4- ص.و: "الصدر". و"ج.ح: "الشفر" و"ت: فأذرت".

ك وما الدمع ثاني عزمتي ولو أنها سقى خدها من كل عين لها نهر (1)

يقول ليس بكأوها بثاني عزمتي على السفر، ولا بصارف لي عنه ولو جرى من كل عين لها نهر.

6- جمعت شعاع الرأي ثم وسمت بحزم له في كل مظلمة فجر (2)

شعاع الرأي متفرقة، والسمة العلامة. يقول جمعت رأيي كله ثم جمعت الحزم سمة عليه تبين صحتته، وتظهر فائدته، لأن حزمه أنم حزم وأجله لشبهة فإن أظلمت لي حادثة فله فيها ضياء كالقنجر.

7- وصارعت عن مصر رجائي ولم يكن ليصرع عزمي غير ما صرعت مصر (3)

يقول لما عزمتم على السفر وقع رجائي على مصر، فعزمت على غير ذلك، وصارعت رجائي أي دافعت عن مصر، فغلطني الرجاء حتى صرع عزمي، ولم يكن ليصرع عزمي شيء من الأشياء إلا مصر فإنها صرعت، وذلك أنه صار من الشام إلى مصر يريد عياش بن لهيعة الحضرمي، وكان صاحب خراج مصر، فمدحه فلم يجأ منه بفائدة، فقدم على رحيله إليه وشكا ذلك في شعره.

8- فطحطحت سدا سد ياجوج دونه من الهم لم يفرغ على زدره قطر (4)

يقول لما عزمتم على الخروج إلى مصر، فغلطني رجائي على عزمي ططحطحت سدا من هم أي هما عظيماً كالجلبل، ومعنى ططحطحت هدمت وصرعت، وذلك السد من الهم سد ياجوج أي ليس سدا على الحقيقة، والقطر النحاس، والزبر مثل الزبر.

1- ص.و: "ت: فان".

2- ج.ح: "شعاع الشمس"، وشعاع الرأي، وقال التبريزي: شعاع الرأي ينتعج التين هي الرواية الصحيحة [...] ومن رأى شعاع بالضم فهو معنى صحيح إلا أنني أظنه ولد بعد موت الطائي.

3- ص.و: "من مصر". و"ج.ح: "ليصرع مني غير ما صرعت مصر". وذكر حلق شرح الصولي عن ابن السكيتي في تفسير البيت: "وفي نسخة الأصل جزاء عليها ما صورته".

وصارعت عن مصر الرجاء فلم يكن ليصرع عزمي غير ما صرعت مصر

4- ج.ح: "وططحطحت".

9. بذعبلية ألولى بوافسر غضبها فنى وافر الأخلاق ليس له وفسر⁽¹⁾

الذعبلية الناقة الخفيفة، ومعنى ألولى ذهب، والنحض اللحم، والوفر المال الوافر الكثير، يقول خلبت هذا الهم الذي هو كالدب بذعبلية استعملتها في سفري حتى ذهب بلحمها الوافر فنى أخلاقه وافرته كاملة يعني نفسه غير أن هذا الفتى لا وفر له أي لا مال له.

10. فكم مهمه قفر تعسفت متنبه على متنها والبر من آله بحر⁽²⁾
المهمه القفر المستوي، ومعنى تعسفت ركبت على غرر، والآل السراب. يقول كم من قفر ركبت ظهره وقطعته على متن هذه الناقة في وقت الهاجرة حين أمر، والسراب كالماء فيصير البر بحرا من أجل السراب.

11. وما القفر بالبيد القواء بل التي نبت بي وفيها ساكنوها هي القفر⁽³⁾
البيد القفر، والقواء الحلاء. يقول ليست هذه القفار التي تعسفتها إلى مصر بقفار على الحقيقة، ولكن مصر التي نبت بي ولم أوافق فيها رغبتى هي القفر في الحقيقة، وإن كانت مغمورة بأهلها.

12. ومن قامر الأيام عن ثمراتها فأجج به أن تنجلي ولها القمر⁽⁴⁾

يقول من غالب الأيام عن فوائدها، ورام أن يسألها آتاءها دون أن تقدر له فما أحجاه أي ما أحقه بأن تنجلي عنه الأيام [وقد قمرته وغلبته].⁽⁵⁾

13. فإن كان ذنبى أن أحسن مطلي أساء فنى سوء القضاء لي العذر⁽⁶⁾

يقول أنا قد أحسنت السعي، وأجملت في الطلب فأقضى بي حسن مطلي إلى الإساءة والحرمان فإن عد علي هذا ذنبا فعدر منه سوء القدر و[الفقر وما أنا فيه]⁽¹⁾.

14. قضاء الذي ما زال في يده الغنى ثنى غرب آمالي وفي يدي القفر

يقول قضاء الله الذي هو الغنى صرف قوة آمالي وغربها، ولا شيء بيدي منها إلا الحية والفقر، والغرب الحدة.

15. رضيت وهل أرضى إذا كان مسخطي من الأمر ما فيه رضى من له الأمر

يقول رضيت بما قدر الله تعالى علي من الحية والفقر، وهل رضاي بما أسخطني من الأمر إلا على رغم مني وتسليم للقدر، وإن كان في ذلك الأمر المسخط رضى من له الأمر كله.

16. وأشجيت أيامي بصير حلولن لي عواقبه والصير عند اسمه صبر⁽²⁾

أشجيت أعضضت. يقول لما تلتقني الأيام بالمروره تلقيتها بالصير، فأشجيتها بذلك وأرغبيتها، وحلت لي عواقب ذلك الصير أي بلغت بصري إلى الذي أردت، وإن كان الصير شديدا مرا كالصير، واسمه كاسمه، وسكن الباء من الصير ضرورة، وقد يجوز ذلك في الكلام.

17. أبى لي جر الغوث أن أرامم التي أسب بها والنجر يشبهه النجر

النجر الأصل الكريم، والغوث قبيلة طي⁽³⁾، وهو الغوث بن طي، ومعنى أرامم أعطف والترم. يقول أبى لي أصلي الكريم من الغوث أن أرضى بالدنية، أو أقبل الحصلة التي أسب بها وأعير بها، وهل جر الأصل الكريم إلا على سنن الأصل الكريم الذي يشبهه.

18. وهل خاب من جذماه في ضنء طي عدي العديين القلمس أو عمرو⁽⁴⁾

¹ - زيادة يقتضيه السياق.

² - ص و ت: "جلون" و"مئل" مكان "عند" وح من: وأنبجت مكان وأشجيت وهذا تصحيح.

³ - طي بن أدد "قبيلة عظيمة من كهلان من القحطانية تنسب إلى طي بن أدد" بن زيد بن شجب بن عرب ابن زيد بن كهلان، وتفرع من بني طي بطون وأقفاذ عديدة. (معجم قبائل العرب ج2: 689).

⁴ - ح من: "من ضنء طي". وح من: "في أهل طي".

¹ - من: "بذعبلية ألولى".

² - من: "وكم مهمه".

³ - ح من و ت: ش: وروى: "نبت بي ولها أهلها فهي القفر، وح من: "بالبيد القفار".

⁴ - ص و ت: "فأجج بها".

⁵ - زيادة يقتضيه السياق.

⁶ - ح من: "أن أحسن مطلي".

الجذم الأصل، والقلمس الواسع الخلق، وهو لقب لعدي بن أخزم رهط حاتم الطائي، والضنء النسل، وأراد بالعديين عديا وعمرا، وهو عمرو بن الغوث بن طئ، تغلب أشهر الاسمين فقال العديين، ويحتمل أن يريد بالعديين عدي بن أخزم وعدي بن سنيب وهم من طئ أيضا، يقول هل خاب من الكرم من أصله في من أنسلت طئ هذان الرجلان الكريمان عدي المعروف بالقلمس وعمرو [بن الغوث الطائي] (1).

19. لنا غرر زبدية أدبية إذا تجمت ذلت لها الأنجم الزهر (2)

يقول لنا مناب مشهورة كالغرر من قبل زيد الحيل الطائي (3)، ومن قبل أدد (4) وهو جد طئ، فإذا طلعت هذه المناب التي هي كالغرر أقرت بالفضل الأنجم الزهر وذلت لها.

20. لنا جوهر لو خالط الأرض أصبحت ويطنانها منه وظهرانها تبر

يقول لنا من الكرم والفضل جوهر ثابت لو كان مما خالط الأرض وامتزج بها لصارت ظهورها ويطونها تبرا أو ذهباً أي لصارت الأرض جوهرًا من أنفاس الجواهر.

21. جديلة والغوث اللذان إليهما صغت أذن للمجد ليس بها وقر (5)

جديلة من طئ، (6) وهو من ولد فطرة بن طئ أخ الغوث بن طئ، فيقول المجد في أصل طئ، وفرعها مصغ إليها بأذن لا وقر بها أي لا صمم، والمعنى أن المجد جار على حكم طئ مطيع لهم.

1. ما بين المعنويين زيادة من شرح الشعيري.

2. ج: ص: "أدبية مكان أدوية" وهذا تصحيف و"ذات" مكان "ذلت".

3. زيد بن مهلهل بن منهب بن عبد رضاء من كنف من أبطال الجاهلية. لقب: "زيد الحيل". لكثرة خيله، أو لكثرة طرادها بها كان طويلاً جسيماً، من أجمل الناس، وكان شاعراً خطيباً موصوفاً بالكرم وقد دفع على النبي صلى الله عليه وسلم سنة لحد في وفد طئ، فأسلم وصر به رسول الله، وصعد زيد الحيل. (الاعلام ج: 3: 61).

4. أدد بن زيد بن يشجب بن عريب الكهلائي، من قحطان جد جاملي بنو طئ، والأشعريون وذئج وبرة. (الاعلام ج: 1: 278).

5. ج: ص: "جديلة والغوث اللذان". بالتصحيح.

6. جديلة بطن من القسطنطية وهي جديلة بنت سبع بن عمرو الحموية. من أيامهم: يوم الفساد كان بينهم وبين الغوث وكانت هذه الحرب بينهم أربعة أيام، ثلاث منها للغوث. مجمع قبايل العرب القديمة والحديثة ج: 2: 421.

22. مقامتنا وقف على الحلم والحجى فأمرنا عض وأشبنا حير (1)

المقامة حيث يجتمع الحي ويتحدثون، وقد يكنى بها عن الجماعات، والعض الداهية، والحير العالم، يقول مقامتنا قد وقفت على الحلم والعقل دون الحقة والجبل، فالأمر هنا عض داهية، وزا الشب عالم بالأمور قائم بها.

23. ألنا الأكف بالعطايا فجاوزت مدى اللين إلا أن أعراضنا صخر (2)

يقول استعملنا أكنفا في العطاء، ودربناها على ذلك حتى جاوزت غاية اللين، إلا أن أعراضنا حمية لا تتبدل، فهي كالصخر في قوتها وشدتها على من رامها.

24. كان عطايانا يناسين من أنسى ولا نسب يدنيه منا ولا صهر

يقول من نظر إلى كثرة عطايانا ظن أن ذلك لنسب من قبل الأب، أو صهر من قبل الأم بينما وبين المعطى، وليس كذلك، إنما لكرمنا وبذلنا للمال وصوتنا للمعروف والخير.

25. لنا الشعر في قحطان والبأس والندى هل المجد إلا الجود والبأس والشعر (3)

يقول جملة المجد إنما هي مركبة من جود وبأس وشعر، وهذه الجملة موجودة في قحطان (4) الذي هو أصل اليمانية، وطئ منهم، فالبأس منسوب إليهم بزيد الحيل الطائي، والجود بحاتم بن عبد الله، وأوس بن حارثة بن لام وهو ابن سعد بن، والشعر بامرئ القيس، وجميع هؤلاء من قحطان.

26. إذا زينة الدنيا من المال أعرضت فأزین منها عندنا الحمد والشكر

يقول إذا أعرضت عنا الدنيا بزینتها وزخرة نعيمها أو عرضت لنا. ويقال أعرضت، لم نبالها لأن الحمد والشكر أزين عندنا منها، فنحن نؤثرهما عليها.

1. ص: و: "مقاماتنا" والجمع و"كهل".

2. ص: و: "بالعطاء".

3. لم يرد في ص: و: ت.

4. قحطان أبو اليمن اختلف السابون في نسبته، فنسبه طائفة إلى إرم بن سام بن نوح، وقالت فيه ثلاث مقالات، ونسبه طائفة إلى عابر بن شالح بن سام بن نوح، وقالت فيه كذلك ثلاث مقالات ونسبه طائفة إلى إسماعيل بن إبراهيم. (معجم قبايل العرب ج: 3: 940).

27. وكور البتامي في السنين فمن نبا
يقول غن لبتيما ماوى في السنين الشدائد تؤويهم ويقوم بهم فمن نبا يبيهم له
منزله، ولم يستطع القيام به، فنحن له منزل لا ينوب به، وضرب الوكر والفرخ مثلاً، والوكر
العش.
28. أبى قدرنا في الجود إلا نباهة فليس لمال عندنا أبداً قـدر
يقول قدرنا في الجود نبه مشهور، ولا يوصل إلى نباهة القدر في الجود إلا ببذل
المال فنحن نبذله ولا نرى له قدراً.
29. ليسنج بجود ممن أراد فأنسه عوان لهذا الناس وهو لنا بكر⁽¹⁾
العوان الثاني، والبكر الأول. يقول ليفخر بالجود من شاء فإن فخره راجع إلينا
لأن الجود مبتدع فينا أول من قبل حاتم طي، وهو في غيرنا ثان مشبه بجودنا الأول.
30. جرى حاتم في حلبة منه لو جرى بها القطر شأوا قيل أيهما القطر⁽²⁾
يقول جرى حاتم في حلبة من الجود لو حاول فيها الغيث طلقاً لم يهر حاتم
لاستوائهما في حلبة الجود، ولقيل أيهما الغيث إذا أم ذا.
31. فتى زخر الدنيا أناس ولم يزل لها داحراً فانظر لمن بقي الدهر⁽³⁾
الزخر من الدخيرة، والداحر المبعد للشيء الدافع له. يقول زخر الناس الأموال
وزينة الدنيا، ولم يزل حاتم يدخر المال بالبذل، ويطرح زينة الدنيا، فلما فني وذهب بقي
له ما زخر من المعروف والجود، وفني أولئك ولم يبق لهم مما ذكروا من المال شيء،
فانظر لمن يبقى الدهر لحاتم أم لهم.

¹ ح. من: "ليسنج" وح. من: "لننج".
² ح. ص. و. ت. ث. "بها القطر شأوا واحداً جسد القطر".
³ ص. و. ت. "بالذخر" مكان "الدهر".

32. فمن شاء فليفخر بما شاء من ندى فليس لحى غيرنا ذلك الفخر⁽¹⁾
يقول غن أهل الجود والندى، فمن شاء أن يفخر بالندى فليفخر، فذلك الفخر
راجع إلينا دون غيرنا.
33. جمعنا العلى بالجود بعد افتراقها إلينا كما الأيام يجمعها الشهر
يقول كانت العلى قد تفرقت واختلت، فلم نزل نؤاقيها ونجمعها بجودنا وفضلنا
حتى كملت بيننا وأحطنا بها إحاطة الشهر بأيامه، وإنما ضرب المثل بالشهر دون العام
لشهرة الشهر وكثرة عناية الناس به.
34. بنجدتنا ألقى بنجد بعاعها سحاب المنايا وهي مظلمة غير⁽²⁾
النجدة الشدة والجرأة، ونجد موضع بعينه، والبعاع النفل.
يقول لما نزلنا بنجد وأهله غارهم نزلت عليهم سحاب المنايا بأثقالها وهي
مظلمة أي قتلناهم أشد القتال، وضرب هذا مثلاً.
35. بكل كمي غره غرض القنا إذا اضطرر الأحشاء وانتفخ السحر⁽³⁾
الكمي الشجاع، والنحر الصدر، والسحر الرئة، يقول حلت عند أهل نجد المنايا
بكل كمي منا غره أبداً غرض للرماح في أشد أحوال الحرب حين تضمر الأحشاء من
الجهد والعطش، وتنتفخ الرئة من الفزع.
36. فأعجب به يهدي إلى الموت غره وأعجب منه كيف يبقى له نحر
يقول ما أعجب هذا الكمي حين يهدي غره إلى الموت يجعله إياه غرضاً
للرماح، وأعجب من فعله ذلك بقاء غره كيف يبقى له وهو مهدي إلى الموت.
37. يشيعه أبناء موت إلى الوغى يشيعهم صر يشيعه نصر

¹ ح. من: "عدنا" مكان "غونا".
² ح. ص. و. ت. "كدر".
³ ح. من: "غرض القنا إذا اضطرر" و"اضطرر".

أي يشيع ذلك الكمي إلى الوغى أصحاب له يشيعهم صر يشيع ذلك الصر
نصر من عند الله، وقوله، أبناء موت، أي أبطال قد علموا الموت، وأنسوا به.

38- كماء إذا ظل الكماء بمعرك وأمرأهم حمر وألوانهم صفر⁽¹⁾

يقول هم كماء شجعان من أشداء الحرب، وتصير ألوان الكماء إلى الصفرة من
الفرق واحمرار رماحهم من الدم.

39- تحيل لزبد الحيل فيها قوارس إذا انطلقوا في مشهد خرس الدهر⁽²⁾

أي يشيعه أبناء موت تحيل فيهم لزبد الحيل أصحاب إذا فخرُوا في مشهد خرس
الدهر، ولم يعارضهم لوقوعه دونهم.

40- على كل طرف يملأ العين سايح وساجة لكن سباحتها الحضر⁽³⁾

الطرف الفرس الكريمة، يملأ العين بهاء ويروي يحسر الطرف أي يكله ويضعفه
لكثرة ما يتأمله معجبا به، والسايح الذي يمد ضيعيه في الجري كأنه سايح في الماء،
والساجة الأنثى، ثم استدرك حقيقة هذه السباحة، فقال لكن سباحتها الحضر وهو الجري
لأن السباحة في الماء.

41- طوى بطنها الإسناد حتى لو أنها بدت لك ما شككت في أنه، طهر⁽⁴⁾
الإسناد سير الليل، يقول طوى بطن هذه الساجة وأضر حشاها دؤوبها في السير
إلى الغارة والحرب، فلو بدت لك فنظرت إلى بطنها قد ضمر لقلت أنه طهر، ولم يشك في
ذلك.

¹ حـ: "أروأهم حمر وأروأهم صفر." وهذا تصحيح. وأضاف المحقق: وقد ورد بعد هذا البيت في شرح التبريزي
البيت الآتي:

رأيت لهم بشرًا على أوجه لهم
أي بأسهم ألا يكون لها بشر

² م و ت: "طفروا" وحـ: "في مجلس" مكان "في مشهد".

³ م و ت: "يحسر الطرف" وحـ: "يحسر الطرف دونه".

⁴ م و ت: "لو أنه" و"بدا".

42- ضبيبة ما إن تحدث أنفسا بما خلفها ما دام قدماها وتر⁽¹⁾

ضبيبة منسوبة إلى ضبيب فحل من فحول الحيل متجب، يقول هذه الحيل إذا
نهضت في طلب ثأر أو نيل وتر لم تحدث أنفسا بالرجوع إلى ما خلفها من الوطن
والأهل ما دام الوتر أمامها حتى تقضي.

43- فإن ذمت الأعداء سوء صباحها فليس يؤدي شكرها الذنب والنسر

يقول إن ذمت الأعداء سوء صباح هذه الحيل أغارت عليهم فاستأصلنهم،
فالذنب والنسر لا يقومان بشكرها لكثرة ما تركت لها من طوم القتلى.

44- بها عرفت أقدارها بعد جهلها بأقدارها قيس بن عيلان والفرز

قيس بن عيلان قبيلتان من مضر، والفرز هو سعد بن زيد مناة بن تميم، وكان
بينهما وبين طيس حروب، فيقول بهذه الحيل عرفت قيس والفرز أقدارهم من أقدارنا،
وكانوا قبل ذلك جاهلين بأقدارهم لا يظنون أن أحدا يقاومهم.

45- وتغلب لأقت غالبا كل غالب وبكر فألفت حريسا بازلا بكر

تغلب وبكر قبيلتان من ربيعة، وهما أخوان، يقول تغلب لأقت منا غالبا لكل
من يغلب، أي نحن تغلب غبرنا، ولأقتنا بكر فألفت بكر حريشا كاملة شديدة كالبارز من
الإبل، وهي المستنة.

46- وأنت خير كيف أبقت أسودنا بني أسد إن كان ينفعك الخير⁽²⁾

يقول لمن يخاطبه مفتخرا أنت عليهم خير بفعل الشجعان منا الذين هم كالأسود
وإيقاعهم ببني أسد، إن كان لك نافعنا⁽³⁾

¹ م: "قصها".

² حـ: "فأنت".

³ م: "بقية الكلام غير واضحة في الأصل".

القصيدة [9]:*

1- ألا صنع السنين الذي هو صانع فإن تك عجزا عما فما البين جازع⁽¹⁾

يقول لنفسه متعزيا مستسلما ألا صنع البين بك وبأحبك الذي من عادته أن يصنعه من التفريق بين الأحبة وإخلاء الديار من الجيرة فإن تجزع من فعل البين فهو لا يجزع ولا يشفق عليك فالصبر أولى بك لجزعك.

2- هو الربع من أسماء والعام رابع له بلوى خبت فهل أنت رابع

الربع المنزل، واللوى متلوى لوى الرمل ومستترقه، وهناك تكون المنازل لصلابته. وخبت موضع بعينه. يقول هذا الذي نظرت إليه هو الربع من ربوع أسماء بلوى خبت، وقد مر عليه عام رابع من وقت خلوها فهل أنت رابع عليه أي مقبم تسائله وتقضي ذمامه.

3- ألا إن صدري من عذابي بلاقع عشية شافقتني الديار البلاقع⁽²⁾

4- كأن السحاب الغمر غبين تحتها حبيبها فصا ترقا لهن مدامع⁽³⁾

البلاقع الحالية. يقول لما نظرت إلى الديار، وهي بلاقع خالية شوقتني وذكرتي فخلا صدري من الصبر والعزاء خلو الديار من الأحبة، ثم وصف أن السحاب لزمت هذه الديار بالأمطار فكأنها دفنت بها حبيبها لها فهي تبكي عليه أبدا لا ترقا مدامعها، ولا ينقطع دمعها، وخفف ترقا ضرورة، وجعل السحاب غرا بالريق.

ك ربي شغعت ريح الصبا لرباضها إلى الغيث حتى جادها وهو هامع⁽⁴⁾

الربى ما أشرف من الأرض، وأحسن ما تكون الروضة هناك. يقول تلك ربي جلبت إليها الصبا الغيث فكأنها شغعت للرباض إلى الغيث فشغعا حتى أمطرها مطرا جودا وهو هامع أي منسكب سائل.

* - القصيدة من البحر الطويل.

1- ح.ص: "لأن كان عجزا ما".

2- ح.ص: "صوي" و"ص" عراقي.

3- ح.ص: "الدامع".

4- ح.ص: "حتى جاد وهو هامع".

47- وقسمنا الضيزى بنجد وأرضها لنا خطوة في عرضها ولهم فتر⁽¹⁾

الضيزى القسمة الجائرة غير المستوية، والخطوة الباع، والفتر ما بين الإبهام والسبابة. يقول لما حللنا بنجد قسمنا أرضها بيننا وبين أهلها فزنا عليهم في القسمة لعزنا وذلمهم فكلما حزنا. لأنفسنا خطوة في عرضها حازوا لأنفسهم فترا.

48- مساع يضل الشعر في طرق وصفها فما يهتدي إلا لأصغرها الشعر⁽²⁾

أي مساعينا مساع كثيرة لا يحيط الشعر بها، ولا يهتدي في طرق وصفها إلا أن يوصف فيه أصغرها.

1- ح.ص: "في أرضها"، ح.ص: "في أرضهم" و"ح.ص: و"ت.ش: يردى:

وقسمنا الضيزى بنجد وأهلها لنا خطوة في أهلها ولهم فتر

2- ح.ص: "مساع يضل الشعر في كنه وصفها".

6- فيشر الضحى غدوا لهن مضاحك وجنب الند ليلا لهن مضاجع⁽¹⁾

يقول هذه الرياض تغدو بأحسن الغذاء لأن ينشر عليها نور شمسها ويهجنه فكأنه مضاحك لها. واللبل يأتيها بالندى فتجعل مضاجعها لها. وهذا مثل، وقوله غدوا أراد غدا، فبناء على الأصل.

7- كسك من الأنوار أبيض ناصع وأصفر قع وأحمر ساطع⁽²⁾

الناصع الخالص من البياض، والقاع الشديد الصفرة، والساطع الشديد الحمرة النير. يقول داعيا كسا هذه الديار والرياض ضروب هذه النوار، ويروى كسك على الجر.

8- لئن كان أمسى شمل وحشك جامعا لقد كان لي شمل بأنسك جامع⁽³⁾

يقول مخاطبا للديار لئن كنت الآن خالية من الأنيس مجتمعة شمل الوحش، لقد كان بالأمس شمل جامع بأنسك إذ كانوا مقيمين فيك.

9- أسىء على الدهر الشناء فقد قضى علي مجور صرفه المتصارع⁽⁴⁾

10- أير ضحنا رضخ النوى وهو مصمت ويأكلنا أكل الدبى وهو جامع⁽⁴⁾

الرضخ دق الشيء وكسره، والمصمت الصلب الصامت، والدبى الجراد. يقول أنا ألوم الدهر، وأسىء الشناء عليه لجور صرفه المتتابع علي وقدح أثره في، ثم قال يرضخنا رضخ النوى أي يشتد علينا ويبالغ في ضررنا حتى كأنها نوى يرضخه، وجعل النوى مصمتا لأن ذلك أشد لرضخه وأعسر فهو يجتهد في دقه، ويبالغ في محاولة كسره، وجعل الدبى جائعا لأنه لا يبقى مع جوعه بقية.

11- وإني إذا ألقى بربيعي رحله لأذعره في سربه وهو راتع⁽¹⁾

يقول إذا نزل في الدهر قابلته من الصبر على نوابه والدفع لبأسه بما ذعره في سربه، أي في جماعته وقومه وهو راتع مقيم في مرعاه آمن، ويقال في سربه في نفسه وهذا مثل.

12- أبو منزل المهم الذي لو بغى القرى لدى حاتم لم يقره وهو طائع

يقول إذا نزل في هم قريته الصبر، وصبرت على مؤنته ومشقته، ولو نزل على حاتم مع كرمه وجوده لما قرأه إلا على عسر منه وتحمل كلفه، وقوله أبو منزل المهم أي الذي ينزل به الهم فيقريه، يقال فلان أبو منزلي، وأبو متوأي، وفلانة أم منزلي، وأم متوأي أي التي أنزل بها.

13- إذا شرعت فيه الخطوب بنكية تفرقن عنه وهو في الصبر شاعر⁽²⁾

شرعت في الشيء دخلت فيه، يقول إذا أصابته الخطوب بنكية تلقاها لابسا للصبر شاعرا فيه، فتمزقت عنه وتفرقت.

14- وإن أقدمت يوما عليه رزية تلقى شيها وهو بالصبر دارع

الشيء الحد، والدارع اللابس. يقول إن أملت به مصيبة تلقى حدها وقد تدارع بالصبر فلم تضره.

15- له همم ما إن تزل سيفوها قواطع لو كانت لهن مقاطع

يقول هممه ماضية كالسيوف قواطع لو وجدت مساعدة من الزمان، ووصلت إلى ما يظهر فيه فعلها ويختبر به قطعها.

1- ح: من. "يرى لأذعره بالذال المعجمة ولأذعره بالذال المهملة وقسوه أي ادعره بالصبر".
2- ح: من. "الليالي". "وتفرق" و"الشرع" وح: من. "وهو بالصبر شاعر". "وتفرق عنه وهو في الشرع شاعر". "وهو في الصبر شاعر، وقال علق شرح الصولي: وقد ورد بعد هذا البيت في بعض النسخ البيت الآتي الذي لم يذكر في نسخ شرح الصولي

وإن أقدمت يوما عليه رزية تلقى شيها وهو بالصبر دارع

1- ح: من. "فوجه".

2- من: "كسك" على أنه يخاطب الربيع، وح: من: "أبيض ناصع" وح: من: "أصفر قاع" و"أبيض ناصع" على هذا الترتيب في البيت: "و ت ش: "كسك" على أنه جمع كسوة.

3- من: "وحشك". وح: من: "قد كان لي أنس يشملك جامع".

4- من: "أكل الربا" وح: من: "الذمعا" و"وهو صامت". "وأكل الرجاء".

16- ألا إن نفس الشعر ماتت وإن تكن عداها حمام الموت فهي تنازع⁽¹⁾

يقول قد ضاع الشعر حتى اتقطع فصار كالميت، وإن لم يتقطع في الحقيقة فهو في أسباب ذلك فكأنه في النزع.

17- سابكي القوافي بالقوافي فإنها عليها ولم تظلم بذاك جوازع

يقول سارثي ما ضاع من القوافي ومات بقواف أمثالها، فإن ما بقي من القوافي جازع على ما ذهب وضاع، ولم تظلم بذاك أي لم تضع الجزع غير موضعه.

18- أراعي ضليلات المروءة مهممل وحافظ أيام المكارم ضائع⁽²⁾

يقول متكررا لتضيق الشعر أيهمل الشعر ويضيع وهو راع لما ضل من المروءة، ضابط لها حافظ لأيام المكارم واصف لها.

19- وعاء عوى والمجد بيني وبينه له حاجز دوني وركن مدافع

يقول رب متعرض لهجائي وسي هو في دناءته ولؤمه كالكلب تعرض لي، والمجد فاصل بيني وبينه جازع له دوني، ومدافع له عني.

20- ترفت مناه طود عز لو ارتقت به الريح فترا لانتنت وهي طالع

الطود الجبل، والفترا ما بين الإبهام والسبابة. يقول سما هذا العاوي من عزي وشرقي جبلا لو أن الريح ترتقي في مقدار فترا لأعيامها ولانتنت عنه، وقد ظلمت فكيف يروم ارتقاءها هذا العاوي اللثيم.

21- أنا ابن الذين استرعوا المجد فيهم وسمي منهم وهو كهمل ويافع⁽³⁾

يقول المجد لأبائي أوله وآخره فيهم نشأ فغذي ومن قبلهم سمي وعرف باسمه فيهم، وهو كهمل ومن يافع شاب.

¹ ص و: "يكن".

² ص و: "مضلات" و"ص": "مجد أخلاق المروءة مهممل" و"وعلق" و"ص و": "مضادات المروءة" و"ج و": "مجد أخلاق المروءة علق". و"ج و": "مضلات".

³ ص و: "استرعى المجد" و"سمي فيهم".

22- سما بي أوس في السماء وحاتم

وزيد القنا والأثرمان ورافع⁽⁴⁾

23- وكان إياس ما إياس وعارف

وحارثة أوفى السورى والأصامع

هؤلاء كلهم من طئ، فخره بهم، وأوس هذا هو أوس بن حارثة ابن لام الطائي الجواد، وحاتم بن عبد الله الطائي، وزيد هو زيد الحيل، وأضافه إلى القنا لأنه كان صاحب حروب، ورافع هو رافع ابن عميرة، وكان دليل خالد بن الوليد⁽²⁾، وإياس هو إياس بن قبيصة الطائي⁽³⁾، وقد كان ولي مكان النعمان بن المنذر⁽⁴⁾، وعارف هو عارف الشاعر، وحارثة هو والد أوس بن حارثة، وكان من أهل الوفاء، والأصامع من أشرف طئ، وهم بنو خالد بن أضعم النبهاني الذي نزل به امرؤ القيس.

24- نجوم طوالع جبال فوارع غيوبت هوامع سيول دوافع⁽⁵⁾

يقول هم في العلو والشهرة والاهتداء بهم كالنجوم، وفي الجلالة والوقار كالجبال القارعة وهي الطويلة العالية، وفي الجود كالغيوبت والسيول.

25- مضوا وكأن المكرمات لذهم لكثرة ما أوصوا بهن شرائع

يقول رحلوا عن الدنيا، وقد أوصوا من تخلفوا بالمكرمات حتى كأنها من شرائع الدين في كثرة ما أوصوا بلزومها والقيام بها.

¹ ج و: "ت.ش": "في السباح".

² خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي، سيف الله الفتاح الكبير الصحابي. كان من أشرف فريش في الجاهلية وشهد مع مشركهم حرب الإسلام إلى عمره المدينية، وأسلم قبل فتح مكة سنة 7هـ، وولي الحيل رسول الله، ولى ولي أبو بكر وجهه لقتل مسلمة ومن أرند من أعراب نجد، ولى ولي عمر عزم عن قيادة الجيش بالشام، وولى أبا عبيدة ابن الجراح فاستمر يقاتل بين يديه، ولى رسل إلى المدينة دعاء عمر ليولي، فأبى، ومات بمصر، وقيل بالمدينة في سنة 21هـ، كان مظهرًا خطيبًا فصيحًا يشبه عمر بن الخطاب في خلقه وصفته. (الأعلام ج2: 300).

³ إياس بن قبيصة الطائي من أشرف طئ، اتصل بكسرى أبرويز، فولاه الحيرة ثم غاه وولى النعمان أبا قابوس، ثم غضب أبرويز على النعمان وقتله وأعاد إياس. وسندت في أيامه وقعة ذي قار التي انتصف بها العرب من النعمان. وكان على العجم إياس، فانهزم ولم يجرع وأبى على الحيرة إلى أن مات (الأعلام ج2: 33).

⁴ النعمان بن المنذر، من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية، وهو متدحج الشابة النبهاني، كان تابعًا للفرس. (الأعلام ج8: 43).

⁵ ج و: "ت.ش": "نجوم طوالع". و"ج و": "غيوت هوامع".

26. فاي يد في المجد طالت فلم تكن لها راحة من جودهم وأصابع⁽¹⁾
يقول كل يد طالت في المجد والكرم فلها كف من جودهم وأصابع، أي هم أقاموا المجد وقمعه بجودهم، ولولا هم لكان كيد لا كف لها ولا أصابع.
27. هم استودعوا المعروف محفوظ مالنا فضاع وما ضاعت لدينا الودائع⁽²⁾
يقول لما ذهبوا أوصوا بالمعروف واستودعوه محفوظ مالنا، وليس يحفظ المعروف إلا بتضييع المال، فضاع المال عندنا ولم تضع ودائع المعروف لدينا.
28. بهاليل لو عابثت فضل أكفهم لا يقنت أن الرزق في الأرض واسع
البهاليل السادة الضحّاكون الطلقاء الوجوه. يقول لو نظرت إلى ما يجودون به لعلمت أن الرزق واسع لكثرة جودهم.
29. إذا خفقت بالبذل أرواح جودهم حداها الندى فاستنشقتها المطامع⁽³⁾
يقول إذا اضطربت أرواح جودهم، وانتشرت بالبذل حدا تلك الأرواح الجود والندى أي ساقها فجعلت المطامع تشمها وتهش إليها وهذا مثل، والمعنى أن جودهم مشهور منتشر يحمل كل من سمع به على طلبه والتعرض له.
30. رباح كريح الغير الغض في الرضى ولكنها يوم اللقاء زعازع⁽⁴⁾
يقول أخلاقهم إذا رضوا طيبة الريح بمنزلة الغير الغض الطري، ولكنهم إذا غضبوا يوم الحرب زعزعت ما مرت به.
31. إذا طيس لم تطلو منشور بأسها فأف الذي يهدي لها السخط جاذع⁽⁵⁾
يقول إذا لم ترض طيس ولم تقض بأسها، فقد ذل من تعرض لإسقاطها، وأصبح مجذوع الألف وإنما قال جاذع على معنى ذو جذع كما قيل غضبة راضية أي ذات رضى.

1. من: "في جودهم." ومن: "مدت." وح: من: "وأي يد مدت إلى المجد."

2. من: "وت: هموا."

3. من: "واستشفيتها." وح: من: "أرواح كفهم." وإذا خفقت بالبذل جوداً أكفهم." ورواية الحارثي: "إذا خفقت بالبذل أرواح جودهم." و"استشفيتها المطامع" بالفاء.

4. من: "وت: كريح الغير المحض في الندى." وح: من: "وت: ش: كالغبر الغض" و"الغبر الترجس الذي."

5. من: "أف الذي يهدي لها السخط جازع."

32. هي السم ما ينفك في كل بلدة تسيل به أرماحهم وهو نافع
يقول هي للعداء سم لأنها تهلكهم، فلا تزال رماحهم تنج السم النافع عليهم في كل بلدة فتستأصلهم.
33. أصارت لهم أرض العدو قطاعاً نفوس لحسد المرهفات قطاع⁽¹⁾
القطاع ما اقتطعه المسلمون من أرض العدو، واختطوه لأنفسهم، والمرهفات السيوف الماضية التي أرهقت حدودها، والقطاع المقطوعة، يقول أقطعت لهم أرض العدو نفوس كريمة توت قتلاً يقطع السيوف لها.
34. بكل فتى ما شاب من روع وقعة ولكنه قد شين منه الوقائع
أي اقتطعوا أرض العدو بكل فتى ملازم للحرب لا يرتاع للحرب فتشيبه، ولكن الوقائع ترتاع منه فيشين من أجله.
35. إذا ما أغاروا فاحتوا مال معشر أغارت عليه فاحتوته الصنائع⁽²⁾
يقول إذا ما أغاروا على قوم فاحتوا مالهم، قصدتهم الغاة ومن يسطعن فحكمهم في ذلك المال فأغاروا عليه.
36. فتعطي الذي تعطيهم البيض والقنا أكسف لإرت المكرمات موانع⁽³⁾
هذا مثل الأول، يقول تعطي أكفهم للعداء ما أعطتهم السيوف والرماح من الغنائم على أن أكفهم تمنع ما ورتوا من المكارم.
37. هم قوموا دره الشام وأيقظوا بنجد عيون الحرب وهي هواعيج
الدره الاعوجاج. يقول بطيئ استقام أهل الشام، ولم يعوجوا عن الطاعة وبطيئ قامت الحرب من منامها وكانت ساكنة نائمة.
38. يمدون بالبيض القواطع أيدياً وهن سواء والسيوف القواطع

1. من: "نفوس عد المكرمات قطاع."

2. من: "وت: عليهم."

3. من: "وت: الحيل" مكان "البيض".

أراد بالبيض السيوف الصقيلة. يقول أيديهم في المضاء والقطع كالسيوف، فإذا مدوا أيديهم بالسيف، فكأنهم قد مدوا سيوفاً.

39. إذا أسروا لم يأسر البغي غفومهم ولم يمس عان فيهم وهو كانع⁽¹⁾
يقول فيهم صفع وعفو إذا قدروا فإن أسروا أسيرا لم ينعمهم البغي والظلم من العفو عنه، والأسير فيهم مسرح غير مغلول، والعاني الأسير، والكانع المغلول المجتمع بعضه إلى بعض.

40. إذا أطلقوا عنه جوامع غله تسبقن أن المن أيضا جوامع
يقول إذا منوا على الأسير فجلوا عنه الأغلال علم أن ذلك المن في عنقه غل لأن النعمة غل في رقية النعم عليه، ويكون أيضا أن يريد أن الأسير لا يفوتهم، ولا يتعذر عليهم إدراكه، فهو كالمغلول وإن لم يغل والجوامع الأغلال.

41. وإن صاروا عن مفخر قام دونهم وخلفهم بالجد جد مصارع⁽²⁾

يقول اجتمع لهم مع الشرف والفضل جد سعيد وحظ حظي فإن صارهم مفتخر أعانهم جدهم عليه، فقام مصارعا خلفهم وأمامهم بجد منه وعزم، ويحتمل أن يريد بالجد أب الأب، أي فخرهم بما أوروهم جدهم مصارع لفخر غيرهم.

42. علوا بجنوب موجدات كأنها جنوب فيول مالهن مضاجع⁽³⁾

يقول علوا العدو، وظهروا عليه بجنوب موجدات أي قوية كأنها في قوتها وشدتها، وأنها لا تخلد إلى راحة، ولا تباشر مضاجعها جنوب القيلة.

43. كشفت قناع الشعر عن حر وجهه وطيرته عن وكرهه وهو واقع

¹ حـ ص و ت: "الباس" مكان "البغي".

² حـ ص: "إذا صاروا" وحـ ص و ت: "في مفخر".

³ صـ ش: "بجنوب موجدات" وحـ ص و ت: "مؤيدات". وقال عتق شرح الصولي: وقد جاء بعد هذا البيت في بعض النسخ بيت لم يرد في نسخ شرح الصولي وهو:

وكم شاعر قد رانسي فذقتسه بشعري فأضى وهو غريان ضارح

¹ حـ ص و ت: "قدنو"

يقول أظهرت الشعر وشهرته بعد أن كان خاملا وخفيا، وضرب كشف القناع عن وجهه وتنطيره عن وكرهه مثلين، وقال وقع الطائر بالأرض إذا نزل بها.

44. بغر يراها من يراها بسمعه ويدنو إليها ذو الحجي وهو شاسع⁽¹⁾

أي شهرت الشعر بقصائد غر مشهورة حسنة ترى بالسمع كأنها كلام ويدنو إليها العاقل بفهمه، وإن كان شاسعا أي بعيدا كما يبعد عنه الجاهل وإن كان قريبا.

45. بود ودادا أن أعضاء جسمه إذا أنشدت شوقا إليها مسامع

يقول إذا سمعها ذو الحجي سر بها، واشتد شوقه إليها حتى يود أن أعضاء جسمه كلها مسامع يسمعها بها.

القصة [10]:*

وقال يمدح محمد بن المستهل بن شقيق الطائي: (1)

1- تحمل عنه الصبر يوم تحملوا وعادت صباه في الصبا وهي شمال

يقول أرثمل عني الصبر يوم تحمل الأحبة، وعادت [رثم] (2) التي كانت تجلب إلي فوائد الصبا شمالا بعد أن كانت صبا، وإنما خص الصبا والشمال لأن الصبا تجمع السحاب، وتستدره والشمال تفرقه.

2- بيوم كطول الدهر في عرض مثله ووجدني من هذا وهناك أطول
يقول تحمل عني الصبر في يوم من أيام الفراق طويل، وكذلك يوم الحزن يطول، كما أن يوم السرور يقصر، ثم قال هذا اليوم طوله كطول الدهر، وعرضه مثل ذلك، ووجدني أطول من هذا اليوم ومن ذلك الدهر.

3- تولوا فولت لوعتي تحسد الأسى علي وجاءت مقلتي وهي تهمل
يقول لما تولوا راحلين ذهبت لوعة شوقي تجمع الأسى علي من مواضعه، وأقبلت عيني تهمل بالدعم أي تسيل.

4- نذرت لهم مكتون دمعني فإن ونى فشوقي علي أن لا يحيف موكل (4)
يقول نذرت لهم على نفسي إذالة دمعني فإن ونى [دمعني] (5) أي فتر فهو يبعثه ويمتعه من الجفون فكانه موكل عليه.

5- ألا بكرت معذولة حين تعذل غوفني م الأمر ما لست أجهل (6)

* هذه القصيدة من البحر الطويل.

1- ص و ت: "يمدح أبا المستهل محمد بن شقيق الطائي". وح: ص: "ابن المستهل". وأبا المستهل: ".

2- كلمة "رثم" في هذا المكان زيادة بفتحة السين.

3- ص: "تحمل الأسى". وح: ص و ت: "عزني". وح: ص و ت: "جاءت". و"تولوا قولوا لوعتي برفاههم علي". وح: ت: "تولت".

4- ح: ص: "فجرني". و"بذلت معاً". وح: ص و ت: "بذلت". وح: ت: "بذرت". وح: ت: "بذرت".

5- كلمة غير واضحة في الأصل، والزيادة بفتحة السين.

6- ص و ت: "معذورة". و"عرفني م العيش". وح: ت: "معزولة". و"غوفني م الأمر".

يقول بكرت عاذلتي تعذلني على الرحيل واستعمال السفر فعذلتها على عذلها، فبكرت معذولة حين عذلنتني تخوفني من الأمر أي تحذرنني اقترام الممالك في سفري، وقد علمت ذلك قبل تخوفها لي به، ولكن الحزم هوته علي وقوله م الأمر أي أراد من الأمر فحذف النون لأنها من مخرج اللام، ونظيره قولهم بلحارث وبلغعتر، يريدون بني الحارث وبني العنبر.

6- أ أتبع ضحك الأمر وهو مدبر وأدفع في صدر الغنى وهو مقبل (1)

الضحك الضيق. يقول أ أتبع ما أدبر عني من أمر العيش، وضاق علي، وأرد ما أرى مقبلاً علي من الغنى بالسفر وقصد الملوك.

7- محمد يا ابن المستهل تهللت عليك سماء من ثنائي تهطل (2)

8- فكم مشهد أشهدته الجود فانتضى ومجدك يستحيي ومالك يقتل (3)

يقول كم مشهد من مشاهد الكرم يشهد مشهداً جمعت فيه بين المجد والمال فانتضى ذلك المشهد عن مدحي ومال مقتول.

9- بلوناك أما كعب عرضك في العلى -فعال ولكن خد مالك أسفل (4)

يقول اختبرناك فوجدنا عرضك قد علا كعبه في المعالي، والكرم، ووجدنا مالك قد أسفل خده ببذلك له وإهانتك إياه، وما أشعره في قوله "كعب عرضك وخد مالك" عند من شعر له وتأمله.

10- تحمل ما لو حمل الدهر شطره لتكر دهرنا أي عبايه أتقل (5)

العبء الثقل. يقول تحمل من الأمور ما لو أن الدهر تحمل شطره، فكيف جميعه، لشك في أي العباين أتقل عليه أعوذه الذي يحمله من جميع الأشياء المخلوقات أم العبء الذي يحمله من شطر عبيك، ولتكر دهرنا في حقيقة ذلك.

1- ح: ص و ت: "في بحر الغنى". وذكر المختص "فكانه" فخر" يصف بحر.

2- ح: ص و ت: "محمد يا أبا المستهل". و"تهطل" مكان "تهطل".

3- ص و ت: "وكم مشهد". وح: ص: "مستحيا". مكان "يستحيي".

4- ح: ص: "مد".

5- ص و ت: "تحملت". وح: ص: "محطك ما لو يحمل الدهر شطره". و"تحمل ما لو يحمل الدهر".

11- أبوك شقيق لم يزل وهو للندى شقيق وللملهوف حرز ومعمل⁽¹⁾

12- أفاد من العلى كنوزا لو أنها صوامت مال ما درى أين تجعل⁽²⁾

يقول شقيق أبوك لم يزل للندى أخا شقيقا وصولا، ولم يزل للملهوف المكروب حرزا منيعا، ومعملا حصينا، ثم قال أفاد من العلى كنوزا، أي استفاد من المكارم والمعالي مثل الكنوز كثرة ونفاة، فلو كانت تلك المكارم مالا صامتا، وهو العين لا العرض ما درى أين تجعل لكثرتها، فكيف لو كان المال عروضاً.

13- فحسب امرئ أنت امرؤ آخر له وحسبك فخرا أنه لك أول

يقول أنت نهاية في الشرف والفضل، وأبوك كذلك، فحسب أبيك من الفخر أنك فرع آخر له، وحسبك من ذلك أنه أصل أول لك.

14- وهل للقرىض الغض أو من يحوكة على أحد إلا عليك معول

15- لبهن امرءا أتى عليك بأنه يقول وإن أرى فلا يستقول

يقول أنت مسئول على جميع الفضل والكرم، فمن مدحك وأطنب في وصفك وأرى في ذلك فهو صادق غير منقول كاذب، فليهنه قوله الصادق المصيب.

16- سهل عليك الكرمات وصفها علينا إذا ما استجمعت فيك أسهل⁽³⁾

يقول قد سهل جميع الكرمات عليك، فوصفها وهي مجتمعة فيك أسهل علينا لأن وصف المجتمع أسهل من جمع المتفرق.

17- رأيتك للسفر المطرد غاية يؤمنها حتى كأنك منهل⁽⁴⁾

يقول أنت لكل من طردته الحوادث وألقته التواب غاية يؤمنها، ويلجأ إليها، فلكثرة ما يغشى فناؤك تشبه بالمنهل المورود.

18- لا ترين أن العلا لك عندما تقول ولكن العلى حين تفعل⁽⁵⁾

19- ولا شك أن الخير منك سجية ولكن خير الخير عندي المعجل

يقول لا تستوجب المعالي بالقول دون الفعل، ولا بالوعد دون الإجازة، وإنما هذا له تحريك وتعميل للعطاء، ثم اعتذر من تحريكه، فقال قد أيقنت أن الخير طبيعة منك، وسجية، ولكن الإنسان خلق عجولا فخير الخير عندي المعجل.

¹ - قال الصولي: في شرحه للبيت: "ويرى بعد هذا بيتان مدخولان، قال أبو مالك، والله ما قالهما قط، ولا عرفهما وجما:

سأفك ألا تسأل الله حاجة سوى عفوه مادمت ترحى وتسأل
وراك لا إيساي أمدح مثلما عليك يغنى لا علي المعول

ذكر الحق رواية "علينا" مكان "علي" والبيتان في شرح التوزي أيضا.

² - ص و ت: "ولست ترى". ج: "حيث فعل".

¹ - ج: "للمعروف".

² - ص و ت: "العليا".

³ - ص و ت: "فوصفها".

القصيد [11]:*

وقال في قلم أهداه إلى الحسن بن وهب، وكتب به إليه: ⁽¹⁾

- 1- قد بعثنا إليك أكرمك الله به بشيء فكن له ذا قبول
- 2- لا تقسه إلى جدا فكك الغر ولا نيك الكثير الجزيل
- الجزيل العطية، والغراء البيضاء، فقصرها ضرورة، وإنما وصفها بالبياض لقولهم لفلان قبلي بد ببيضاء أي حسنة.
- 3- واغفر قللة الهدية مني إن جهد القليل غير قليل
- يقول إنما تكون هدية الإنسان وعطاؤه بمقدار جهده، فإذا بلغ الجهد فيما يهديه فجهده كثير في جنب ما عنده من المال القليل.

* القصيدة من بحر الخفيف.
1- لم ترد في و من ت.

القصيد [12]:*

وقال أيضا:

- 1- بالباب أصلحك الله امرؤ لعبت به الحوادث وهو الصارم الذكر
- 2- ماضي العزيمة لو هزت مضاربه كف ككفك أو لو ساعد القدر
- يقول هو في نفاذه ومضائه في الأمور كالسيف الصارم، وهو الماضي القاطع والذكر المذكر الهندي، إلا أن الحوادث تصرفت به وغيّرت حاله وذلك لعبها به، فلو بلاه مثل هذا المدح واختاره لوجده ماضي العزيمة ذا همة، أو لو ساعده القدر فاطفقه بما يستأمله لتبين فضله عند الناس وغناؤه، ومضارب السيف جوانبه التي يضرب بها.
- 3- متى تريك رياض الأرض أوجهها خضيرا إذا لم يكن طلل ولا مطر
- هذا مؤكد لما قبله، يقول لا تخضر رياض الأرض ولا تبدو زينتها ويهجنها إلا بالغيث، وكذلك الماضي من الرجال لا يتبين فضله إلا بالغنى وكثرة المال.

* القصيدة من بحر البسيط.

القصة [13]:*

وقال يمدح محمد بن يوسف حين خرج من عمورية إلى مكة:

1- مالي بعبادة الأيام من قبل لم يشن كيد النوى كيدي ولا حيلي

عادية الأيام اعتداؤها وظلمها، وهو مصدر على فاعلة مثل العاقبة، والقيل الطاق. يقول لا طاقة لي بدفع عادية الأيام وجورها ولا كيدي وحيلي مما يشني كيد النوى وحيلها، وإنما يريد أن النوى فرقت بينه وبين من يحب قربه.

2 لا شيء إلا أبانته على وجل ولم تبت قط من شيء على وجل
الوجل الخوف. يقول الأيام والنوى لا ينجو من شرهما شيء فكل شيء يبيت بها على وجل، وهي على خلاف ذلك.

3- قد قلقل الدمع دهر من خلافه طول الفراق ولا طول من الأجل⁽¹⁾
يقول قد حرك الدمع من شؤونه وبعته من مكانه دهر خلافه التفريق بين الأحبة، والأجل مع ذلك فيه قصير.

4- سلمي عن الدين والدنيا أجبك وعن أبي سعيد وقديسه فلا تسلي
يقول أنا قادر على وصف أمور الدين والدنيا مع كثرتها، ولست أقدر على وصف أمور أبي سعيد، وقدي إياه، لأن ذلك أعظم من أن أصفه.

5- من كان حلي الأماني قبل لعنته فصرت مذ سار ذا أمنية عطل⁽²⁾
6- نأي المني لا ثنائي خلة وهوى والقبح بالمجد غير القبح بالزل⁽³⁾

العطل التي لا حلي عليها. يقول كانت أماني محلاة بجود أبي سعيد، فلما سار غازيا، تعطلت أماني بعده، ومن بمعنى الذي. يقول نأي أبي سعيد هو نأي الندى والجود لا نأي الهوى والخلة، ومن فجع بالندى والمجد أشد حالة ممن فجع بالهوى والزل.

القصة من بحر البسيط.

ح.ص.وت.ش: "قد شرد الدمع".

ص: "فصار". وح.ص: "فصرت مذ سار". وأصبحت مذ سار.

ص.وت: "الذي" مكان "المني". وح.ص: "نأي". مكان "نأي".

1- ح.ص: "قدي" و"تخلف".

2- ج.ت: "ملقى الرجاء وملقى الرجل". بنصب الرجاء والرجل.

3- ص: "يلقى".

4- زيادة بغضها الساق.

5- ص.وت: "يوم". وح.ص: "يوم الوداع".

7- لمن غدا شاحبا تخدي القلاص به لقد تخلفت عنه شاحب الأمل⁽¹⁾
الشاحب المتغير هزالا وتخدي تسرع، والقلاص النوق الفتية. يقول إن كان أبو سعيد في سفره ذلك شاحبا لبعد الشقة. فانا بعده متغير الأمل بخلة.

8- ملقى الرجاء وملقى الرجل في نفر الجود عندهم قول بلا عمل⁽²⁾
يقول حططت رجلي، وألقيت رجائي وأملتي بعده في قوم لئام، يرون الجود القول والوعود دون الفعل والإنجاز.

9- أضحوا بمستن سيل الدم وارتفعت أموالهم في هضاب المطل والعليل
مستن السيل مجراه في ما اغتضض من الأرض، والهضاب الجبال. يقول أباحوا أنفسهم للدم، ومنعوا أموالهم بالتعلل والمطل.

10- من كل أظمي الثرى والأرض قد نهلت ومقشعر الربا والشمس في الحمل
الأظمي العطشان، ترك همزه ضرورة، والنهل الشرب الأول، والمقشعر المتغير، والحمل من بروج النجوم. يقول هؤلاء القوم من كل رجل تراه ظمآن على الأرض قد رويت، ورياه مقشعرة، وجفت التبت على أن الشمس في بروج الحمل، وذلك في الربيع عند اعتدال الليل والنهار، وهو أخصب الزمان وأطيبه، والمعنى أن هؤلاء القوم يبخلون ولا يتندون على أحد في زمان الحصب، فكيف بهم في زمان الجذب.

11- وأخرس الجود تلقى الدهر سائله كأنه واقف منه على طلل⁽³⁾
المعنى من كل أظمي الثرى ومن كل أخرس الجود إذا سئل الجود لم ينهل ويتصمم عن ذلك السؤال [بجلا] فكان سائله واقف على طلل [لا ينيله شيئا...]⁽⁴⁾

12- قد كان وعدك لي بحرا قصيري لؤم الزماع إلى الضحاح والوشل⁽⁵⁾

يقول لأبي سعيد قد كان وعدك لي يفضي إلى مثل البحر من العطاء، فلما مات عني حملني لوم الحرص والرغبة في التكسب على سؤل غيرك، فلم أفد منهم إلا مثل الضحاح، وهو الماء القليل على وجه الأرض، ومثل الوشل، وهو بقية الماء.

13- لله وخد المهاري أي مكربة هزت وأي غصام قلقلت خضل

يقول متعجبا "لله وخد المهاري" وهي إبل كريمة منسوبة إلى بني مهرة حي من اليمن⁽¹⁾، أي صاحب مكربة حملت وهزت بأخذها من أبي سعيد، وأي سحب حركت بسيرها منه، والحضل المعطر.

14- خير الأخلاء خير الأرض همته وأفضل الركب يقرؤ أفضل السبل

يقول هو خير الأصدقاء، والموضع الذي يؤمه ويهتم به هو خير الأرض، يعني مكة، وذلك أنه لما رجع من عمورية صار إلى مكة، وقوله "وأفضل الركب" أي هو أفضل ركبان الإبل الذي يقرؤ ويتتبع من السبل [ما]⁽²⁾ هو أفضل سبيل يعني الجهاد في سبيل الله تعالى.

15- حطت إلى عمدة الإسلام أرحله والشمس قد نفضت ورسا على الأصل⁽³⁾

عمدة الإسلام مكة حرسها الله، والورس صيغ أصفر، ويقال هو الزعفران. يقول نزل بمكة عشيا، والشمس صفراء، فكانها قد نفضت على العشي من لونها ورسا.

16- ملبسيا طالبا لسي مناديه إلى الوغى غير رعديد ولا وكل

يقول لما نزل بمكة جعل يلبي، وطالما لبي مناديه إلى الحرب مستنصرا به ومبارزا، وهو غير جبان يرعد، ولا عاجز يتكل.

17- وعمرها أحرمت أرض العراق له من السدى واكتست ثوبا من البخل

المحرم الداخل في حرم مكة، وهو إذا أحرم معرى من المخيط، فيقول لما صار بمكة أحرمت أرض العراق له، أي من أجل غيبته عنها، ومعنى أحرمت تعرت من لباس الجود، واكتست ثياب البخل. أي لم يبق بها بعد أبي سعيد إلا البخلاء، والبخل والبخل.

18- وسافكا لدماء البدن قد سفتك به دماء ذوي الإلحاد والنحل
الإلحاد الكفر، والنحل مذاهب أهل الأهواء كالحوارج وغيرهم. يقول سفك دماء الهدى بمكة بعد سفك دماء الكفار وأهل الأهواء.

19- وراميا جمرات الحج في سنة رمى بها جمرات اليوم ذي الشعل⁽¹⁾

يقول رمى حمي الجمرات في سنة رمى بها جمرات الحرب على العدو، وجعل اليوم ذا الشعل لاشتعال الحرب فيه.

20- يردي ويرقل بين المروتين كما يردي ويرقل غو الفارس البطل⁽²⁾

الرديان والإرقال ضربان من السير سريعان، وأراد بالمروتين الصفا والمروة⁽³⁾. يقول سيره بين المروتين سريع كسيره غو الفارس البطل منازلا له.

21- تقبل الركن ركن البيت نافلة وظهر كفك معمور من القليل⁽⁴⁾

أراد بالركن الحجر الأسود، وهو في الركن اليماني. يقول أنت تقبل البيت وكفك معمورة من القليل.

22- لما تركت بيوت الكفر خاوية بالغزو آثرت بيت الله في القفل⁽⁵⁾

يقول لما فرغت من ثغر عمورية وتركها خاوية، أي خرابا خالية بغزوكم إياها أثرت الحج بالقتل على ديارك. والقتل القتل من السير.

¹ مهرة بن حيدان بطن من قضاة، وهم بنو مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف (الحافي) بن قضاة، من القحطانية، كانوا يقيمون باليمن وتسلم إليهم الإبل المهرية. (معجم قبائل العرب ج3: 1151)

² زيادة يفتضها السياق.

³ من: "حطت على عمدة". ومن: "عشيا". ومن: "حطت على أرحل الإسلام". وإلى أرحل الإسلام أرحله. ومن: "تربة الإسلام". و"مكة الإسلام".

¹ من: "رمى بها جمرات اليوم ذي الشعل". ومن: "رمى بها جمرات اليوم ذي الشعل". ومن: "جمرات اليوم في نعل".

² من: "غو". ومن: "البائل البطل".

³ المروة جبل بمكة معروف والصفا جبل آخر بالزائد. (الروض المطار: 531).

⁴ من: "معمور". بالفتح.

⁵ من: "بالتقل". ومن: "بيوت الروم".

23- فالجح والغزو مقرونان في قرن فاذهب فانت زعاف الحيل والإبل⁽¹⁾

يقول جمعت في عام بين غزو وحج في قرن واحد، والقرن الحبل، وهذا مثل. ثم قال فاذهب على إرادتك، وما عودت نفسك فانت زعاف الحيل تغزو عليها، وزعاف الإبل سيرك إلى الحج على ظهورها، والزعاف السم القاتل.

24- نفسي فذاؤك إن كانت فداءك من صرف الحوادث والأيام والدول

يقول جعل الله تعالى نفسي فداء لنفسك من صرف أحداث الدهر، وتغير أيامه وانتقال الدول فيه إن كانت فادية لك.

25- لا ملبس ماله من دون سائله سترًا ولا منصب المعروف للعذل⁽²⁾

يقول لا يحجب ماله عن سائل، ولا ينصب معروفه لعذل عاذل أي ولا يقبل العذل على معروفه.

26- لا شمس جمرة تشوى الوجوه بها يومًا ولا ظلمة عنا بمنسقل⁽³⁾

يقول شمس معتدلة ليست بشديدة الحر محقة للوجوه، وظلمة ثابت علينا أبدا غير منسقل عنا، وهذا مثل، وحقيقته أن جعل الشمس كناية عما يأتي منه من الخير والإحسان، وأنه يأتي عفوا بلا مظل ولا من، فهو كالشمس التي لا توارى، وجعل الظل كناية عن كنفه وحياطته.

27- تحول أمواله عن عهدا أبدا ولم يزل قط عن عهد ولم يحل

يقول أمواله متغيرة أبدا عما عهدت عليه لأنه يبذلها ويفرقها، وأما هو فتأبى على ما عهد عليه من كرمه وجوده.

28- ساري الهموم طموح العزم صادقة كأن آراءه تسنحط من جيل⁽⁴⁾

الهموم ما هم به. يقول هو كثير الهم شديد العزم على ما هم به، مصيب الرأي [قيمه] وهمومه أبدا سارية صادقة يدبرها بالليل، وعزمه طامح بعيد [المرام] صادق فيما صرف فيه، وآراءه صحيحة قوية كأنها منقطعة من جيل منقطعة منه⁽²⁾.

29- أبقي على جولة الأيام من كنفي رضوى وأسير في الاتفاق من مثل⁽³⁾

يقول هو أثبت على كره الأيام بمخطوبها العظام، وأوفر من جانبي رضوى، وهو جيل عظيم على أنه أشد سيرا، وأكثر تصرفا في آفاق الأرض بالغزو من مثل سائر مستعمل.

30- نهبت نهبان بعد النوم وانسكبت بك الحياة على الأحياء من نعل⁽⁴⁾

نهبان ونعل قبيلتان من طيء، يقول أكسبت هؤلاء الشرف ونهاة الحال، فكانك نهبتهم من نوم وأغنيت أحياء نعل فأسكبت عليهم الحياة، وسالت عليهم النعم، وإنما قال هذا لأن المدحوخ من طيء.

31- كم قد دعت لك بالإخلاص من مرة فيهم وفدك بالآباء من رجل

32- إن حن نجد وأهلوه السيك فقد صررت فيه مرور العارض الهطل⁽⁵⁾

قوله من مرة أراد من امرأة، فخفف الهمزة، وألقى حركتها على الراء، ونجد موضع مرتفع، وهو من بلاد طيء. يقول إن حن نجد إليك فبحق ما حن لأنك تركت من آثارك الحسنة مثل ما يترك المطر بالأرض.

33- وأي أرض به لم تكس زهرتها وأي واد به حيران لم يسيل⁽⁶⁾

1- ص: "فعاظ". بالذال وس و تن: "والجح وجح ص: "العرف". وجح ص: وجح تن: "انصب".

2- ص: "سما ملبس". وس و تن: "لا ناصب". وجح ص: "ولا منصب المعروف". وجح ص: وجح تن: "ولا تارك المعروف للعدل". و"ولا منعت المعروف". و"ناصب المعروف". بالضاد المعجمة.

3- ص: "عنفا". وجح ص: "تنشوي الوجوه بها... عنها" على ما سمى فاعله. وذكرها عقق التبريزي ولم يذكر رداء عنها".

4- ص: "وإن حن". وجح ص: "فيهم".

5- ص: "وإن حن". وجح ص: "فيهم".

6- ص: "وإن حن". وجح ص: "فيهم".

يقول أي أرض بنجد لم تكتس زهرتها وبهجتها بك، وأي واد به ظمآن قليل الخير لم يرويك ولا خيره.

34- مازال للصارخ المعلي عقيرته غوث من الغوث تحت الحادث الجلل⁽¹⁾

الصارخ المستغيث، والمعلي عقيرته الرافع صوته، وغوث غياث، والغوث قبيلة طيس وهو الغوث بن طيس. يقول لم يزل من قبيلة هذا الممدوح يجب للصارخ مغيث له إذا غشيه الحادث الجليل، وعلاه الحطب الجسيم.

35- من كل أبيض يجلو منه سائله خدا أسبلا به خد من الأسل

أي من كل رجل أبيض كالسيف تلقى سائله بجد أسبل سهل به خد من الأسل، أي به أثر من الرماح، والمعنى أنه لإقدامه ومضيه في الحرب على وجهه لا تصيبه الرماح إلا في خده ومقدمه.

القصيد [14]:*

وقال يمدح محمد بن عبد الملك الزيات الكاتب⁽²⁾

- 1- متى أنت عن ذعلبية الحي ذاهل وقلبيك منها مدة الدهر آهل

الذاهل السالي عن الشيء. يقول متى تذهل عن هذه الجارية الذعلبية نسبها إلى ذهل بن شيبان⁽³⁾، وقلبك من حبها أهل معمور أبدا لا سلو لك عنها.

- 2- تطل الطلول الدمع في كل موقف وتقل بالصبر الديار الموائل⁽⁴⁾

يقول وقوفك على ديار الأحبة وطولولهم موجب لطل الدمع أي لذهاب هدرا، والنظر إلى الديار المائلة مائل بالصبر ذاهب به، والموائل هنا الديار التي لطبت بالأرض فخنفت، ومعنى تطل بالصبر تجعله مائلا أي خفيا ذاهبا.

- 3- دوارس لم يحف الربيع ربوعها ولا مر في أغفالها وهو غافل⁽⁵⁾

يقول هذه الديار دوارس متغيرة الآثار، وهي مع ذلك كثيرة النبات، لم يحف مطر الربيع ربوعها، أي لم يتخط منازلها بالسقي، ولا مر في أرضها الغفل التي لا علم لها من شجر ونبات، وهو يغفل عن سقيهاا ووسمها بالنبات.

- 4- فقد سحبت فيها السحاب ذبلها وقد أخلمت بالنور منها الحمائل⁽⁶⁾

الحميلة الرملة ذات الشجر، ومعنى أخلمت جعل لها خمل من النبات والشجر كخمل القطف. يقول سحبت السحاب في هذه الديار ذبولها بكثرة المطر، وأخلمت ما بها بالنور أي جعلت النور كالحملة لها لكثرت.

¹ - القصيدة من البحر الطويل.

² - محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة، أبو جعفر، المعروف بابن الزيات، وزير المصم والواقع العباسي، وعالم باللغة والأدب من بلغاء الكتاب والشعراء، نشأ في بيت غارة، ونجح فقدم حتى بلغ رتبة الوزارة وعول عليه المصم في مهام دولته، وكذلك ابنه الواق. ولما مرض الواق عمل ابن الزيات على تولية ابنه وجرمان الموكل، فلم يلق، ولي الموكل فكتم وغلبه إلى أن مات في سنة 233هـ. (الأعلام ج6: 248).

³ - ذهل بن شيبان قبيلة من بكر بن وائل، من العدنانية (معجم قبائل العرب ج1: 406).

⁴ - ح-ص: "في كل موطن" و"منزل".

⁵ - ح-ص: "مر في أغفالها" و"ح-ص: "ربوعها".

⁶ - ح-ص: "ففيها الحمائل" و"ص: "فقد سحبت فيه" و"منها الحمائل" و"ح-ص: "وقد سحبت فيها السحاب ذبولها" و"ذلك الحمائل".

¹ - ح-ص: "فونان" بالنصب.

- 5- تعفين من زاد العفاة إذا انتحي على الحي صرف الأزمة المتحامل⁽¹⁾
- يقول تغتت هذه الديار، وخلت من قوم كانوا للغاة النازلين بهم زادا عند اشتداد الزمان ونخل الناس بالمعروف حتى ينتحي صرف الأزمة وهي الشدة العاضة على الحي، ويتحامل عليهم بالمكروه والشر.
- 6- لهم سلف سمر العوالي وسامر وفيهم جمال لا يغيض وجمال⁽²⁾
- يقول لأهل هذه الديار سلف متقدمون من آبائهم وأجدادهم ذوو إخاله حسنة وتمكن ونعمة، فيهم الرماح السمر، والحي السامر بالليل للحدث والتدبير، وفيهم الجمال الرائع الذي لا يغبى ولا ينقص، ومعنى يغيض من غاض الماء إذا انتقص وغار، وفيهم جامل وهو جماعة الجمال.
- 7- ليالي أضللت العزاء وخذلت بعقلك آرام الظلياء الحواذل⁽³⁾
- يقول تغتت هذه الديار من هؤلاء القوم ليالي ضل عزائي عني، وخذلت تلك الآرام بعقلي، وكنت بالآرام عن الجواري، ومعنى خذلت بعقلك جعلت عقلك خاذلا لك حزنا لعزائهن، والحواذل التي حنت على أولادها، وتركت قطيعها، وإنما خصها لأنها حينئذ حذرة متشوقة، فهي تنظر بمنة وشملة فيبدو حسن عينها وطول جيدها.
- 8- من الهيف لو أن الخلاخيل صيرت لها وشما جالت عليها الخلاخيل⁽⁴⁾
- يقول هؤلاء الآرام من الهيف، وهي جمع هفء، يقول لو صيرت خلاخيل هؤلاء الهيف البطون وشما لهن جالت عليهن، واضطربت لشدة ضمير كشوحن.
- 9- مها الوحش إلا أن هاتا أوانس قسنا الحسب إلا أن تلك ذوابل

- يقول هؤلاء الجواري في حسن العيون وسكون المشي كبقير الوحش، إلا أن هذه الجواري أوانس مربيات، وتلك وحشيات، وهذا أيضا في اعتدال القدود والاهتزاز في المشي مثل الرماح الخطية، إلا أن الرماح ذوابل، وهؤلاء الجواري ناعمات.
- 10- هوى كان خلسا إن من أحسن الهوى هوى جلت في أفئاته وهو خامل⁽¹⁾
- الحس أخذ الشيء اغترارا وسرعة كالسرقة وغوها. يقول هوى هؤلاء الجواري إننا كان خلسا مسترقا من غير طلب بين ولا قصد إليه تنبيه الرقيب فلم يعلم هوى، فكان هوى خاملا أجول في ظلاله وأفئاته دون أن أشهر بذلك وذلك أحسن الهوى [وأبرحه]⁽²⁾
- 11- أبا جعفر إن الجهالة أمها ولود وأم العلم جداء حائل⁽³⁾
- يقول لمحمد بن عبد الملك شاكيا إليه الزمان وتغيره إن الجهل ذو أم ولود، وأن العلم ذو أم عاقر. والمعنى أن للجهل أبناء مؤلفين متعاونين يقص بعضهم بعضا، ويتشاركون فيما لديهم، وأهل العلم بخلاف ذلك. والجداء التي لا لبن لها، والحائل التي لم تحمل.
- 12- أرى الحشو والدهماء أضحوا كأنهم شعوب تلاقت دوننا وقبائل الحشو عامة الناس وسقاطهم، والدهماء سواد الناس، والشعوب أكثر من القبائل وأعم. يقول حشو الناس وسوادهم مؤلفون متناصرون فكانهم قبائل لأب واحد يلتقي بعضهم بعضا في النسب دوما فكانا بينهم غرباء.
- 13- غدوا وكان الجهل يجمعهم به أب وذووا الآداب فيهم نواقل⁽⁴⁾

1- ص: "إن من أبرد." و ص: "ت.ش." و ص: "و.ح.ص. و.ت.ش." إن من أبرح الهوى." وفيها أيضا أن الرزقي رواية البيت في هذا النحو:

هوى كان خلسا إن من أبرد الهوى هوى جلت في أفئاته وهو حائل

2- زيادة يفتضها السياق.

3- ص: "أم العلف." و.ح.ص. و.ت.ش.: "أم الحلم".

4- ص: "و.ح.ص. و.ت.ش.: "فيهم نواقل." بالفاء.

1- ص: "المتحامل".

2- ص: "لهم سمر العوالي".

3- ص: "و.جولت." و "آرام الحذور العفائل." و.ح.ص: "خولت." و.ح.ص. و.ت.ش.: "عشية" و "وجولت" بالحاء و.ت.ش.: "وخذلت" و "الحواذل".

4- ص: "وشما." و "الخلاخيل." و.ح.ص: "ت.ش." و.شما." بالهم وهو تصحيف كما قال محقق شرح الصولي.

التواقل الغرباء المتنقلون إلى غير حبيهم وبلدهم. يقول غدا أهل الجهل مؤتلفين كان الجهل أب لهم يجمعهم ويؤلف بينهم، وكان أهل العلم والآداب غرباء فيهم متنقلون إليهم.

14- فكن هضبة نأوي إليها وحرة يعرد عنها الأعوجي المنقال الهضبة القطعة من الجبل، والحرّة الأرض ذات الحجارة السود وهي حصينة من لجأ إليها امتنع بها، ومعنى يعرد عنها يعدل عن ركوبها لصعوبتها، والأعوجي القرس الكريم منسوب إلى أعوج فجل منجب، والمنائلة ضرب من السير شديد.

يقول للممدوح نزلنا ملجأ وسترا كالهضبة والحرّة تنتع بك من الزمان وحوادثه. 15- فإن الفتى في كل صرف مناسب مناسب روحانية من يشاكل

يقول إن لم يكن بيننا نسب رحم، فبيننا نسب أخلاق وآداب ومشاكله وحسب، وقوله في كل صرف أي في كل حال متصرف، وقوله "مناسب روحانية"، أي ليست مناسبة شخوص وأجسام إنما هي مناسبة أخلاق وأرواح.

16- ولن تنظم الغد الكعاب لزينة كما تنظم الشمّل الشيت الشامل (2) يقول ليس نظم الكعاب من النساء عقدها للترين به بأحسن من نظم الشمائل والأخلاق، والشمّل الشيت المنرق، ولا بأشد تأليفا منها بين الناس، أي فلتكن شمائلنا مؤلفة بيننا جامعة لنا.

17- وأنت شهاب في الملمات ناقب وسيف إذا ما هزك الحق قاصل (3) 18- من البيض لم تنض الأكف كنضه ولا حملت مثلا إليه الحمائل (4)

يقول أنت في الاستضاءة بك والاهتداء برأيك كالشهاب الناقب، وعند تحريك الحق كالسيف القاصل وهو القاطع، وقوله من البيض أي من السيوف البيض الضعيفة "لم تنض" أي لم تجرد كف من غمد كنض هذا السيف، وتضله حده، ولا حملت حمائل السيوف إليه سيفا مثله ويقارنه، أي أنت في الرجال كهذا السيف في السيوف.

1. من: "كل ضرب." وحـص دجـت: "روحانية." بلغ الزاء.
2. من و ت: "ولم تنظم." وحـص و ت: "نظم النظم." وهو تصحيف كما ذكر علق شرح العملي.
3. من: "قاصل." وحـص دجـت: "قاصل."
4. حـص: "كنضه."

19- مؤرث نثار والإمام يشبها وقائل صدق والخليفة فاعل (1)

يقول أنت مؤرث نثار الحرب ومشبها بأحسن تدبيرك، وصحة رأيك، وإمام المسلمين يشبها ويشعلها بقوة سلطانه وتكن أمره، وأنت قائل الصدق وصاحب الرأي شيوه، والخليفة فاعل ما تقول منفذ.

20- وإنك إن صد الزمان بوجهه لطلق ومن دون الخلافة باسل (2)

يقول أنت طلق الوجه حسن البشر لمن تعرض لمعروفك عند صدور الزمان بوجهه، وإعراضه عن أن يعطف بوجهه على أهله على أنك باسل الوجه عيوس دون الخلافة تذكره لمن رآها بسوء وتقمعها منه.

21- لنن تقموا حوشية فيك دونها لقد علموا عن أي علق تناضل (3)

الحوشية الشدة والغلظة، والمناضلة المدافعة، وأصلها أن يرمي الرجلان بالسهم ليعلم أيهما أرمى. تقول لمن عابوا عليك شدتك وغلظتك دون الخلافة على من أرادها بسوء لقد علموا أن العلق الذي تدافع عنه وتحميه علق نفيس وهو الملك.

22- هو الشيء مولى المرة قرن مباين له وابنه فيه عندو مقائل (4)

يقول الملك متنافس فيه فمولى المرة وهو وليه وابن عمه قرن شديد عليه مباين له قاطع لرحمه من أجل الملك والتنافس فيه، وكذلك ابنه فيه عدو مقاتل له عنه أي فكيف لا يحبه هذا الممدوح ممن أراد أذاه.

23- إذا فضلت عن رأي غيرك أصبحت ورأيك عن جهاتها الست فاضل (5)

يقول إذا لم يحط رأي غيرك بأمر الخلافة، وانتشرت عليه، وفضلت عن غيره رأيك، فأراك يحيط بها ضابط لها عن أقطارها الستة، وهي أمام ووراء وبين وشمال وفوق وتحت.

1. من و ت: "فصل."

2. من و ت: "الخليفة."

3. من و ت: "حشوة."

4. من و ت: "هي الشيء." ومن: "فانه فيها." وت: "وانه فيها."

5. من و ت: "عن جهاتها الست." وحـص و ت: "عن وجهاتها."

24- وخطب جليل دونها فخذ شغلته وفي دونه هم لغيرك شاغل⁽¹⁾

يقول رب خطب جليل كاد ينزل بالخلافة فشغلته عنها وكففته دونها على أن ذلك الخطب لجلالته في ما دونه وأقل منه هم شاغل لغيرك.

25- رددت السنة في شمه بعد كلفة كان انتصاف اليوم منها أصائل⁽²⁾

يقول كان الملك قد تغير، والحق قد خفي، فلما توليت أمر السلطان، وصرت وزيره وصاحب رأيه وتديره أعدت نور الملك إلى شمه بعد كسوف وكلفة، وكانت منها كان نصف النهار من أجلها آخره لتغير الشمس فيه، والأصائل العشايا، ويروى "كان انتصاف الليل" ولا وجه له إلا على القلب، والمعنى كان الأصائل منها انتصاف الليل.

26- ترى كل نقص تارك العرض والتقى كاملا إذا الملك اغتدى وهو كامل⁽³⁾

يقول كل نقص في مال أو جسم ما لم يكن في عرض ولا تقى ولا دين فهو كمال عندك وزيادة ما كان أمر الملك به كاملا تاما.

27- جمعت عرى أعماله بعد فرقة إليك كما ضم الأنايب عامل⁽⁴⁾

يقول وليت جميع أعمال الملك وأسباب الخلافة فجمعتها بعد افتراقها على أصحاب الخطط كما يجمع عامل الرمح جميع أنابيبه، فنكون تابعة له، وعامل الرمح صدره، وهو المعتمد عليه وسائرته تبع له.

28- فأضحت وقد ضمت إليك ولم تزل تضم إلى الجيش الكثيف القنابل

القنابل قطع الحيل. يقول ضمت إليك أعمال الخلافة، وهي قليلة في جنب رأيك وصحة تدبيرك كما تضم قطع الحيل إلى [كتائب] ⁽⁵⁾ الجيش العظيم.

29- وما برحت صورا إليك نوازعا أعنتها منذ راسلك الرسائل⁽⁶⁾

¹ - ص: وت: "شغل لغيرك". وح: من: "دونها".

² - ص: وت: "قضا أصائل". وح: من: "عنت أصائل". وح: من: "في شمه". و"في وجهه". وح: وت: "كان انتصاف الليل".

³ - ح: من: "اغتدى". و"اغتدى".

⁴ - ص: وت: "أمر أعماله".

⁵ - زيادة يقتضيه السياق.

⁶ - ح: من: "أعنتها". نصبا ورفعا.

"صورا" مائلة، والنوازع الحوادث. يقول لم تزل أعمال الملك مائلة إليك جاذبة أعنتها نحوك مذ أتت رسالتها، ودست إليك رسلها، وجعل الفعل للرسل مجازا.

30- لك القلم الأعلى الذي يشابه يصاب من الأمر الكلى والمفاصل⁽¹⁾

الشبه الحد والطرف. يقول أنت كاتب الخليفة فلقلمك أعلى الأقالم وبجده تصاب حقائق الأمور، وتقتل علما، وخض الكلى لأنها من أوحى المقاتل وذكر المفاصل كناية عن حقائق الأمور وفصوله.

31- له الخلوات اللاتي لولا نجيبا لما احتفلت للملك تلك المحافل⁽²⁾

يقول للقلم خلوات يتاجي فيها الكاتب به ويسير إليه، ولولا مناجاته في تلك الخلوات لما كان للملك المحافل والجماعات التي له، أي أن التدبير الذي يبدو من قلمه جامع لأمر الملك ومكتر له.

32- لعاب الأفاعي القاتلات لعابه وأري الجنى اشتنارته أيد عواسل

يقول القلم يكتب مرة فيما يضر العدو، ويح من المداد مثل السم، ومرة فيما ينفع الولي، فيظهر من أثره الجميل ما هو كالآري الجني. والآري العسل، وأضافه إلى الجنى إشارة إلى ضربه كما جني، والعواسل التي تشتتار العمل.

33- له ديمية طسل ولكن وقعها بآثاره في الشرق والغرب وإيل⁽³⁾

الديمية المطر اللين الدائم، والطل أضعف المطر، والوايل أشده. يقول هذا القلم مما يمج من المداد مثل الديمية الطل من المطر، ولكن وقوع تلك الديمية بما يآثر القلم من المعاني الكثيرة والأمور الجسمية كالوايل في شرق الأرض وغربها.

34- فصيح إذا استنطقته وهو راكب وأعجم إن خاطبته وهو راجل

يقول القلم فصيح مبين مادام راكبا في أنامل الكتاب، فإن نزل عنها إلى الأرض كان أعجم لا ينطق.

35- إذا ما امتطى الحمس اللطاف وأفرغت عليه شعاب الفكر وهي حوافل⁽⁴⁾

¹ - ص: وت: "تصاب".

² - ح: من: "لك الخلوات". وهو تصحيف.

³ - ص: وت: "له ريفه". وح: من: "بآثاره في الغرب والشرق".

⁴ - ح: من: "أفرغت". بفتح الهمة، وقال التبريزي: "افتح أجود".

36- أطاعته أطراف القنا وتقوضت لنجواه تقويض الحيام الجحافل⁽¹⁾

الحمس للطاف هي الأصابع، والشعاب جمع شعب وهو مسيل الماء من الجبل إلى الوادي حتى يطرق في الجبل طريقا فيقال لذلك الطريق شعب، والحوافل الغزيرة. يقال ناقة حافل أي غزيرة اللبن، والتقويض هدم الحيمة ونقلها إلى موضع آخر. يقول إذا كتب بالقلم فصبت عليه نتائج الفكر وشعابه الحوافل الغزيرة أطاعته أطراف القنا فيما أقرها به من قتال أو مسالة، أو تنتقل الجيوش الجحافل وهي العظام عند أمره لها بالانتقال من موضع إلى آخر، وتقوضت مثل تقويض الحيام ونقلها إلى غير موضعها.

37- إذا استغزر الذهن المحلى وأقبلت أعالیه في القرطاس وهي أسافل⁽²⁾

يقول إذا سال القلم غزرت بلاغة ذهن هذا المدوح الذي قد حلي بالبلاغة والصواب وأقبلت أعالی القلم في قرطاسه، وقد صارت أسافله لأن أعلاه وهو ما ولي برينته ما لم يكتب به فإذا كتب به أميل أعلاه ورفع أسفله فصارت أعالیه أسافل.

38- وقد رفدته الخنصران وشددت ثلاث نواحيه الثلاث الأنامل⁽³⁾

أراد بالخنصرين الخنصر والبصر فغلب الاسمين كما قيل العمران، والأنامل أطراف الأصابع.

39- رأيت جليلا شأنه وهو مرهف ضنى وسمينا خطبه وهو ناحل⁽⁴⁾

يقول إذا كتب بالقلم رأيت شيئا جليلا الشأن من المعاني والحكم على أن القلم مرهف ضنى والمرهف المرقق، والضنى الهزال والرقه رأيت شيئا سمين الخطب جسيمه على أن القلم ناحل.

40- أرى ابن أبي مروان أما عطاؤه فطام وأما حكمه فهو عادل⁽⁵⁾

يقول عطاؤه طام جائر عن القصد لكثرة، وليلذه في الواجب وغيره، وحكمه بين الرعية عادل قاصد لا يعرج عن الحق، وأبو مروان هو عبد الملك الزيات والد ابن الزيات.

41- هو المرء لا الثورى استبدت برأيه ولا قبضت من راحتيه العواذل⁽¹⁾

يقول هو مصيب الرأي أبدا منمذ له دون أن يستشير في رأيه إلا فيما لا بد من المشاورة فيه، وهو مبسوط اليدين بالعطاء، فلا المشاورة تذهب برأيه وتستولي عليه وتستبد به لأنه غير محتاج إلى مشاورة غيره، ولا العواذل يقبضن بيده المبسوطتين بعذهلن ولومهن.

42- معسر حنق ماله ولربما تخيف منه الخطب والخطب باطل⁽²⁾

المعسر موضع نزول المسافر في المسافر في السحر، ثم يستعار لغيره، ومعنى تخيف تنقص وعدا عليه، والحيف الجور والظلم. يقول ماله مباح للحقوق، وربما أباحه الباطل فعدا عليه، وإنما وصفه بالتناهي في الجود والكرم.

43- لقاح فلم تخدجه بالضيم منه ولا نال أنفاً هينه بالذل نائل⁽³⁾

اللقاح العزيز الذي لم يدل أحد عنه أو يرتشد إليه، ومعنى تخدجه تنقصه والضيم الذل. يقول هو شديد الجانب عزم، ولم تكن لأحد منه عليه، فيكون مستعبدا لها مستنقصا ذليلا، ولا ناله ما يرغم أفقه ويذله.

44- يرى حيله عريان من كل غدره إذا نصبت تحت الحسائل الحسائل⁽⁴⁾

يقول هو وفي في العهد والميثاق، فإذا كانت عهود غيره، وحبال موافقهم خدعا وغرورا كحبال الصائد التي يصيد بها الوحش، فيحل هذا المدوح عريان من ذلك أي عهده خال من الغدر متعر منه.

¹ ص.ش. و.ت: "أطراف لها".

² من: "المحلى". ص.ش. و.ت: "الذعن الذكي".

³ من: "وكدت" بالسين وبما يبعد هذه الرواية عن التصحيح [إبراهيم الحقوقي رواية "شدتت" في الهامش.

⁴ ج.ص: "هو هازل".

⁵ ج.ص. و.ت: "أما فقاؤه فدان".

¹ ص.ش. و.ت: "ولا كعتت". و.ج.ص: "و لا كعتت". و"ولا قبضت". ب.أ. و.ص.

² ج.ص. و.ت: "تقون".

³ ج.ص. و.ت: "قلم تخدجه".

⁴ ص. و.ت: "تري حيله غرانا". و.ج.ص: "تري حيله عريان". و.ت.ش: "إذا نصبت للعاديين الحسائل" ولم يستحسن

التعديري رواية "عربان".

45- فنى لا يرى أن الفريضة مقتل ولكن يرى أن العيوب المقاتل⁽¹⁾

46- فلا غمر قد رقص الحفص قلبه ولا طارف في نعمة الله جاهل⁽²⁾

الفريضة بضعة في مرجع الكف مما يلي القلب، وهي مقتل. يقول ليست إصابة فريضته مقتل عنده إنما القتل عنده أن يأتي عيبا يعاب به. يقول فلا غمر أي ليس بجاهل بالأمر غير مجرب لها إذا رام أمرا منها صعبا خفق قلبه ضعفا عنه وهيبته، والحفص الدعة والسكون ولا هو طارف في نعمة الله جاهل، أي ليس بجديد العهد فيها فيكون جاهلا بها، ويكون أيضا قوله "رقص الحفص قلبه" استخفه السرور بما هو فيه من الحفص والنعمة.

47- أبا جعفر إن الحليفة إن يكن لوارثنا بحرا فإنك ساحل⁽³⁾

يقول هذا متوسلا إلى الحليفة، فيقول إن كان الحليفة بحرا لمن سأله فأتت سبب الوصول إليه والورود فيه كالساحل الذي يداخل منه إلى البحر.

48- وما راغب أسري إليك براغب ولا سائل أم الحليفة سائل⁽⁴⁾

يقول من رغب في معروفك فلا يعبر بذلك، وكذلك من سأل الحليفة لا يعاب بسؤاله، لأنكما صاحبا الدنيا فلا يستغنى البتة عن واحد منكما فليس الراغب إليكما براغب في الحقيقة ولا سائلكما بسائل، ومعنى أم قصد.

49- تقطعت الأسباب إن لم تغر لها قسوى ويصلها من يمينك وأصل⁽⁵⁾

القوى طاقة الحيل، وإغارتها إحكام فتلها. يقول الأسباب ضعاف ما لم تكن أمت مقويا لها وأصلا لقطعيها.

50- سوى مطلب ينضي الرجاء بطوله وتخلق إخلق الجفون الوسائل⁽⁶⁾

1- من: "أن الفريضة" بالضاد ومقاتل: "مكذا بدون ألف واللام.

2- من و: "ولا غمر". وح: من و: "فقد رقص الحفص... ولا خاطب في نعمة الله."

3- من و: "لوارثنا". وح: من و: "لوارثه."

4- من و: "لوارثنا". وح: من و: "لوارثه."

5- من: "أو يصلها."

6- من: "ينضي الرجاء بطوله."

لما وصفه بتلك الصفات المحمودة استثنى مطلبه عنده، وزعم أنه مطلبه به، فقال "سوى مطلب" أي لكن لي مطلبيا عندك قد مطلنتني به حتى أنضى رجائي بطوله، ومعنى أنضى هزل وأضر، ثم قال والوسائل إذا طالت ولم تنظر بالتوسل إليه أخلقت وتقطعت كما تتخلق وتقطع جفون السيوف.

51- وقد نائف العين الدجي وهو قيدها ويرجى شفاء السم والسم قاتل⁽¹⁾

الدجي الظلمة، هذا مثل ضربه لصبره على مطلبه لما يرجو من عاقبة الظفر به، فيقول الدجي قيد للعين ينمعا من النظر الذي هو [هذهيا]⁽²⁾ إلا أن العين تألفها لراحة النوم، ولما توقن به من إقبال الصباح والنجلاء والظلام، وكذلك السم أبدا قاتل إلا أنه قد يستعمل، ويرجى الشفاء به كالتريق الذي فيه لحوم الأفاعي وهي سم.

52- ولي عدة قمضي العصور وإنها كمهدك من أيام مصر لحائل⁽³⁾

يقول لي قبلك عدة قديمة قمضي عليها الدهور، وهي حائل لا تحمل ولا تلد كما عهدت من لدن سفري إلى مصر وحينني فيها وقصدي إليك منها.

53- سنون قطعنا هن عسرا كأننا قطعنا تقرب العهد منها مراحل⁽⁴⁾

المراحل منازل المسافرين في طريقهم. يقول مر على هذه العدة سنون عشر، وأنت تجدها في كل حين فكأن الذي قطعنا من مدة زمان هذه العدة لتجديدها كل حين وقرب العهد بها مراحل المسافرين التي تقطع في كل يوم منها مرحلة أي كأن كل سنة منها يوم.

54- وإن جزيلات الصنائع لاسرى إذا ما الليالي ناكترته معاقل⁽⁵⁾

يقول من اصطنع إلى الناس كانت صنائعه إذا ناكترته الليالي، وتغيرت له معاقل يعتصم بها، وإنما يحثه على اصطناع المعروف إليه.

55- وإن المعالي يستمر بناؤها وشيكا كما قد تستمر المنازل

1- من: "وح: وت: "وهدو". وح: من: "الظلمة".

2- زيادة بقضيها السابق.

3- من و: "ولي مهد". وح: من و: "لحائل". وح: من و: "من أيام وعدك حائل". وح: من: "لمهدك".

4- من و: "حتى كأننا". مكان "عسرا كأننا". وح: من: "حتى كأننا" وهو تصغيره، "تقرب العهد منا مراحل".

5- من و: "تستمر". وح: من و: "تستمر". وح: من و: "تستمر".

يقول المعالي تحتاج إلى التعامد والإصلاح سريعا قبل اختلالها كما تحتاج المنازل إلى ذلك، وإصلاح المعالي بالمعروف والاصطناع.

56- فلو حاربت شول عذرت لقاحها ولكن حرمت الدر والضرع حافل⁽¹⁾

المحاربة أن تمتع الناقة لبنها، والشول التي ارتفعت ألبانها للقاح، والقلاح الحمل. يقول لو حرمتني لقلة وجدك عذرتك كما تعذر الناقة الحامل في انقطاع لبنها، ولكنك حرمتني وأنت متمكن الحال كثير المال بمنزلة الناقة الحافلة الدر.

57- منحتكها كما يشفي الجوى وهو لاعج وتبعث أشجان الفتى وهو ذاهل⁽²⁾

الجوى داء في الصدر من الحب والهوى، واللاعج المحرق للقلب، والأشجان الأحزان، والذاهل السالى. يقول هذه القصيدة التي خصصتك بها تسلي الهموم بحسبها، وتذكر الذاهل عن حبه، فتبعث أشجانه وتهيج شوقه برقتها.

58- ترد قوافيها إذا هي أرسلت هوامل مجد القوم وهي هوامل

يقول إذا أرسلت قوافي هذه القصيدة، وأهملت ردت ما همل من مجد الممدوحين بها، وحفظته على أنها هي هوامل.

59- فكيف إذا حليتها بحليها تكون وهذا حسنها وهي عاطل

يقول هذه القوافي التي أمدحك بها غاية في الحسن كما ترى على أنك لم تحلها بحليها من الندى والتفضل فكيف تكون لو حليتها ولم تتركها عاطلا.

أ- ح- من: "طما برح".

ب- ذيل الصولي والتبريزي شرحها لهذه القصيدة بكتابة بين الشاعر ومحمد بن عبد الملك. قال الصولي: طما قرأ محمد بن عبد الملك هذه القصيدة استعيا من جفائه، واحتج عليه بأنه مدح غيره ممن هو دونه، وأنه لو اقتصر عليه لأغناه [...] وأن كثرة مدحه للناس زعمه فيه، فقال ووقع بها إليه:

أرأيتك سمع البيع سهلا وإسا
فأما الذي هانت بضائع يبيع
هو الماء إن أجسته طاب ورده
يفسد منه أن تسباح شراعه

يعالي إذا ما ضن بالضيء بالعم
فيوشك أن تسبى عليه بضائع
يفسد منه أن تسباح شراعه

وقال علق شرح الصولي: ذكر أبو زكرياء التبريزي في شرحه أبياتا نسبها لأي قام ردا على أبيات محمد بن عبد الملك، قال: فقال أبو قام وكتبها إليه:

أبنا جعفر إن كنت أصبحت شاعرا
فقد كنت قبلي شاعرا ناجرا به
فصرت وزيراً والوزارة مكروخ
وكنم من وزير قد رأينا مسلط
ولله قوس لا تطيشني سهامها

أساميل في سمي له من أباعه
تساميل من عادت عليك متاعه
بعض به بعد اللذة كارهه
فصادت وقد سدت عليه مقلعه
ولله سيف ليس تنسو مقاطعه

¹ من: "ولو حاربت." و ت: "ولو حاربت."
² ص و ت: "منحتكها يشفي الجوى."

القصة [15]:*

وقال يمدح مالك بن طوق ويسأله فرسا⁽¹⁾:

1- قالت عبي النساء كالحرس وقد يصحن الفصوص في الخلس

2- هل يرجعن غير جانب فرسا ذو سبب من ربيعة القفرس⁽²⁾

يقول قالت جاريته فلصابت في قولها، ولم تخطئ الفصل، والحقيقة على أن النساء عيبن كالحرس والبيكم، ولكن ربما أصبنا بالفصل فصوص الكلام في الخلس أي في الأحيان، والفلنات، وهو من اختلاس الشيء وأخذته سرعة، ويقال أصاب فلان القص، وطبق الفصل إذا قال الصواب. وقوله: "هل يرجعن" هذا من أقوال المرأة له هل يرجع غير قائد فرسا من كان له سبب من هذا الممدوح الذي هو من ربيعة، وهو مالك بن طوق، وهو من بني ربيعة يلقب بالفرس لأن آياه تزارا أوصى له بفرسه، فلقب بذلك، وأوصى لمصر ابنه بقبته الحمراء فسميت مصر الحمراء لذلك.

3- كأنني قد زنت ساحنها بمسح في قياده سلس⁽¹⁾

يقول كأنني بنفسه قد جنت بفرس مسح أي منقاد سلس مؤدب فربطها في ساحة دارها فربطتها بها.

4- أحمر منها مثل السبيكة أو أحوى به كالسلمي أو اللعس⁽²⁾

"أحمر منها" أي من الخيل مثل سبيكة الذهب في صفاء لونه وعنفه، والأحوى الذي يضرب إلى السواد، واللعي سرعة في الشفتين، واللعس خمرة في سواد.

5- أو أدهم فيه كمة أمم كأنه قطعة من الغلس

6- مبتل متن وصيهوتين إلى حوافر صلبة له ملس⁽³⁾

يقول هو مبتل الظهر أملسه كأنه قد بل بماء، وحوافره صلبة ملس، والصفوة موضع السرج من ظهريه، وتناها لأنه أراد جانبي المتن.

7- فهو لدى السروع والحلائب ذو أعلى مئدى وأسفل يسبس

يقول إذا نظرت إليه في الحرب والمضمار رأيت له أعلى مئدى أي ظهره محتلبا ناعما وأسفل ييسا.

8- يكسر أن يستحم في الحر والقفر حميما يزيد في النجس⁽⁴⁾

يقول يعظم هذا القفرس ويراه كثيرا أن يعرق في الحر والبرد عرقا يزيد في الانجاس والسيلان، والمعنى أنه ليس بهضب وهو الكثير العرق، ولا يصلود وهو الذي لا يعرق، وكلاهما مذموم لأن كثير العرق يضعف سريعا، والصلود الذي لا يعرق ويبقى عليه الربو، والصلود مشتق من الحجر الصلد، والهبص من هضبات المطر.

¹ من كأنني بي قد زنت ساحنها. "وحص" كأنها لي قد زنت ساحنها. "وحص" و ت "كأنني قد وودت". "وحص" و جت: "كأنني بي قد زنت وحيت" كأنها بي.

² من "أحمر". و ت "أحمر".

³ من و ت "صلب". "وحص" صلد.

⁴ من: "طما برج".

¹ القصيدة من البحر المترح.

² مالك بن طوق من عتبات الغنصلي، أبو كلثوم، أمير. كان من الأشراف الفرسان الأجواد، ولي إمرة دمشق للعتوكل العباسي، ومنى بمساعدة الرشيد ببلدة الرحبة التي على القراء، وتعرف برحمة مالك، نسبة إليه، وكثر سكانها في أيامه، وكان فصحا له شعر. توفي في سنة 259هـ (الأعلام ج 5 ص 262).

³ من و ت "في ربيعة". "وحص" غير طالب. "وحص" وحيت "دونب".

- 9- خلق وجهه على السبق تخليد - عروس للسيلة العرس⁽¹⁾
المخلق المضمخ بالخلق، وهو ضرب من الطيب أي تضيخ وجهه إذا أتى سابقا
كما يضيخ وجه العروس.
10- حر له سورة لدى السوط والرج - وعند العنان والمرس⁽²⁾
حر أي جواد عتيق له سورة أي دفعة [وغضب لدى السوط]⁽³⁾ أو زجر بسوط
أو كان ملجما أو مرسوا، والمرس الحبل []⁽⁴⁾.
11- فهو يسر الرماض بالنزق السا - كن منه واللبين والشرس
يقول هو حديد القلب عزيز النفس لأنه مؤدب متقاد ففيه لحدة قلبه نزق لأن
ذلك النزق في سكون، وفيه شراسة وشدة يخالطها لين وأدب.
12- صهصلق في الصهيل تحسبه - أشرج حلقومه على جرس⁽⁵⁾
الصهصلق الشديد الصوت. يقول هو شديد الصوت صخب في صهيله كأن
حلقومه قد أغلق على جرس لشدة صوته مع [ترديد]⁽⁶⁾ وحينئذ، وهذا من علامات العنق
لأنه يدل على سعة جوفه.
13- يقتل عشر من السعاع به - بواحد الشد واحد النفس⁽⁷⁾
يقول لسرعته وبعد شأوه يقتل به عشر نعامات جريا في شد واحد دون أن ينتني
شأوه.
14- حلفت بالبيت ذي المسبين في الد - إسلام والحل قبل اللحمس⁽⁸⁾

- أراد بالحل ما كانوا يستحلونه في الجاهلية من النس، وهو تأخير شهر حرام
وتقديم شهر حلال كتأخيرهم المحرم إلى صفر وتقديمهم صفرا، والحسم المتشددون وهم
قريش وقوم من كنانة.⁽¹⁾
15- أن ابن طوق بن مالك ملك - مالك أمر المكارم الشمس⁽²⁾
يقول أقسمت بالبيت الذي هذه حاله في الجاهلية والإسلام أن هذا المدح
ملك، وقد ملك المكارم الشمس عن غيره النوافر عنه.
16- خلانق فيه غضة جدد - ليست بمنهوك ولا لبس⁽³⁾
يقول أخلاقه غضة حسنة ليست كالثياب المنهكة باللباس الخلقه. واللبس جمع
لبس وهو الملبوس.
17- لا يبرد يدني ولا إزار على - مخزبة تتقي ولا دنس⁽⁴⁾
البرد الثوب الموشى. يقول هو عفيف الفرج، نقي العرض من الدنس فلا يضم
توبه ولا إزاره على ذنبه مخزبه ولا دنس يعلق بعرضه.
18- مهترس ماله ولست ترى - فريسة عرضه لمفترس
يقول ماله مباح للعفاة كالفرسة [للمفترس]⁽⁵⁾، وعرضه محمي ممنوع من أن
ينال منه لكرمه.
19- كاني قد رأيت زلفته - عند إمام يقريه أنس⁽⁶⁾
20- تبني المعالي في ظله وله - حظ من الملك غير مختلس

¹ - كنانة بن خزيمة قبيلة عظيمة من العدنانية، وهم بنو كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، كانت ديارهم بجعات مكة، وتنقسم إلى عدة بطون منها قريش. (معجم قبائل العرب ج: 3، 936).
² - ص وت: "الفر أمر المكارم". - وص: ش وت: "ملك أمر". - و: ص: ش: "ملك أمر المكارم". - و: ص: مالك أمر الاختيار.
³ - ح: ص: "منهوك". (أي فاسد).
⁴ - ح: ص: ت: "أني".
⁵ - زيادة يقتضيا السياق.
⁶ - ص وت: "قتل عشر". - و: ح: ت: "يقتل عشر".
⁷ - ح: ص: "حلفت بالبيت ذي المسبين في الد".

¹ - ص وت: "يكر". - و: ح: ت: "يكر". - فتح الباء.
² - ص وت: "عروس الأناء للعرس".
³ - ص وت: "عبد العنان". - و: ح: ص: "لدى الزجر والسوط". مكان "لدى السوط والرجز". - و: ص: ش: "في المرس". وت "الرجز". مكان "السوط". و"السوط" مكان "الرجز".
⁴ - زيادة يقتضيا السياق.
⁵ - مقدار كلمة غير واضحة في الأصل.
⁶ - زيادة يقتضيا السياق.
⁷ - ص وت: "قتل عشر". - و: ح: ت: "يقتل عشر".
⁸ - ح: ص: "حلفت بالبيت ذي المسبين في الد".

القصة [16]:*

وقال في أخ له:

- 1- غاب والله أحمد فأصا بني له قطعة من الأحران⁽¹⁾
- 2- وتحلفت بعده في أناس أليسوني صبرا على الحدثن
- القطعة القطع عن فعل الشيء، والقطعة الجزء من الشيء المقطوع ولا بحس هنا، يقول لما غاب عني أصابني بعده أحران قطعت بي دون أمري، وشغلت بالي، وتحلفت بعده في قوم لثام أصابني فيهم حدثان الدهر لم أجد منهم عوناً على دفعه فرجعت إلى الصبر.
- 3- ما لنور الربيع في غير حسن ما لهم من تفنن الألوان⁽²⁾
- 4- أنكرتهم نفسي وما ذلك إلا من شدة العرفان إنكار إلا من شدة العرفان يقول هؤلاء القوم ذوو نعمة وتفنن إلا أنهم لا بشر لوجوههم، ولا معروف لهم فهم كنور لا حسن له ولا بهجة، وهم مع ذلك متلونون للصدق ألواناً. ثم قال أنكرتهم نفسي إنكار من حدثهم فعرف منهم ما يوجب الزهد فيهم والإنكار لهم.
- 5- وإساءات ذي الإساءة يذكر نك يوماً إحسان ذي الإحسان
- 6- كثرة الصفر بمئة وشمالاً أضعفت في نفاسة العقيان يقول إساءة المسيء تذكرك إحسان المحسن لأن الشيء يتبين بضده، ثم قال كثرة الصفر بأيدي الناس في أضعفت نفاسة العقيان وهو الذهب، ولو قل الصفر قلة الذهب لكان في النفاسة مثله، وكذلك كثرة الأيام أضعفت في جلالة الكرام ونفاستهم.

* القصة من البحر الحليف.

¹ من: "قطرة من الإخوان".

² من و ت: "من تغير".

الزلفة القربة. يقول كأي قد رأيت تقريبه لي من الحليفة، وتوصيله إياي إلى أن أكون من خاصته. ثم قال تبني المعالي في ظل هذا الحليفة لحسن عنايته وكرام أباديه، وأي حظ واجب له من الملك لم يجنسه من غيره، ولا يسوى فيه على من يستوجهه دونه.

21- فإن موسى صلى على روحه الله صلاة كثيرة القدس⁽¹⁾

22- صار نبيا وعظم بغيته في جذوة للصلاة أو قيس⁽²⁾

يقول لعلي إذ قصدت في سؤالي هذا الممدوح فرسا سأل أكثر من ذلك بتقريبه لي من الحليفة، فإن موسى صلى الله عليه وسلم توجه في طلب جذوة من نار أو قيس ليصطلي هو وأهله، فنباه الله عز وجل فرجع إلى أهله نبيا، والقدس الطهارة، أي صلاة كثيرة النفع له.

¹ من و ت: "الرب".

² من: "وعظم منه في جذوة للصلاة والقدس".

القصيدة [17]:*

وقال يصف الغيث:

ألا ترى ما أصدق الأنواء قد أفضت الحجرة واللأواء

فلو عصرت الصخر صار ماء⁽¹⁾

الحجرة الشدة سميت بذلك لأنها تمنع الناس من التصرف لشدة البرد وتخرجهم في البيوت، واللأواء أيضا الشدة. يقول أذهبت الأنواء الشدائد [(2)] مطارها، وأروت الأرض وندت صخرها حتى إنك لو عصرت الصخر لصار ماء لنداوته ورية.

من ليلة من ويلها ليلاء إن هي حادت نبتة عنداء⁽³⁾

أصبحت الأرض إذا سماء

الويل أشد المطر، والليلاء الشديدة المظلمة، وصفها بذلك لشدة المطر واسوداد السحاب. يقول إن حادت هذه الليلة بنبت هذا الوابل أي ما أنبت الوابل أصبحت الأرض سماء بما فيها من الزهر التي هي كالتجوم.

القصيدة [18]:*

وقال أيضا فيه⁽¹⁾:

1- الروض من بين مغبوق ومصبطح من ريق مكثفات بالشرى دُلح⁽²⁾

2- دهم إذا وكفت في روضة طفقت عيون نوارها تبكي من الفرح⁽³⁾

المغبوق المستقي عشيا، والمغبوق شرب العشي، والمصبطح من الصبوح وهو شرب الغداة، والمكثفات السحاب يكثف بالأرض ويتغمدتها، وريقها مطرها، والدلح المكثفات بالماء، والدهم المسودة لكثرة ماها، ومعنى وكفت قطرت، وطفقت جعلت. يقول كلما مطرت هذه السحاب في روضة فكأنما مطرها كالريق لما جعلت عيون النوار تبكي سرورا بها وفرحا بزيارتها، وإنما يريد تفرق الندى في عيون الزهر.

* القصيدة من البحر البسيط.

1- لم ترد هذه القصيدة في شرح التبريزي.

2- من: "الديم" مكان "الروض" وذكر علق شرح الصولي افراد بعض النسخ اعتمد في التحقيق برواية هذين البيتين على قافية الجيم، كما ذكر عن التبريزي تصحيح العبدى "مكثفات مودا رواية" مكثفات "وعقب بأنه هو الصحيح.

3- من: "إذا ضحكت".

* القصيدة من البحر الرجز.

1- ح: من: "فلو عصرت الصخر صار ماء".

2- فراغ في الأصل وزيادة الباء يقتضيها السياق.

3- من وت: "إن هي عادت ليلة عدا... وح: من: "من ليلة من ويلها". وح: من: "وتنا بها" مكان "من ويلها".

القصيدة [19]:*

وقال أيضا فيه:

- 1- يا سهم للبرق الذي استطارا تاب على رغم الدجى نهارا⁽¹⁾
سهم أخو حبيب، واستطار انتشر وظهر. يقول انظر لهذه البرق وتعجب منه تاب
أي رجع وظهر، والمعنى أنه تاب نهارا، والدجى راغمة الأف ل أنها كانت راغبة في البرق
لشدة [الفلام]⁽²⁾.
- 2- حتى إذا ما أجد الأبخارا ولى جهارا وبدد سرارا⁽³⁾
- 3- أض لنا ماء وكان نارا أرضى الثرى وأسخط الغبارا
معنى أجد الأبخار أخذها وخطفها لشدة نوره، وولى جهارا⁽⁴⁾ بينا منتشرا،
وكان أول ظهوره خفيا كالسر، أض صار ماء أي جلب المطر. فكان البرق صار ماء بعد
أن كان نارا أرضى الثرى بسقيه له وتغذيته إياه، وأسخط الغبار بحطه له من السماء.

¹ - القصيدة من البحر الرجز.

² - ص و ت: "بات".

³ - زيادة يقتضيه السياق.

⁴ - ص و ت: "ولا جهارا وندى سرارا".

⁵ - ص: "أض لنا ماء." و"أرضى الثرى".

القصيدة [20]:*

وقال أيضا فيه:

- 1- إن الربيع أنار الزمان لو كان ذا روح وذا جثمان
2- مصورا في صورة الإنسان لكان شابا من الفتيان
يقول الربيع أحسن الزمان وأحقه بالآثرة والتفضيل فلو كان مصورا في صورة
رجل لكان قضي متهللا شابا حسنا.
- 3- بوركت من وقت ومن أوان فالأرض نشوى من ثرى نشوان
4- تختال في مفوق الألوان في زاهر كالحدق الدوان
يقول لما رويت الأرض صارت كأنها نشوى أي سكرى لاختيالها وتبخترها بما
يبدو فيها من ألوان النبات والزهر الموقفة التي هي كالبرد الموقف في اختلافها وحسنها.
وشبة النور بالحدق النواظر في حسنها.
- 5- من ناصع وفاقع وقان عجبت من ذي فكرة يقظان
6- رأى حفوف زهر الألوان فشك أن كل شيء فنان
7- غير العزيز الفاهر المنان

الناصرع الشديد البياض، يعني النور، والفاقع الشديد الصفرة، والقاني الشديد
الحمرة، والحفوف بالحاء أشد من الحفوف، وقوله زهر الألوان أراد زهر ضروب النبات
وصنوفه. يقول من نظر إلى تغير نبات الأرض وحفوفه فلم يتيقن أن كل شيء هالك إلا
الله عز وجل فهو ضال محير.

- القصيدة من البحر الرجز.

القصيد [21]:*

وقال أيضا فيه:

- 1- لم أر عيرا جمّة الذؤوب تواصل التهجير بالتأويب⁽¹⁾
- 2- أبعد من أين ومن لغوب منها غداة الشارق المهضوب⁽²⁾
- العر الإبل تحمل المتاع شبه السحاب به، يقول لم أر إبلا مثقلة تصل سير الهاجرة بسير العشي، والتأويب السير في النهار كله إلى العشي، لم أر أبعد من أن تفتت أو تلغب، والأين الفتور. واللغوب الإعياء من هذه السحاب التي هي كالعير غداة مطرت ضوء النهار، والشارق حين تشرق الشمس، والمهضوب المطور.
- 3- تجانبنا ولسن من نجيب شبيهة الأعناق بالعجوب⁽³⁾
- 4- كالليل أو كاللوب أو كالتوب مستفادة لعاراض غريب⁽⁴⁾
- يقول هذه السحاب كالنوق تجانب غير أنهن لسن من فحل. وهي شبيهة المقدم بالمؤخر، فأعناقها وعجوبها سوء، والعجب آخر الظهر، وشبهها في كثافتها واسودادها بالليل وباللوب وهي جمع لابة وهي الحرة الأرض ذات الحجارة السود، والنوب السودان واحد منهم نوبي وهم مثل الحيش، والعاراض عارض السحاب، والغريب الشديد السواد، يقول يقدم هذا السحاب عارض فهي تتبعه وتناقذ له.
- 5- كالشعبة التفت إلى النقيب آخذة بطاعة الجسوب⁽⁵⁾
- 6- تكف غرب الزمن العصب ناقضة لمرار الحطوب⁽⁶⁾

1- القصيدة من البحر الرجز.

2- تواصل الإللاج.

3- ج.ص: "غداة الشارق الهضوب" بغير مهم.

4- ص و ت: "وليس" و"شباب" و"ج.ص: "عروي" تجانب وما بعده بالضم.

5- ج.ص: "مستفادة لعادر غريب".

6- ص و ت: "على النقيب".

7- رواية البيت في ص و ت:

ناقضة لمرار الحطوب تكف غرب الزمن العصب

شبه السحاب في اتباعها للعاراض واجتماعها إليه بالشعبة إذا اجتمعت إلى نقيبها وهو رئيسها، والقائم بمذاهبها، وجعلها تابعة للجنوب مطيعة لها لأن أحسن الغيث ما جلبته الريح الجنوب، وجعلها كافة لغرب الزمن العصب لأنها تأتي بالخصب والرخاء فتلين الزمان وتذهب شدته وحدته، وغرب كل شيء حده، والعصب الشديد وهو من عصب الشيء إذا شدته، والمر القوى والطاقة، وأصله من الحبل الممر فاستعاره لشدة الخطوب.

- 7- عساء للأزمة للزوب عساء للأزمة للزوب⁽¹⁾
- 8- لما بدت للارض من قريب تشوفت لوبلهما الكوب⁽²⁾

الأزمة الشدة، وأصلها من الأزم الأسنان وهو العض بها، واللزوب الملازمة الثابتة. يقول يحو هذا السحاب شدة الزمان كما يحو ركن البيت الذؤوب إذا استلم يعني استلام الحجر الأسود، واستلامه تقبيله.

- 9- تشوف المريض للطبيب وفرحة المحب للحبيب⁽³⁾
- 10- وطرب الأديب للأديب وخيمت صداقة الشؤيوب⁽⁴⁾

يقول كانت الأرض محتاجة إليها رغبة فيها كاحتياج المريض إلى الطبيب، وفرحت بها فرحة الحب بحبيبه، وطربت إليها طرب الأديب إلى أديب مثله، ومعنى خيمت أقامت، ومكنت في هذا الموضع، والشؤيوب دفعة المطر.

- 11- وقام فيها الرعد كالخطيب وحنث الريح حنين النيب⁽⁵⁾

1- رواية البيت في ص و ت:

عساء للأزمة للزوب عمو استلام الركن للذؤوب

2- ج.ص: "تشوفت" بالقالف.

3- ص و ت: "وطرب" مكان "وفرحة". و ج.ص: "تشوق" بالقالف.

4- ص و ت: "وفرحة الأديب بالأديب".

5- ص و ت: "قام".

12- والشمس ذات شارق مهضوب قد غربت من غير ما غروب⁽¹⁾

شبة الرعد بالحطيط لصوته، وشبه حنين الريح بحنين النوب، وهي النحل سميت بذلك لأنها تسرح ثم تزوب إلى موضع تعسليها، وقيل سميت بذلك لسوادها تشبيها بالسودان، ويروى "حنين النيب" وهي المسنة من الإبل، وحنينها صوتها، والمشارق طلوع الشمس، ومهضوب ممطور، وجعلها غارية لتغطية السحاب لها.

13- والأرض في ردايتها القشيب في زاهر من نبتها رطيب⁽²⁾

14- بعد اشتهاه الثلج والضرب كالكله بعد السن والتحنيب⁽³⁾

15- تبدل الشباب بالمشيب⁽⁴⁾

يقول اكتست الأرض بأحسن النبات والزهر مثل الرداء الجديد، بعد أن كانت قد ابيضت من المحل وكثرة الضرب، والثلج والضرب الجليد. شبه الأرض في خصبيها وكمالها بعد المحل بشيخ آب إليه شابه بعد الهرم والتحنيب، وهو الاختناء والتفويس.

16- كم ألبست من حاجر غريب وغلبت من الشرى المغلوب⁽⁵⁾

17- ونفست عن بارض مكروب وأقنعت من بلد رغب

الحاجر المتحجر لشدة البرد وسوء الحال. يقول كم من غريب متحجر سيء الحال قد أنسته هذه السحاب بالخصب وصلاح الحال، وكم نفست أي روحت عن بارض

1- م: وت: "حاجب عجوب" مكان "شارق مهضوب" وج: م: "غربت".

2- ج: م: "وليب" مكان "رطيب".

3- ج: م: وت: "انتهاب" وج: م: "انشاب" و"التحريب" و"التحيب" وهذا تصحيف.

4- م: وت: "الشباب". وأشير إلى أن نظام الأبيات في شرح التنوير دخله بعض التغيير عقب ورود هذا الشطر منفردا بينما توالت أبيات القصيدة في شرحي الصولي والتنويري في نظامها المعهود.

5- م: وت: "كم آتت من جانب غريب". وقد جاء شطران ابائا للبيت الخامس عشر عند الصولي والتنويري، ولك يرد في شرح التنويري مدرا للبيت السادس عشر في شرحي الصولي والتنويري، وهو "وقفت من مذنب بعوب" كما لم يرد عبرا للبيت السابع عشر وهو: "وسكنت من نافر الجنوب، وكان هذا مصدر الحال.

وأورد علق شرح الصولي الرواية التالية للبيت:

وقفت من مذنب بعوب وغلبت من الشرى المغلوب

مكروب، والبارض أول النبت وأصغره، أي كان المحل قد كربه بنفس المطر عنه، وكم أقنعت بزيبها وكثرة مائها، وأرضت من بلد رغب في الماء لا يكاد يروى.

17- تحفظ عهد الغيث بالغيب⁽¹⁾

18- لذبذذ الريق والصيب كأنها تهمني على القلوب⁽²⁾

يقول لما روى الغيث هذا البلد أخصب، فلما الجلى بقي أثر الحسن فيه فكان ذلك كذكر البلد له وتثائه عليه في مغيبه، ثم وصف حسن موقع تلك السحاب من النفس وتلذذها بما كان من ريق مطرها وهوائه اللين منه، وما كان من مصبه الشديد منه حتى كأنها تظفر على القلوب فتزدحها وتسكن حرقها، ومعنى تهمني تسيل.

1- ت: "عفظ".

2- م: "كأنا" وج: م: وت: "مع الصيب" ورواية الأبيات عند الصولي بعد البيت 14:

15- تبدل الشباب بالمشيب كم آتت من: جانب غريب

16- وفطت من: الشرى المغلوب ونفست عن: بارض، مكروب

17- وسكنت من: نافر الجنوب وأقنعت من: بلد رغب

18- تحفظ عهد الغيث بالغيب لذبذذ الشرى: والصيب

19- كأنها تهمني: علم القلوب

وقال علق شرح الصولي: رواية الأبيات 16 و17 و18 في نسخة ر:

- وفطت من: مذنب بعوب وغلبت من: الشرى المغلوب

- ونفست عن: بارض، مكروب وسكنت من: نافر الجنوب

- وأقنعت من: بلد رغب تحفظ عهد الغيث بالغيب

- لذبذذ الشرى: مع الصيب كأنها تهمني: علم القلوب

القصيدة [22]:*

وقال أيضا في الغيث:

- 1- حماد من نوء له حماد في ناحرات الشهر لا الدآد
- 2- فجاء يجدها فنعم الحادي سارية مسمحة القياد⁽¹⁾

يقول حمدا لهذا النوء بعد حمد لما جلب من الغيث، وناحرات الشهر أوائله، ودآؤه أواخره، وأحمد ما يكون النوء في صدر الشهر، وقوله "فجاء يجدها" أي جاء هذا النوء يجدها هذه السحاب كما تحدى الناقة، والسارية التي تمطر ليلا، ومطر الليل والعشي أشد المطر في الأكثر، والمسمحة السهلة المتفاداة أي هي متأنية منسكة.

- 3- مسودة مبيضة الأيادي سبهارة ثنؤارة بالوادي⁽²⁾
- 4- كثيرة التعريس بالوهاماد نازلة عند رضا العباد⁽³⁾

يقول هي كثيفة مسودة إلا أن أياديها قبلنا حسنة مبيضة، وهي سبهارة لا تنام الليل ثنؤارة بالوادي، أي لها ثؤرة وصوله فيه يعني شدة حلها فيه ووقوعها به، والوهاماد بطون الأودية وتعربسها فيها إقامتها واستقرارها.

- 5- قد جعلت للمحلل بالمرصاد سبيقت بريق ضمرم الزناد
- 6- كأنه ضمائر الأغماد تمت برعد صخب الإرعاد⁽⁴⁾

يقول كانت هذه السحابة بالمرصاد للمحلل سبقت لنا منه، والضرم المشتعل، وذكر الزناد لأن النار تكون بها، فضر بها مثلا للبرق، وشبه ما يستطير من البرق مرة بعد

* القصيدة من البحر الرجز.

¹ رواية البيت في ص و ت:

أظن من صبر ومن تسواد فجاء يجدها فنعم الحادي

ويلاحظ سقوط البيت من رواية الشنتري، وسقوطه صار الشطر الثاني من البيت صدرا ومصدر البيت التالي له مجزا وقد توألى هذا في أبيات القصيدة كلها.

² ص و ت: "سواده نوابه".

³ ص و ت: "نواة".

⁴ ص و ت: "تم".

مرة بسيوف مصلثة، وجعلها ضمائر للأغماد لأنها تضممها وتستمرها، والصخب الشديد الصوت.

- 7- يسلفها بالسن حداد لما سرت في ساحة الجلا⁽¹⁾
- 8- ولحق الأعجاز بالهوادي واختلط السواد بالسواد⁽²⁾
- 9- أنظرت الثرى عن عباد ورويت هاماته الصوادي⁽³⁾

السلق شدة الصوت عند الجفاء والغلظة في المنطق، شبه صوت الرعد به كأنه يزجر السحابة، ويغلظ لها في الزجر، وقوله ولحق الأسحار بالهوادي أي لحق أوائل الأيادي وأواخرها في الحصب، واختلط سواد خصبها بعضه ببعض، ويقال للأرض المخصبة سوداء وصفراء وخضراء، ومنه سواد العراق، وقوله "لن يعاب" أراد المحل، لأنه عدو للثرى، وجعل من كتابة عما لا يعقل، فلما أخير عما لا يعقل بالعراق جعل له لفظه، والهوامات الرؤوس والصوادي العطاش، وكأنه أراد بالهوامات هنا جمع هامة، وهي طائر يزعم العرب أنه يخرج من رأس المقتول فيتادي على قبره، أسقوني حتى يدرك ثأره.

- 10- كم قد جلت لمقر عن زاد وعن رواء سنة جماد⁽⁴⁾
- 11- وجلبت من روقه العتاد من القلاص الحخور والجلا⁽⁵⁾

يقول كم كشفت هذه السحابة لمقر فقير عن زاد، وأبدته له بعد أن كان خفيا عنه، وكـم أبدت من رواء سنة جماد قليلة الخير، وكـم جلبت من حسن العدة ورائقها، والعتاد ما يعتد به، روقه حسنه وإعجابه، والحور من الإبل الغزيرة الألبان، والجلا⁽⁵⁾ القوة الصابرة، والحور الضعاف وهي أغزر لبنا والجلا⁽⁵⁾ أقل لبنا وأدسمه، وأصل الحور الضعيف، وكلما كثر لبن الناقة ضعفت، ولذلك سميت خورا.

- 12- والمضمرات الصفوة الجياد ومن حبير اليمنة الأبراد⁽⁵⁾

¹ ص و ت: "حاجة".

² ص و ت: "فاخلط".

³ ص: "كما تعادي" وت: "بعادي" وص و ح ت: "أنظرت الرن" وح: ص: "أنظرت الثرى بما بغادي".

⁴ ص و ت: "كم جعلت لمقر من زاد". ومن دواء سنة جماد.

⁵ ص و ت: "والمقربات الضعيف". وح: ص: "الصفوة" مكان "الضعف".

13- من أنعميات ومن ورا د هدية من صمد جواد

حتى تحل بالصعيد الشأد⁽¹⁾

المضمرات الحيل الضامرة، والصفوة المختارة، والخيبر الثوب المحير الموشى، واليمنة ضرب من ثياب اليمن، والأبراد ثياب الوشي، والأنعميات ضرب من الوشي، والوراد الحمر واحدها ورد.

يقول جلبت هذه السحابة حين أخصبت الأرض جميع هذه الأشياء، وكانت هدية من الله عز وجل إلى عباده حتى أحلها بالصعيد، والصعيد وجه الأرض، والثأد الثرى، سكن همزته ثم خففها.

القصيد [23]:*

وقال يمدح محمد بن عبد الملك الزيات:

- 1- ليهان علينا أن تقول وتفعلا ونذكر بعض الفضل منك وتفضلا⁽¹⁾
يقول ماأهون علينا وأيسر أن تقول فيك مآدحين لك، وتفعل أنت مجازيا لنا، وأن نذكر بعض ما فيك من الفضل والكرم لا كله فتفضل علينا وتسدى المعروف إلينا.
- 2- أبا جعفر أجرين في كل تلة لنا جعفرنا من فضل سيبك سلسلا⁽²⁾
التلة تجرى الماء إلى الوادي، والجعفر النهر، والسلسل السهل الممر في الخلق العذب. يقول أجرين لنا في كل موضع نهرا عذبا من فضل عطائك، والسيب العطاء وأصله من أنسياب الماء وجريه.
- 3- فكم قد أثرتنا من نوالك معدنا وكم قد بينينا في ظلالك معقلا⁽³⁾
يقول كم من معدن استخرجتنا من أفضالك علينا وإنائك إيانا. وكم من معقل وحصن بيننا في ظلك نتحصن به من الزمان ونكاله.
- 4- رددت المنى خضرا تشنى غصونها علينا وأطلقت الرجاء المكبلا⁽⁴⁾
يقول كانت منانا قد جفت وذبلت بغيرك خضرا فرددتها ناعمة تشنى غصونها علينا نعمة ولينا، وكان الرجاء منا مكبلا عند سؤال غيرك بمطله ومنعه، فأطلقته من كبلة بسط معروفك، وتحقيق الرجاء فيك، ويحتمل أن يريد أنه كان لا رجاء له فلما ظهر هذا المدح رجاء وأمله.
- 5- وما يلحظ العافي جذاك مؤملا سوى لحظة حتى يروح مؤملا⁽⁵⁾

*- القصيدة من البحر الطويل.

1- ح-ص و-ت: "عك" وح-ص: "ففعلا".

2- من: "من فيض سيبك"، وح-ص و-ت: "من فيض كريب"، وح-ت: "من فيض فضلك"، و-من سيب كريب".

3- ح-ص: "من ظلالك".

4- ح-ص و-ت: "رجعت".

5- ص و-ت: "ما يلحظ العافي"، و"يؤوب"، وح-ت: "فذاك".

1- ص و-ت: "في الصعيد". وقد سقطت بعض الألفاظ من رواية الشننري وهي مثبتة في رواية التبريزي وهي: "ليس يولد ولا ولد"، و"منوعة من حاصر وباد"، وانظر رواية الصولي للقصيدة في ج: 3، 559-557.

الجدا العطية، والعافي الذي يأتيه يسأله، يقول إذا لحظ السائل المؤمل لك نذاك لحظة يستغني فراح من عندك وهو مؤمل مسؤول.

6- لقد زدت أوصاحي امتدادا ولم أكن بهيما ولا أرضى من الأرض عجلا

الأوصاح جمع وضع وهو البياض، والبهيم من الحيل المصمت الذي لا شية فيه، والمجهل التي لا علم لها. يقول زدني شرقا وشهرة بذاك فكنت ذا وضع فردتني وضحا وتكنا في ذلك، ولم أكن كالبهيم من الحيل ولا كانت أرضي مجهولة بل أنا مشهور وأرضي معلومة.

7- ولكن أباد صادفتني جسامها أغر فأوفت بي أغر محجلا⁽¹⁾

يقول صادفتني أياديك الجسام شريفا مشهورا كالأغر من الحيل، فرادتني شرقا وشهرة فكأنها زادني تحجيلا فجاءت بي أغر محجلا.

8- إذا أحسن الأرقام أن يتناولوا بلا نعمة أحسنت أن تتناولوا⁽²⁾

يقول إذا كان غيرك يحسن التعاطف على الناس والتكبر عليهم دون نعمة له قبلهم فانت متواضع تحسن التطول على الناس [لما تسدي لهم من معروف]⁽³⁾.

9- تعظمت عن ذاك التعظم منهم وأوصاك نبل القدر أن تتنبلا⁽⁴⁾

يقول عظمت نفسك، ورفعتها عن تطاولهم على الناس وتعظيمهم عليهم وتكبرهم، وأوصاك قدرك النبل أن تكون مستزيدا نبلا، فكونك كذلك إنما هو بالعتاء وترك التكبر على الناس.

10- تبيت بعيدا أن توجه حيلة على نشب السلطان أو تناولا

يقول أنت بعيد من أن تحون السلطان في ماله بحيلة أو بتناول، فالتناول أن تقول أنا أحد المسلمين قلني في بيت المال نصيب.

1- من وح: "فعلني أغر". وح: من: "فوافيت بي" و"فعلني". بالخاء المعجمة من الحلية.
2- ح: من وح: "بلا مة".
3- زيادة يقتضيها السياق.
4- ح: من وح: "ألا نبلا".

11- إذا ما أصابوا غرة فتمولوا بها راح بيت المال منك معمولا

أي إذا وجد غيرك غرة من بيت المال فخاذا وتقول أي كثر ماله راح بيت المال من توفيرك وتصحك معمولا موفورا، والغرة الفرصة.

12- هزرت أمير المؤمنين محمدا فكان ردينيا وأبيض منصلا

يعني محمد بن عبد الملك. يقول لما اختبرته وجدته ماضيا في الأمور قاطعا لها كالربع الرديني، والمنصل هو السيف القاطع.

13- فما إن تبالي إذ تجهز رأيه إلى ناكث ألا تجهز جحفا⁽¹⁾

الناكث الناقض للعهد، والجحفل الجيش العظيم. يقول إنه يعني غناء الجيش ويقوم مقامه.

14- ترى شخصه وسط الخلافة هضبة وخطبته دون الخلافة فيصلا

الهضبة القطعة العظيمة من الجبل. يقول هو ثابت والخلافة قد أحاطت به متحصنة به ثبوت الجبل، وخطبته فاصلة بين الحق والباطل مانعة دون الخلافة، ويقال خطبته فيصل، إذا كانت صحيحة فاصلة بين الأشياء المختلف فيها.

15- وأنك إذ ألبسته العز منعما وسربلته تلك الجلالة مفصلا⁽²⁾

يقول لما وليت محمدا أمر الخلافة والرعية، وألبسته العز والجلالة منعما عليه مفصلا قضيت بذلك حق الخلافة أولا حيث قلدها رجلا حازما مكثيا بها مشفقا عليها، وحق الرعية آخرها حيث وليت عليهم من يعدل فيهم.

17- وما هضبتا رضى ولا ركن معنق ولا الطود من قدس ولا أنف يذبلا⁽⁴⁾

1- من وح: "أن تجهز".
2- ح: من: "إن" مكان "إذ". وح: "ذلك الخلافة".
3- ح: من: "لنقض".
4- ح: من وح: "فما هضبتا".

- 18- بأثقل منه وطأة يوم يغتدي فيلقني وراء الملك خرا وكلكلا⁽¹⁾
 رضى ومعنى وقدس ويذبل جبال عظيمة، يقول ما هذه الجبال بأثقل وطأة منه
 ولا بأثبت حين يقف دون الخلافة [فيلقي] وراءها خرا وكلكلا وهذا مثل، والمعنى أنه
 يلازمها حافظا لها كما يلازم البعير الأرض إذا برك فألقى بالأرض خره وكلكله،
 والكلكل الصدر، وأنف يذبل أعلاه.
 19- متبع نواحي السر فيه حصينها إذا صارت النجوى المذالة محفلا
 يقول إذا كان عنده سر في أمر الملك منعه وحسن نواحيه إذا كان غيره يدفع
 ذلك السر حتى يكون حديث تحفل، والنجوى المسارة، والمذالة ضد المصونة.
 20- يرى الحادث المستعجم الخطب معجما لديه ومشكولا وإن كان مشكلا⁽²⁾
 المستعجم الذي لا يتبين، والمعجم المبين كالخرف المعجم، وهو المنقوط والمشكل
 المتنبس، والمشكول البين، وهو المقيد بالضبط والنقط من الحروف، فيقول هو حسن الرأي
 صادق النظر فكل أمر متنبس بين عنده كيان الكتاب المشكول.
 21- وجدناك من أجدى الرجال أناملا وأحسن في الحاجات وجهها وأجملا⁽³⁾
 22- يضيء إذا أسود الزمان وبعضهم يرى الموت أن يستهل أو يستهلا⁽⁴⁾
 يقول اختبرناك فوجدناك أندى الناس كفا بالعطاء، وأحسنهم وجهها وبشرا عند
 اللقاء، ووجدناك تضيء وتهلل إذا سئلت في وقت اشتداد الزمان واسوداده، وبعض
 الناس يرى الانهلال بالعطاء والتهلل والبشر عند اللقاء كالموت في الكراهة والشدة.

1- ص: "فيلقي"، وح: ص: وت: "حين يغتدي".
 2- ص: وت: "ترى" وإذا كان مشكلا".
 3- ص: وت: "أندى من رجاله".
 4- ص: وت: "تضيء".

- 23- فوالله ما آتيتك إلا قريضة وآتني جميع الناس إلا تسفلا⁽¹⁾
 يقول قصدي إياك بالخروج وتخصيصي لك بالأمل واجب علي كالفريضة وهو في
 غيرك تظوع كالتافلة.
 24- وليس امرؤ في الناس كنت سلاحه عشية يلقى الحادثات بأعزلا
 25- يرى ذرعه حصدا والسيف قاضيا ورعيه مسمومين والسوط مغولا⁽²⁾
 يقول من اعتصم من نواب الزمان عصمته، وقمت له مقام السلاح، فإذا لقي
 الحادثات لم يلحقها أعزلا، وهو الذي لا سلاح معه، ثم بين صفات السلاح الذي يكون
 لهذا المعتصم به، فقال ترى ذرعه حصدا، وهي الجدولة المحكمة الخلق، وسيفه قاضيا،
 وهو القاطع، ورعيه مسمومين، وإنما أراد رحه وسمه، فغلب اسم الرمح لفضله على السم،
 ويحتمل أن يريد سنن الرمح وزجه وترى سوطه مغولا، والمغول سيف صغير يقاتل به
 الإنسان صاحبه أي إذا ضرب بالسوط قتل.
 26- ساقطع أمطاء المطايا بمرحلة إلى الوطن الغربي هجرا وموصلا⁽³⁾
 الأمطاء جمع مطا وهو الظهر، وأراد بالوطن الغربي الشام، وكان حبيب مقبما
 به، هجرا من السير في الهاجرة، وموصلا من السير في الأصيل، وهو العشي، يقال أصل

1- ص: وت: "والله"، وقال الصولي في شرحه لبيت ويرى:

ووالله ما أمرك إلا قريضة وأموى جميع الناس إلا تسفلا

ح: ت: "إن آتيتك"، وذكر رواية الصولي السابقة.
 2- ص: وت: "وزجيه"، وح: ص: "خضراء" مكان "حصدا" وهو تصحيف، وح: ص: ت: "ماضي" وقال التبريزي
 في شرحه لهذا البيت: "وهذا البيت ينشد على وجهين:

أخرجت منها سلفا مأزولة جردا يسرق ناهيا كالمغول

ويرى "كالمغول"، وح: ت: "قاضي"، بالياء
 3- ص: وت: "إلى البلد".

الرجل فهو موصل إذا دخل في ذلك الوقت، كما يقال أظهر فهو مظهر من الظهيرة. يقول سارجر إلى أهلي ودياري وأقطع ظهور [المطايا برحلة] ⁽¹⁾ في الهجرة والأصيل.

27- قبيل وأهل لم ألق مشوقهم لوشك السنوى إلا فواقا كلا ولا ⁽²⁾

يقول وإنما لقبتهم مارا بهم مجتازا عليهم، فمقدار لقائي لهم مقدار لفظك بلا ولا، والفواق ما بين أن تحلب الناقة، ثم تترك ساعة ثم يعاد الحلب، وشك النوى سرعتها، وإنما قال هذا لأنه وصل إقباله من قصد بالسير إلى محمد بن عبد الملك، وكان ببغداد ⁽³⁾، فلم [يلاق أهله إلا ملما بهم] ⁽⁴⁾.

28- إلى الرحم الدنيا التي قد أجفها عقوقي عسى أسياها أن تبلا ⁽⁵⁾

يقول سارجل إلى رحمى الدنيا القريبة لأصلها وأبل ما جف عقوقي منها ومعنى أجف أبيس، وإنما أخذ هذا من قول النبي عليه السلام: "بلوا أرحامكم ولو بالسلام." ⁽⁶⁾

29- كأنهم كانوا خلفه وقستي معارف لى أو منزلي كان منزلا ⁽⁷⁾

يقول كأن أهلي لسرعة انقضاء نزولي عليهم ومكني معهم كانوا إخوانا لي معارف زرتهم، أو كان منزلي لقلعة ترقصي فيه كان منزلا من منازل السفر وهي المراحل.

30- ولو شئت لما التأتأت برى عليهم فلم يك إجمالا لكان تجملا ⁽⁸⁾

يقول لو شئت حين التأتأت برى على أهلي ويطاعتهم، ولم يكن إجمالا مني وشيئا أريده وأحبه لكان تجملا واستعمالا لذلك البر الواجب علي. ولكن حرصني على لقاء الملوك، ورغبتني في الالتقاء بهم قطع بي دون الإجمال في البر بهم والتجمل به.

¹ زيادة يقتضيه السياق.

² ورد هذا البيت في ص و ت، بعد البيت التالي (إلى الرحم الدنيا التي...) وفي ح ص و ح ت: "قبلي وأهلي".

³ بغداد دار مملكة خلفاء بني العباس، وبغداد بالقاهرة علية الصنم، وكانت قرية من قرى القرى فأخذها أبو جعفر غضبا فبنى فيها مدنته. (معجم ما استعجم ج 1: 261-262 والروى المطار 109)

⁴ حرم في الأصل، والزائدة يقتضيه السياق.

⁵ ورد هذا البيت (إلى الرحم الدنيا التي قد أجفها...) في ص، بعد البيت (سأقطع أمطاء المطايا برحلة).

⁶ لسان العرب مادة بلل.

⁷ ورد هذا البيت في ص، بعد البيت (قبيل وأهل لم ألق مشوقهم) ص و ت: "أو منزلا".

⁸ ص: "لو شئت" وت: "ولم يك".

31- فلم أجد الأخلاق إلا تعلقا ولم أجد الإفضال إلا تفضلا ⁽¹⁾

هذا مثل ضربه لما كان فيه من ذكر الإجمال في البر أو التجميل فيه، أي لو شئت لتجملت إذ لم أجد فاضلا، والناس إنما هي تخلق وتكسب لا غريزة وإفضاله إنما هو تفضل وتكلف لا سجية، وإنما يعرض بمحمد بن عبد الملك ويعاتبه على تقصيره.

32- وأصرف وجهي عن بلاد غذا بها لساني معقولاً وقلبي مقفلاً ⁽²⁾

هذا مثل متصل بقوله سأقطع أمطاء المطايا برحلة، يقول أنا في هذه البلاد التي أنت بها معقول اللسان، مقفل القلب لقلعة ما رأى من القبول أو النفع له.

33- وجد بها قوم سواي فصادفوا ببها الصنع أعشى والزمان مغفلاً ⁽³⁾

يقول جدد بهذه البلاد قوم، وساعدهم الدهر فوقفوا الصنع الجميل نصيرا إليهم بخير استحقاق، فكانه أعشى لا يهتدي إلى موضع رشده، وكان الزمان في غفلة عنهم لما هم فيه من رخاء البال وصلاح الأحوال.

34- كلاب أغارت في فرسة ضيعهم طروفا وهام أطعمت صيد أجدا ⁽⁴⁾

يقول هؤلاء [القوم] ⁽⁵⁾ الذين أقامس الصنع هم في الدناءة واللؤم كالكلاب، إلا أنهم قد فازوا بالخط من الدنيا دون من يستأمله من أهل الفضل والعلم، وكأنهم كلاب أمكنتهم فرسة أسد ضيعهم في طروق من الليل وغفلة من [الأسد] ⁽⁶⁾ وأكلت تلك الفريسة، وأغارت عليها، أو كأنهم هامات أطعمت صيدا أجدا.

35- وإن صريح الحزم والرأي لامرئ إذا بلغسته الشمس أن يستحول ⁽⁷⁾

¹ ص و ت: "الأفضال".

² ح ص و ت: "مقفلاً".

³ ح ص و ت: "مقفلاً".

⁴ ح ص و ت: "مقفلاً".

⁵ زيادة يقتضيه السياق.

⁶ زيادة يقتضيه السياق.

⁷ ص و ت: "لازور".

و ح ص: "فان لا يرى".

هذا مثل، يقول إذا نبا بالمرء موضع فليتحول عنه إلى غيره. كما أن خالص الحزم له إذا كان في ظل فبلغته الشمس أن يتحول إلى موضع فيه ظل، وهذا كقول الآخر: "وإذا نبا بك منزل فتحول"⁽¹⁾

36- وإلا تكن تلك الأماني غصة ترف فحسبي أن تصادف ذبلا يقول قد كنت أرجو أن تكون أمانتي غصة ناعمة فحال القدر دون ذلك، وأما الآن قد قنعت أن تكون ذابلة فيها بعض الندوة فذلك أحسن من أن تكون يابسة لا ندوة فيها، وإنما يريد أنه يقع لهذا من غيره.

37- فليس الذي قاسى المطالب غدوة هميدا كمن قاسى المطالب حنظلا⁽²⁾ الهيبيد الحنظل يصنع فيوكل على ما به، فيقول من ظفر من مطالبه بشيء، وإن كان سيرا أمثل ممن طلب البتة فأمرت عليه مطالبه العيش كما أن أكل الهيبيد أمثل من أكل الحنظل.

38- لنن هممي أو جدنني في تقلبي مآلا لقد أقددنتني منك مونلا يبدأ بالعتاب في هذا البيت، يقول أنا إن عزمت على التحول عنك إلى غيرك فأوجدنني هممي مآلا عند غيرك، أي مرجعا يؤول إليه لقد أقددنتني من فريك مونلا وملجأ أعتصم به وألجأ إليه.

39- وإن غفت أمرا مدير الوجه إنني سأترك حظا في فنائك مقبلا⁽³⁾

هذا كالذي قبله. يقول إن تعرضت إلى مثل غيرك والانتقال إليه من عندك، وطلبت منه أمرا مدير الوجه عنى، فأنا تارك الأمر وحظي في فنائك مقبل الوجه علي، وغفت هامنا من عيانة الطير، وهو زجرها والتأول بها، وليس من غفت الشيء إذا كرهته لفساد المعنى، ويرى لن رمت أمرا.

40- وإن كنت أخطو ساحة المحل إنني لأتكل روضا من نذاك وجدولا⁽⁴⁾

¹ - قاله عترة والنظر الأول من البيت: "احذر عل السوء لا تحلل به" ديوان عترة: 338.

² - ح: من: "وليس".

³ - ص و ت: "رمت". و ص و ح ت: "لأترك". مكان "سأترك". و ح: من: "أعشى". مكان "حظا".

⁴ - ص و ت: "لأترك" مكان "لأتكل" و "جدلا" مكان "نداك".

وهذا أيضا كالذي قبله، يقول إن تحولت إلى غيرك فخطوت عنده في ساحة مجدة وفناني في محل فإنني أتكل من نذاك وأقدد من معرفك روضا ونهرا، والجدول بجري الماء.

41- كذلك لا يلقي المسافر رحله إلى منقل حتى يغادر منقلا⁽¹⁾

يقول أنا لا أصير من غيرك إلى هذه الأحوال السيئة حتى أتخلف عنك وكذلك المسافر لا يلقي رحله إلى موضع ينتقل إليه حتى يرد موضعا آخر قد انتقل عنه.

42- ولا صاحب التطواف يعمر منهلا ورعبا إذا لم يحلل رعبا ومنهلا

هذا كالذي قبله، يقول من كان من شأنه التطوف في البلاد فإنه لا يعمر منزلا ولا مشربا حتى يحللي من نفسه منزله ومشربه، والربع المنزل، والمنهل الماء المورود.

43- ومن ذا يداني أو يناني وهل فنى يحل عرى الترحال أو يترحلا

وهذا أيضا كالذي قبله، يقول من ذا الذي يداني قوما إلا أن ينأى آخرين، وأين يحل فنى عرى أرحاله بموضع إلا أن يترحل من غيره، وإنما ضرب هذا له أمثلة لعزمه على الرحيل عنه حيث لم يوافق حقه، وكأنه يعتذر إليه من أرحاله عنه، ويذكر أنه يوافق حقه، وكأنه يعتذر إليه من أرحاله عنه، ويذكر أنه لا يصير إلى غيره حتى يكون هو الذي يحمله على ذلك عنه، وقوله "أو ينأى" أراد ألا أن ينأى، فهو بمعنى إلا أن إلا أنه سكن الهاء ضرورة.

44- فمرني بأمر أحوذي فإنني رأيت العدا أشروا وأصبحت مرملا

45- وسيان عندي صادقوا لي مطعما أعاب به أو صادفوا لي مقبلا⁽²⁾

الأحوذي في الأمر الحازم المشعر. يقول أشري علي بأمر فيه الحزم لي والنظر من إقامتي عندك، أو غير ذلك، فإني رأيت أعدائي قد استغنوا وأصبحت أبا مرملا. والمرمل الفقير، ثم قال مشيرا إلى أنه راغب فيما عند الممدوح من النيل دون غيره، سيان

¹ - ص و ت: "حتى يخلف".

² - ص و ت: "قيان". و ح: من: "أغان به". وهو تصحيف. و ح: من: "مطعما". بتقديم الميم على العين.

عندي أن أكتب المال من غير وجهك وأن أقصد غيرك وأسأله فأعاب بذلك [أو صادف لي] (1) أعدائي مقتلاً.

46- ولله لا أنفك أهدي شواردا إليك يحملن النساء المنخلا (2)

47- تخال به بردا عليك عميرا وتحسبه عقدا عليك مفصلا الشوارد القصائد شبيها بالشوارد من الإبل، إلا أنها تسير في الأفاق حاملة للنساء المنخل أي المنخار، ثم قال تخال بليلبك هذا الناء وتزينك به بردا عميرا وهو الموشى، وعقدا مفصلا وهو الذي قد فصل بين دره بشذور الذهب أو بالزمرد.

48- ألد من السلوى وأطيب نفحة من المسك مفتوقا وأيسر محملا (3)

49- أخف على روح وأثقل قيمة وأقصر في سماع المجلس وأطول (4)

يقول هذا المدح والثناء في طيبه واستعذاب النفس له ألد من السلوى وهو العسل، وهو في طيب نشره أطيب نفحة من المسك إذا فتقت نافحته فانتشرت رائحته، إلا أنه أخف من المسك، وأيسر محملا منه لأنه كلام، ثم قال هو خفيف على الروح، وثقل في القيمة، وهو قصير في سماع المجلس لحسنه، وأنه لا يود أن يفنى سماعه، وهو طويل في معانيه وجودته.

50- ويزهى له قوم ولم يمد حوا به إذا مثل الراوي به أو تمثلا (5)

يقول إذا أنشد الراوي هذا المدح ممثلا به غيره، أو متمثلا بما فيه من الأمثال فسمعه سامع زهي بسماعه، ودخله العجب به لجودته وحسنه وإن لم يكن مدحا له.

51- على أن إفراط الحياء استمالتني إليه ولم أعدل بعرضي معدلا (6)

1- زيادة بفتحها السابق.

2- من: "المنخلا".

3- ح: من: "من المسك معروفا"، تصحيف و"ألد من الشكوى".

4- ح: و: ت: "على قلب".

5- ح: من: "ويزهى به" و"مثل" بالتخفيف، و"يرمي له" بفتح الهمزة.

6- من: "إليه"، و"ح: و: ت: "إليك".

52- فتقلت بالتخفيف عنك وبعضهم يخفف في الحاجات حتى ينقلا (1)

يقول هذا مدحي فيك ووصفي لك على أن الحياء المفرط استمالتني إلى نفسه، وعرضي مصون عزيز علي لا أعدل به شيئا، وإنما يعني أنه أسخى من قومه في طول مقامه عنهم وعقوقه لهم، وأنه كره أن يذال عرضه بتقديم من لا يجب تقديمه عليه، فيقول شدة الحياء وكراهته إذالة عرضي حملاني على الرحيل عنك، على أنني أخفف عنك بذلك، وبعض الناس يخفف في طلب الحاجات، ويسرع فيها إلى الناس حتى أثقل عليهم، والهاء في إليه راجعة إلى الحياء، ويحتمل أن يريد أنه خفف في حاجته عنده، وترك التحامل عليه، فأوحشه بذلك، وتقل عليه، ثم أكد هذا بقوله: "وبعضهم يخفف في الحاجات حتى ينقلا".

1- ح: من: "وعلت".

القصة [24]:*

وقال بمدح المعتصم ويذكر قتل بابك وفتح الحرمية:

- 1- آلت أمور الشرك شر مآل وأقصر بعدد تخمط وصبال⁽¹⁾
التخمط شدة الكبر والعضب. يقول رجعت أمور المشركين شر مرجع وأقروا بالذل والصغار للمسلمين بعد تخمطهم عليهم وصيالهم وجعل الفعل للشرب مجازاً، وإنما يعني أهل الشر.
- 2- غضب الخليفة للخلافة غضبة رخصت لها المهجات وهي غوال⁽²⁾
يقول لما غضب للخلافة حارب الأعداء دونها فسبل عليه سفك دماثهم بعد امتناعها وتصعيبها على من أرادها، وقوله "وهي غوال" على أنها كانت غالية ممتنعة.
- 3- لما انتضى جهل السيوف لبابك أغمدن عنسه جهالة الجهال
انتضى جرد وسل. يقول لما جرد السيوف الجاملة لحرب بابك وأصحابه كففن جهله وعاديته، وأذهبن صولته وشدته، وجعل للسيوف جهلا لأنها تأتي فعلها على غير قصد وتخرج فيه عن الحد.
- 4- فلأذربيجان اختيال بعدمسا كانت معمرس عيرة ونكالا
أذربيجان⁽³⁾ مدينة كان قد غلب عليها بابك وتلكها، ثم ظهر عليه فيها المعتصم، فيقول هي الآن مختالة في مشيها مسرورة بخالها بعد أن كانت معمرسا للتاكين وموضعا لنكال المسلمين.
- 5- سمجت ونهنا على استسماجها ما حولها من نضرة وجمال

* هذه القصيدة من البحر الكامل.

1- ح: من: "تخل" و ح: من و ح: "دنيا".

2- من: "وهي غوالي".

3- أذربيجان بالفتح ثم السكون وفتح الراء وكسر الياء الموحدة، وياء ساكنة وجيب... وقد فتح قوم الدال وسكنوا الراء وسد الآخرون الهمزة مع ذلك [...] وسد أذربيجان من برقة شرقا إلى أرزيان مغربا، وتصل جدعا من جهة الشمال ببلاد الديلم، والجيل والطرم وهو إقليم واسع. ومن مشهور مدائننا: تبريز، وهي اليوم قصبتها وأكبر مدنها، وكانت قصبتها قديما المرافة [...] وهي صقع جبل، ومملكة عظيمة، الغالب عليها الجبال. (معجم البلدان ج 1: 128).

يقول سمج منظر أذربيجان لكون بابك وأصحابه فيها، وبين لنا سمجتها ونهنا عليه قرب بلاد المسلمين الناضرة الجميلة منها وإحاطتها بها.

- 6- وكذلك لم تفرط كآبة عاطل حتى يجاورها الزمان بحال⁽¹⁾
هذا مضافر للذي قبله. يقول إنما يفرط كآبة الجارية العاطل من الحلي إذا أدنى جنبها الزمان جارية ذات حلي.
- 7- أطلقتها من كيده وكأفما كانت به معقولة بعقال
يقول أطلقت أذربيجان من كيد بابك الذي كان لها كالعقال، وهو قيد البعير، أي نظرت أهلها واستنقذتهم مما كانوا فيه.
- 8- خرق من الأيام مد بضبعة صعدا وأعطاه بغير سؤال⁽²⁾
الضبع العضد، والصعد الارتفاع. يقول ساعدته الأيام فكان في مساعدتها له خرق مكنه وأعلى أمره، فكأنما أخذ بعضده يده صعدا إلى السماء، وأعطاه ذلك الخرق، وإنما أراد عفوا دون أن يجهد في الطلب والسؤال.
- 9- خاف العزيز به الذليل وغودرت نبعات نجد سجدا للضال
النسج شجر صلب العبدان ينبت بنجد، والضال شجر رخو ينبت بالرمال والسهول. يقول خاف الإسلام الذي هو عزيز بذلك الخرق الشرك الذي هو قليل، وترك الإسلام الذي هو كالنسج ساجدا ذليلا للشرك الذي هو كالضال.
- 10- قد أترعت منه الجوانح رهبة بطلت لديها سورة الأبطال
يقول قد ملئن جوانح المسلمين من بابك رهبة جر من أجلها من كان ذا سورة من الأبطال، والسورة الوثبة والشدة.
- 11- لو لم يراخفهم لراخفهم له ما في صدورهم من الأوجال⁽³⁾

1- من: "عالي".

2- ح: "وأعطاه".

3- ح: "راخفهم إذا".

المراخطة مشى الجيش إلى الجيش. يقول لو لم يلاق بابك المسلمين لأغناه عن اللقاء ما في صدورهم من الوجل والرجب.

12- بجر من المكروه عب عبابه ولقد بدا وشلا من الأوشال⁽¹⁾

العباب معظم الماء، والوشل الماء القليل. يقول أصاب المسلمين من المكروه باباك بجر قد تناهى معظمه آخرًا على أنه كان كالوشل في القلة أولاً.

13- خفت به النعم السوانع وانتشت سروج الهدى منه بغير ذبال⁽²⁾

الخوف بالخاء أشد من الخوف. يقول انتشت باباك نعم المسلمين السابقة الناضرة، وصارت مصايح الإسلام والهدى بلا ذبال خامدة لا تضيء، أي كان الهدى قد تغير وطفى نوره.

14- وأباح نصل السيف كل مرشح لم يحمر دم من الأطفال⁽³⁾

يقول أباح السيف الأطفال باباك وجوره، وقوله لم يحمر دمه، أي هو صغير لم يدرك بعد قدمه غير مستحكم الحمرة، وكذلك دم الصغير، والمرشح الصغير من أولاد الإبل الذي رشحته أمه للمشي فاستعاره للطفل.

15- ما حل في الدنيا فواق بكية حتى دعاه السيف للترحال⁽⁴⁾

البكية بغية اللين، وفواق البكية أقل من فواق الغريزة فلذلك حذفها والفواق ما بين الخليتين، يقول لم يغم هذا الطفل في الدنيا مقدار فواق البكية حتى قتل فدعاه السيف بالرحيل عن الدنيا.

16- رعباً أراه أنه لم يقتل الآ ساد من أبقى على الأشبال

1- ح: من "هر من الأحوال".

2- من: "خفت به النعم النوام فانشت سرج". و: ح: من: "خفت". بالخاء و: ح: من: "فيه" مكان "منه" و: ح: "النوانم" مكان "السوانع". و: "سرج". و: ح: من: "سرج". و: ح: من: "سرج".

3- ت: "كل مهيد".

4- ح: و: ت: "بالترحال".

يقول فعل بابك ذلك رعباً، أراه ذلك الرعب أنه إذا ترك الأطفال دون قتل كروا فصاروا له أعداء، كما أن من أبقى على أشبال الأسد وهي جرافؤها، فلم يقتل الأسد لأنها تكبر فتصير أسوداً.

17- لو عاين الدجال بعض فعاله لانهلل دمع الأعور الدجال

يقول لو عاين الدجال بعض ما يأتي به بابك من قتل الأطفال لبكى رقة وشفقة على قسوة قلب الدجال وشدة كفره، ولانهلل دمعاً من شدة بكائه.

18- أعطى أمير المؤمنين سيوفه فيه الرضا وحكومة المقتال

19- مستيقنا أن سوف يحو قتلته ما كان من سهو ومن إغفال

يقول أرضى المعتصم سيوفه بكثرة القتل، وحكمها في نفسه، والمقتال المنحكم وفعل ذلك وهو مستيقن أن قتل بابك ما حذ الذنوب المعتصم من سهو في الدين أو إغفال شيء منه.

20- مثل الصلاة إذا أقيمت أصلحت ما بعدها من مائر الأعمال⁽¹⁾

يقول قتل بابك في تكفير الذنوب، وإصلاحه لما ساء من العمل مثل الصلاة التي إذا أقيمت وحفظ عليها، أصلحت ما بعدها من الأعمال الفاسدة، وكفرت الذنوب من أجلها.

21- فرماه بالأفشين بالنجم الذي صدع الدجى صدع الرداء البالي

يقول وجه المعتصم الأفشين إلى بابك، فخرق إليه الظلام سارياً غوه كما يسري النجم خرق الرداء البالي، وخص البالي لأنه أسهل تحرقاً.

22- لاقاه بالكاوي العنيف بدانه لما رآه لم يفق بالطبالي

يقول كان المعتصم يدافع شر بابك، ودعا على المسلمين بالرفق والمداواة فلا يزدجر عن جوره وظلمه، فوجه إليه الأفشين فظهر عليه، وكفى المسلمين شره، فكان كبير

1- ح: من: و: ت: "ما قبلها".

أجرب يعالج بالطلاء، فلم يبرأ فعولج بالكي الذي هو أشد العلاجات فبرئ وهو أمثل، والعنيف الذي لا يرفق.

23- يا يوم أرشقت كنت رشقت منية للخرمية صائب الأجمال

أرشقت موضع كانت فيه وقعة على بابك وأصحابه، والرشق من السهام جملة منها يرعى بها معاء، والخرمية المجوس، وبابك منهم والضائب والمصيب. يقال صاب السهم وأصاب. يقول يوم كنت على المجوس كرشق من منايا أصاب الأجال بأسهم يصيب الرشق من السهام مارمي به فيهلكه.

24- أسرى بنو الإسلام فيك وأدجوا بقلوب أسد في صدور رجال⁽¹⁾

25- قد شمروا عن سوقهم في ساعة أممرت إزار الحرب بالإسبال

يقول أسرى المسلمون في طلب ذلك اليوم، وأدجوا، وقلوبهم في الشدة والجرأة قلوب أسد إلا أنها في صدور الرجال، ثم قال قد شمر المسلمون عن سوقهم في ساعة اشتدت فيها الحرب، وأسبلت فيه إزارها، وجرت أذيالها، وهذا مثل، وإنما يعني شدة الحرب وكمالها.

26- وكذاك ما تنجر أذيال الوعى إلا غداة تشمر الأذيال⁽²⁾

يقول لما كشفوا عن أسواقهم اشتدت الحرب، وكذلك لا تكمل الحرب إلا أذيالها إذا شمر أهلها أذيالهم، وكشفوا عن أسواقهم.

27- لما رآهم ببابك دون المنى هجر الغواصة بعد طول وصال

أي لما نظر بابك إلى المسلمين، ورأى كثرتهم، وأيقن أن ما تنهأ فيهم لا يدركه انهزم، وهجر غواصته وضلّته بعد ما طال مواصلته لها وحافظته عليها.

28- تحنّ الفرار أخوا وأيقن أنه صري عزم من أبي شمال⁽³⁾

يقول انهزم بابك، واتخذ الفرار أخوا له، وأيقن أن طالبه عازم عليه مصر على طلبه إصرار أبي شمال على يمينه وعزمه على اعتقادها، وكان من قصته وهو أبو شمال الأسدي أنه ضلت له ناقه فحلف أن لا يصلي أبداً إن لم يجدها فذهب في بغائها فوجدها وقد تعلق زمامها بشجرة، فقال علم الله أنها مني صري فردها علي، أي علم أن اليمين كانت مني عزيمة، ويقال صري وإصري وصري.

29- قد كان حزن الخطب في أحزانه حتى دعاه الحنين للإسهال⁽¹⁾

يقول أحزن الرجل إذا كان في الحزن وهو الغليظ من الأرض، والإسهال ضده، يقول كان تصعب أمر بابك في كونه متحصناً في حصنه حتى دعاه الأجل أن يهبط إلى السهل مبارزاً للمسلمين فسهل أمره وظهر المسلمون عليه.

30- ليست له خدع الحروب زخارفاً فرفق بين الهضب والأوعال

يقول غررته الحروب، وخدعته لما رجا من الظفر فيها فبط من حصنه، وفارقه مفارقة الأوعال للحيال، والوعل إذا أسهل لم يكن بنجو، وإنما يعنصم الجبال أبدأ، فضره مثلا لبابك، والزخارف الزينة.

31- ووردن موقنا عليه شوازي شعثا بشعث كاتقطا الأرسال

موقان موضع⁽²⁾، والشوازي الخيل الضامرة، والشعث المتغيرة من [السير]⁽³⁾ والأرسال الجماعات يتبع بعضها بعضاً. يقول وردت الخيل على بابك وهو بموقان قد تشعثت، وتشعث فرسانها، وكأنها في انتشارها وتناثرها أرسال القطا الواردة.

32- يحملن كل مدجج سمر القنا بإهابه أولى من السربال

المدجج المتلبس بالسلاح، والإهاب الجلد، والسربال القميص يقول تحمل هذه الخيل كل فارس سمر الرماح بجلده، أحق بمباشرة من قميصه.

¹ - ص و ت: "دعاه داعي الحين".

² - موقان بضم أوله وبالفتح من أذربيجان. (معجم ما استعجم ج 4: 1279)

³ - زيادة بقضيها السباع.

¹ - ص و ت: "فيه".

² - ح: "وكذاك لا تنجر".

³ - ح: "إصري".

- 33- خلط الشجاعة بالحياة فأصبحا كالحسن شيب لغرم بدلال⁽¹⁾
يقول اجتمع لهذا المدح الحياة مع الشجاعة فكملا وتناها في الحسن كما يكمل الحسن عند الغرم إذا شابه له محبوبه بدلال وشكل.
- 34- فنجنا ولو يتفكسه لتركنه بالقاع غير موصل الأوصال⁽²⁾
يقول نجا بابك حين انهزم، ولو تفكته الحيل، وتمكنت منه لقتل وفرقت أوصاله، والقاع البطن من الأرض.
- 35- فانصاع عن موقان وهي لجنده ولله أب بمر وأم عيال⁽³⁾
انصاع إذا ذهب في ناحية من الأرض. يقول ذهب بابك منهزما، وترك موقان مضطرا على أنها كانت تضمه وتضم جنده، وتحوطهم كما يحوط الأب الر.
- 36- كم أروضته الرسل لو أن القنا ترك الرضاع له بغير فصال⁽⁴⁾
الرسل اللين، والفصال القطام. يقول كم سوغته موقان النعم لولا أن رماح المسلمين حالت بينه وبين ذلك.
- 37- هيئات روع روعه بفوارس في الحرب لا كشف ولا أعزال⁽⁵⁾
الروع النفس. يقول وقع ذلك في روعي وفي خلدي، والكشف المنهزمون، ويقال للذين لا ترسة معهم، والأعزال جمع عزل، وهم الذين لا سلاح معهم واحدهم أعزل، وهو على هذا جمع الجمع، ويجوز أن يكون الأعزال جمعا لأعزل على أن تتناول فيه معنى فاعل، فيكون كصاحب وأصحاب، كما تؤول فيه ذلك فجمع على فعل فقالوا أعزل وعزل، وهذا كله نادر قليل.
- 38- جعلوا القنا الدرجات للكذجات ذات الغليل والحرجات والأدحال⁽⁶⁾

1- ح: من "بالسقاء".

2- ص و ت: "والصاع".

3- ص و ت: "ولا أميال". ح: من: "أفزال".

4- ص و ت: "قدعاه داعي الحين".

5- ح: من: "الهيئات". مكان "الحرجات".

الكذجات جمع كذج وهو حصن جمعه بما حوله من الحصون، والغليل والحرجة الشفاف الشجر وتضايقه، والأدحال آبار تتسع أسافلها وتضايق أعاليها، فربما لم يشعر بها الماشي حتى يقع فيها، فيقول جعل المسلمون الرماح درجة وسببا إلى نيل هذه الحصون المتعة الصعبة المرام.

39- فأولاك هم قد أصبحوا وشروهم يتنادمون كؤوس سوء الحال⁽¹⁾

يقول أصحاب بابك قد أصبحوا بعد اجتماع شملهم، وتنادمهم كؤوس الحمر وتقبلهم في صلاح الأحوال يتنادمون كؤوس سوء الحال.

1- ح: من و ت: "يتنازعون".

- 44- فليشكروا جنح الظلام ودردوا فهم لدرود والظلام موال⁽¹⁾
 جنح الظلام ميله وإقباله على النهار. يقول قد وجب عليهم شكر هذا الجبل
 الذي عصمهم، وظلام الليل الذي سترهم فقد صاروا موالى الليل والجبل.
 45- أسروا بقارعة البيات فرحزحوا بقسراع لا صلف ولا مختال⁽²⁾
 البيات تبييت العسكر ليلا، والقارعة الداهية الشديدة، والصلف اللاهي المضيع
 لما يجب عليه، والمختال المتكبر ذو الحياء. يقول أسرى بآب وأصحابه لتبييت جيش
 المسلمين، فكفوا عن ذلك، وزحزحوا بقارعة رجل لا صلف ولا مختال يعني الأفشين.
 46- قهر البيات الصبر في فتعطف الصبر وال فيه فوق الوالى⁽³⁾
 47- ما كان ذاك الهول أجمع عنده مع عزمه إلا طروق خيال⁽⁴⁾
 المتعطف موضع الحرب حيث يعطف بعضهم على بعض. يقول قهرهم على البيات
 أمير المسلمين في معترك الصبر وال فيه من أمر الحرب فوق ما يلي الوالى من الناس،
 ثم جعل هول البيات مع عزم الأفشين وشدة صبره كخيال طرق في النوم.
 48- وعشية التل التي نعش الهدى أصل لها فخم من الأصال⁽⁵⁾
 التل الجبل، والأصل العشي، وهو يكون واحدا حكى ذلك ابن السكيت(6)،
 ويكون جمع أصيل. يقول واذكر عشية حين ظهر المسلمون في أصل من تلك العشية
 فخم، نعش الهدى أي رفع الإسلام، وأظهره.
 49- نزلت ملائكة السماء عليهم لما تداعى المعلمون نزال⁽⁷⁾

¹ م: "موالى".

² م: و ت: "وسروا". و ح: م: "الطريق". مكان "البيات".

³ م: و ت: "قهر البيات". و ح: م: "الصبر".

⁴ م: "لا اقترى". و "لا اخندى". مكان "مع عزمه". و ح: ت: "لا اقترى". مكان "مع عزمه".

⁵ م: و ت: "الذي".

⁶ ابن السكيت هو يعقوب بن اسحاق، أبو يوسف، إمام في اللغة والأدب أصله من خوزستان، تعلم ببغداد، وأصل بالموكل
 العباسي، فعهد إليه بتأديب أولاده، وجعله في عداد نفعائه، ثم قتله، لسبب مجهول سنة 244هـ (الأعلام ج 2/ 195).

⁷ م: و ت: "المعلمون".

50- لم يكس شخص فيته حتى رمى وقت الزوال نعيمهم بسزوال
 المعلمون الأبطال الذين أعلموا أنفسهم بعلامة، ونزال كلمة يتداعى بها عند
 اشتداد الحرب ومعتها، انزلوا على الجبل.

يقول نصرت الملائكة المسلمين. وقوله "لم يكس شخص فيته" أي لم ينصف
 النهار فيصير ظل كل شيء تحت قدمه فكان الشيء كما ظله حتى أوقع بهم، وأرمل
 نعيمهم عند زوال الشمس زيفها عن كبد السماء، وإنا أخذ هذا من قول العجاج⁽¹⁾:
 "وانتقل الظل فصار جوربا".

51- برزت بهم هفوات علجهم وقد يردى الجمال تعسف الجمال⁽²⁾
 يقول برزت بهم إلى السهل هفوات بآب، وسقطات رأيه، فكان ذلك سبب ذهاب
 ملكهم واستنصاهم، وكذلك الجمال إذا تعسف القلاة بالجمال، ولم يصب القصد أردى
 ذلك التعسف الجمال.

52- فكأنما احتالت عليه نفسه إذ لم تسنله حيلة المحتال
 يقول قد كان أعجز الحيل، فلما برز من حصنه كان ذلك سبب حنقه، فكان
 نفسه احتالت عليه.

53- فالبىذ أغبر دارس الأطلال ليد الردى أكل من الأكال
 54- ألوت به يوم الخميس كئائب أرسلته مثلا من الأمثال
 البىذ حصن لبابك⁽³⁾. يقول تغير وزالت بهجته، وصار ليد الردى رزقا من
 الأرزاق وقوله "ألوت به". أي ذعبت بنعيمه وملكه في منابر تركته مثلا سائرا وخيرا
 شائعا.

55- محو من البيض الرقاق أصابه فغفاه لا محو من الأحوال
 يقول إنما غير البىذ وما أثر نعيمه فعل السيوف به لا مرور الأعوام ومحوها له.

¹ لم أتر عليه فيما عدت إليه من المراجع.

² ج: "برزت به".

³ البىذ يفتح أوله، وتشديد ثانيه على وزن فعل، وهو اسم حصن بآب بأفريجان (معجم ما استعجم ج 1/ 108).

56- ربحان من نصر وصير ألبيا ربيعيه لا ربحا صبا وشمال⁽¹⁾

يقول رباح الصير على القتال، ونصر الله عز وجل للمسلمين أثبت منازل هذا الحصن لا ربح الصبا والشمال، وإنما قال ربيعيه إشارة إلى موضع بابك هنا أو إلى موضع أصحابه.

57- لفتت سموم المشرقية وسطه وهجا وكن سوايح الأطلال⁽²⁾

اللفح الإحراق، والسموم شدة الحر. يقول أشعلت هذه السيوف على أهل هذا الحصن، ولفتحهم وسطه إلا أنهم كن على المسلمين سوايح الفلال باردتها لما أظفرتهم به من الظهور والنعمة.

58- كم ضارب غضب أناف على فتي منهم لأعباء الوغى حمال⁽³⁾

59- سبق المشيب إليه حتى ابتزه وطن السنه من مفروق وقذال

الصارم والغضب السيف القاطع، وأعباء الوغى أثقالها وأذيالها ومعنى ابتزه سلبه، ووطن السنه مستقره لعقله، وهو الرأس. يقول كم من فتي أشرف عليه السيف، وقد كان مضطلعا بأثقال الحروب فسبق إليه السيف المشيب، وأعجله عن البلوغ إلى وقت التكهل، وابتزه رأسه، وهو موضع العقل، وفسر الرأس بقوله من مفروق وقذال، والمفروق واحد مفارق الرأس، والقذال أعلى الرأس والناصية.

60- كرامة نصب المنية وحدها لواصة الأعمام والأخوال⁽⁴⁾

يقول هذا الفتى كريم إذا نصب نفسه للمنية خاصة، فإذا نسب وجد لثيم العم والحال لأنه [لا نسب له ولا كرم]⁽⁵⁾.

61- قاسى حياة الكلب إلا أنه قد مات صبرا ميتة الرثيال

¹ ح.ص: "أبي". مكان "أنا".

² ص: "غاضت محاسنها مخاوف". بتقديم القاطع على المفعول، وأورد الحق في الهامش الراوية المائلة لراوية الأعم.

³ ص و ت: "من شد الأزار وربا".

⁴ ص و ت: "عرد". وح.ص: "أمرت".

⁵ زيادة بقتضيا السياق.

⁶ ح.ص: "من صدور حمال".

⁷ ح.ص و ت: "على الأخية سالا".

يقول عاش لثيما كالكلب، ومات كريما ميتة الأسد، إلا أنه صير وقاتل حتى قتل. والرثيال الأسد يهزم لا يهزم.

62- أبنا بكل خريدة قد أجرت فيها عدات الدهر بعد مطال⁽¹⁾

63- خاضت محاسنها مخاوف غادرت ماء الصبي والحمين غير زال⁽²⁾

يقول رجعا من غزونا بكل جارية خريدة، وهي الحبية أنجز فيها الدهر عدته لنا بعد أن مطلتنا بها، ثم قال خاضت محاسنها وغيرت صفاتها هيبة وخفاقة تركت ماء حسنها وضياها ملحا بعد أن كان زلالا عذبا.

64- أعجلن عن شد البرى ولربما عودن أن يمشين غير عجال⁽³⁾

65- مستردفات فوق عوج أوقرت أكفالهنا من رجح الأكفال⁽⁴⁾

البرى الخلا خيل. يقول لما انهزم المشركون جعلت هؤلاء الجوارى نفر، وقد أعجلن عن شد الخلاخل على أسوقهن على أنهن معودات قبل ذلك أن يمشين هونا غير عجال، ثم قال مستردفات فوق عوج، أي قد أردفن على أكفال الخيل، وجعل الخيل عوجا لهنزالهن وتغير [أبدانهن]⁽⁵⁾ ولأن في قوائمها إحناء وهو محمود.

66- بدلن طول إذالة بصفانة وكسور خيم من كسور حجال⁽⁶⁾

يقول كن حرائر مصونات فصيرون إماء مذالات، وكن محجوبات في كسور الحجال وهي جوانبها، فصرن في كسور خيام أهل الجيش.

67- ونجا ابن خائنة البعولة لو نجا بمهفهف الكشحن والآطال

68- ترك الأحبة ساليا لا ناسيا عذر النسي خلاف عذر السالي⁽⁷⁾

يقول نجما بياك ابن الزانية منهزما على فرس مهتف الكشحين أي ضامر الحصرين، والأطال جمع إطل وهو الحاصرة ومدارها. وقوله لو نجأ أي أنه لم ينجأ آخر لأنه أسعد بعد ذلك، ثم قال ترك أحبته وأهله ساليا عنهم لرغبته في الحياة لا ناسيا لهم، ولو كان ناسيا لكان أعذر في انهزامه عنهم، وتركه لهم من أن يكون ساليا عنهم خاذلا لهم، والنسي الناسي.

69- هتكت عجاجته القنى عن وامق أمهدى الطلعان له خليقة قال

يقول خرق وغيرته التي كان بها من الحرب خوفة الرماح، فذهب منهزما وهو وامق لأحبته إلا أن الطعن وخوفه أهدى له طبيعة قال لهم مبعض فهم فخذلهم وانهمز.

70- إن الرماح إذا غرسن بمشهد فجنى العوالي في ذراه معال (1)

يقول إذا استعملت الرماح في مشهد الحرب وكست المعالي والشرف، وضرب الفرس والجنى مثلا.

71- لما قضى رمضان منه قضاء شالت به الأيام في شوال

يقول لما انسلخ عنه رمضان، وقضى قضاء منه بما قدر الله تعالى شالت به الأيام في شوال أي ذهبت به، والمعنى أنه لم يظفر به في رمضان، فظفر به في شوال، يعني بياك.

72- مازال مغلول العزيمة سادرا حتى غدا في القيد والأغلال (2)

73- مستبسل للباس طوقا من دم لما استبان فظاظلة الخلل (3)

يقول لما انهزم بياك لم يزل سادرا متحيرا مغلول العزم حتى ناله الطلب، فغدا أسيرا في القيد والفعل مستبسل ملتقيا بيده مستسلما للشدة والباس لما أحس بظاظلة خلخال القيد وشدته، وقوله طوق من دم أي قتله الله، وجعل له طوقا من دم، ويروى "للأس طوق من دم".

74- ما نيا حتر طار من خوف الردى كال المطار وجال كال محال

1- ح: ص و ح: ت: "شادرا". بالثين.

2- ص: "مطبا". و ح: ص: "مطبا للوت". و ح: ص: "مطبا".

3- ص: من رأى بضم أوله وثانيه... مؤنثة، وهي المدينة التي بناها المنصور بالعراق سنة عشرين ومائتين، ونزلها بأثراكه (معجم ما استعجم ج: 3، 734).

75- والنجر أصلح للشرود وما شفى منه كنجر بعد طول كلال

يقول لم ينل بياك إلا بعد أن طار به الروح، وجال به في الآفاق، فلما ظفر به لم يكن له شيء أصلح من القتل ولا أشفى للنفس من ذلك، كما أن الشرود من الإبل لا يصلح له إلا النحر، لاسيما وقد حمل طلبه على الجهد والمشقة في طلبه حتى أعياى وكل، كما شق بياك على المسلمين، ولم ينل إلا بعد جهد.

76- لاقى الحمام بسر من راء التي شهدت لمصرعه بصديق الفصال

يقول لقي بياك المنية بسر من راء، لأنه صلب بها فسرت من نظر إليه وقد صرع، ووقع اسمها على فال صادق ومعنى حقيقي.

77- مازال ينظر جنده حتى رمى بالطرف بين الفصيل والفصيل (1)

الفصيل قيم الفصيل، وكانوا إذا أرادوا قتل منافق أو خارج عليهم ألقوه إلى الفصيل فقتله، ويقال إنما كان يحمل على ظهره ليشهد أمره ويشيع.

78- أهدى لمن الجذع متنبيه كذا من عاف متن الأسمر العسال (2)

يقول لما عاف الموت في الحرب بالأسمر العسال، وهو الرمع اللين المهز أسر فصلب على متن الجذع.

79- لا كعب أسفل موضعا من كعبه مع أنه عن كل كعب عال

80- سام كان العز يجذب ضيعه وسموه من ذلة وسفال

يقول كعبه حين صلب أسفل كعب على أنه قد علا في الجذع على كل كعب وهو سام مرتفع في جذعه كان العز يجذب ضيعه، ويرفعه صعدا، وسموه ذاك إنما هو للإذلال والتسفل.

81- مستفرغ أبدا وليس بفارغ من لا سبيل له إلى الأشغال

1- ص و ت: "قلت به أسياه لما رمى". وأورد عقق شرح الصيرري رواية الصنمري في الهامش.

2- ح: ت: "أهدت".

يقول هو كالمفرغ من كل شغل مادام في الجذع لأنه ساكن أبداً إلا أنه ليس به استطاعة على التصرف والأشغال فليس يتمفرغ في الحقيقة إذ لا سبيل له إلى شغل وتصرف.

82- فاسلم أمير المؤمنين لأمة أبدلتها الإمراع بالإحمال⁽¹⁾

83- أمسى بك الإسلام بدرا بعدما عقلت بشاشته محاق هلال

الإمراع الحصب، والإحمال الجذب والبشاشة الحسن وبهاء المنظر. يقول كان الإسلام منهضما ممحوقا كالهلال فظهر بك وكمل حتى صار بدرا تماما.

84- أكملت منه بعد نقص كل ما نقصته أيدى الكفر بعد كمال

85- ألبسته أيامك الغر التي أيام غيرك عندنهن ليليالي

يقول أكملت من الإسلام كل ما نقص منه أهل الكفر بعد كماله، وألبسته أيامك الغر المشهورة البيض التي إذا قرن بها أيام غيرك كانت عندنهن كالليالي في اسودادن وظلامهن.

86- وعزائنا في الروح معتصمة ميمونة الإقبال والإقبال⁽²⁾

87- فتمعق الوزراء بطقو فوقها طفو القذى وتعقب العذال

يقول ألبست من الإسلام عزائنا في أمر الحرب وروعها، وتلك العزائم معتصمة لأنها نتائج وأراؤك، وهي ميمونة الإقبال والإدبار والأوائل والأواخر عند إقبالها وإدبارها، وتعمق الوزراء في الردى واجتهادهم في العزم طاف على عزائمك طفو القذى على الماء، وكذلك تعقب العذال عليك، والطافي المرتفع على الماء لحفته وخوره، والقذى ما يسقط في الماء والعين، وإنما أراد أن عزم المعتصم بالله قوي ثابت، فهو كالشيء يرسب في الماء، وعزم غيره ورأيه على خلاف ذلك.

88- والسيف ما لم يلف فيه صيقل من سننخه لم ينشف بصقال⁽³⁾

هذا مثل لما قبله. يقول رأي المعتصم أصبح رأي، وعزمه أقوى عزم فهو مستغن عن رأي غيره، ولو كان بخلاف ذلك لاحتاج إلى تدبير غيره ولم يشر رأيه إلا به ولكان رأيه مع ذلك مختلا ضعيفا لا ينفعه الرأي والعزم من غيره كالسيف الرديء الأصل السوء الطبع الذي لا ينفع بتزوين الصقيل له وشحذه إياه، وإذا كان جيد الأصل كريم السح كان له من جودة جوهره، وكرم سنخه صيقل آخر. والسنخ الأصل.

1- ح.ص: "أبدلتها". بالذال المعجمة.

2- ح.ص: "وعزقة".

3- ح.ص: "من طبعه".

القصيدة [25]:*

وقال بمدحه أيضا:

- 1 - فحواك عين على جنواك يا مذل حتى م لا يتقضى قولك الحطل⁽¹⁾.
الفحوى ظاهر الكلام، وما يبدو من معناه، والنجوى ما يسره الإنسان، والعين الطليعة على الشيء المبين له، والمذل الذي لا يكتف سرًا، والحطل الكثير السقط، وأصله من الاسترخاء في الأذن، يقول مخاطبا لنفسه مناجيا لها على شكواه إلى من لا يعذره ولا يرحمه فحوى كلامك وظاهره عين على ما في باطنك مبين له يا مذل اللسان إلى متى لا يتقضى قولك الكثير الخطأ الكاشف لمساوئك.
- 2 - وإن أسمع من تشكو إليه هوى من كان أحسن شيء عنده العذل⁽²⁾
يقول شكوت هواك إلى من يستحسن عذلك، وأسمع الناس خلقا ومقاما من إذا شكى إليه الهوى كان العذل أحسن عنده من المشاهدة وحسنها.
- 3 - ما أقبلت أوجه اللذات سافرة منذ أدبرت باللوى أيامنا الأول
اللوى ملتوى الرمل و مستدقه، يقول كنا بهذا الموضع في لذة وتنعم فلما انقضت أيام إقامتنا به أدبرنا ما كان يقبل علينا من أوجه اللذات السافرة المكتشفة التي كانت لا تحجب دوننا.
- 4 - إن شئت ألا ترى صبرا لمصطبر فانظر علي أي حال أصبح الطلل
يقول أصبح هذا الطلل شديد التغير بعد الألفة فيه والتنعم، فإن شئت أن تعدم الصبر ممن تحمله نفسه على الصبر، فانظر إلى حال الطلل فإنك تجده داعيا إلى الحزن والجزع، فتعذر الباكي عليه، وتساوده في الوقوف به.
- 5 - كأنا جاد مغناه فقيره دموعنا يوم بانوا وهي تنهمل⁽³⁾.

* القصيدة من البحر البسيط.

1 - ص.ش.و.ح.ت: "لا يتقضى من قولك الحطل". و.ح.ص.و.ت.ش: "يجوز أن يروي 'الحطل' بنح الطاء وكسرها.

2 - ح.ص: "وإن". ب.سكين النون.

3 - ح.ص: "وإن".

يقول لشدة تغيره ودروس أثر مغناه بما تعاقب عليه من الأعطار كان دموعنا يوم البين جادت عليه منهزمة فمحتته وغفت أثره يشير إلى كثرة بكائه في أثر الأحبة وشدة تغير الطفل، والمغنى المنزل، والجود مطر غزير.

6 - ولو ترانا وإياهم وموقشنا في مآثم السبن لاستهلانا زجل⁽¹⁾.

المآثم يجتمع النساء في الحزن والسرور، وأراد به هنا مآثم الحزن من أجل بين الأحبة، والاستهلال رفع الصوت والبكاء، والزجل شدة الصوت وترجييعه.

7 - من حرة أطلقتها فرقة أسرت قلبا ومن عذل في غره غزل⁽²⁾

يقول هذا البكاء من حرة في النفس بعثتها وأطلقتها فرقة الأحبة التي أسرت قلبي وملكته، وهو أيضا من عذلنا للأحبة على تقصيرهم، وشكونا إليهم مما جُد من أجلهم بعد مغازلتنا إياهم وتمتعنا لمحاتهم فذلك العذل في صدره وأوله غزل.

8 - وقد طوى الشوق في أحشائنا بقر عين طوتهن في أحشائها الكلل

يقول لما اشتملت الكلل والستر على هؤلاء الجواري في هواجهن مرغلات، اشتملت أحشائنا على الشوق وضمنت الحزن، وشبههن بقر الوحش في سعة عيونهن، ولذلك قال بقرعين.

9 - فرغن للسحر حتى ظل كل شح حران في بعضه عن بعضه شغل⁽³⁾.

يقول لحسنهن وملاحتهن من نظر إليهن سحرهن حتى يظل وقد شغل بعض نفسه وأعضائه عن بعض، والشجي الحزين، والحران المستحضر الأحشاء شوقا، ومعنى فرغن للسحر انبرين له، وتفرغن من كل شيء ولزمنه.

10 - يحزي ركام النقي ما في مازرها ويفضح الكحل في أجفائها الكحل

1 - ص و ت : "ولو ترام وإيانا". و ح ص : "في موقش".

2 - ص و ت : "ومن غزل في غره عذل".

3 - ح ص و ت : "الشجو".

الركام المتراكم من الرمل، والنقى الرمل الأبيض، والكحل مصدر لإثمد العين.
يقول عجيزتها تحزي نقي الرمل إذا قرن، وكحل عينها الذي (تضعه) فيها يفضح كحل
الإثمد إذا عورض بكحلها⁽¹⁾.

11 - تكاد تنقل الأرواح لو تركت من الجسوم إليها حيث تنقل⁽²⁾
12 - طلّت دماء هربت عندهن كما طلّت دماء هدايا مكة الهمل⁽³⁾

يقول لولا أن الأرواح يسرحها الأجل لانتقلت أجسامنا إلى موضع انتقال
هؤلاء الجوارى لكلف الأرواح بهن وميلها إليهن، ثم قال طلّت دماء العاشقين المسفوكة
عندهن كما تطلّ دماء البدن المنهكلة بجمّة والدم المطلق الناهب هدرًا، والهمل المنصبة
الهملة.

13 - هانت على كل شيء فهو يسفكها حتى المنازل والأحساد والإبل
يقول هانت دماء العشاق على كل شيء حتى على منازل الأحيّة الخالية منهم

وعلى أحداجهم وهي مراكبتهم على الإبل لأنهم يحملون فيها فتقاتل العشاق، ورفع المنازل
بالابتداء، وأضر الحبر، ويجوز عطفها على المضمر في "يسفكها".

14 - بالفانم الناعم المستخلف أطادت قواعد الملك معتدا لها الطول⁽⁴⁾

الثامن هو المعتصم لأنه ناعم من خلفاء بني العباس، ومعنى أطادت نبتت
وتكتت كنبوت الطود، وهو الجبل العظيم، وكان ينبغي أن يقول أطادت ولا يهمز لأنها
منقلبة من واو ولكنه همزها ضرورة وتشبيهاً بالألف الزائدة التي قد يهمزها بعض
العرب نحو احمار واصفار، فيقول احمر واصفر، ويقول في دابة دابة، وهي لغة مشهورة،
وقواعد الملك أساسه، وقوله معتدا لها الطول أي مد الله لهذا الملك وقواعده في الطول
وهو الحبل ضربه مثلاً.

15 - يمين معتصم بالله لا أود بالملك مذ ضم قطريه ولا خلل⁽¹⁾

16 - يهني الرعية أن الله مقتدرًا أعطاهم أبي اسحاق ما سألوا⁽²⁾

الأود الأعوجاج، والخلل الفساد والاختلال. يقول لما صار الملك إلى المعتصم
كامل أمره، ولم يكن به مذ حصره من جانبيه عوج ولا اختلال حال، وقوله يهني الرعية
لفظه لفظ الحبر، ومعناه الدعاء، وخفف همزه يعني ضرورة.

17 - لو كان في عاجل من أجل بدل لكان في وعده من رقبته بدل⁽³⁾

يقول وعده سريع الإنجاز، فلو كان ممكناً أن يجعل عاجلاً بدلاً من أجل
لكان وعده لسرعة إنجازه بدلاً من رقبته وعطائه أي لا سبيل إلى ذلك لأن الوعد يقع
أولاً عاجلاً ورفده الموعد به يقع أجلاً مؤخراً بعد الوعد ومحال أن يكون المقدم بدلاً
من المؤخر في مثل هذا.

18 - تغابر الشعر فيه إذا سهرت له حتى ظننت قوافيه ستقتل

يقول هو كريم رفيع، فالشعر يغار عليه، فلما سهرت لراحة غابر بعض الشعر
بعضاً ليكون هذا الشعر وصفاً له دون هذا الشعر الآخر حتى ظننت قوافي الشعر ستقتل
غيرة عليه ومنافسة فيه.

19 - لولا قبولي نصح العزم مرتحلاً لراكضاني إليه الرجل والجممل

20 - له رياض ندى لم يكب زهرتها خلف ولم تتبختر بينها العملل⁽⁴⁾

يقول لولا أنني قبلت نصيحة العزم حين فخرني ودعاني إلى السير إلى هذا
المدوح لجاراني ولراكضني إليه رحلي وجملي ليسبقاني إليه، ثم قال له رياض من
الندى لا يحل به خلف فيكبي زهرتها، ويغير بهجتها، وكبي من الكبوة وهي العنفة،

1 - ح ص : "في الملك" و "بالدين" مكان "بالمك"
2 - ح ص : "أعطاهم في أبي اسحاق ما سألوا"
3 - ح ص : "في أجل من عاجل"
4 - ح ص : "لم يكب"

1 - زيادة يقتضها السياق.
2 - ح ص : "حين" و "من الجفون".
3 - ح ص : "يوم ذاك كما".
4 - ح ص : "له" و "ح ص : "أعدلت" و "ش : الرواية الصحيحة : "أعدلت وهو "أفضل"

والعبوس في الوجه لم يتختر بينهما المعاذير، وذلك أن يعتل بعسرة أو يقضاه حق هو أوكد من الذي سئل، والمعنى أن يعدو لا يتخلف ويسأل فلا يعتذر.

21 - مدى العفا فلم يحل به قدم إلا ترحل عنها العثر والزلزل⁽¹⁾

22 - ما إن يبالي إذا حلّى خلافه بجوده أي قطريه حوى العطّل

المدى العافية، والعفاة القاصدون إليه الراغبين من معروفة، يقول هو غاية الراغبين في المعروف فمن حل به ترحل عن قدمه العثر والزلزل أي وصل إلى رغبته، وثبتت به في مستقر الغنى قدمه، ثم قال هو موثر لأخلاقه على جسمه فما يبالي إذا كساها وحلاها بجوده وبذل ماله أن يكون قد عري أحد جانبيه، وعطل من الحلي بعض قطريه.

23 - كان أمواله والبذل يحقها نهب تعسفه التبيذير أو نفل⁽²⁾

يقول إذا نظرت إلى أمواله وبذله يحقها وينقصها توهمت أنها نهب أغير عليه فتعسفه التبيذير، أو نفل يقتسم، والتعسف الجور، والنفل الغنيمة.

24 - شرس بل لت بل قانيت ذاك بذّا فأنست لا شك فيك السهل والجبل

يقول أنت شرس صعب على العدو، بل أنت لين على الصديق، بل أنت جامع للشراسة واللين مغان بينهما، والمقارنة المخالطة، فتيك من الخلق مثل السهل والجبل في لينة للصديق وشدته على العدو.

25 - يدي لمن شاء رهن لم يذق جرعا من راحتك درى ما الصاب والعسل

يقول يدي رهن على طريق المبالغة لمن شاء ذلك ممن يزعم أنه يعرف حلوة العسل ومرارة الصاب، وهو لم يذق من راحتك جرعا حلوة وجرعا مرة أي أن ثوابك هو العسل حقا، وعقابك هو الصاب، والصاب شجر مرة فمن لم يذق ثوابك وعقابك لم يذق العسل ولا الصاب، ولا عرف الحلوة ولا المرارة، وتقدير لفظه وإعراجه يدي رهن

1 - ص و ت : "لم تخل". ح و ن : "إلا تخر". وهو تصحيف.

2 - ح : "نهب تقسمه التبيذير أو نفل". و : "نهب تقسمه التبيذير أو نفل". ح و ت : "تقسمه".

لرجل شاء ذلك دار ما الصاب والعسل غير ذائق من راحتك جرعا فمن نكرة، وشاء ودري في موضع النعت، ولم يذق جعلت في موضع الحال.

26 - صلى المليك على العباس وأنجست . على ثرى حله العراصة الهطل⁽¹⁾

27 - ذاك الذي كان لو أن الأنسام له نسل لما راضهم جين ولا بسخل

يريد العباس بن عبد المطلب⁽²⁾. ومعنى أنجست انفجرت وسالت وأراد بالثرى قبره، ودعا له بالسقي، والعراصة السحاب ينحدر مطرها بالموضع، ويتردد فيه ومنه رمح عراض إذا اضطرب عند الهز، والهطل المطر مطرا دون الوابل، ثم قال مشيرا إلى العباس لو أن الأيام نسل له لكانوا نسل كلهم كراما أبطلالا لا يروضهم جين في الحرب ولا يخل عند المسألة، ومعنى راضهم ذللهم.

28 - أبو النجوم التي ما ضن ثاقبها إن لم يكن برجه ثور ولا حمل⁽³⁾

يقول بنو العباس كالنجوم الثاقبة، وهي المضيئة في شرفهم والاهتداء بهم إلا أنهم نجوم لا يخلون في برج كالنور والحمل وسائر بروج النجوم أي ليسوا نجوما في السماء، وإنما هم نجوم في الأرض، وذلك غير ضار بهم.

29 - من كل معترك في كل معترك لم يعرف المشتري فيه ولا زحل⁽⁴⁾

المعترك المزدحم في الحرب، والمعترك مجتمع الناس للقتال، وهو مثل المعترك في الحرب، والمشتري وزحل من النجوم.

يقول هؤلاء القوم يشاهدون من الحرب مشاهد صعبة لا يشاهدها المشتري ولا زحل ولا سائر النجوم، فلهؤلاء القوم الذين هم نجوم فضل على النجوم الحقيقية.

1 - ص و ت : "إلا". مكان "المليك" و "الوكاة" مكان "العراصة". ح و ن و ت : ش : "الوكاة".

2 - العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الفضل، من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، وجد الخلفاء العباسيين. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصفه، أفرس قويم كما وأصلها، توفي في المدينة سنة 32 هـ. (الأعلام ج 3 : 262).

3 - ح : "برجها". وهو تصحيف.

4 - ص و ت : "مشتري". مكان "معترك" و "معترك" مكان "معترك". ح و ن و ت : "مشتري". على ما لم يسم فاعله ومشتري بالكرة، وقال البيهقي والفتح الجسي.

يقول إذا تناول السيف بطل من هؤلاء القوم فأيدي الموت متناولة القوت في
إتلاف السيوف والسبق في ذلك قادرة عليه بفعل بأس القوم وشدة جرأتهم، والقوت
ها هنا سبق والتقدم.

41 - ليسقم الدهر أو تصح مودته فالיום أول يوم صح لي أمل⁽¹⁾

يقول لا أبالي الدهر سقمت لي مودته أو صحت إذ قد صح لي أملي ولم يغل
ببقاء المعتصم وتحقق رجائي عنده، وقوله فالיום أول يوم أي الآن أول يوم كما تقول
أنا اليوم أفعل كذا وكذا، ونصبه على الظرف ولو رفع لجاز.

42 - أدنيت رحلي إلى مدن مكارمه إلي يهتبل اللذ حيث أهتبل⁽²⁾

يقول نزلت بالمعتصم وأدنيت رحلي إليه فأدنى مكارمه إلي وبه فانا مهتبل
منه أن يعطيني ويكرمني، وهو مهتبل بذلك منهم، واللذ لعة في الذي.

43 - إلى ابن خير بني الدنيا الذي حليت بحلي معروفة الأمانة العطس⁽³⁾

44 - يحمي حزم لحزم البخل مهتضم جودا وغرض لعرض المال مبتذل⁽⁴⁾

يقول يحمي المعتصم من أن يذم أن له حزم يهتضم به حزم البخل لجوده وكرم
نفسه، وأن له عرضا مصونا يبتذل عرض المال ويهينه.

45 - فكر إذا راضه راض الأمور به رأي تفنن منه الريث والعجل⁽⁵⁾

يقول له فكر تنتج به الأشياء فإذا راضه وذله راض الأمور بذلك الفكر رأي
ينتجه الفكر تفنن من ذلك الرأي أمور فيها ريث وإبطاء وأمر فيها عجلة وسرعة.

46 - قد جاء من وصفك التفسير معتذرا بالعجز إن لم يغثنى الله والجمل⁽¹⁾

يقول أنا لا أحصي مآثرك ولا أحيط بأوصافك إلا أن يعينني الله تعالى
على ذلك وجمل الكلام، وأما إن تقصبت مدحك لاقتضي جميع صفاتك فلا سبيل إلى
ذلك فتفسيري معتذر إليك مقر بالعجز عن اقتضاء صفاتك.

47 - لقد لبست أمير المؤمنين بها حليا نظاماء بيت سار أو مثل

48 - غريبة تؤنس الآداب وحشتها فما تحل على قوم فترحل⁽²⁾

يقول لبست بهذه القصيدة حليا إلا أن نظاميه بيت سائر أو مثل شائع وليس
بدر، ثم قال هذه القصيدة غريبة في معانيها وطوافها في الآفاق إلا أن الأدب يؤنس
وحشتها وغريبتها فما تحل على قوم إلا أقامت عندهم كلها بها ولم ترغل عنهم بأش
أثرها، وكان الوجه أن يقول فترحلا بالنصب على الجواب، ولكنه حمله على القطع وهو
جائز على ضعفه.

1 - ح.ص: "صحح" و ح.ص و ح.ت: "صحح" بضم الباء وفتح مودته وفتح بالياء المقصورة، و "مودته" منصوبة.
2 - ح.ص: "إلي مهتبل" ما جئت أهتبل. و ت.غ: "مدني مكارمه" على الإضافة، و "مدن مكارمه" بالنون، وإذا
إضيف فهو نكرة لأن إضافته غير محضة.

3 - لم يرد في ح.ص و ت.

4 - ح.ص و ح.ت: "بعمية حزم البخل مهتضم" و ت.غ: "بعمية حزم" و ح.ت: "لحزم المال" و "جذم لحزم البخل"

5 - ص.و ت: "هبة"

1 - ح.ص: "الود" مكان "الله" و ح.ت: "معترفا" و ح.ت: "من وصفك التفسير" من وضعك القصير" و ح.ص و ح.ت :
إذ لم يغثنى لذلك الود والجمل.
2 - ح.ص و ح.ت: "تؤنس الآداب"

القصيدة [26] *

وقال بمدحه أيضاً⁽¹⁾.

- 1 - عمر الطفلة ليرى الإمام قليلاً ويلاؤهم من راحتيه طويل
 - 2 - مذي مغانيهم كأن رومها أشلاؤهم وشباهم المعقول
- هذه القصيدة مما ثبت في رواية أبي علي، ولا تشبه عندي كلام أبي تمام، ولكنني أفسرها على ما بها من فنون لفظ وسخف معنى.
- يقول مغانيهم متغيرة الرسوم عاقية الآثار لتخريب المسلمين لها فكانها في تغيرها أشلاؤهم وهي أجسامهم دون الأيدي والأرجل والرؤوس واحدها شلو، وكأنها شباهم المغلول أي حديثهم وشدهم، والمعنى أن ديارهم في التغير مثل أشلاؤهم وأحوالهم المتغيرة.
- 3 - درست كما درسوا فليس بجوها إلا كلاب يمينهن قتيل
 - 4 - بعث الإمام إلى لظى أرواحهم فلهما بأطواق الجحيم عويل
- يقول درست منازلهم كما درسوا وذهبوا فليس بجوها وناحيتها إلا الكلاب على قتلاهم، ثم قال لما قتلهم المعتصم صارت أرواحهم إلى جهنم فهم بين أطباقها يكونون ويضجون.
- 5 - هل حاول المعصوم أمراً لم يكن أو خاب منه في السرية سول
 - 6 - لم يسبق للإسلام وتر يتقى إلا استحبال برأسه تنكيل
- يقول لشدة سلطانه وإقبال سعده يتم له كل ما حاول، ولكرم نفسه وكثرة نداء لا يجيب من سأل، ثم قال لم يبق وتر يتقى المسلمون من قبل المشركين إلا استحبال ذلك الوتر ورجع برأسه تنكيل، وإنما يريد بالوتر أهل الوتر من المشركين.
- 7 - أفنى عدو الله سطو خليفة عف يصول الموت حين يصول

* القصيدة من البحر الكامل.

¹ - لم ترد في ص و ت.

- 8 - وإذا أبو إسحاق حاول مطلباً فله القضاء بما يشاء كليل
- يقول الموت طوع له فإذا صال على العدو صال الموت بصلوته، والقضاء مساعد له جار على إرادته بإقبال سعده وفكّن جده، فإذا حاول مطلباً كان القضاء تقبلاً نيله وإدراكه.
- 9 - يقظان عين البر أكثر شغله في الله بر بالعباد وصول
 - 10 - مما إن على أحد طاع محمداً لمحمد يوم الحساب سبيل
- يقول عين البر وتقى الله لا تنام منه، ولا تفتّر وأكثر شغله فيما يقرب من الله، وينزل لديه، ثم قال من أطاع محمداً، فلا سبيل عليه إلى محمد صلى الله عليه وسلم يوم الحساب لأنه قد أدى إليه ما أوجب الله تعالى عليه من طاعته.
- 11 - من لم يصل عليه حق صلاته فصلاته وصيامه تضليل
 - 12 - ومن النبي محمد لمحمد خير الخلائف غرة وحجول
- يقول الإسلام لا يتم إلا بالصلاة على محمد والإيمان به، ومن لم يصل على محمد فصلاته وصيامه وسائر عمله ضال وباطل، ثم قال: لمحمد يعني المعتصم، واسمه محمد بن هارون، وكنيته أبو إسحاق، خير الخلائف من النبي صلى الله عليه وسلم غرة وحجول لأنه من النبي عليه السلام فهو مشهور بالفضل والكرم.
- 13 - ميراث عباس بإرث محمد نسابه في فضله التنزيل
 - 14 - بين الحطيم وزمزم في ريوه أركى ثراها مصطفى وخليل
- يقول الخلافة لهؤلاء ميراث من قبل العباس لأنه عم النبي صلى الله عليه وسلم فهو وارث للنبي، وهم وارثون للعباس أبيهم، ثم يزعم أن التنزيل نبأ بذلك وحكم لهم به حكماً فصلاً، ثم قال بين الحطيم وزمزم أي هناك مستقر العباس وابنه كان أمر زمزم وإنما ذكر هذا تخفيفاً لشأنه، والحطيم فناء البيت، والريوة ما ارتفع من الأرض،

وجاء في الحديث: "إن البيت في أرفع موضع بالأرض وأن الأرض دحيت من تحته".⁽¹⁾
وأراد بقوله "مصطفى و خليل" محمدا وإبراهيم صلى الله عليهما وسلم.

15 - قاد الجياد إلى الجهاد بوادنا مثل السدور وفوقهن دحول

16 - فرجعن أضيها الأهلة ضمرا وخضابهن من الدماء نصول

يقول قاد الجياد مجاهدا في سبيل الله تعالى، وهي بواذن سمان مثل البذور في كمال خلقهن فرجعن ضمرا مثل الأهلة لجهد الغزو لهن، وقد نصل خضابهن، وذلك الخضاب من دماهن ودماء فوارسهن، وقوله وفوقهن دحول أي قوم ذوو دحول وتترات.

17 - جيش تضيق الأرض عن أرجائه ولشمسه طرف النهار كليل

18 - ويروقه هندية ورعوده بين الرعان تحمحم وصهيل

يقول لعظم هذا الجيش تضيق الأرض عن الإحاطة بنواحيه ولكثرته وسلاحه ويريقها بكل طرف النهار أي نظره، ثم جعل ذلك الجيش كعارض السحاب، وجعل السيف فيه كالبرق وتحمحم الخيل وصهيلها كالرعود، والرعان أنوف الجبال.

19 - نسجت سنابكها سماء فوقه مما تثير جياده وتهيل

20 - وغياها ماء النفوس وودقها هام بأطراف الظلمات تسيل

يقول نسجت سنابك هذا الجيش عليه سماء من غبار تتيره الخيل وتهيله وغيث تلك السماء النفوس يعني الدماء، وودقها رؤوس تسيل على أطراف طباط (السيوف)⁽²⁾.

21 - وهلا لها ملك لقائم سيفه تلي القرآن وصدق التفصيل

22 - يا موقد النيران فوق منارة وجهه الخليفة للمنار دليل

23 - في كل محنية ومجرى تلعة سلكوا بنور جبينه قنديل

¹ - أبود ابن فارس هذا الأثر في معجمه قال: " وفي الحديث: "كانت الكعبة خشفة على الماء فدحيت الأرض من تحتها."
(جعل ابن فارس مادة (خشف) "
² - زيادة يقتضيا السياق.

يقول هلال تلك السماء ملك أقام الدين قلبي القرآن، وصدق تفصيله وعمل به، ثم قال يا من يوقد النار للساري بالليل على منارة وجهه الخليفة أضوا من تلك المنارة، فالماز يهتدي بوجهه ويستدل به، ثم قال في أي موضع سلكوا بنور جبينه يقوم لهم مقام القنديل، والمحنية منعطف الوادي.

24 - وإذا مضى بالصلد نضر وجهه وأنار فيه زخرف مهطول

25 - وإذا الدبور مع الحرور تواليا هطلت سماء من يديه بلسيل

يقول إذا مر بالحجر الصلد لينه، ونضر وجهه ونعمه وبدا فيه زخرفه وهو الزهر، والمهطول المططور، ثم قال إذا هبت الريح الدبور، وجاءت النوى الحرور فأحرقت الأرض هطلت من يدي كفيه كالسما تاتي بالمطر والريح.

26 - وإذا المياه تغيرت فسكفه بحر يفيض وموود منهل

27 - وتهيل أملاء القضاء لنوره ويكون نهجا تيهها المجهول

يقول إذا تغيرت أخلاق الناس، ومنعوا معروفهم فهو في عطائه الجزيل كالبحر الفائض، والموود المنهل، وهو الموود، وإذا مر بالأملاء، وهي ما اتسع من القلاة أهلت لنور وجهه، وأضاءت، وصار تيهها المجهول طريقا نهجا بينا، والتهيه الفقر يتاه فيه أي يتحير.

28 - حتى إذا وردت أوائل خيله وحداؤها التكبير والتهليل

29 - نزلت بعمورية الشرك التي لم يعترض في فتحها تأميل

30 - يطلن وتر الله دون دليفة يقضي الوتور وتره مطلق

يقول لما وردت بلاد العدو تحدها والتكبير والتهليل نزلت بعمورية التي هي قاعدة الشرك، ولم يكن لأحد أمل في فتحها، فجعلت تلك الخيل تطلب وتر الله تعالى والمسلمين، وتقاتل دون هذا الخليفة الذي من شأنه أن يقضي وتوره ويطل وتور أعدائه.

31 - نصب المجائق بالقضاء عليهم فالومت معقود بها علول

32 - جادت من الأرض التخوم عليهم من عارض هطلاته سجيل

يقول لما نزل على عمورية نصب على أهلها المجانيق بالقضاء، والموت يعقد لها حين توتر بالحجارة في حجورها، ثم يحل الموت بإرسال الحجارة إليهم، ثم قال جادت تخوم الأرض عليهم بعارض كعارض السحاب إلا أن مطره ومطلائه عليهم حجارة من سجيل.

- 33 - من كل وقضاء التفافي جيدها حبل يسدرد بالردى مجدول
34 - تدنو فتقتصر ثم تحمل نقمة وتمر تحت سمائها فتطول

الوقضاء القصيرة العنف يعني صخرة المنجنيق، ومعنى تدرد تسير وتشيع، والردى الهلاك، والمجدول الحبل المحكم القتل.

ثم قال تدنو فتقتصر يريد عند شدتها حجر المنجنيق، ثم تحمل نقمة إلى العدو، وتمر تحت السماء عند خروجها من المنجنيق فتطول في مرورها ذاك.

- 35 - ففسح ايديها عليهم حاصبا يرمي به الكفسار ميكائيل
36 - فكانها في الجو طير بادر في الأفق وكرا بيضه مفلول

يقول تسح أيدي هذه الحجارة أو أيدي المنجنيق حاصبا على أهل عمورية يرمي بذلك الحصب ميكائيل، والحاصب الحجارة يرمي بها، ثم قال وكان تلك الحجارة في الجو، وهي مسرعة إليهم طير تسرع إلى وكر أسد بيضه عن الفراخ فهي تبادره محافظة عليه، وخافة أن توت فراخه.

- 37 - حتى إذا ما الليل جن وأرخت منه على وجه النهار سدول
38 - حملت فكان نتاجها في ساعة وأتت بنسل ما لهن فحول

السدول الستور المرسله، وجن الليل ستر بظلامه يقول لما أقبل الليل على النهار فسره حملت المنجنيق بها في حجرها من السحر، ثم نتجت في تلك الساعة وأتت من تلك الحجارة بنسل لا فحل له.

- 39 - وسمت فمرت في الهواء كأنها شهب السماء رجمها مهول
40 - وخليقة الرحمن ينصر حزيه يوم الوغى وعدوه مخذول

يقول سمعت تلك الحجارة ومرت في الهواء، ثم وقعت بأهل عمورية فأهلكتهم فكانت كالنجوم التي هي رجم للشياطين والمهول المفقود.

- 41 - حتى إذا حمى القتال فلم يكن إلا مجال الحيل حيث تحول
42 - أخذ اللواء خليفة الله الذي عقد اللواء يؤمه جبريل
43 - فكانه في الكر فيهم هارب للسلم طالب مدهول

يقول لما اشتدت الحرب وحر القتال، وضاعت الأرض بأهلها فلم يكن بها إلا موضع جولان الحيل أخذ اللواء هذا الخليفة، وجعل ينهد إلى العدو وجبريل إمام له يتبعه فكانه لكثرة الكر عليهم والمداخلة لهم هارب إليهم طالب للسلم مدهول من ورائه مخوف مدهول النفس، وحذف التنوين من طالب ضرورة، ولا يجوز مثل هذا عند البصريين، ويروي للسلم قبل مدهول.

- 44 - فدعوا بلوغا بعد ما عصفت بهم نكباء من ربح الرواح فتول
45 - أو ما رأى توفيل مصرع بابك هبلته من بين الطغاة هيول
46 - فيبادر السلم الذي لم يابه في الله إلا خانن مخول

يقول لما اشتدت الحرب، وعصفت بهم ريحها القاتلة جعلوا يدعون بلوغا ويروى بلوغا، وكان هذا شعاعا لهم، وجعل الريح نكباء لأن النكب أشد الرياح، وأعصفها، وكان الوقيعه كانت في الرواح فلذلك قال ربح الرواح، ثم قال أو ما رأى توفيل ملك الروم مصرع بابك المجوسي فيتبغ بمصرعه، ويبادر الصلح الذي لا يابى قبوله إلا خانن مخول العقل، ومعنى هبلته فقدته.

- 47 - من ظن أن ليوم بابك مدة أو أن يبيت جلاله مستقول
48 - حتى أتيت له إمام سيفه في كل هيجي للمنون خليل
49 - بقت حباثلها المنون عليهم فأتت به وصليفيه مغلول

يقول قد كان بابك لشدة سلطانه يظن أن لايومه أمدا ولا لمصرعه أجلا حتى أتاه الله له خليفة سيفه حاسب للمنية مشارك لها في النفوس، ثم قال لما انهزم بابك

وأصحابه بثت الميتة شركها ومصادنها عليهم حتى صادت بابك فأنت به مغلول العنق، والصلبان ناحيتا العنق.

50 - أخذت جلالتك بأطراف القنى فلهما بأعراض العراق عويل

51 - حتى إذا ما القيل قرب صده عن أن يتوق إلى الحياة القيل

52 - فسمما إلى عفو الإمام وجرمه شيء يجوز مدى الخلووم جليل

يقول سميت نساؤه بأسنة الرماح، وجئت إلى العراق فلهن عويل (شديد) بأعراضها ونواحيها، ثم قال لما قرب القيل من (صده) أيقن بالموت ولم (يبق له طمع في) الحياة فجعل يتضرع، وتطمع به نفسه إلى عفو الخليفة فلم يعف عنه لأن جرمه أشد من أن يصفح عنه، وأجل من أن يقع حلم فيه.⁽¹⁾

53 - فأطاع من ولاه فيه بقلبيه فبذل تطن ومفصل مفصول

54 - فيتمم الجذع المنيف وشلوه فوق الرحال مفصل محمول

يقول استبسل بابك وأطاع الذي تولى قلبه، فجعل يفصل أعضائه فيد تند وتطن، ومفصل مقطوع، ثم يتمم الجذع للصلب، وشلوه وهو جسده دون أطرافه محمول على الرحال للصلب، وهو مقطع الأطراف.

55 - وأحل بالزط الفناء فأصبحوا ولهم إلى دار السوار قسول

56 - أضحوا شما طيطا بكل مفازة للموت فيهم هزة وذميل

57 - جعلوا البطائح جبة من قادر تقف البحار بأمره والنيل

الزط قوم من العجم كان المعتصم قد وقع بهم فانهزموا، فيقول أحل بهم الفناء، فصاروا إلى جهنم، ثم قال أضحوا شماطيطا أي فرقا، والموت يسرع فيهم وضرب الهزة والذميل مثلا لذلك وهما سيران سريعان، ثم قال استروا بالبطائح عن عز قادر عليهم يعني المعتصم لو أمر البحار والنيل لوقفا عند أمره فكيف البطائح.

58 - ضحكت فشهبت المشيب بغيرها فعلى المشيب تحية وقبول

¹ - زيادة بقضيها السباق.

59 - وسطا المشيب على الشباب كأنه الأفشين عابن شخصه منوبل

يقول الخسر ماء البطاح عنها، وانكشف فظهر على الزط فقتلوا عن آخرهم، فكان الخسار البطائح كالضحك الكاشف عن السر، وجعل الخسارها ذاك كالشيب، ودعا للشيب بالتحية والقبول الجميل لشبهه بالخسر الذي كان سبب قتل الزط، ثم قال وسطا المشيب على الشباب أي سطا حسر البطائح على مددها وامتلأها، وجعل مددها بالماء كالشباب إلا أنه كمال وإقبال كما جعل حسرهما يشيب إلا أنه نقص وإدبار، ثم قال كأن الخسر إذا سطا بالمدد وعليه، الأفشين إذ عابن شخصه منوبل ملك الروم فانهزم.

البصيدة [27] *

وقال يمدحه أيضا:

- 1 - أجل أيها الريع الذي خف آمله . لقد أدركت فيك النوى ما تخاوله⁽¹⁾
أجل بمعنى نعم وحقا، ومعنى خف ذهب مسرعا، والأهل ذوو الأهل العامر.
يقول يا أيها المنزل الذي ذهب عامره، وأسرع خلو أهله لقد أدركت النوى فيك ما تخاوله، ثم أكد أهل وحقيقته بقوله آمله، كأنه قال لقد غيرتك النوى حقا إلا أنه قدم وآخر، والذي تخاول النوى هو تفريق أهل الدار وتغيير ما بعدهم.
- 2 - وقتت وأحشائي منازل للأسى به وهو قفر قد تغتت منازل
يقول وقتت بهذا الريع، والأسى قد نزل بأحشائي فصارَت منازل معمورة به، والريع قفر من الأحبة قد درست منازل.
- 3 - أسأله ما باله حكم السلي عليه وإلا فاتركوني أسأله⁽²⁾
يقول يا سائل الريع خبرني لأي شيء حكم عليه البلى وغيره، وإن لم يكن لك علم بذلك فاتركوني معشر أصحابي أسأله حتى يجيبني، ولا تعذلوني وساعدوني على ذلك ولا تخذلوني، ويرى أسألكم وهو بين.
- 4 - لقد أحسن الدمع الحمامة بعدما أساء الأسى إذ جاور القلب داخله⁽³⁾
يقول لما اجتمعنا للوداع جاور الأسى قلوبنا، فأساء الجوار بشدة فعله، فيكبنا فأحسن الدمع في الحمامة عن القلب بتليينه لشدة الحزن المتداخل به.
- 5 - دعا شوقه يا ناصر الشوق دعوة قلباه طلل الدمع يجري و وابله
يقول كنت أنطوي على الشوق والهوى وأسترهما، وأصبر عن إظهارهما، فكان الصبر غالبا على شوقي ظاهرا عليه، فلما حانت النوى وحضر الفراق هاج الشوق

* البصيدة من البحر الطويل.

- 1 - ص و ح ت: "أجزت" مكان "أدركت" و ح ص: "أدركت"
- 2 - ص و ت: "أسألكم" و ح و ت غ: "أسأله" على النداء
- 3 - ح من: "المواساة" و ح و ص و ت: "الأسى" بضم الهمزة.

واستنصر الدمع واستنجدته فأجابه ناصرا له ولبيه لأول دعوة مظهرها على الصبر قليل الدمع وكثيره، وظله ووابله، فهذا معنى البيت إن شاء الله تعالى، واتصل بي عن لا يفهم مثل هذا، ويدعي أن غيره بمعزل عنه أنه رغم أن معنى البيت على غير ظاهر لفظه، وأنه يريد دعا شوقه يا ناصرا على الشوق وبيا مذهبا له، وزعم أن الدمع يخفف الشوق، ويذهب به كما يفعل الحزن وليس كما زعم أن الحزن يستريح بالبكاء، والمشتاق يستتر شوقا ما دام ضعيفا فإذا قوي شوقه دعاه إلى البكاء فظهر شوقه وتبينت قوته، وهو مع ذلك باق لا يذهب إلا السلو عن طول عهد أو بأس، والحزن يقرط فإن بكى الإنسان خف حزنه، وربما ذهب البتة.

6- بيوم تريك الموت في صورة النوى أواخره من حسرة وأوائله

يقول كان ذلك البكاء في يوم الفراق، وهو يوم أرتنا أوائله وأواخره الموت في صورة النوى من شدة الحسرة أي أن النوى هي الموت في قتلها النفوس، وإنما قال أواخره لأنهم فارقوا عشية، وقال أوائله لأنهم حاولوا الرجول في أوله.

7 - وقتنا على جمر الوداع عشية ولا قلب إلا وهو تغلي مراجله

يقول وقتنا عشية للوداع على مثل الجمر لما جده من شدة ذلك الموقف وقلوبنا يحرقها الأسى والشوق، وضرب غليان المراحل مثلا.

8 - وفي الكلة الحمراء جؤذر رملة غدا مستقلا والفراق معادله⁽¹⁾

الجؤذر ولد البقرة، ونسبه إلى الرملة لأن بقر الوحش يألف الرمال، والمستقل الراكب الذهاب والمعادل الذي يعادل صاحبه في الحمل، يقول في كلة اليهودج جارية كالجؤذر في حسن العينين غدا ذلك الجؤذر راكبا، والفراق عدليه، والمعنى أن الفراق استولى عليه وذهب به.

9 - تيقنت أن السين أول فنانك به مذ رأيت الهجر وهو يغازل⁽²⁾

1 - ص و ت: "الفراق" ح و ص ت: "الفراق معادله". و ح ت "وافؤاد معادله". وذلك باطل كما قال المحقق.
2 - ح من: "إذا" مكان "مذ" و ح ت: "تيقنت"

القاتك بالشيء الهاجم عليه المقترس له، والمغازلة المداعبة والملاعبة. يقول لما رأيت الهجر يلابسه ويجزبه دوني تيقنت أن ليس بعد ذلك الذهاب إلا بين له وفك به.

10 - يصبرني أن ضقت ذرعا بهجرة ويجزع أن ضاقت عليه خلاخله⁽¹⁾

يقول إذا رأيته هذا الجؤذر قد ضاق ذرعي بهجرة لي يصبرني على أنه يجزع من ضيق خلاخله على ساقيه، وإنما أشار إلى امتلاء ساقني الجارية حتى لا تسعهما الخلاخل.

11 - أبتك أمير المؤمنين وقد أتى عليها الملا أدماته وجراولسه

12 - نصرن السرى بالوخذ في كل صحصح وبالسهد الموصول والنوم خاذله⁽²⁾

الأدمات السهول، والجراول العور ذات الحجارة، والصصح المستوى من الأرض، والوخذ سير سريع.

يقول أبتك الإبل وقد أتى عليها وأذهب قوتها ونشاطها سهول الملا وحزونه بقطعهم له، والملا ما اتسع من الأرض، ثم قال نصرن السرى أي أظهرته وقوته بسير من الليل كله في كل فلاة مستوية ويسهد أصحابها المتصل، والنوم خاذل له تارك، والسهد السهر، وإنما يصف مؤونة سفره ليجوب على المقصود حقه.

13 - رواحلتا قد بزنا الهم أمرها إلى أن حسبنا أنهن رواحله⁽³⁾

14 - إذا خلع الليل النهار رأيتهما بإرقالها من كل وجه تقابله⁽⁴⁾

الهم ما هم به الإنسان من الأمور، والإرقال سير سريع.

يقول رواحلتا قد استبد بها الهم، وسلبتا أمرها وعني ببعثها على السير غرورك وتحريكها إليك حتى ظننا أنها رواحل للهم وأنا خدم له نتصرف على حكمه، ثم قال إذا خلع الليل النهار بإقباله عليه، فهذه الإبل مقابلة من كل جهة بإرقالها وسراها في

الليل كله فكأنها تقابله محاربة له، والمعنى أنها تقاقل الليل بجعلها النهار لأنها أحب في دولة النهار.

15 - إلى قطب الدنيا الذي لو مدحه مدحت بني الدنيا كهمتهم فضائله⁽¹⁾

16 - من البأس المعروف والدين والتقى عيبال عليه رزقهين شمائله⁽²⁾

يقول سيرنا ذلك إلى المعصم الذي هو للدنيا قطب تدور عليه، ولا تقوم إلا به وفيه من الفضائل ما لو مدحت به أهل الدنيا لكفاهم ذلك، ثم قال هو الذي لا يقوم البأس والمعروف ودين الإسلام وتقى الله عز وجل إلا به، فهن كالعبال عليه يرزقهن شمائله الكريمة وطبائعه السرية.

17 - جلا ظلمات الظلم عن وجه أمة أضاء لها من كوكب الحق آفله

18 - ولأدت بحقويه الخلافة فالتقت على خدرها أرماحه ومناصله⁽³⁾

يقول كان الظلم قد شمل الأمة بجور العدو عليها وإذ لا لها، وكان الحق قد أقل نجمه وخفي علمه، فلما أفضت الخلافة إليه كشف ظلم الظلم عن وجوه المسلمين، وأظهر لهم من الحق ما كان قد خفي ومنع الخلافة وحماها لما اعتصمت به ولأدت بجانبه (من كل من)⁽⁴⁾ أرادها بسوء فالتقت أرماحه وسيوفه على خدرها ذابا عنها.

19 - أته معدا قد أتاها كأنها ولا شك كسانت قبل ذاك تراسله⁽⁵⁾

20 - بمعصم بالله قد عصمت به عرى الدين والتفتت عليه وسائله⁽⁶⁾

يقول أته الخلافة وهو مستعد لها، قد أعد لها قوامها من المحافظة عليها والاضطلاع بأقوالها فكان هو كالاتي لها كأن الخلافة كانت تراسله قبل ذلك وتواعده، فالتفتت على ميعاد فكل واحد منهما آت إلى صاحبه، وقوله ولا شك استدرك من قوله

¹ - ص و ت: "لو يفضله".

² - ص و ت: "والجود" مكان "والدين".

³ - ص و ت: "التفت".

⁴ - زيادة يقتضها السياق.

⁵ - ح و ت: "معدا" بالنعين.

⁶ - ح و ت: "عليها" مكان "عليه" و ح: "معصم" باللام.

¹ - ص و ت: "يعني... بناءً" مكان "يصبرني... بهجرة". و ح: "يصبرني".

² - ح و ت: "ووصل".

³ - ص و ت: "الذعر".

⁴ - ح و ت: "عقاله".

كانها كانت تراسله فثبت المراسلة، ونفى الشك والتشبيه، ثم قال بمعتصم أي لاذت الخلافة بمعتصم بالله عصم الدين له، والنقت وسائله عليه وأذنته، فقبل الوسائل، وراعى الأذمة.

21- رعى الله فيه للرعية رأفة - تزياله الدنيا وليست تزياله
22- فاضحوا وقد فاضت إليه قلوبهم ورحمته فيهم تفيض ونائله
يقول لما صار الأمر للمعتصم رعى الله فيه رحمة ورأفة بهم تفارقه الدنيا بالموت والخروج عنها، ولا تفارقه تلك الرحمة حتى يجزيه الله بها الجنة، ثم قال أضحت الرعية وقلوبهم فائضة إليه بالمحبة والطلقة، ورحمته فائضة عليهم، وعطاؤه منتشر فيهم.

23 - وقام فقام العدل في كل بلدة خطيبا وأضحى الملك قد شق بازله
24 - وجرد سيف الحق حتى كأنه من السبل مود غمده وحمائله

يقول لما قام بالأمر قام العدل في جميع البلد تحطّب بعد أن كان أخرس لا ينطق وكمل الملك فصار كبير قدشق بازله وهو نابه يبرز اللحم ويطلع، وعند ذلك تستحكم قوته، ثم قال وجرد سيف الحق أي شهر الحق وظهر ولم يستتر البتة حتى كأنه سيف سل من غمده فذهب غمده وحمائله، وبقي مسلولا أبدا، والمودي الذاهب الهالك.

25 - رضىنا على رغم الليالي بحكمه وهل دافع أمرا وذو العرش قابله⁽¹⁾

26 - لقد حان من يهدي سويداء قلبه لحد سنان في يمد الله عامله⁽²⁾

يقول رضىنا بحكمه فينا، وإن كانت الليالي راغمة ذليلة، والمفظ للليالي والمعنى لأهلها، ثم قال وهل يدفع ما قبله الله عز وجل وأراده من حكم المعتصم فينا، ثم قال لقد خاب وهلك من يعارض أمرا يرضاه الله ويقلبه فهو في مدافعتة له كمن أهدى سويداء قلبه وهي أوحى مقاتله لحد سنان عامله في يد الله تعالى، فهو لا شك جائر، وعامل الرمح صدره.

¹ - من: "حكم الليالي" و من وت: "قاله" من القول و ح من وت: "على رغم الأعداء" و "ذو العرش فاعله"
² - ح من: "يحد" وهو تصحيف.

27 - وكم ناكث بالعهد قد نكت به أمانيه واستخذى لحقك باطله⁽¹⁾

28 - فأمكنته من رمة العفو رأفة ومغفرة إذ أمكنتك مقاتله⁽²⁾

يقول كم من خارج عن طاعتك ناكث لعهدك تنى الإمرة دونك فأخلفته أمانيه، ونكت به، فألقى بيده إليك فاستخذى باطله الذي حاوله بحقك الذي تستأمله، وأمكنته من عفوك ومغفرتك برمتها، وقد أمكنتك مقاتله، ويدت لك، فغلبت عفوك على ذنبه، ومعنى استخذى ذل وخضع.

29 - فحاط له الإقرار بالذنب روحه وجثمانه إذ لم تحطه قنابله⁽³⁾

الجثمان الجسم، والقنابل جماعات الخيل، يقول لما لم تحط هذا الناكث بعهدك خيله وجنده ألقى بيده إليك، وأقر بذنبه فصفت عنه فحاط بذلك روحه وجسمه.

30 - إذا مارق بالغدر جاوز عمره فذاك حري أن تنسيم حلالته⁽⁴⁾

يقول من مرق عن طاعتك وغدر بك فهو مجاوز لعمره حري أن تنسيم أزواجه أي يسعدون به في مدة عمره ما دام في طاعتك، فإذا خرج عن طاعتك أخرج عن مدة عمره وجاوزها إلى مدة عدمه، واستحق أن يقتل فتتسيم أزواجه أي يصرن أيامي دون أزواج، والمارق الخارج عن الطاعة والدين.

31 - فإن باشر الإصحاح فالبيض الفنى فراه وأحواض المنايا مناهله⁽⁵⁾

32 - وإن بين حيطاننا عليه فإغا أولئك عقالاته لا معاقله

¹ - ح من وت: "للعهد".

² - ش من وت: "من ذمة العفو".

³ - ح من وت: "وحاط" و "قنابله".

⁴ - ح من وت: "حاول غدرة" و ح من: "حاول غدرة - فذاك حقيق" و " - جاوز غمرة" و "حاول غيرة" وأورد عنتي شرح الصولي أيضا عن الأدي:

إذا ما عرو بالغدر جاوز عمره فذاك حري أن تنسيم حلالته
و ح من وت: "أنفص عمره"
و ح من: "وإن"

الإصحار البروز إلى الصحراء، والعقال ما يعقل الإنسان ويمنعه من التصرف، يقول إن باشر هذا المارق الصحراء مبارزا لك، فالسيوف والرماح قراء منك، وأحواض الحنايا مشاربه، والمعنى أنك تقتله، ثم قال وإن تحصن وبني على نفسه حيطانا يمتنع بها فتلك عقالات له تحبسه عليك حتى يصل إليك لا معاقل يتحصن بها عنده.

33 - وإلا فاعلمه بأنك ساخط ودعه فإن الخوف لا شك قاتله يقول إن لم ترد محاربته فأبلغه أنك ساخط عليه، ودعه، فخوفه لك قاتله ومقيم عنده مقام نهوضك إليه.

34 - يبين أبي إسحاق طالت يد الهدى وقامت قياة الدين وشتت كاهله⁽¹⁾

35 - هو البحر من أي النواحي أتتته قلبجته المعروف والجود ساحله⁽²⁾ يقول يمين المعتصم وبركته على المسلمين ظهر الإسلام، وطالت يده واستقامت قناته بعد اعوجاجها، واشتد كاهله بعد ضعفه.

والكامل أصل العنق وعليه معتمد الدابة، فلذلك ضربه مثلاً، ويروي قياة الملك، ثم قال هو في كثرة إعطائه كالبحر، فمن أي ناحية أتتته فالمعروف لجة له في كثرة والجود ساحل يوصل إلى تلك اللجة، ويدخل إليها منه.

36 - تعود بسط الكف حتى لو أنه ثناها لقبض لم تجبه أنامله⁽³⁾

37 - إذا أمل رجاء قرطس في المنى مواهبه حتى يؤمل أمله⁽⁴⁾

يقول تعود بسط كفـه بالجود فلو ثناها لقبضها عن العطاء لما أجاوبته ولا رجعت عما عودها، ثم قال إذا أمل قرطس مواهبه وعطاياه في تلك المنى أي أصاب

1 - ص و ت: يد العلاء و ح و ص ت: "قياة الملك".

2 - ح و ص ت: "هو الميم".

3 - ح و ص ت: "لم تطله أنامله" وقال الصولي، ويروي قوم بعد هذا البيت:

لجاد بها قلبك الله سائله ولم لم يكن في كفـه غير نفسه

وأنبت الحلقف عن بعض النسخ رواية "غير روجه" مكان "غير نفسه" وبهذه الرواية ورد البيت في شرح الحليبي التنويري عقب هذا البيت أيضا.

4 - ص و ح ت: "باسمعه" مكان "مواهبه" و ح و ص ت: "ساماء" مكان "رجاء".

المواهب كما يقرطس الرامي الغرض فاستغنى بذلك الآمل وكثر ماله حتى عاد مؤملا مرجوا.

38 - عطاء لو استطاع الذي يستمعيه لأصبح من بين الورى وهو عاذله⁽¹⁾

39 - لهى تستثير القلب لولا اتصالها بحسن دفاع الله وسوس سائله⁽²⁾

يقول عطاؤه عطاء لولا أن الذي يستمعيه ويسأله لا يمكنه أن يعذله على الذي أعطاه ووهب له لعذله من بين سائر الناس لما يرى من تبيذره للمال ويشاهد من تحرقه في المعروف، ثم قال ملك لهى أي عطايا تستثير قلب المعطي وتقلقه من مستقره سرورا وطربا بنيلها، فلو لا أن الله تعالى يصلها بحسن دفاعه ووقايته لوسوس وخيل عقله سرورا.

40 - إمام الهدى وابن الهدى أي فرجة تعجلها فيك القريض وقائمه

41 - رجاؤك للباغي الغنى عاجل الغنى وأول يوم من لقائك آجله

يقول ما أشد الفرحة التي تعجلها فيك الشعر وقائمه لعلها أنها بجود الجزيل من المعروف، ثم قال رجاء الطالب للغنى وتأمله إياك هو عاجل غناه وأوله، فإذا تقيك بأمله ورجائه فأول يوم من لقائه إياك آجل غناه وآخره.

1 - جاء هذا البيت في شرح الحليبي التنويري قبل البيت: (إذا أمل ساماء قرطس في المنى...) وبعد البيت الذي لم يرد في نسخة التنويري (ولو لم يكن في كفـه غير نفسه...).

2 - ص: "يستثير" و ح و ص: "لهى تستثير القلب" و ح و ص ت: "وسوس".

القصيدة [28] *

وقال يدرج محمد بن يوسف:

- 1- لا أنت ولا الديار ديار خف الهوى وتقضت
- 2- كانت مجاورة الطلول وأملها زما عذاب الورد فهي بحار⁽²⁾
- يقول مخاطبا لنفسه لا أنت كما عهدت من التشاغل بالصبا والطرب، ولا ديار الأحبة كما عهدتها من اجتماع الأحبة بها وبهجتها بمن كان فيها، أي تغيرت عن ذلك كما تغيرت الديار، وخف هواك ذاهبا عنك واقتضت أوطارك بأسا وسلوا لبعث العهد منك، ثم قال كانت مجاورة هذه الطلول أيام كون الأحبة فيها عذبة الموارد مستحسنة المعاهد، فهي الآن ملحة المشارب متكررة المناظر خلوها من الأحبة وتغيرها بعدهم.
- 3- أيام تدمي عينه تلك الدمى فيها وتقر ليلته الأقمصار⁽³⁾
- 4- إذ لا صدوف ولا كنود اسمهما كالمنين ولا النور نوار⁽⁴⁾
- الدمى تصاوير الرخام شبه النساء بها، وصدوف اسم مشتق من صدف عن الشيء إذا مال عنه وأعرض، وكنود من كندت النعمة إذا كفرتها.
- ويقال معناها العقوق ونوار من نارت تنور إذا نقرت، يقول كانت عينه تدمي تلك الجوازي ضحكا إذا نظر إلىهن، وذلك يخفرهن وغرارتهن، وكانت تلك الوجوه التي هي كالأقمصار تضیی ليله، وكانت صدوف لا تصدف عنه، وكنود لا تعقه ولا تكفر نعمته، فكان فعلهما ضد اسميهما كانت النوار لا تنور عنه ولا تنفر بل كانت تشدد به مواصلة له.
- 5- بيض فهن إذا رمقن سوافرا صور وهن إذا رمقن صوار
- 6- في حيث يمتن الحديث لذي الصبا وتحصن الأسرار والأسرار

يقول هن بيض الأجسام ناعمة، فإذا رمقن أي نظرت إليهن سافرات عن وجوههن مثل صور الرخام حسنا، وإذا نظرن فهن صوار في حسن عيونهن والصور قطع بقر الوحش، ثم قال كان اجتماعنا في حيث يبذل الحديث للعاشق ذي الصبا، ويصان السر ولا ينشر ويحصى السر الذي هو النكاح عفة فلا يوصل إليه، فقوله الأسرار إنما يريد جمع السر في القول، وجمع سر النكاح من قول الله تعالى: "ولكن لا تواعدوهن سرا".⁽¹⁾

- 7- إذ في القنادة وهي أكل أكلة ثم وإذ عود الزمان نضار⁽²⁾
- القنادة شجر كبير الشوك لا ثمر لها، والنضار الناضر الناعم، والنضار أيضا الذهب، يقول لطيب ذلك الزمان وإقباله وبركته كانت القنادة مثمرة على أنها أكل شجرة، وكان عود الزمان ناضرا ناعما، وكان ذهبيا في جودته وكرم جوهره، والنضار أيضا خشب الأثل، وهو شجر شديد الطرف جيد العود.
- 8- خير جلا صدأ القلوب ضياؤه إذ لاح أن الصدق منه نهار⁽³⁾
- 9- لولا جلاذ أبي سعيد لم يزل للفر صدر ما عليه صدر
- يقول كانت القلوب قد صدنت، فلما ورد عن أبي سعيد خير لائح مضيء كالنهار في بيان صدقه جلا صدأ القلوب ضياؤه، وأذهب ظلامها ونورها، ثم قال لولا جلاذ أبي سعيد وضياء به عن النفر لما كان له صدر (يسره وبقية)⁽⁴⁾. ولا ذاب عنه بمنع حرمة، والصدار شيء ينسج من سيور تلبسه الصبية أو الحزينة، وقيل هو التميمص القصير فضربه مثلا لما يمنع النفر وبقية.
- 10- قدت الجياد كأنهن أجناد بقصرى درولية لها أوكار

¹ البقرة: 235.

² ح من: "بولت" و ح من و ت: ورد بيت بعد هذا البيت لم يقع في نسخة الأعلام وهو: قد صرحت عن غصنها الأخبار واستبشرت بنومك الأمصار

³ ح من: "فيه" مكان "منه".

⁴ زيادة بقضها السباق.

11 - حتى التوى من تقع قسطلها على حيطان قسطنطينية إعصار⁽¹⁾

يقول قدت جباد الحيل إلى بلاد العدو، وكأنها في سرعتها وانقضاضها أجاد، وهي الصقور لها أوكار بقرى درولية⁽²⁾. ففي تبادل إلى أوكارها لتلحم فراخها، ثم قال أثارت الحيل غبارا فالتوى واستدار على حيطان قسطنطينية⁽³⁾، فكانه إعصار وهي الريح الشديدة تأتي بالغبار، والتقع والتسطل مثله، وأضاف أحدهما إلى الآخر لاختلاف اللفظين، وكان النقع من الغبار، وهو خالصه.

12 - أوقدت من دون الخليج لأهلها نارا لها خلف الخليج شرار

13 - إلا تكن حصرت فقد أضحي لها من خوف قارة الحصار حصار⁽⁴⁾

يقول أوقدت نار الحرب من دون خليج قسطنطينية، فوصل إليهم من الخوف والهيبه ما هو كشرار النار، ثم قال إلا تكن قسطنطينية محصورة فقد حصرها خوفها للحصار وقارعت، والمعنى أن خوفهم للحصار بمنزلة الحصار عندهم لما فيه من شدة الخوف.

14 - لو طواعتك الحيل لم تقفل بها والقفل فيه شيا ولا مسمار

15 - لما تفوك تواكلوك وأعذروا هربا فلم ينفعهم الإعذار⁽⁵⁾

الشيا الحد، والتواكل أن يتكل بعضهم على بعض في مدافعة هذا الممدوح فرقا منه، والإعذار الاجتهاد ويلوغ العذر، يقول لو أطاعتك الحيل في قطع الخليج إلى قسطنطينية لم تقفل بها وأقفل قسطنطينية لا حد لها ولا مسمار، والمعنى لكسر قفلها وافتتحها. ويقال القفل موضع بعينه، ثم قال لما رأوك عجزوا عن لقائك وتخاذلوك، ثم فروا فرقا عنك، وأعذروا في الهرب فلم ينفعهم ذلك.

¹ - م: وت: "قسطنطينية الأعصار".

² - درولية بلد من أرض قسطنطينية (معجم ما استعجم ج 2: 550)

³ - قسطنطينية مدينة أسسها قسطنطين الأكبر بعد أن انتقل من رومة دار مملكة الروم إلى بزنطية ونش عليها سورا وسماها القسطنطينية وكان اسمها طرواة، ثم نسبت إليه، وبينه وبين عبورية ستون ميلا في قرى وعمارات. (الروض المطار: 481).

⁴ - م: "قارة الطريق" وأما التويزي فقد استعمل شرحه بقوله: "قارة الطريق" وليس في البيت إلا "قارة الحصار" ولم يذكر فيها إذا كانت "قارة الطريق" وجهها رويت عليه العبارة أولا. و ح م: "إن لم تكن".

⁵ - ح م و ح ت: "لما تفوك لما وفوك". و ح م: "فأعذروا"

16 - فهناك نار وغى تشب بها جيش له لبيب وثم مغار

17 - خشعوا لصولتك التي هي عندهم كالموت يأتي ليس فيه عار

شبيت النار سرعتها، ولج الجيش صوته. يقول عمدت بلادهم حربا وغارة، فهناك حرب شديدة كالنار المشبوبة، وهنا جيش ذو جلبة لكثرة مغير عليهم، ثم قال خشعوا لصولتك، وذلوها ولم يروا ذلك عارا عليهم لأنها عندهم كالموت ولا عار في الموت.

18 - لما فصلت من الدروب إليهم بعمر مرم للأرض منه خوار⁽¹⁾

19 - إن يبتكر ترشده أعلام الصوى أو يسر ليلا فالتنجوم منار

الدروب ما بين بلاد المسلمين وبلاد الروم، والعمرم الجيش العظيم، والصوى مواضع مشرفة يُهتدى بها، يقول لما فصلت إليهم بهذا الجيش العظيم الذي غور الأرض من تقله عليها، وأقلت استقلالها به، علموا أن غزوك بوار، ثم قال إن خرج هذا الجيش بكرة اهتدى بالصوى، وإن يسر ليلا اهتدى بالنجوم، وقامت له مقام المنار.

20 - فالحة البيضاء ميعاد لهم والقفل حتمم والخليج شعمار⁽²⁾

21 - علموا بأن العزو كان كمثل غزا وأن العزو منكم بسوار

الحمة موضع بعينه، والخليج خليج قسطنطينية، والقفل موضع، والبوار الهلاك. يقول تواعدوا بالنزول على الحمة البيضاء، وجعلوا إتيان القفل حتما واجبا، وجعلوا الخليج كالشعار لهم في لزومهم إياه، والشعار ما ولي الجلد من اللباس، ثم قال علموا أن غزو غيرك كان غزا كسائر الغزو، وغزوك إنما هو بوار واستنصاف.

22 - فالشي همس والنداء إشارة خوف انتقامك والمحدث سرار

23 - إلا تنل متويل أطراف الفتى أو تنن عنه البيض وهي حرار

¹ - م: "فيه" مكان "منه" و ح م: "جوار" و "صلت" بالنون.

² - م: "حتم" و م ن: "والقفل حتم" و ح م: "والحمة" و "فالحة" و "القفل" و "فالحة" بالخاء.

24 - فلقد تمنى أن كل مدينة جبل اشم وكل حصن غار⁽¹⁾

الهمس الصوت الخفي، والسرار من السر، والحرار العطاش.

يقول مشي هؤلاء همس، وحديثهم سر، وندائهم إشارة بيد لما هم فيه من شدة خوفك، ثم قال إن لم تزل الرماح والسيوف منويل ملك الروم، ورجعت السيوف عنه عطاشا غير مرتوية من دمه، فقد تمنى من شدة جزعه وهيبته أن كل حصن من حصونه غار يدخل فيه، وأن كل مدينة من مدنه جبل اشم، ومرتفع يتحصن به.

25 - إلا نفر فقد أقمت وقد رأت عيناك قدر الحرب كيف تفار⁽²⁾

26 - في حيث تستمع الهرير إذا علا وترى عجاج المسوت حين يثار⁽³⁾

يقول لمنويل إن لم نفر عن حصنك البعيد شجاعة ومجدة أو اعتصمت به، فقد رأيت الحرب تسعر، وضرب فوار القدر مثلاً لشدة الحرب، ثم قال في حيث تستمع الهرير أي أقمت بالموضع الذي تستمع فيه أصوات أهل الحرب وهرير بعضهم إلى بعض، وبالموضع الذي ترى غبار الحرب التي هي سبب الموت حين يثار من الأرض ويستخرج منها.

27 - فانظر بعين شجاعة فلتعلمن أن المهام بحيث كنت فرار

28 - لما أتتك فلولهم أمددتهم بسوابق العيرت وهي غزار

يقول لمنويل انظر إلى قتل من خصمك بعين شجاعة ومجدة يتهمك به، فلتعلمن أن مقامك دون مشاهدتك الحرب كالفرار فيما يلحقك من الذم والعار، ثم قال لما أتتك فلولهم الباقون (من جيوشك)⁽⁴⁾، لم تندمهم بأكثر من البكاء والتعزية لهم، فجعلت مكان الدد من سوابق الخيل مدداً من عيرات متساقطة متتابعة في جريها

1 - ص و ت: "جبل اشم".

2 - ص و ح ت: "ومي غار" و ح من: "غمر" بالياء و "أقام" و "عيناه" و ح من و ح ت: إلا نفر فقد أقام وقد رأى عيناه قدر الحرب وهي غزار

3 - من: "تستمع الهرير... ويرى عجاج"، و ح من: "تستمع الهرير... ويرى العجاج".

4 - مقدار كلمتين غير واضحتين في الأصل، والزائدة لتسمة السباق.

29 - وضربت أمثال الذليل وقد ترى أن غير ذاك النقض والإمرار

30 - الصير أجمل والقضاء مسلط فارضوا به والشر فيه خيار

يقول لما أتتك فلول أصحابك وضربت لهم أمثال الذليل تعزية لهم، وأنت عالم بأن النقض والإمرار للأمور في غير ما وضرت لهم من الأمثال مآسي، فقال الصير أجمل بكم من الجزع على ما أصابكم، وقضاء الله مسلط على الخلق، والشر بعضه أهون من بعض فلو خيرتم بين القتل والنجاة على هذه الحال لا اخترتم النجاة.

31 - هيئات جاذبك الأتنة باسل يعطي الشجاعة كل ما تختار⁽¹⁾

32 - يمضي لو أن النار دونك خاضها بالسيف إلا أن تكون النار⁽²⁾

هيئات أي ما أبعد ما رجوت من الظهور على المسلمين حين جاذبك أتنة الخيل رجل باسل شجاع يعطي الشجاعة كل ما تريده وتختار من شدة القتال والجد فيه، ثم قال يمضي مقدما في الحرب لو أن النار بينك وبينه لخاضها إليك بسيفه حتى ينتقم إلا أن تكون نار جهنم فلا يقدم على تحمها لورعه ودينه، والمعنى أنه يتقحم الممالك فيما يرضي به الله عز وجل من الأعمال الصالحة لا فيما يسخطه ويورده النار، وجعل يكون ما هنا بمنزلة تقع وتحدث.

33 - حتى استقاد الحق وهو المشفي منكم وما للدين فيكم ثار⁽³⁾

يقول تقحم إليكم نار الحرب حتى أخذ قود الحق منكم، والحق مشفي لكم، وما للدين ثار فيكم، والمعنى أنهم يشفون بما يدركون من نهك الإسلام ولا يكون للإسلام فيكم شفاء لأنهم غير أكفاء للمسلمين، وهذا كقول زهير⁽⁴⁾:

"وإن يقتلوا فيشتفي بدمائهم". ويحتمل أن يريد أن في قود الحق منكم مشفي بالغا لم يبق معد نار فيكم إلا وقد ناله وأدركه.

1 - ح ص و ت: "يعطي الأتنة"

2 - ح ص و ت: "ففضي" و ص ث: "الطل لو أن النار"... إلا أن تكون النار".

3 - ص و ت: "حتى يوبو الحق" و ح ت: "حتى استعاد الحق".

4 - وبتنعه (وكانوا قديما من منايهم القتل). (شعر زهير: 35).

34 - له در آبی سعید إنه للضيف محض فيه سمار

35 - لما حلت النفر أصبح عاليا للروم من ذاك الجوار جوار

المحض البين الخالص، والسمار المشبوب بالماء حتى يسمر، والجوار شدة الصوت، يقول هو للضيف محض الير لا يشوب به تقصير فيكدره، ثم قال لما جاوزت النفر علا هياج الروم وصخبوا لما ألقوه من مجاورتك إياهم.

36 - واستيقنوا إن جاش بحرك وارتنى ذاك الزئير وعز ذلك الزار⁽¹⁾

37 - أن لست نعم الجار للسن الأولى إلا إذا ما كنت بمنس الجار

الزئير ص ت الأسد، والزار أجمته، يقول علموا أن اشتدت جرأتك عليهم، وكانت كالبحر الجال المضطرب، وعلا زئيرك، وعز زارك، وامتنع عليهم أنك لست نعم الجار لدين الإسلام وسننه الأولى إلا إذا اشتد بأسك على هؤلاء، وكنت لهم جارا يسيء إليهم والأولى إغاها بمعنى الذين، ولا بد لها من علة، فإما أن يكون قد غلط فوضعها موضع الألى، وإما أن يريد الأول فحذف الواو ضرورة.

38 - يقظ يخاف المسرفون شذاته متواضع يعنوا له الجبار⁽²⁾

39 - ذل ركائبه إذا ما استأخرت أسفاره فهموه أسفار

المسرفون الطاغون، والشذاة الحدة، ومعنى يعنوا يذل، ومنه العاني الأسير، والجبار الطاغى المتجبر، يقول هو شديد ذو حدة على المسرفين، فطاغيهم وجبارهم يذل له ويخضع على أنه متواضع لله عز وجل، ثم قال ركائبه ذلل لما عودها من الأسفار، وهمومه أسفار إذا ما تأخرت أسفاره لأنه مهتم بمفكر فيما يضر العدو، فهو إن لم يسافر إليهم، فيخيله وكيدته فيهم تقوم مقامه.

1 - ص و ت: "إذ جاش" ح و ج: "وعز" مكان "وعز"

2 - ح و ت: "المشركون" ح و ج: "موي"

قصد يخاف المشركون شذاته

و "خاف المشركون مكانه"

متواضع حول له الجبار

40 - يسري إذا سرت الهموم كأنه نجم السدجى ويغير حين يغار⁽¹⁾

41 - ضربت به أعراقه في معشر قطب الوغى نصب لهم ودوار⁽²⁾

النصب ما نصب للعبادة، ودوار صنم كانوا يدورون حوله عاكفين به، يقول إذا طرقت الهموم هذا الرجل، وسارت إليه سرى في ليله، فكان كالنجم في خرقة الظلام، فإذا كان الصباح وأغبر النجم أي غيب غار هو على العدو، ثم قال هو كريم الأصل، فأعراقه تضرب به، وتربطه يقوم هم له أصل قد اعتادوا الحرب، فقطبها لهم مدار يدورون حوله، ونصب يعتادونه.

42 - لا يأسفون إذا هم سمت لهم أحسابهم أن تهزل الأعمار

43 - منهم من غرسه أنصاره عند النزال كأنهم أنصار⁽³⁾

يقول هم كرام لا يحزنون أن تهزل أعمارهم لما يلقون من الشدائد إذا كان في هزال أعمارهم ما يكثر أحسابهم ويكملهم، ثم قال منهم أي شجاع بهمة وأنصاره القاتمون بحربه حشم له، وصناع من غرسه، وكأنهم أنصار النبي صلى الله عليه وسلم عند النزال ومضاربة الأقران.

44 - لفظ لأخلاق التجار وإنهم لغد بما ادخروا له لتجار⁽⁴⁾

45 - ومجربون سقاهم من بأسه فإذا لقوا فكانهم أغممار

1 - ع: "حيث" مكان "حين" و ص و ج: "حيث يغار" أي حيث تذكره الغيرة، وأما التبريزي فإنه في شرحه يقول عن - المصري: "...بغير من الغارة" و إذا روي "بغار" فيج الباء فهو من الغيرة على النساء، وإذا روي: "بغار" احتمل أمرين: أحدهما: أن يكون من الغيرة أيضا، والآخر أن يكون من غار النجم: وأغاره الله."

2 - ص و ت: "سقت به أعراقه" و ص و ج: "ضربت له أرواقه في معشر" و ت و ج: "دوار" بضم الدال.

3 - ح و ج: "منيفط" و ح و ج: "من غرسه" و ح و ج: "في بهمة" و ت و ج: "و إن رويت مستهم" فهو أقل تكلفا من "منهم في غرسه" أي في القوم الذين اصطنعهم وعرسهم ومن روي "و بهمة" أراد ذا جماعة كذلك، وينبغي أن روي هذا الوجه أن يدري "من غرسه" فإن رويت "في غرسه" أي الجلبة التي تخرج على الولد، فهو أشد مبالغة، أي هذا المدحوق كان في غرسه مثل النجمة التي عليه لامة الحرب، ولو رويت "منهم في غرسه" لكان ذلك شاهدا لصحة الظاني...

4 - ص و ت: "لغدا" و ص و ج: "لغدا يكسب الصالحات".

يقول (هم أهل) حروب مطروحون لأخلاق التجار لافظون لها كما يلفظ الشيء من القم إلا أنهم غدا تجار بما أعدوا له من الشجاعة وآلة الحرب، والهاء في "له" لغد، والمعنى أنهم عالمون بيوم الحرب علم التاجر بتجارته، ثم قال هم محربون في الحرب بالجرأة والإقدام (والشجاعة) علمهم البأس بما سقاهم من بأسه وغذاهم به من تجده فإذا لقوا العدو (ترى) منهم شدة إقدامهم ورميهم المهالك بأنفسهم⁽¹⁾.

46 - عكف جذل للطنان لقناؤه خطر إذا خطر القنا الخطار

47 - والبيض تعلم أن دينا لم يضع مذ سلهن ولا أضيع ذمار

أصل الجذل عود ينصب للإبل الجربى تحتك إليه، وتشفى به، فضرر مثلا لكل قائم بأمر نافذ فيه، يقول هم عكف في الحرب لهذا المدوح الذي هو جذل للطنان قائم به، ولقناؤه خطر وغرر إذا خطرت الرماح، واضطربت عند الهز محاولة الطعن، ثم قال والسيوف البيض عالمة أن دين المسلمين مجمع غير مضيع عند المشركين مذ سلهن لمحاربتهم، وأن ذمار المسلمين مجمع غير مضيع، والذمار الحرمة.

48 - وإذا القسي العوج طارت نبها سوم الجراد يسبح حين يطار⁽²⁾

49 - ضمنت له أعجاسها وتكفلت أوتارها أن تنقض الأوتار⁽³⁾

يقول إذا طارت نبل القسي المعقطة العوج، وانتشرت على العدو انتشار الجراد إذا سام وإنهم في المرعى، وسام في الهواء، وذهب فيه حين يطير، فاعجاس تلك القسي، وهي مقابضها متضمنة له متكفلة أوتارها أن تدرك الطوائر عند العدو، وتنقض وتذهب، فالأوتار الأولى أوتار القسي، والثانية جمع وتر وهو الذحل والتر.

50 - فدعوا الطريق بني الطريق لعالم كيما يسجر الجحفل الجرار⁽⁴⁾

51 - لو أن أيدىكم طوال قصرت عنه فكيف تكون وهي قصار

الجحفل الجيش العظيم، والجرار الذي يجر بعضها بعضا لكثرة يقول انركوا الطريق، ولا تتعدوا للقطع فيها، كيما يسير جحفله الجرار، فإنه عالم بأمر الحرب قائم به، ويروي أنى يجر.

والمعنى كيف يجر، ثم قال لو كان لكم أيد طوال ترجون بها مقاومته لتقصرتم عنه فكيف وأيدىكم قصار، أي لا طاقة لكم به.

52 - هو كوكب الإسلام أية ظلمة يخرق فمخ الكفر فيها رار

53 - غادرت أرضهم يخيلك في الوغى وكان أمنعها لها مضممار

الرار والريز الحقيف، وهي كلمة عربية واقتت العجمية، قال السليكي يصف فرسا: "تصندل قافلا والمخ رار"⁽¹⁾. والمخ إذا يرق ويخف عند الهزال وسوء الحال. يقول هذا المدوح، نجم للإسلام يضيء به، ويجلو ظلم الكفر عنه، فإذا حاول ظلمة من ظلم الحرب، وخرقها ظهر على أهل الكفر وأخل بهم، وضرب المخ الرار، مثلا لسوء أحوالهم، ثم قال غادرت أرضهم موطوءة، قد صار منيعها مضممارا للخيال، تجيء فيه وتذهب.

54 - وأقمت فيها وادعا متمهلا حتى ظننا أنها لك دار⁽²⁾

55 - بالملك عنك رضى وجابر عظمه أرضى وبالدينيا عليك قرار⁽³⁾

يقول أقمت في ديار المشركين، وادعا متمهلا، حين أدللته بطول إقامتك بها، توهما أنها لك دار إقامة، ثم قال الملك راض عنك مرض لك، وبحق ما يرضيك لأنك جبرت عظمه، وأقمت أوده بإظهاره على الشرك، والدينيا مستقرة بك، ساكنة من أجلك.

56 - وأرى الرياض حوافلا ومطافلا مذ كنت فيها والسحاب عشار⁽⁴⁾

¹ - جاء في لسان العرب مادة (قل) منسوب لحلاف بن نذبة ويقام البيت:

ولأخر عليه منياك سليل نجية لتجيب صدق تصندل لاللا والمخ رار

² - ح من: "يضيء"

³ - ح من: "أقمت"

⁴ - ح من: "دخار" مكان "وجابر"

⁵ - ح من: "عوامل" و ح من: "دأى" و "فارى".

¹ - زيادة يفتضيه السائق.

² - ح من: "يضيء"

³ - ح من: "تدرك" مكان "تنقض"

⁴ - ح من: "أتى بقاد" و ح من: "أتى بخر"

يقول لما كنت فيها، كثر الخير والتعيم لدينا، فرباضنا بك حوافل ومطافل، ذات أطفال، وسحائب كالنوق العشار، التي قرب ولادها، ولم يخلف حملها، وتكون أيضاً، التي قد نتجت. والمعنى أن الرياض مخصبة، والسحاب ممطرة، وإنما يريد كثرة معروفه، ثم قال أيامنا مضية، بك مصقولة الأوائل والأواخر مشرقة، وليالينا طلقة، كأنها أسحار كلها، وإنما أخذ هذا من قول عبد الملك بن صالح وقد قال له الرشيد: "كيف ليل منيح؟" قال له: "سحر كله"⁽¹⁾.

58 - تندى غفائك للعفا وتغندي رفقاً إلى زوارك الزوار

59 - هممي معلقة عليك رقابها مغلولة إن السقاء إسار

يقول من سألك أغنيته، فانتدى على سوائله، ومن زارك، رجع من عندك موفوراً، فزاره الناس رفقاً، يتعرضون إلى معروفه، ثم قال هممي محبوسة عليك، معلقة بك، ووقاؤك موجب ذلك، لأن الوفاء من المرجو إسار لراجيه، والإسار حبل يشد فيه الأسير، ويحتمل أن يريد أن وقائي لك، وحافظتي على كرم عهدك، ملك لي، في تملكي، والاقتصار عليك.

60 - و مودتي لك لا تعار بلى إذا ما كان تامور القواد يعار

61 - والناس غيرك ما تغير حيوتي لفراقهم هل أجندوا أو غاروا

التامور دم القلب، والحيوة ما يجتبي به الإنسان، إذا جلس من رداء أو حمالة سيف، أو حبل وكالرجل المحبي، إذا دهمه أمر يشق حيوته، فيقول مودتي لك لا أعيرها غيرك، إلا إذا أعار الإنسان دم مقلبه، وهذا لا يكون أبداً، والناس لا أبالي فراقهم، وأخذهم في نجد، أو في أغوار غيرك، فإن فراقك أشد شيء علي.

¹ - أورد هذا الأثر ابن خلكان في وفيات الأعيان عن المسعودي قال:

إن هارون الرشيد اجتاز ببلاد منيع ومعه عبد الملك بن صالح وكان أقصع ولد عباس في عصره فطر إلى قصر مشيد وستان معمر بالأشجار كثير التمار، فقال لمن هذا؟ فقال هو لك ولي بك يا أمير المؤمنين، قال: وكيف بناء هذا القصر؟ فقال دون منازل أجلي، وفوق منازل الناس، قال: فكيف مدنتك؟ قال: عذبة الماء باردة الهواء، صلبة الموطأ قليلة الأذواء، قال: فكيف ليها؟ قال سحر كله؟ (وفيات الأعيان ج: 6، ص: 30) ومن ابن خلكان أيضاً أن منيع بلدة بالشام بين حلب والفرات بناتها كسرى لما غلب على الشام، وسماعها منيع، فعبرت قبل منيع، ولكنها وطن البحري كان يذكرها في شعره كنوا. " (وفيات الأعيان ج: 6، ص: 29)

القصيدة [29] * :

وقال يمدح محمد بن يوسف أيضا:

- 1 - أما إنه لولا الخليج المودع وريع عفا منه مصيف ومريع⁽¹⁾
 - 2 - لردت على أبقائها أريحية من الشوق وادبها من الدعم مترع⁽²⁾
- الخليط المخالطون في الدار، ويكون واحدا وجمعا، والمصيف منزلهم في الصيف، والمريع في الربيع، والأريحية الحقة والطرب، والمترع المملوء، يقول لولا أن الخليج ودعنا، فجدد ذكره شوقنا، وأن الربيع عفا منزل الخليط منه في الصيف، وفي الربيع لردنا أريحية الشوق، واستخفافنا لنا على عقبها، ولكنها غلبت علينا، بوداع الأحياء، ويدروس المنازل بعدهم، وأثارت لنا من الشوق دما، جعلنا على أن نأتي من الدعم، مثل الوادي المترع.

- 3 - لحقنا بأخراهم وقد حوم الهوى قلوبا عهدنا طيرها وهي وقع
 - 4 - فردت علينا الشمس واللبل راغم بشمس بدت من جانب الحدر تطلع⁽³⁾
- يقول لما فارقتنا الخليط، سرنا في آثارهم، حتى لحقنا آخرهم، وقلوبنا خافقة مضطربة، هوى وشوقا، وضرب تحويم القلوب مثلا، لحقناها وطيرانها، وضرب الوقع مثلا، لسكونها قبل الفراق، ثم قال لما لحقنا بهم ليلا، أضاءت الشمس من جانب الحدر، بوجه هذه الجارية، على رغم الليل وهوانه.
- 5 - نضا ضوؤها صبع الدجنة وانطوى لبهجتها ثوب السماء المجزع⁽⁴⁾
 - 6 - فو الله ما أدري أحلام نائم أملت بنا أم كان في الركب يوشع

١- القصيدة من البحر الطويل.
٢- ح ص و ح ت: "المودع" بفتح الدال.

٣- ص و ت: "من الهم".

٤- ص: "بشمس لها من جانب الحدر نغم". و ح ص: "طالع" مكان "راغم" و "طلع" مكان "نغم" و ح ص و ت: "واللبل مظلم" و ت: بشمس لهم من جانب.

٥- ص و ت: "فانطوى" و ص ت: "المواج" مكان "المجزع" و ح ص و ح ت: "نقى ضوؤها".

62 - ولذاك شعري فيك قد سمعوا به سحر وأشعاري لهم أشعار⁽¹⁾

63 - فاسلم ولا ينفك يخطوك الردى فينبا وتسقط دونك الأقدار⁽²⁾

يقول لشدة مودتي لك، وكلفي بك، بحسن شعري فيك جدا، حتى كأنه سحر، (وأشعاري في سائر الناس أشعار شائعة)⁽³⁾. ثم قال فاسلم من نواب الزمن، ولا زال الردى يتخطاك إلى غيرك، ولا يقع بك، والأقدار المكروهة، ساقطة دونك، لا تصل إليك.

١- ح ص: "لهم".

٢- ص: "ولا تنفك" و ت: "مخطوك".

٣- زيادة يقتضيه السياق.

الدجنة الظلمة، ومعنى نضا نزع. يقول لما بدت هذه الجارية من الحذر كشف ضوء وجهها لون الظلام، وانطوى أثرها فيه، ونور وجهها ثوب السماء المجزع بالنجوم، كما ينطوي بطلوع الشمس، ثم قال والله، ما أدري أذلك الضياء، كان حلما لا حقيقة، أم كان في المركب يوشع بن نون عليه السلام، فردت الشمس عليه ليلا، ويروي أن الله عز وجل، رد الشمس عليه عند غروبها، وجلس عن الجري إلى مغربها.

7 - وعهدي بها تحيي الهوى وقتيه وتشعب أعشار الفؤاد وتصدع⁽¹⁾

8 - وأقرع بالعنبي حميا عتابها وقد تستفيد الراح حين تشعشع

الأعشار القطع، وشعبها جمعها وملء منها، والعنبي الرضا، والعتاب السخط وحمياه شدته وسورته، ومعنى يشعشع يمزج.

يقول عهدي بهذه الجارية، تحيي هواي بالهجران، وقتيه بالوصال، وتجمع قطع القلب بوصلها، وتصدع بهجرها. ثم قال "وأقرع بالعنبي" أي كلما عنتبت علي، وتسخطت قابلتها بما يرضيها، فيلين ذلك من سخطها، كما أن الحمر تكون شديدة صعبة الانقياد، فإذا شعثت بالماء لانت وانقادت.

9 - وتقفو لي الجدوى بجدوى وإنما يروك بيت الشعر حين يصصر⁽²⁾

الجدوى العطية، ومعنى تقفو تتبع. يقول كانت تتبع الوصال وصالا، وذلك أعجب الوصل، كما أن أعجب أبيات الشعر ما كان مصرعا بقافيتين.

10 - ألم تر آرام الظباء كأنهما رأت بي سيد الرمل والصبح أدرع⁽³⁾

11 - لئن جزع الوحشي منها لرؤيتي لأنسيها من شيب رأسي أجزع السيد الذئب، والأدرع الذي فيه سواد وبياض الفجر. يقول مررت بالسحر، يسرب من ظباء، فنفرت مني، وفزعت نفورها من ذئب الرمل، ثم قال إن كان وحشي

الظباء جازعا مني، عند رؤيته لي، فالإنسي منها يعني النساء، أجزع من شيب رأسي. والمعنى أن الشيب يحملهن على التباعد منه.

12 - غدا لهم مختطافودي خلسة طريق الردى فيها إلى الحق مهيع⁽¹⁾

13 - هو الزور يجني والمعاشر يجتوي وذو الإلف يقلسى والجديد يرقع⁽²⁾

الفودان جانبها الرأس، والطريق المهيع هو الواسع، ومعنى يجتوي يكره، يقول غدا لهم، قد اختط، وأجاز لنفسه، برأسي خطة من الشيب، نزل بها، طريق الهلاك فيها إلى الموت الذي هو الحق بين واسع، ثم قال الشيب زائر يخفى ويتحامي بالخضاب وهو معاصر، ويجتوي ويكره، وهو ذو الإلف يبعض، وهو جديد، كما طلع إلا أنه يرقع بالخضاب.

14 - له منظر في العين أبيض ناصع ولكنه في القلب أسود أسفع

15 - ونغن تزجيه على الكره والرضى وأفأ الفتى من وجهه وهو أجدع⁽³⁾

يقول لون الشيب في العين حسن، لأنه أبيض ناصع، ولكنه في القلب قبيح مكروه، لأن لونه فيه أسود أسفع، ثم قال ونغن تزجيه، أي تختمله ونسوق أمرنا معه ضرورة، لأنه شعرنا وقطعنا منه، كما أن أنف المجدوع منه، وإن كان أجدع فهو يحمله، ويصير عليه راضيا وساخطا.

16 - لقد ساسنا هذا الزمان سياسة سدى لم يسها قط عبد مجدع

17 - تروح علينا كل يوم وتغتدي خطوط كأن الدهر منهن بصرع

يقول إن الزمان تغير، وساس أهله شر سياسة، لأنها سدى مهمل، لا نظام لها ولا ترتيب، فلم يأت بمثلها قط عبد مجدع الأنف ذليل ساقط، ثم قال يأتينا كل يوم مخلوط، يبدو فيها حزنه وجنونه، فكانه يصرع جنونا.

1 - م و ت: "منها إلى النفس" مكان "فيها إلى الحق" و ح ت: "سبل الردي".

2 - ح م ن: "دونه" مكان "يجتوي".

3 - م: "على السخط".

1 - ح م ن: "القلب" مكان "الفؤاد".

2 - م و ت: "وتقفو إلى الجدوى".

3 - م ش: "والليل أدرع".

- 18 - حلت نطف منها للنكس وذو الحجى يداف له سم من العيش منقوع⁽¹⁾
النظف المياه، ومعنى يداف يمزج. يقول هذه سياسة الزمان، فما تخلو مياهه،
إلا للنكس الدني من الرجال، وهي للعامل ذي الحجى، فكأنما يمزج له في عيشه سم منقوع.
- 19 - لقد آسف الأعداء مجد ابن يوسف وذو النقص في الدنيا بذى الفضل مولع
20 - أخذت بحبل منه لما لويته على مر الأيام ظلت تقطع
يقول آسف مجد هذا الرجل أعداءه، وأحزنهم حسدا له، وولوعا بمنافسته،
لأنه فاضل وهم ذوو نقص، وذو النقص مولع أبدا بذى الفضل، ثم قال أخذت بحبل منه،
اعتصمت به من الزمان، وكلما ألويته، وقتلته على مر الزمان، وقوى خطوبه، ظلت
تقطع، وتذهب صفوفا.
- 21 - هو السيل إن واجهته اقتدت طوعه وتقتضاه من جانبيه فيتبع⁽²⁾
22 - ولم أر نفعاً عند من ليس ضائرا ولم أر ضرا عند من ليس ينفع
يقول هو لمن ناواه، وواجهه بالشدة والعنف، كالسيل إذا قوبل، وهو لمن اقتاد
له، وسيره من ناحيته، بالرفق والتليس، كالسيل يسير من ناحيته، فيتبع وينقاد. ثم قال
هو ينفع الولي، ويضر العدو، ومن لم يستطع ضر العدو، فليس يستطيع نفع الولي.
- 23 - يقول فيسمع ويمشي فيسرع ويضرب في ذات الإلاه فيوجع⁽³⁾

1 - من ت: "و ذو النهى" وأورد التبريزي بعد هذا البيت بيتا لم يرد في رواية الشنمري وهو:
فإن بك أعملنا فأضعف بسعينا وإن بك أجونا فقيم تنعم

وقال محقق شرح الصولي قبل أن يثبت من أين المستوفي إنه لم يذكر إلا في نسخة التبريزي.
2 - من ش: ويروي:

هو السيل إن جاذبه اقتدت طوعه وتقتضاه بالسرفق منك فيتبع
و ح من: "ولم أرضيرا" و ح ت: "وتقتاده بالرفق منك".
3 - ح من: "يقول فيسمع ثم يمضي".

- يقول هو جهير الصوت، فإذا قال أسمع، ومجد في سعيه، فإذا مشى أسرع
ومجتهد في الدين، فإذا ضرب في جد أوجع، وإنما أخذ هذا من قول عائشة، في عمر
رضي الله عنه: "كان عمر إذا مشى أسرع، وإذا تكلم أسمع، وإذا ضرب أوجع"⁽¹⁾.
- 24 - معر له من نفسه بعض نفسه وسائرنا للحمم والأجر أجمع
25 - رأى البخل من كل فظيعا فعافه على أنه منه أمر وأفزع⁽²⁾
المعر الشديد الخلق. يقول هو جلد في الرجال قوي، إلا أنه يحمل نفسه،
أكثرها فيما يحمد به، ويؤجر عليه، دائما له من نفسه بعضها، أي لا يخلد إلى راحة
ولذة، إلا في القلنات، ثم قال هو جواد يستعظم البخل، من جميع الناس، ويكرهه لهم
فهو يعافه لذلك، ويكرهه لنفسه، على أنه يراه من نفسه، أشد وأفزع.
- 26 - وكل كسوف في الداراري شنة ولكن في الشمس والبدر أشنع
27 - معاد الورى بعد الممات وسببه معاد لنا قبل الممات وممرج
يقول البخل من جميع الناس، شنع عنده، كالكسوف في النجوم، إلا أنه
عنده، إذا كان من نفسه، ككسوف الشمس والقمر، في تنامي الشنة.
- ثم قال، هو يبدي فينا، سببه ومعروفه، ويعيدهما قبل الموت، على أن ميعاد
الورى، إنما هو يوم القيامة بعد الممات.
- 28 - له تالذ قد وقر الجود هامه قفرت وكانت لا تزال تفرع⁽³⁾
29 - إذا كانت النعمى سلوبا من امرئ غدت من خليجي كفه وهي متبع⁽⁴⁾

1 - جاء في الكامل لابن الأثير: رأت الشفاء بنت عبد الله قتيبا يقصدون في المني ويتكلمون رويدا. فقالت ما هذا؟
قالت: نساء! فقالت: كان والله عمر إذا تكلم أسمع، وإذا ضرب أوجع، وهو والله ناسك حقا".

(الكامل ج 3: 59-60) ولم أجد منسوبا إلى عائشة رضي الله عنها.
2 - ح من: "كفيما".

3 - من: "تفرع". و ح من: "وفر الهام هامه" مكان "وفر الجود" و "تفرع" و "تزوج" و "لنا تالذ قد وقر الجود هامه"
و ت: "و كانت قبل ذاك تفرع".

4 - ح من: "من خليجي غيو".

التائد المال القديم الموروث، والهيام الرأس، والسلوب الناقة لا ولد لها، والمتبع ذات الولد، يقول لم يزل يعطى، وينهب تالده، حتى أنش وألف ذلك، فقتر هامه، وسكتن بعد أن كانت في أول عطائه، تنزع وتنفر، ثم قال إذا كانت نعمة غيرك، لا تتبعها نعمة أخرى، فكانت كالسلوب من الإبل، فعمك متبعة بنعمة أخرى، بمنزلة المتبع من الإبل، وأراد من خليجي كفه، فاجتري بالواحد، أو يكون جعل للكف خليجين، لعطائه مرة بعد مرة.

30 - وإن عثرت سود الليالي وبيضها بوحده أفتيتها وهي مجمع⁽¹⁾
31 - وإن خفرت أموال قوم أكتهم من النيل و السجدوى فكفاه مقطع

يقول إن عثرت بوحده الليالي السود الشديدة، والبيض اللينة، التي تأتي بالرخاء، وصلاح الحال، وافقت وحدته، وهي مجمع، أي وافقت هذا الرجل، يقوم وحده مقام الجماعة. ثم قال فإن خفر غيره المال، وجعله ذمته وحماه، من أن يبغيه النيل والمجدوى، فكف هذا الممدوح، مقطع للمال، تتلف فيه ولا تخفى.

32 - ويوم يظل العز يحفظ وسطه بسمر العوالي والنفسوس تضبيح

33 - مصيف من الهيجي ومن جاحم الوغى ولكنه من وابل السدم مريع⁽²⁾

المصيف من الصيف، والمريع من الربيع، يقول رب يوم من أيام الحرب شديدا، يحافظ فيه على المجد والعز، باستعمال العوالي السمر من الرماح، وتضيق النفوس فيه، بتعرضها للقتال، ثم قال هو لهول، وشدة، واشتعال نار الحرب، كزمن المصيف حرا وصعوبة، وأراد بالصيف القبط، إلا أنه كزمن الربيع لما انصب فيه من الدم الغزير، الذي هو كوابل المطر.

34 - عيوس كسا أبطاله كل قونس يرى المرء منه وهو أفرع أقرع⁽³⁾

يقول ذلك اليوم عيوس، كره المنظر، كسا الشجعان اللقاء فيه، كل قونس، وهو أعلى البيضاء، يرى المرء الذي لبسه، وهو أفرع، وافي الشعر خلقه، وأفرع من لباس القونس، وجعل قوله أفرع وأقرع خيرين، عن هو، كما يقال هو جلود أفضى

35 - وأسمر عمر الأعلى يـؤمه سننجان بجبات القلوب متمتع⁽¹⁾

36 - من اللاني يشربن التبعج من الكلى غريضا ويروى غيرهن فينتقع⁽²⁾

37 - شقت إلى جباره وحومة الوغى وقعتته بالسيف وهو مقنع

يقول رب رمع جمر الأعلى من الدم، التي تشرب دماء الكلى، غريضا طريا، ويروي بذلك الدم الطعن بها دونها فيتقع أي يتناهى ربه، ثم قال شقت حومة الوغى، وخضت غمراتها حتى وصلت إلى جبار ذلك الرمح الحاصل له، فقنعتة (يسيفك أي قطعت به رأسه على أنه كان مقنعا بالسلاح)⁽³⁾.

38 - لنا سندبايا لا تشاب وأرشق وموقان والسمر اللدان ترعزع⁽⁴⁾

39 - وأبر شتوم والبيات وملتقى سنابكها والحيل تردى وتمزع⁽⁵⁾

سندبايا وأرشق وموقان وأبر شتوم⁽⁶⁾. مواضع ظهر فيها المسلمون، وكان صاحب أمرهم، محمد بن يوسف الطائي، والبيات تبييت العسكر والهجوم عليه ليلا. يقول نحن أصحاب هذه الأيام لا تشاب فيها إذ أوقعنا بالمشركين، والرماح اللدان اللينة، عند الهز، ترعزع وتضرب، ثم قال ولنا أبر شتوم والبيات، الذي ظهرنا فيه، ومواضع ملتقى سنابك الحيل، وهي تردى وتسرع، وتمزع تمر مر سريعا.

40 - غدت طلعا حسرى وغادر جدوها جدود أناس وهي حسرى وظلوع

1 - ص: وت: "العوالي" و ح: و ح: ت: "برينة" مكان "يومه" و "ياوساط القلوب".

2 - ص: ش: "معدن قطع" و ح: ت: "قروى معدن".

3 - زيادة بقصبتها السياب.

4 - ص: "لدى سندبايا لا تشاب" و ح: ص: "والهضاب" مكان "لا تشاب" و ح: ت: "إذا سندبايا لا تشاب" و ح: ص: "لا تشاب" و ت: "لدى سندبايا والهضاب وأرشق" و ح: ت: "لدى سندبايا لا تشاب".

5 - ص: وت: "والكناج" مكان "والبيات" و ح: و ح: ت: "أفرع" بالراء، و ح: ص: "أبر شتوم وكناج" بالنصب.

6 - أرشق موضع من بلاد أذربيجان، وهناك أسر الأتقين بابك. (معجم ما استعجم ج 1 : 138).

1 - ح: و ت: ش: "عثرت" و "عيرت" و ح: ص: "أفتيتها" بالنون.

2 - ص: و ح: ت: "الدع" مكان "الدم"

3 - ص: و ت: "أقرع" مكان "أفرع"، وقال الصيرفي في شرحه للبيت: ومنهم من يشد "أقرع" و "أفرع"

41 - هو الصنع إن يعجل ففزع وإن يرث فـ للبرث في بعض المواضع أسرع⁽¹⁾

الحسرى المعيبة، والجد الحظ، والصنع الفعل الجميل. يقول غدت هذه الحبل من قبل العدو، طالعة معيبة، بجهد السفر ومشقته، إلا أنها رجعت بجهد وحظ غادر ذلك الجد، جدود العدو، طالعة حسرى، وهذا مثل، ثم قال صنع الله، عز وجل، ونصره فإن يعجل، ففزع معجل وإن راث وأبطأ، فالرث في بعض المواطن، أجلب للخير، وأسرع في الفائدة.

42 - أظنك آمالي وفي البطش قوة وفي السهم تسديد وفي القوس منزع

43 - وإن الغنى لي إن لحظت مطالبى من الشعر إلا في مدحك أطوع⁽²⁾

يقول غشيتك آمالي، وأنا قوي البطش، شديد السهم، منائي القوس للنزع، والنزع الرمي، والمعنى أنا كما شئت من رجل فاصطنعي، ثم قال وإن الغنى أطوع، إن تهملت بأمرى، ولحظت مطالبى، من الشعر، إلا في مدحك، فليس لي منه لتيسر مدحك علي، وإنما يريد، أن مآثره مشهورة بينة، فإذا رمى وصفها قريت عليه.

44 - فإني إن أهزلت في المحل لم تضع ولم ترع إن أهزلت والروض ممرع⁽³⁾

يقال أهزل الرجل، إذا هزلت إبله. يقول أنت لكثرة جودك وكرم نفسك إن أصابتك خصاصة وأهزلت في مالك، لم يضع من ألم بك، ولجأ إليك على ما بك من حاجة، وكذلك لا ترعى إن هزلت في روض غيرك، وإن كان ممرعا، أي لا تتعرض للضيعة من غيرك، وإن كان بك حاجة وفاقة لكرم نفسك.

45 - رأيت رجاني فيك وحدك همة ولكنك في سائر الناس مطمع⁽⁴⁾

46 - وكـم عائر منا أخذت بضيعه فأضحى له في قلة الخطب مطمع⁽⁵⁾

يقول أنا إذا رجوتك كان رجاني إياك همة ومكرمة، وإن رجوت غيرك، كان رجاني له، مطمعا دما، لأنني أعير بسؤال غيرك، وأنشرف بسؤالك، ثم قال، وكـم عائر مناكبه الزمان لوجهه، فأخذت بضيعه، رافعا له، مقيلا من عثرته، حتى ركب الزمان، وظهر عليه، وصار له مطلع في أعلى خطوبه، وقلة الشيء أعلاه.

47 - فصار اسمه في الثابت مدفا وكان اسمه من قبل وهو مدفع

48 - وما السيف إلا زبرة لو تركته على الحلقة الأولى لما كان يقطع⁽²⁾

يقول صار، اسم العائر منا، مذ نعشته مدفا للزمان وخطوبه، وقد كان اسمه، قبل ذلك، مدفعا مطرودا، ثم قال السيف أول طبعه زبرة حديد فلو ترك على ذلك، ولم يشحذ، ويصقل لما قطع، وكذلك الرجل الفقير منا، لولا افضالك عليه، وتعهذك بالمعروف إياه، ما كان له غناء، في دفع ملمة، ولا كشف نائبة.

50 - قدونكها لولا ليان نسيبها لظلت صلاب الصخر منها تصدع

51 - لها أخوات قبلها قد سمعتها وإن لم ترع بي مدة فستسمع⁽³⁾

يقول خذ هذه القصيدة إليك، بحكمة قوية، لولا لين تغزلها ووقت، لتصدعت من صلابتها، وقوتها، صلاب الصخر، ثم قال لها أخوات من القصاد، قد مدحتك بها، وإن تراخت بي المدة، ولم ترع بي عن طريق الحياة، فستسمع غيرها.

1 - ص و ت: "الموطن".

2 - ح ت: "روى البيت عند الأمدى هكذا:

وأي الغنى لي لو لحظت مطالبى

و ت ش: "و إن الغنى لي لو لحظت مطالبى..."

3 - ص: "أو إنك".

4 - ح ت: "وأنت رجاني".

من الشعر إلا في مدحك أنفع

1 - ص ت: "المجد" مكان "المطعم".

2 - ح ص: "تركها" و ح ت: "قطعة من حديد".

3 - ح ص: "و إن لم ترعني مدة" و "إن لم تجي بي مدني"، و "نزع" و "ح ص و ت: "و إن لم تجني مدني"

و ح ت: "و إن لم ترعني مدني".

القصيدة [30] *

وقال يمدح محمد بن عبد الملك الزيات:

1 - قد نابت الجرع من أروية النوب واستحقيبت جدة من ريعها الحب

2 - ألوى بصيرك إخلق اللوى وهفا بلبك الشوق لما أقفر اللب

الجرع متعطف الوادي، والنوب جمع نائبة، ومعنى استحقيبت، حملت في الحقيقة، والحب السنون، واللوى ما التوى من الرمل، واللب مسترق الرمل، يقول نابت التواب، هذا الجرع، الذي به رفع أروية، وذهبت الحب، مجدته وحسنه، فكانها استحقيته، ثم قال ألوى بصيرك، أي ذهب به، إخلق اللوى وتغيره، وهفا بلبك، أي ذهب بعقلك، واستخفته شدة الشوق به، حين أقفر اللب من الأحبة.

3 - خفت دموعك في إثر الحليط لدن خفت من الكتب القضيان والكتب⁽¹⁾

4 - من كل ممكورة ذاب النعيم لها ذوب الغمام فتمهل ومنسكب⁽²⁾

الكتب الأول، جمع كتب الرمل، والآخر أعجاز النساء، والممكورة الحسنة الخلق النامة، والمهل المنصب، والمنسكب السائل.

يقول مخاطباً نفسه: "خفت دموعك، وأسرعت في إثر الأحبة لما رحلوا، وخلت هذه الكتب من جوار أعجازهن كالكتب، وقدودهن كالقضيان، من كل حسنة الخلق، ناعمة الحال، والعيش ذاب النعيم لها، كما يذوب السحاب للرياح، فينهل عليها، وينسكب فيها.

5 - أطاعها الحسن ونطح الشباب على قوامها وجرت في وصفها النسب⁽³⁾

6 - لم أنسها وصروف البين تظلمها ولا معول إلا الواكف السرب

يقول هي مكينة في الحسن، متناهية فيه، فكانها أمرته باجتماعه فيها، فأطاعها، والشباب منحنط على قوام خلقها ملابس له، والنسب جارته فيه وصفها كلقا بها، والنسب جمع نسبة، وهي النسب بالنساء، ثم قال لما ذهب البين ظالمها لجائرا عليها، لم أنسها، ولا كان لي معول في أمرها إلا البكاء، والواكف من الدمع، السرب السائل.

7 - أدنت نقابا على الحدين وانتسبت للناسطرين بقدر ليس ينتقب⁽¹⁾

8 - ولو تبسم عينا الطرف في برد وفي أفحاح سقتها الحمر والضرب

يقول لما ذهبت راحلة، أدنت قناعها على خديها، كيلا تعرف، إلا أن قدما الكامل الحسن، ينسبها للناسطرين، ثم قال لو أنها ممن يتبسم، لعطفنا عيوننا، في النظر إلى نغمر، كالبرد أو كالأفحاحي، إلا أن غداها وسقتها خمر وضرب، وهو العسل، يريد ما فيها شبهه بالحمر في رفته وطيب رائحته، وبالعسل في عذوبته.

9 - من شكله الدرقي وصف النظام ومن صفاته الأطيان الظلم والنسب⁽²⁾

10 - كانت لنا ملعبا نلهو بزخرفه وقد بنفس عن جد الفتى اللب⁽³⁾

يقول من شكل نغمر الدر في صفاته واتساقه ونظمه، ومن صفاته طيب ظلمه وشبهه، الظلم ماء الفم، والشب برودته وعذوبته، وقيل هو حرقة النغمر، ثم قال كانت لنا هذه الجارية ملعبا نلهو بزخرفه ويهجهت، وفي اللعب تنفيس لجذ الفتى وتقوية له لأن ذلك اللعب يحم نفسه، ويعينها على الجد.

1 - ح من و ت: "ينتسب" و ح ت: "وانتسبت" مكان "وانتسبت".

2 - ح من و ت: "الفتنان" و ح من: "في نظم الجمان".

3 - ح من و ت: "لعبا".

* - القصيدة من البحر البسيط

1 - ح من و ت: "الحليط" مكان "الحليط" و ح من و ت: "جفت" بالميم، و "الكتبان والكتب"

2 - ح ت: "حيث الغمام".

3 - ح من: "على فؤادها وجرت في روحها النسب" و ح من: "على فؤادها وجرت في وصفها" و "جرت في روحها" و ت:

"فؤادها" و "في روحها".

17 - هم سرى ثم أضحي همة أمما أضحت رجا وأمست وهي لي نشب⁽¹⁾

18 - أعطى ونطفة وجهي في قرارتي تصونها الوجنات الغضة القشب

يقول أهممت ليلا بجملتي ذلك الهم على السير إلى هذا المدوح فأصبح ذلك الهم همة أمما قصدا، ثم صارت تلك الهممة رجاء لهذا المدوح قبل لقائه، ثم أمست وقد لقيته فأغنائي فصارته الهممة نشبا، والنشب المال، ثم قال أمعطني وماء وجهي مستقر فيه لم تنزفه المسألة بل صانته وجناتي وهي غضة جديدة غير مبتذلة.

19 - لن يكرم الظفر المعطى وإن أخذت به الرغاب حتى يكرم الطلب⁽²⁾

20 - إذا تباعدت الدنيا فمطلبها إذا تورده من شعبه كتب⁽³⁾

يقول لن يكون ظفر الانسان بما يأمله ويعطاه كريما لا يلحقه لوم حتى يكرم طلبه فلا يكون بمسألة وبذل وجه وإن أدرك بظفره ذاك رغائب الأشياء. وهذا البيت مظافر لما قبله ومثل له، ثم قال من تباعدت عنه الدنيا فطلبها من قبل هذا المدوح، وتورد مطلبها من شعبه أي من طريقه ووجهه قربت عليه، والكتب القريب.

21 - ردة الخلافة في الجلى إذا نزلت وقيم الملك لا الواني ولا النصب⁽⁴⁾

22 - جفن يعاف لذيذ النوم ناظره شحا عليها وقلب حولها يجب⁽⁵⁾

الردء العون، والجلى الأمر الجليل، والواني الفاتر، والنصب المتعب، يقول هو عون للخلافة إذا نابها أمر جليل، وهو القائم بأمر الملك دون أن يفتر أو يشتكي تعباً، ثم قال له جفن لا ينام ناظره شحا عليها و سهرها في تدبير أمورها، وله قلب يجب حولها أي يحقق إشفاقا عليها وتهيبا بها.

1 - ح و ت ش: "واحت" مكان "أضحت".

2 - ح و ت ش: "فيه الرغاب".

3 - ح و ت ش: "لا يكرم الظفر المعطى وإن كثرت به الرغاب" و ح ت: "لا يكرم".

4 - ح و ت ش: "توردها".

5 - ح و ت ش: "قيم الدين".

6 - ح و ت ش: "تافره" و ح و ت ش: "شجى عليها".

11 - وعاذل حاج لي باللوم مأربة باتت عليها هموم الصدر تصطخب⁽¹⁾

12 - لما أطال أرجال العذل قلت له الحزم يثني خطوب الدهر لا الحطب⁽²⁾

الاصطخاب الجلبة واختلاط الأصوات، والمأربة الحاجة، يقول حاج لي هذا العاذل بلومه على ما أردت من السفر حاجة، وذلك أنه أطربه بلومه إياه، وحركه بعذله حتى قامت في نفسه حاجة مهمة من ذلك تقسمتها هموم صدره فكانها تنازعت فيها واصطخبت عليها، ثم قال فرددت عذله لما أطال أرجال، وقلت له لا يثني خطوب الدهر عني ونوائبه إصغائي إلى عذلك ولخطبك، وإنما يثنيها الأخذ بالحزم وتنفيذ العزم في الرحيل إلى هذا المدوح.

13 - لم يجتمع قط في مصر ولا بلد محمد بن أبي مروان والنسوب⁽³⁾

14 - لي من أبي جعفر أخية سبب إن تبق يطلب إلى معروفي السبب

يقول النوب مبعدة مطرودة بجود هذا المدوح، فلا تكون، حيث يكون ثم قال لي منه أخيه، وهي حبل تشد به الدابة ضربها مثلاً لاتصاله به وفواته إليه، يقول إن يبق هذا السبب الذي يثني وبينه أغنائي فطلب السبب إلى معروفي ونيلي.

15 - صحت فما يتمارى من تأملها من فرط نائله في أنها نسب⁽⁴⁾

16 - أمت نداء به العيس التي شهدت لها السرى والقسافي أنها نجسب

يقول صحت تلك الآخية التي بيني وبينه وتأكدت حتى لا يشك من نظر فيها أنها آخية نسب لفرط نائله لي، وتمكن عنايته بي، ثم قال قصدت نداء ووصلتني إلى معروفة العيس من الإنبل، فسرت الليل وقطعت الفياقي والتفغار حتى شهدت السرى والقسافي لهذه الإنبل بأنها نجبية كريمة (لما رأت)⁽⁵⁾ من جلدتها وصبرها.

1 - ح و ت: "الفسى" مكان "الصدر" و ح و ت: "مأربة".

2 - ح و ت: "النوب" مكان "الحطب".

3 - ح و ت: "ولا طرف" مكان "ولا بلد".

4 - ح و ت: "من وجه نائله" و "من غو نائله" و ح ت: "من فيض نائله".

5 - زيادة يفضيها السباق.

23 - طليعة رأيه من دون يعضتها كما انتمى رايي في الغزو منتصب⁽¹⁾

24 - حتى إذا ما انتضى التدبير ثاب له جيش يصارع عنه ماله لجب

الطليعة والراي شيء واحد وهو الذي يصعد في جبل ليحفظ أصحابه ويحرسهم. يقول رأيه حافظ لبيعة الخلافة ومستقرها بمنزلة الراي لأصحابه في الغزو المنتصب في الجبل، ثم يقول هو يعمل رأيه في أمر الخلافة حتى يظهر له التدبير و ينتفضيه كما ينتفضي السيف من غمده، فيتوب له جيش من صحة التدبير مثل الجيش في الدب عن الخلافة إلا أنه جيش لا لجب له أي أنه جيش تدبيره الجيش المعروف.

25 - شعارها اسمك إن عدت محاسنها إذ اسم حاسدك الأدنى له لقب⁽²⁾

26 - وزير حق والي شرطة و رحي ديوان ملك وشيعي ومحتسب

الشعار ما يستعمله الرجل في الحرب وهو أن ينتمي إلى أشرف قومه وأشهرهم مفتخراً. فيقول اسمك شعار للخلافة يُنتمى إليه إذا افتخرت وعدت محاسنها (إذا كان وزيرها حاسدك واسم غيرك الأقرب إليها لقب وهي الخلافة ولا ينتمي)⁽³⁾.. ثم قال أنت وزير لها والي شرطتها تدبر ما يدبر الوزير، وصاحب شرطة الأمر، وأنت صاحب ديوان الملك ورحي معطمه، وأنت شيعي في حب الدولة ومحتسب متدين في أمر الخلافة.

27 - كالأرحي المذكي سيره المرطى والوخذ والملع والتقريب والحلب

28 - عود تساجله أيامه فيها من مسه وبه من مسها جلب

الأرحي جمل منسوب إلى أرحب حي من اليمن⁽⁴⁾، والمذكي المسن، والوخذ وما بعده ضروب من سير الإبل سريعة، والعود المسن، والمساجلة أن تتال منه الأيام،

1 - ح و ج ت: "في التفر" ح و ت: "في القوم"

2 - ص و ت: "لها لقب"

3 - زيادة ينتفضيا السباق

4 - أرحب من قوهم بلد رحب أي واسع، وأرض رحية، وأرحب خلاف باليمن سمي بقبيلة كبيرة من همدان، واسم أرحب مرة بن دعام بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل بن جشم بن غويان بن نوف بن همدان وإليه تنسب الإبل الأرحية. (معجم البلدان ج 1: 144)

وينال منها، وأصله في الاستقاء. يقول هذا المدوح جامع للخطط التي يقوم بهن، فهو كهذا البعير الجامع لضروب السير، ثم قال هو كالعود من الإبل الذي قد تصرف وجرب الأمور، وكابد الأيام فيه من تكاباتها وبها من رد حوادثها وكف شأوها بالصبر والدؤوب في مدافعتها مثل ذلك، وهذا مثل للممدوح لما ينال من الأيام وتنال منه.

29 - ثبت الخطاب إذا اصطكت بمظلمة في رحله ألسن الأقوام والركب⁽¹⁾

30 - لا المنطق للغب يزكو في مقاومه يوما ولا حجة للمهوف تستل⁽²⁾

31 - كأنما هو في نادي قبيلته لا القلب يهفو ولا الأحشاء تضطرب

المقاوم مجالس الجماعات للحكم وغيره، يقول هو ثبت المخاطبة لا يزل لسانه عن الصواب إذا تشاجرت في مجلسه، واصطكت ألسنتهم بالكلام، وركبهم الازدحام، ثم قال لا المنطق للغب الباطل يزكو في مجالسه، ولا حجة للمهوف تسلب منه هيبة وضعفا لأنه قد آمن الحوار عليه، ففسه قوية، ولسانه مطلق بحجته فأما هو في مجلس قبيلته بين أهله لا يهفو قلبه، ويخف جزعا وهيبة، ولا تضطرب أحشأؤه حزنا وإشفاقا من الحوار.

32 - وتحت ذاك قضاء حز شفرته كما يعض بأعلى الغارب القتب

33 - لا سورة تنقي منه ولا بله ولا يحيف رضى منه ولا الغضب⁽³⁾

الغارب قدام ستام البعير، والقتب أداة الرجل، وإذا كان القتب غير واف كان أكثر تأثيره في الغارب، وهذا مثل للغارب وهو من أسير أمثالها. ومنه قول الشاعر:

ألح على أكتافهم قتب عقر⁽⁴⁾

1 - ح و ج ت: "ثبت الجنان" ح و ت: "مظلمة" بنفح الجيم.

2 - ص و ت: "اللو"

3 - ص و ت: "ولا غضب" ح و ت: "جاف" و "ولا تله".

4 - قاله البيت، وصدر البيت: "ألد إذا لا قيت قوما غلبة"

والبيت لقب للشاعر، واسمه غفاني بن بشر، ويكنى أبا يزيد، وسمي البيت بقوله:

تبعث مني ما تبعث بعدما أمرت حياي كلها مرة نضرا

ألد إذا لا قيت قوما غلبة ألح على أكتافهم قتب عقر

(شرح أدب الكاتب: 250).

فيقول تحت ذلك الإصغاء إلى الحضور قضاء حكم فصل قاطع للأمور حز
شفرته كحز القتب للغارب إذ عض به ففقره، ثم قال هو عدل مسو بين الحضور في حكمه
فلا سوترته تنقضي منه على الحضور، ولا به عن تنفيذ حقه، ولا يحيف عن الحق في حال
رضاه ولا في حال غضبه.

34 - ألقى إليك عرى الأمر الإمام فقد شد العناج من السلطان والكرب⁽¹⁾

35 - يعيش إليك وضوء الرأي قائده خليفة إغنا آروء شهب⁽²⁾

العناج حبل يشد في أسفل الدلو إلى عراقها، والكرب حبل يعقد في العراقي
إذا انقطع الكرب أمسكه العناج، فصرقت بها العرب مثلاً في شدة الأمر قال الحطينة: ⁽³⁾.

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكرب

فيقول لما ألقى الإمام أسباب الخلافة إليك تم أمر الملك والسلطان، وقوي
كثرة الدلو إذا جمع فيها بين العناج والكرب. ثم قال يعيش إليك هذا الخليفة أي
يسعدك بأموره وضوء رأيك المصيب قائده إليك، وشبه آراءه بالشهب وهي النيران
والنجوم، ويحتمل أن يريد، وضوء رأيك قائده إليك، أي علمه بصحة رأيك حمله على
أن يقول في الرأي عليك على أن رأيه كالشهاب.

36 - إن تمتنع منه في الأوقات رؤيته فكسل ليث حضور غيله أشهب⁽⁴⁾

37 - أو تلق من دونه حجب مكرمة يوماً فقد ألقيت من دونك الحجب⁽⁵⁾

يقول إن كان الخليفة لا يرى في بعض الأوقات فذلك لعزته، وكذلك كل أسد
مصدر جرب للأشياء ويكرها غيله الذي يستكن فيه أشب لا يوصل.

ثم قال و إن تلق حجب الملك المكرمة دونه فلم يوصل إليه، فأنت وزيره تقوم
مقامه، وقد ألقيت الحجب من دونك، أي أزيلت فلم تحجب أحداً على الوصول إليك،
وتلق من اللقاء، وقد يكون من الإلقاء.

38 - والصبح تخلف نور الشمس غرته وقرنها من وراء الأفق محتجب⁽¹⁾

يقول أنت تقوم مقام الخليفة وتخلفه فيما يراد منه كما أن غرة الصبح تخلف
نور الشمس وإن كان قرنها محتجبا وراء الأفق.

39 - أما القوافي فقد حصنت غرتها فما يصاب دم منها ولا سلب⁽²⁾

40 - منعت إلا من الأكفاء ناكحها وكان منك عليها العطف والحذب⁽³⁾

يقول أنت شديد الغيرة على القوافي فقد حصنت غرتها وحملت فرصتها فلا
يصاب دم منها ولا سلب، وهذا مثل، ثم قال منعت ناكحها من كل من أرادها وخطبها
إلا من الخليفة ومن هو كفء لها، وكنت عليها عاطفاً حديداً مشفقاً براً بها.

41 - ولو عضلت عن الأكفاء أعماها ولم يكن لك في أطهارها أرب⁽⁴⁾

42 - كانت بنات نصيب حين ضن بها على الموالي ولم تحفل بها العرب⁽⁵⁾

الأيام التي لا زوج لها. ومعنى عضلت منعت، والأطهار جمع طهر من
الحيض، وفي الطهر تحتاج المرأة، ونصيب هو نصيب الشاعر الأسود مولى بني أمية⁽⁶⁾.
وكان له بنات يرغب عن أن يزوجهن الموالي لمكانه من بني أمية، وكانت العرب ترغب
عن نكاحهن حيث كان مولى (فابقيت) ⁽⁷⁾ بناته عليه، فضرب أبو تمام بهن المثل لقصاده،

1 - ص و ح ت: "الأرض" مكان "الأق".

2 - ح ص: "موتنها" و ح ص و ح ت: "غرتهما" بكسر العين وقرنها بها.

3 - ح ت: "منعت" بضم النكالم و "الإخوان" مكان "الأكفاء".

4 - ح ت: "ولو عضلت" بضم النكالم.

5 - ص و ح ت: "عن الموالي".

6 - نصيب بن رباح، أبو عجين مولى عبد العزيز بن مروان شاعر فحل، مقدم في السبب والمدايح، كان عبداً أسود لرشد بن
عبد العزيز من كسنة، من سكان البادية، وأشد ألياناً بين يدي عبد العزيز بن مروان، فاشتره وأعتقه. (الأعلام ج
8: 32).

7 - زيادة يقتضها السياق.

1 - ح ص: "إليك ألقى".

2 - ص و ح ت: "بعضي".

3 - ديوان الحطينة: 16.

4 - ح ص و ح ت: "ملك" مكان "منه".

5 - ص و ح ت: "قد كسفت" مكان "قد ألقيت" و ح ص: "يلق" وهو تصحيف و ت ش: "من خلقت".

فيقول للممدوح وكان يلومه على مدح الموالي ومن هو دونه فخاطبه بهذا، فقال له لو منعك القوافي عن أكثافها من الخلفاء، ولم تكن أنت راغباً في تكاثرها إذا أريت في طهرها كانت كينات نصيب في بقائهن لدي وكسادهن علي حين ضن بها على الموالي، وزهدت العرب فيهن فبين أيامي أبداً.

43 - أما وحوضك مملوء فلا سقيت خوامسي إن كفى أرسلها العرب
44 - لو أن دجلة لم تجوج ولجدها ماء العراق لم تحفر بها القلب⁽¹⁾

الخوامس التي ترد لحسن، والأرسل جماعات الإبل ترد الماء متتابعة، والغرب ما يسيل من الماء بين البئر والحوض. يقول أما وعطاؤك معد لي فلا قلت قصيدة ولا جزيت عليها إن مدحت غيرك، وضرب الحوض المملوء مثلاً لكثرة عطائه له، وضرب الغرب مثلاً لعطاء غيره، ثم أكد المثل فقال لو أن دجلة وهي نهر بالعراق لم تجوج إلى الماء وأجدها ماء العراقيين، يعني الكوفة⁽²⁾، والبصرة⁽³⁾، فلم تحفر بها الآبار، أي لو أغنيشتني عن غيرك لم أتعدك بالمدح، ومعنى أجدها أعانها وقوامها على أن لا تجوج إلى حفر قليل للسقي وغيره.

45 - لم ينتدب عمر للإبل يجعل من جلودها النقد حتى عزه الذهب⁽⁴⁾

46 - لا شرب أجهل من شرب إذا وجدوا هذا اللجين فدارت فيهم العلب
كان عمر رضي الله عنه لما كثر الإسلام، وتضاعف الناس، ورأى عزة الذهب وقلته هم أن يجعل مكانه جلود الإبل فيبتدئها ليتسع الناس فقيل له إذن تعز الإبل، وتقل حتى تكون أقل من الذهب، وينقطع نتاجها، فأضرب عن ذلك، فقال أبو تمام لم ينتدب عمر لهذا ولا فكر فيه حتى عزه الذهب، وكذلك أنا لم أنتدب لمدح غيرك حتى حوجتني

1 - من: "لم تحفر لها القلب" و ح ص و ت: "وصاحبها أرض العراقيين" و ح ص و ت: "لو أن دجلة لم تجوج وسبق لها أرض العراقيين". و ح ت: "وأجدها ماء العراقيين" و "أو تجوج صواحبا أرض العراقيين".
2 - الكوفة المدينة الكثرى بالعراق، والمصدر الأعظم، وفيه الإسلام، وهي أول مدينة احتلها المسلمون بالعراق في سنة أربع عشرة، وهي على معظم القرات، سميت بحبل صغير في وسطها كان يقال له كوفان وعليه غطت. 'الروض المطائر: (501)
3 - البصرة بالعراق، وهي كانت قبلة الإسلام، ومقر أهلها، بنيت في خلافة عمر رضي الله عنه سنة أربع عشرة، واخطت عتبة ابن غزوان المنازل بها وبني مسجداً من قصب. (الروض المطائر: 105)
4 - ح ت: "لم ينتدب"

إلى ذلك، ثم أكد هذا المعنى فقال لا شرب أجهل من شرب إذا وجدوا كأس لجين، فأداروا بينهم العلب وهي آتية من جلود واحدتها عليه، وكذا أنا لا أحد أجهل مني إن تعرضت لمعروف غيرك بالمدح، وأنت تقبل علي بمعروفك.

47 - إن الأسنة والمادي مذ كثر - فلا الصياصي لها قدر ولا اليب

المادي الدروع الصافية، والصياصي قرون البقر كانوا يجعلونها على الرماح بدل الأسنة إن صنعت الأسنة لذني نزر فنسبت إليه لذلك.

واليب جلود كانوا يلبسونها بدل الدروع والبش، فيقول مؤكداً لما قدمه لو وجدت عندك ما أريد لم أعد إلى غيرك كما أن أسنة الحديد ودروعه مذكرا لم يكن للصياصي واليب قدر ولا وزن.

48 - لا نجم من معشر إلا و همته عليك دائرة با أيها القطب

49 - وما ضميري في ذكراك مشترك ولا طريقي إلى جدواك منشعب

يقول لا سيد من معشر كالنجم في شهرته وعلوه إلا وأنت قطب تدور همته عليك ويلجأ في أموره إليك، ثم قال لا يشرك في ضميري أحد، ولا ينشعب طريقي إلى جدواك أي طريقي إليها واحدة لا أخرج عنها.

50 - لي حرمة بك لولا ما رعبت وما أوجبت من حفظها ما خللتها نجب⁽¹⁾

51 - بلى لقد سلفت في جاهليتهم للحق ليس كحقي نصرة عجب

52 - أن تعلق الدلو بالدلو الغربية أو يلايس الطنب المستحصد الطنب

يقول لي بك حرمة لم تكن بوكيدة فلولا ما رعبت منها بكرمك وفضلك، وأوجبت من حفظها ما خللتها واجبة، ثم استدرك هذا فقال بلى هي حرمة (أوكد من) حرمة أهل الجاهلية، وذلك أن الرجل الغريب كان إذا استجار بجار عمد إلى البئر التي يسقى منها الماء فالقي دلوه (فإذا علقت بدلو رجل) من الحي استوجب بذلك جواره وكان ما بين ذلك الرجل وبينه، وكذلك إن ضرب قيته إلى جنب قيته (فلايس طنبها

1 - ح ص: "منك" مكان "بك"

طنبه فاتصل به ونزل به⁽¹⁾ كان له بذلك حق وذمام فإن كان مظلوما نصر أشد النصر، وإن كان مطردا قرب وشورك في المال والمنزل، فضرِب أبو تمام هذا مثلا لما بينه وبين محمد بن عبد الملك من أمة الأدب وموامة مع من جعله وقصده بالرجاء والأمل، والطب حبل الحياة، والمستحصد الشديد الفتل.

53 - إن الخليفة قد عززت بدولته دعائم الدين فليعزز بك الأدب⁽²⁾

54 - مالي أرى جلبا سودا ولست أرى سوقا ومالي أرى سوقا ولا جلب⁽³⁾

يقول ليعزز بك الأدب وأهله كما عزت دعائم الإسلام بالخليفة، أي انصر الأدب كما نصرت الدين، ثم قال مالي أرى هذا الحى كالجلب نبتا وسوقا. ولست أرى لها سيقا ولا قولا، ومالي أرى سوقا نافقة لغيري ممن يصطنع، ويحسن إليه ولا جلب عنده، ولا سبب كسبي.

55 - أرض بها عشب جرف وليس بها ماء وأخرى بها ماء ولا عشب

هذا مثل كالذي قبله، يقول أرى قوما كثرت أموالهم وفوائدهم دون سبب يوجب ذلك لهم من أدب وعلم و وسيلة مدح فهم كأرض ذات عشب جرف كثير ولا ماء فيها ينبت ذلك العشب، وأرى نفسي قليلة الفائدة محرومة على أن لي أسبابا وكيدة و وسائل شديدة من ذمام وأدب وشعر فمئثلي مثل أرض بها ماء لا ينبت عسبا فهي أبدا قليلة الخير محرومة.

56 - خذها مغربة في الأرض آنسة بكل فهم غريب حين تغترب⁽⁴⁾

57 - من كل قافية فيها إذا اجتنبت من كل ما يشتهيهِ المدنف الوصب⁽⁵⁾

58 - الجذ والهزل في توشيع لحمتها والنبيل والسخف والأشجان والطرب⁽⁶⁾

المغربة المبعدة في السير، والمدنف الذي أذنفه العشق والمرضى، والوصب الوجع، والتوشيع التنقيش والطرائق في التوب، يقول تبعد في الأرض هذه القصيدة فتغترب فإذا وافقت هما غريبا أنست به وألفته، ثم قال إذا اجتنبت بالسماع ورد منها على النفس كل ما يسلي المدنف الوصب، ويذهب الجذ، ثم قال تصرفت في هذه القصيدة بجد مقترن بنبل، وهزل ممتزج بسخف، وفيها أشجان لمن ذممت، وسرور وطرب لمن مدحت ووصفت، وقوله في توشيع لحمتها أي في حشوها وتضاعفها.

59 - لا تستقي من خفي الكتب روتها ولم تزل تستقي من بحرها الكتب⁽¹⁾

60 - حسبية في صميم الكتب منصبتها إذ أكثر الشعر ملقى ماله حسب⁽²⁾

يقول هذه القصيدة مبتدعة المعاني لم تسترق من خفي معاني الكتب على أنها لجودتها لا تزال الكتب تسترق من معانيها فنظمها، وجعلها حسبية لجودتها وصحة معانيها، والحسب الأصل، وصميم المدح حره وخالصه.

1 - زيادة يقتضيهما السياق

2 - من: "به" و ح من: "فيعزز" و ح من: "دعائم الملك" و ح ت: "قلها الأدب"

3 - من: "ت" و ح من: "فعمما" و ح من: "سوقا" بفتح السين.

4 - ح من: "يفترب" رواية وهو تصحيف.

5 - ح من: "ما يجتنبه"

6 - ح من: "الذل" مكان "الهزل" و ح ت: "الأحران" مكان "الأشجان"

1 - ح من: "لا يستقي" على ما لم يسم فاعله، و ح من: "من جف" و "من حفر" و "لا يستقي من حفر الكتب" بالماء الممثلة. و ت: "لا يستقي من حفر الكتب" و ح ت: "لا يستقي" على ما سمي فاعله، و "من حفر الكتب".
2 - من: "من صميم" و ح من: "ملقى" بالفاء.

القصيد [31] *

وقل يمدح القاسم بن عيسى أبا دلف العجلي⁽¹⁾:

- 1 - على مثلها من أربع وملاعبب أذيلت صمونات الدموع السواكب⁽²⁾
 - 2 - أقول لفرحان من البين لم يصف ريس الهوى بين الحشى والترائب⁽³⁾
 - 3 - أعني أفرق شمل دمعي فأنسي أرى الشمل منهم ليس بالمقارب
- الملاعبب جمع ملعب، والجواري من أفنية الربوع، والفرحان الذي لم تصبه المصائب، وأصله من الماء القراح، وهو الخالص العذب، ويقال للذي لم تخرج عليه الجدرى فرحان، ورسيس الهوى ما يطن منه وداخل القلب.
- يقول على مثل هذه المنازل يذال من الدموع ما كان مصونا في الشؤون حزنا لتغيرها.
- ثم قال أقول لصاحبي وهو لم يصب بالبين ولا بالعشق ولا أضاف الحب بين حشاه وترائب صدره، أعني على البكاء ساعدني عليه بوقفة في الديار حتى أفرق بين ما اجتمع (من دمعي فاستريح من عذلك)⁽⁴⁾.
- 4 - وما صار يوم الدار عذلك كله عدوي حتى صار جهلك صاحبي⁽⁵⁾

* القصيدة من البحر الطويل.

1 - القاسم بن عيسى بن إدريس بن مغفل، من بني عجل بن لحيم، أمير الكرخ قلعة الرشيد العباسي أعمال "الجيل" ثم كان من قادة جيش المأمون، وأخيار أوجه وشجاعة كثيرة، وللشعر فيه أماديج توفي ببغداد في سنة 226هـ. (الأعلام ج 5: 1179)

2 - ح ت: "السوابب"

3 - ح ص و ت: "نحت الحشا" و ح ص و ت ث: "لم يصف"

4 - ما بين المعقوف غير واضح في الأصل، ومعنى الزيادة من شرح الصولي للبيت.

5 - ص: "فما صار في ذا اليوم" و ص ث: "قروى: فما كان في ذا اليوم" و ح ص و ت: "فما صار يوم الدار".

و "حتى صار حلقك صاحبي" و ت: "وما صار في ذا اليوم عذلك كله"

وقال البصري في شرحه للبيت وقروى:

وما زال يوم الدار عذلك كله عدوي حتى صار عذرك صاحبي

5 - وما بك إركابي من الرشد مركبا ألا إنما حاولت رشد الركايب⁽¹⁾

يقول امتنعت من الوقوف معي على هذه الدار حتى أقضي الوطر منها ببيكاني، وجعلت تعذلي لأنك غير صب بأهلها، فعذلك عدولي مخالف لشعوتي، ولم يكن عذلك عدوا لي حتى كان جهلك الهوى صاحبا لي فأنما أعذرك بجهلك وغو من هذا قول بشار:

هجرت محلي لشغلي بهمم ولو قد عشقت لواصلنتي⁽²⁾

ثم قال لم يكن قصدك إذ عذلتني على الوقوف في الديار أن ترشدني، ولكنك حاولت أن تريح الركايب ولا تتبعها بالتعريح عن الطريق والعدول إلى الديار والوقوف عليها.

6 - فكلني إلى شوقي ورسير الهوى إلى حرقاتي بالدموع السواكب⁽³⁾

7 - أميدان لهوي من أتاح لك البلى فأصبحت ميدان الصبا والجنايب⁽⁴⁾

8 - أصابتك أهكار الخطوب فشتتت نواك بأبكار الأطباء الكواغيب⁽⁵⁾

يقول أنت لا تساعدني بالوقوف بالديار فسر ودعني وشوقي فإن الهوى سكب الدموع السواكب السائلة وسيرها إلى حرق الحزن فيردها وأذهب لا عجبها، ثم قال مخاطبا للربع أميدان لهوي الذي كنت أجول في ساحته، ويتردد لهوي فيه من قدر لك البلى و () (6) القدم، فأصبحت للرياح ميدانا تجول فيه آثارك، ثم قال أصابتك

1 - ح ص: "ولكنما حاولت".

2 - بشار بن برد الضمر الشاعر، وهو في أول مرتبة المحدثين من الشعراء المجيدين فيه، وشعره كثير سائر، توفي سنة 168هـ. (وفيات الأعيان ج 1: 271) وقال علق شرح الصولي: لم أجد هذا البيت في نسخ دواوين بشار المتيسرة لدي.

(شرح الصولي لديوان أبي تمام ج 1: 277).

3 - ح ص: "وسر أسير الهوى" والألف هنا زائدة، و ح ص و ت: "السوابب"

4 - ص و ح ت: "الردى" و ص ث و ح ت: "الردى" و "من أتاح بك الردى" و ح ص: "الندى" وهو غريب و ح ت: "الهوى"

5 - ص و ح ت: "هواك" و ت: "هواي".

6 - كلمة غير واضحة في الأصل.

خطوب أبكار لم يعهد مثله في الشدة فشتت نواكب طباءك الكواكب الأبكار، يعني النساء.

- 9 - وركب يسافون الركاب زجاجة من السير لم تقصد لها كسف قاطب
10 - قد أكلوا منها الغوارب بالسرى وصارت لها أشباحهم كالغوارب⁽¹⁾
القاطب المازج، والغوارب قدام الأسمه، والأشباح الشخص.

يقول رب ركب يستعملون الإبل بأشد السير وأحنته وضرب الحمر التي لا تمزج مثلاً لشدة السير لأن الحمر ما لم تمزج فهي شديدة، ثم قال لكثرة دؤوبهم في السير وعنفهم بها قد هزلت حتى انحطت غواربها ولزمتها شخصهم حتى صارت كظهورها من الهزال.

- 11 - يقود نواصبيهم جذيل مشارق إذا آبه هم عذيق مغيار⁽²⁾
12 - يرى بالكعاب الرود طلعة نائر وبالعمرس الوجشاء غرة آيب

الجذيل تصغير جذل وهو عود ينصب للإبل تحتك إليه فتشقى به، ومنه قول الأنصاري يوم السقيفة: "إننا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب"⁽³⁾. والعذيق تصغير عذق وهي النخلة، والمرجب المشتد، وهذا مثل يضرب لكل من كان عالماً بشيء، وهذا "التصغير معناه التخميم والتعظيم، ونحو هذا في كلامهم كثير كما قال لبيد: "دويبة تصغر منها الأنامل"⁽⁴⁾. يعني الموت وهو من أعظم الدواهي. يقول يتقدم هؤلاء الركب، ويقودهم رجل عالم بالمشارق والمغرب ذو ناب شارف ومنصب شريف يسند إليه فهو في رأيه كالجدل الذي يستشفى به وفي شرفه وكرامته كالنخلة المرجية، ثم قال لمحبيته في السفر يرى برويته الكعاب الرود الناعمة الخلق لانتماعه بالسفر وإعراضه عن اللهو والغزل طلعة نائر أي أتى لنار له، ويرى بالناقة العمرس الشديدة لمحبيته فيها غرة آيب من سفر بطراً على أهله.

1 - ص و ت: "صارت" و ت ش: "صارت لهم أشباحها كالغوارب".

2 - ص و ت: "يصرف صراها" و ح و د: "يقود نواصبا" و "يسوق نواصبيهم".

3 - جميع الأمثال ج 1: ص 31

4 - وصدر البيت: (وكل أناس سوف تدخل بينهم) والبيت من قصيدة للبيد في رثاء الصعلان بن النضر. (ديوانه: 132)

- 13 - كان له ضغنا على كل جانب من الأرض أو شوقاً إلى كل جانب⁽¹⁾

- 14 - إذا العيس لاقت بي أبا دلف فقد تقطع ما بيني وبين النواصب⁽²⁾

يقول هو مسافر أبداً لا يقيم بموضع، فكان له ضغنا على كل جانب من الأرض فهو يرحل عنه، أو شوقاً إلى كل جانب فهو يرحل عنه، ثم قال إذا لقيت أبا دلف وأعلمت به فالنواصب تغارقي فينقطع ما بيني وبينها.

- 15 - هنالك يلقى الجود في حيث قطعت تئامسه والمجد وفي الذوائب⁽³⁾

- 16 - تكاد عطاياه بجن جنونها إذا لم يعوده بنغمه طالب⁽⁴⁾

التئام معاذ الصبيان، والنغمة الصوت. يقول عند هذا المدحود يلقى الجود قد نشأ وقطعت تئامه لما ترعرع، وهذا مثل، والمعنى أن الجود ولد عنده، والمجد عنده كامل قد وفقت ذوائب شعره وقت، ثم قال قد عود المال أن يعطيه ويبدله حتى أنس بذلك، فتكاد عطاياه تجن ما لم يجعل صوت سائل معاداة لها.

- 17 - تكاد مغانيه تهش عراصها فترك من شوق إلى كل راكب⁽⁵⁾

- 18 - إذا أخذته هزة المجد غيرت عطايها أسماء الأمانبي الكواذب⁽⁶⁾

المغاني المنازل. يقول قد ألفت منازل السؤال والراغبين في المعروف، فتكاد تركب عراصها إلى كل راكب إليها شوقاً إليه وطرباً، ثم قال إذا اهتز وارتاح للمعروف غيرت هباته أسماء الأمانبي الكاذبة إلى أن تكون صادقة محققة. أي كل أمنية كانت تنسب إلى الحبيبة، فيقال خاب أمله وكذبت أمنيته، تقلها هذا المدحود إلى أن يقال فاز بالأمل وسعد وصدق رجاءه وتحقق.

1 - ص و ت: "كان له ضغنا"

2 - ح و د: "واقفت بي"

3 - ص و ت: "لقى الجود حيث قطعت" و "مرخي" و ح من: "الجود" و ح ت: "يلقى الجود في حيث قطعت".

4 - ص ش: "بنغمه راغب" و يروي: "بنغمه" وهو تصحيف و ت ش: "بنغمه طالب" و ح ت: "بنغمه طالب" وهو تصحيف.

5 - جاء هذا البيت في ص و ت بعد البيت التالي له.

6 - ص و ت: "إذا حركته".

19 - إذا ما غدا أغدى كريمة ماله هديا ولو زفت لألام خاطب⁽¹⁾

20 - يرى أقيح الأشياء أوبة أمل كسته يد المأمول حلة خائب⁽²⁾

الهدى العروس، والزفاف أن تهدي إلى زوجها، يقول هو جواد كريم لا يبالي أين وضع جوده، فهو يهدي أكثر ماله إلى من سألته وإن كان ألام سائل، ثم قال: أقيح شيء عنده أن يرجع أمله عنه خائبا، وضرب الحلة المكسوة مثلا.

21 - وأحسن من نور يفتحته الندى بياض العطايا في سواد المطالب⁽³⁾

22 - إذا أجمت يوما لجم وحولها بنو الحصن نجل المحصنات التجاني⁽⁴⁾

يقول أبياديه البيض في مطالب السائلين السود أحسن عنده من نور أصابه الندى ليلا فاصبح وقد تفتحت عنه أكمامه، وجعل الأيادي بيضا لحسنها وإشراقها للسائل، وجعل المطالب سودا لفتح المسألة وذله، ثم قال إذا أجمت لجم الحيل للحرب وقد أحاط بها بنو حصن الكرام النجباء فإن المنايا أقاربهم. ولجم هو أبو عجل بن لجم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، وحصن هو ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي ابن وائل، وهم ردهط أبي دلف العجلي⁽⁵⁾.

23 - فإن المنايا والصوامر والفتى أقاربهم في الروع دون الأقارب⁽⁶⁾

24 - جحافل لا يتركن ذا جيرة سليما ولا يحربن من لم يحارب

الجحافل الجيوش، والجيرة الكبر والعنوة، ومعنى يحربن سليمان، يقول هم أعة كرام فلا يتركون حيا طاغيا سالما يسالمون من هو مسالم لهم غير محارب.

25 - يمدون من أيد عواص عواصم تسور بأسيايف قواص قواضب⁽¹⁾

26 - إذا الحيل جابت قسطل الحرب صدعوا صدور العوالي في صدور الكتائب

العواصي الطوال، كأنها لطلوها يعصى بها كما يعصى بالعصى والسيف، وتكون العواصي بمعنى ممنوعة على من رامها وأنها عاصية له، والسورة السطوة.

يقول يمدون في الحرب أيديا طولا ممنوعة تصعم من إعصم بها، تسطو تلك الأيدي بسيف قاطعة على من ضرب بها، ثم قال إذا حرقت الحيل غبار الحرب كسروا صدور الرماح في صدور المساكر أي في أوائل الحيل المتقدمة، وأضاف الصدور إلى العوالي تبيينا. والعوالي هي صدور الرماح.

27 - إذا افتخرت يوما تميم بقوسها فخارا على ما وطدت من مناقب⁽²⁾

28 - فأنتم بذى قار أمالت سيوفكم عروش اللذين استرهنوا قوس حاجب

أراد قوس حاجب بن زارة التميمي⁽³⁾. وكان قد رهنها عند كسرى في ضمانه بني تميم، وكانوا قد توجهوا إليه بجذب أصابهم منتجعين فأبقاهم كسرى على رعيته فضمن له حاجب بن زارة ألا يدغروا به، وجعل قوسه رهنا في ذلك فقتلهم كسرى. ويوم ذي قار هو اليوم الذي ظفرت فيه ربيعة بجند كسرى وظهرت عليها. وكان رئيسهم ذلك اليوم سيار بن حنظلة العجلي. يقال إن يوم ذي قار كان قبل يوم بدر، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم وبني نصرنا"⁽⁴⁾. فيقول أبو تمام إذا افتخرت تميم بقوسها التي وطدت لهم المناقب فأنتم أشد فخرا منهم لأنكم هدمتم ملك العجم اللذين استرهنوا قوس حاجب التميمي.

1 - ص و ت: "تسور بأسيايف" و ص و ح: "من أيد طوال" و ح ت: "تسور بسانن" و "تطول" و "عواص عواضب" و "طوال عواضب".

2 - ص و ت: "زادت" مكان "فخارا".

3 - حاجب بن زارة بن عدى الدارمي من سادات العرب في الجاهلية، كان رئيس تميم في عدة مواطن، وهو الذي رمن قوسه عند كسرى على مال عظيم و وقى به، أدرك الإسلام وأسلم، وبني النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات بني تميم، فلم يلبث أن مات. (الأعلام ج 2: 153).

4 - معجم ما استمع ج 2: 1042 - 1043.

1 - جاء هذا البيت في ص و ت بعد البيت (نكاد مغانيه نهش عراضها).

2 - ح ص و ت: "أب مكان أمل".

3 - ص و ت: "نفعه الصبا" و ح ت: "وأحسن من روض".

4 - ح ص: "لجم حولها".

5 - ثعلبة بن عكابة بن بكر بن وائل، من العدنانية، وهم بنو ثعلبة ابن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، كان فيهم العدد، منهم بنو شيبان بن ثعلبة وبنو دهل بن ثعلبة (معجم قبائل العرب ج 1: 145).

6 - ح ص و ت: "أقاربكم".

- 29 - محاسن من يجد متى يقرنوا بها محاسن أقوام تكن كالملعب⁽¹⁾
محاول ثارا عند بعض الكواكب⁽²⁾
- 30 - معال تادت في العلو كأنما يقول إذا قرنت محاسنها التي يمدحون بها محاسن غيرهم وقعت دونها، فكانت محاسن غيرهم كالملعب، ثم قال معالهم أبدا صاعدة متعادلة في العلو إلى السماء فكانها تطلب ثارا عند النجوم.
- 31 - وقد علم الأفشين وهو الذي به يصاب رداء الملك عن كل جاذب⁽³⁾
أهائي تسفي في وجوه التجارب⁽⁴⁾
- 32 - بأنك لما اسحتك الأمر واكتسى يقول الأفشين بمنع الملك ممن أراحه، وضرب جذب الرداء مثلا، ومعنى "اسحتك الأمر" أي اشدد من الحرب، وإنما يريد يوم لقاء بابك، وأبو دلف قد أبلى ذلك اليوم بلاء حسنا حتى حسده الأفشين، وهم يقتله حين قدم وتخلصه ابن أبي دؤاد، والأهائي الغيرات، وهي جمع أهباء، وأهباء جمع هبوة، ومعنى تسفي تطير، والمعنى أن أمر الحرب أظلم وأشكل على الأفشين، وعمت عليه التجارب حتى استعمل أبو دلف رأيه فانجلى وتبين.
- 33 - تجلته بالرأي حتى أريسته به ملء عينيه مكان العواقب⁽⁵⁾
جرت بالعوالي والعناق الشوارب⁽⁶⁾
- 34 - بارشق إذ سالت عليهم غمامة يقول لما أظلم أمر الحرب على الأفشين علوت في ذلك الأمر برأيك حتى أريت الأفشين عواقبه، ثم قال ذلك بارشق وهو موضع لقوافيه بابك فهزموه، وأراد بالغمامة شدة الحرب، ولذلك قال جرت بالعوالي أي سالت تلك الغمامة عليهم بالرماح والحيل العناق الضمر.

1 - ص و ت: "قرنوا".
2 - ص و ت: "كأوامر جلت في علو كائنها" و ح ت: "معال تعالت".
3 - ص و ت: "من كل جاذب" وهو تصحيف.
4 - ح من: "استحل النصر" و ح و ت: "لما استحل الأمر".
5 - ح من: "تجلته بالماء المعجمة" و ح و ت: "تجلته بالرأي" و "تجلت بالماء المعجمة".
6 - ح من: "صابت" و "الفا والشوارب".

- 35 - نصبت لهم سيفين رأيا ومنصلا وكل كنجم في الدجينة تاقب⁽¹⁾
وكتت متى تهزز لحطب تغشه ضرائب أمضى من رفاق المضارب⁽²⁾
- يقول أظهرت لبابك وأصحابه سيفين أحدهما رأيك، والآخر منصلك، وبكل واحد منهما نافذ في غمرات الحرب يقود النجم التاقب في الظلمة. ثم قال إذا هزرت لحطب شديد غشبه أخلاقك التي هي أمضى وأقطع للأمور من السيوف الرقاق المضارب فجلبت ذلك الحطب وأذهبت.
- 37 - فذكرك في قلب الحليفة بعدها خليفتك المقيى بأعلى المراتب⁽³⁾
فإن تنس يذكر أو يقل فيك حاسد يفصل قوله أو تنأ دار تصابق⁽⁴⁾
- يقول ذكرك بعد تلك الوقعة الكريمة في قلب الحليفة خلف منك يقفك أي يحصك بأعلى المراتب، ثم قال فإن نسيت يذكر، وإن قال فيك قاتل طاعن عليك فالقوله أي أبطله وأهلكه، وإن نأت بك دار فهو مصابك قريب أي ذكرك قريب من الحليفة وإن بعدت.
- 39 - فأنت لديه حاضر غير حاضر جميعا وعنه غائب غير غائب⁽⁵⁾
يقول أنت عند الحليفة حاضر بذكرك لك، وإن كنت غير حاضر الشخص، وأنت غير غائب بتصلحك، وإن كنت بعيدا عنه.
- 40 - إليك أرحنا عازب الشعر بعدما تهل في روض المعاني العجائب⁽⁶⁾
غرائب لاقت في فنانك أنسها من البحر فهي الآن غير غرائب⁽⁶⁾

1 - ص و ح ت: "نصبت" و ح من: "نصوت لهم رأين" و "نصوت لهم سيفين" و "نصبت لهم سيفين".
2 - ص و ح ت: "سلك لهم سيفين".
3 - ص: "وقاب" و ح من: "قرته".
4 - ص و ت: "المعالي" مكان "المقلى".
5 - ص و ت: "تذكر" و ح من: "فإن تنس تذكر" و "فإن ينس تذكر" و "رأيه".
6 - ح و ت: "عجائب" و ح من: "عج حاضره".
7 - ص و ت: "من المجد" و ح من: "من الجود" و ح ت: "من اليوم".

يقول كانت مواهب المجد والكرم ملتبسة بينها بجوده، والقاسم بن عيسى هو أبو دلف. ثم قال إنني لأرجو أن تردني مواهبه عاجلا كالبحر في كثرة الغنى حتى ترجى مواهي فأعتمد (لدى العتفين)⁽¹⁾.

الغارب ما بعد في المرعى وإراحته رده مع الليل إلى مراحه، وهذا مثل، والمعنى أن الشعر تمهل في الفكر، وتردد في المعاني العجيبة، ثم جلب إلى هذا المدح، وإنما جعل جمعه لمعاني الشعر وتخصيله في الرواح والليل لأن الفكر يخلص بالليل، ويستفرغ لقبول الأشياء، ولذلك قال النابغة: "صدر أراح الليل عازب همه"⁽¹⁾. وقوله: "غرائب" أي قوافي غريبة في معانيها (و فوائدها لقن من مجدك وذكرك ما أنست به من البحر)⁽²⁾. فصارت غير غرائب.

42 - ولو كان يبنى الشعر أفناه ما قرت حياضك منه في العصور الذواهب⁽³⁾

43 - ولكنه صوب العقول إذا أجليت سحاب منه أعقبت بسحاب⁽⁴⁾

يقول لو أفنى الشعر كثرة المدح والوصف لأفناه ما جمعت منه حياضك على قديم الدهر، ولأفناه مدحك على كثرتك، ولكن الشعر يبعثه وينتج. فكلما أجليت سحاب منه، وهذا مثل أعقبت السحاب بسحاب آخر، أي كلما فرغ من وصف ومدح جاء وصف آخر، ومدح في عقب ذلك، وإنما أخذ من قول أوس بن حجر:

"أقول بما صبت علي غمامتي"⁽⁵⁾.

44 - أقول لأصحابي هو القاسم الذي به شرح الجود التباس المذاهب⁽⁶⁾

45 - وإني لأرجو عاجلا أن تردني مواهي بمجــــرا ترجى مواهــــبي⁽⁷⁾

1 - والنظر الثاني من البيت: "تضاعف فيه الحزن من كل جانب" (ديوانه: 54).

2 - زيادة يقتضيها السياق.

3 - ح م و ح ت: "في العصور". وهو تصحيح.

4 - م: "إننا التنت".

5 - أوس بن حجر بن مالك التميمي، أبو شريح، شاعر تيم في الجاهلية، ومن كبار شعرائها، وهو زوج أم زعيم بن أبي سلمى، كان كثير الأسفار، وأكثر إقامته عند عمرو بن هند في الحيرة، عمر طويلا، ولم يدرك الإسلام. (الأعلام ج 2: 31) وثقة البيت:

"وجهدي في جبل المشوة أحطب" (ديوان أوس بن حجر: 7)

6 - ح ت: "المواهب".

7 - ت: "وإني لأرجو أن ترد ركاتي"

و ح ت: "وإني لأرجو أن ترد مواهي - ركاتي"

1 - زيادة يقتضيها السياق.

القصيد [32] *

وقال يمدح خالد بن يزيد بن يزيد الشيباني⁽¹⁾.

- 1 - لقد أخذت من دار ماوية الحطب أغل المغاني للبلبي هي أم نهـب
 - 2 - وعهدي بها إذا ناقض العهد بدرها مراح الهوى فيها ومسرحة الحصب⁽²⁾
- الحطب الدهر، ويقال هو ثمانون سنة، وأراد به هنا السنين فلذلك أنت.
- يقول غير هذه الدار مرور السنين عليها. ثم قال أي غلة من المغاني للبلبي والقدم أم هي نهبت له، والنحل والنحلة الهية. والنهب ما انتهب وأغبر عليه. ثم قال وعهدي بهذه الدار مراح الهوى فيها ومسرحة الحصب أي كان الهوى يروح إليها، ويغدو سارحا فيها، ومسرحة مخضب إذا كانت ماوية الناقضة العهد (بدرها بضمها وينورها)⁽³⁾.
- 3 - مؤزرة من صنعة الطل والندى بوشي ولا وشي وعصب ولا عصب⁽⁴⁾
 - 4 - تحير في آرامها الحسن فاغثدت قرارة من يصصي وبجعة من يصصبو⁽⁵⁾
- يقول وعهدي أيضا بهذه الدار وهي لابسة إزارا من نسج الطل وهو اضعف المطر، وجعل ما شملها من الثبت والزهر كالوشى والعصب وهو ضرب من الثياب، ثم قال وليس بوشي ولا عصب في الحقيقة، وقوله "تحير في آرامها الحسن" أي تردد في نساء هذه الدار الحسن، ولم يتجاوزهن كما يتحير المطر بموضع فلا يتجاوزهن، ولذلك قال فاغثدت قرارة من يصصي، والقرارة الروضة يستقر فيها الماء، والنجعة طلب المرعى والمعنى أن هؤلاء النسوة مستقر للحسن فهن يصبين بحسنهن، وأهل الصبي قاصدون إليهن.

* القصيدة من البحر الطويل

- 1 - خالد بن يزيد بن يزيد بن زائدة أبو يزيد الشيباني، أحد الأمراء الولاة الأجواد في العصر العباسي، وهو ممدوح أبي تمام ولده المؤمن مفسر سنة 206هـ، وحملها وفاته عبيد الله بن السري، فلم يسفر فيها هؤلاء الموصوف، ثم زاده ديار ربيعة كلها، فأقام إلى أيام الولاة، فلما انتقلت أرمينية انتدبه الولاة فجهر في جيش عظيم وزحف يريد بها فاقبل في طريقه، ومات قبل بلوغها سنة 230هـ، (الأعلام ج 2 : 301).
- 2 - من وت: "إذا ناقض"
- 3 - زيادة يقتضيا السياق.
- 4 - من وت: "الويل".
- 5 - من وت: "تردد في آرامها".

- 5 - سواكن في بر كما سكن الدمى نوافر من سوء كـمـا نثر السـرب
 - 6 - كواعب أتراب لغيداء أصبحت وليس لها في الحسن شكل ولا تـرب
- يقول من عفاف يسكن في البر والنفر كما تسكن الدمى وهي الصور لأنها لا تتحرك ومن رامهن بريسة نفرن عنه نفور سرب الظباء وغيرها، ثم قال من أتراب وصواحب لجارية غيداء إلا أنها نهاية في الحسن فلا شكل لها ولا ترب.
- 7 - لها منظرٌ قيد النواظر لم يزل يروح ويغدو في خفسارته الحب
 - 8 - يظل سراء القوم مثني وموحدا نشاوى بعينيهما كأنهم شـرب⁽¹⁾
- يقول منظرها كامل الحسن فمن نظر إليه أعجب به فقيد ناظره ولم يعدل به إلى غيره، ولا يزال الحب وقفا عليه رانحا وغاديا في حفاتره وذمته، ثم قال إذا نظر إليها سرورات القوم وأشرفهم أسكرتهم بجمر عينها أي فتنتهم وحيرتهم فكانها سقتهم خمرًا.
- 9 - إلى خالد راحت بنا أرحبية مراقفها من عن كراكرها نكب
 - 10 - جرى النجد الأحوى عليها فأصبحت من السير ورقا وهي في نجرها صـب⁽²⁾
- الأرحبية إبل منسوبة إلى أرحب، حي من اليمن، والنكب فيمنعها الفتوة. ويستحب أن يكون في مرافق الإبل نجاف عن صدورهما فلا يصيبها سحج فيمنعها ذلك من السير، ثم قال جرى النجد الأحوى عليها، والنجد العرق، والأحوى الأسود، والنجر اللون والأصل. يصف أنها عرفت لشدة السير والدؤوب فيه حتى غير عرقها ألوانها من الضهبة على الورقة.
- 11 - إلى ملك لولا سجال نواليه لما كان للمعروف بقي ولا شخب⁽³⁾
 - 12 - من البيض محجوب عن سوء الخنى ولا تحجب الأنواء عن كفه الحجب⁽⁴⁾

1 - من: "نظر".

2 - من: "نغدا" و ج من وت: "في لونها صـب".

3 - ح ت: "سجال يمينه".

4 - من وت: "من كفه".

السجال جمع سجل، وهي الدلو مملوءة ضرب بها مثلا لهباته، والنقي المخ، والشخب ما يخرج من اللبن عند خضخ الحالب على الحلف، وهذا مثل أي لولا عطاياه لم يقو المعروف ولا كان له فائدة كالساق المزهولة التي لا تمخ لها ولا لبن، وقوله: "من البيض" أي هو من الرجال المشاهير على أنه محجوب عن الذنابة، ولا تحجب عطاياه عن سائل.

13 - مصون المالعي لا يزيد أذا له ولا مزيد ولا شريك ولا الصليب⁽¹⁾

14 - ولا مرثا هل ولا احسن غاله ولا كف شأويه علي ولا صعب⁽²⁾

هؤلاء كلهم من ربيعة، وهم أجداد خالد بن مزيد بن زيد بن بني شيبان وغيرهم من بني بكر بن وائل. يقول معاليه مصونة من أن يلحقها لوم أو تقصير، إذ كان هؤلاء الأشراف من قبيلته لم يزيلوه ولا قصروا به، ومعنى غاله أذهب شرفه وأهلكه، وقوله شأويه أي طلقه في الفخر. يقول إذا جرى غيره في الفخر شأوين شأوا من قبل علي وشأوا من قبل صعب لم يقصروا به، وهو صعب بن علي بن بكر بن وائل، ويحتمل أن يريد بالشأوين شأوه في الجود وشأوه في البأس.

15 - أشباه بكر المجد بكر بن وائل وقاسط عدنان وأجبه هنب

16 - مضوا وهم أوتاد نجد وأرضها يرون عظاما كلما عظم الحطلب

أشباه أي أجمعه وأذكاه، والشبي الحد، وأضاف بكرا إلى المجد لأنها معروفة، وبكر بن وائل قبيلة المدحود العظمي⁽³⁾، وقاسط وهنب من ربيعة⁽⁴⁾. وهما أبوا بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أضي. يقول أتت هذه القبائل بهذا المدحود ذكيا نجيبا، ثم

1 - ح من: "ولا صلب" و ح ت "إذا لها"
2 - ح من: "الصعب".

3 - بكر بن وائل قبيلة عظيمة من العدنانية، تنسب إلى بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أضي من دعوى بن جديلة بن

أسد بن ثار بن معد بن عدنان. فيها الشيرة والعدد، فمنها يشكر بن بكر بن وائل، وهو عكاية بن صعب بن علي بن بكر بن

وايل، وهو حنيف، وهو عجل أبي لجيم بن صعب. ولادها كانت من اليمامة إلى البحرين، إلى سيف كاظمة، إلى البحرين فأطراف سواد العراق. (معجم قبائل العرب ج 1/ 94/93).

4 - ح من: "ولم يزل".

قال ذهبوا وانقرضوا على أنهم كانوا أشراف نجد، وعظام أهلها كانتهم جبال فيها، والأوتاد الجبال يرون عظاما صابرين للحطلب.

17 - وما كان بين الهضب فرق وبينهم سوى أنهم زالوا ولم تزل الهضب⁽¹⁾

18 - لهم نسب كالفرج ما فيه مسلك خفي ولا واد عسود ولا شعب⁽²⁾

19 - هو الإضحيان الطلق رقت فروع وطاب الثرى من تحته وزكا السرب⁽³⁾

الهضب الجبال، وأحدها هضبة. يقول هم في الوقار والجلالة كالجبال إلا أنهم فتوا وذهبوا، والجبال باقية، والعنود المائل عن القصد، والشعب الطريق في الجبل بقاء عن النسب لصعوبته.

يقول نسبهم بين مشهور كالفرج الذي لا يخفى على ناظر، وطرق نسبهم بينة قاصدة سهلة، ثم قال يعني النسب هو الإضحيان الطلق المضي المنير، يقال ليلة إضحانية إذا كانت مضيئة حسنة الهواء، ونوم إضحيان. وقوله رقت فروع أي لمعت من الري والنعمة، وهذا مثل.

20 - يذم سنيد القوم ضيق محله على العلم منه أنه الواسع الرحب

21 - رأى شرفا معن يريد اختلاسه بعيد المدى فيه على أهله قرب⁽⁴⁾

السنيد الملتصق بالقوم الدعوى. يقول يذم هذا السنيد مجد خالد ونسبه إلى الضيق حسدا وظلما على أنه يعلم سعته ورحبه، ولكنه بحسده فيكذب، ثم قال رأى ذلك السنيد من شرف خالد شرفا بعيد المدى والغاية على من يريد اختلاسه واكتسابه إلا أنه قريب على أهله المستحقين ليعني خالدا وقومه. ويجوز أن يكون السنيد السيد الذي يستند إليه أي بحسده السادة فتكذب عليه.

22 - قياوشل الدنيا بشيبان لا تغض وبيا كوكب الدنيا بشيبان لا تحب⁽⁵⁾

1 - ح من: "فيور" وهذا تصحيح.

2 - ح من: "وطاب الثرى من أصله" و ح ت: "ثم الإضحيان" و "رقت" بالالف.

3 - ح من: "فيا شرفا".

4 - ح من: "ما تقبو".

5 - ح من: "فعارب" و ح من: "ترب" بضم التاء و ت: "يوهنهم".

23 - فما دب إلا في بيوتهم الندى ولم ترب إلا في حجورهم الحرب⁽¹⁾

الوشل بقية الماء. يقول هؤلاء بقية الدنيا وجمعها لكونهم فيها فإن ذهبوا فبليت الدنيا، وخبا جمعها فلا غاض ذلك الوشل، ولا خبا نور ذلك النجم، ثم قال هم أهل الندى والياس، في بيوتهم دب الندى صغيرا إلى أن كمل وفي حجورهم ربيت الحرب فهم لها أهل وبهم تعرف.

24 - أولاك بنو الأحساب لولا فعالهم درجن فلم يوجد لمكرمة عقب

25 - لهم يوم ذي قار مضى وهو مفرد وحيد من الأشياء ليس له صاحب⁽²⁾

يقول هم للأحساب كالبنين لغناهم بها وحافظتهم عليها بفعالهم الكريمة، ولولا فعالهم لدرجت الكارم والأحساب وهلكت، ولم يكن لها عقب، ثم قال لهم يوم ذي قار وهو اليوم الذي انتصفت فيه العرب من العجم، وكان معظمه (لهم)⁽³⁾. وقد تقدم ذكره.

26 - به علمت صهب الأعاجم أنه به أعربت عن ذات أنفسها العرب⁽⁴⁾

27 - هو المشهد الفصل الذي ما جأ به لكسرى بن كسرى لا سنام ولا صلب⁽⁵⁾

يقول بيوم ذي قار علمت العجم الصهب (الألوان)⁽⁶⁾. والشعر يعني الفرس فضل العرب عليها، وأنها بينت حقيقة كرمها به، وأعربت عن أنفسها بظهورها فيه، ثم قال هو المشهد الذي فصل بين العرب والعجم، وبين فضل هؤلاء على هؤلاء، وأذل فيه كسرى، وتل عرشه، ولم ينج له لا سنام ولا صلب، أي لم يترك له عز ورقة ولا تمكن وقوة.

28 - أقول لأهل الثغر قد ربب الشاي وأسبغت النعماء والتأمام الشعب

1 - ح و ت: "وحيد من الأيام"

2 - زيادة بقتضيا السياق.

3 - ح و ت: "أنها"

4 - ح و ت: "الفرس"

5 - زيادة بقتضيا السياق.

6 - ح و ت: "رأب"

29 - فسيحوا بأطراف القضاء وأرتعوا قنى خالد من غير درب لهم درب⁽¹⁾

30 - قنى عنده خير الثواب وشهره ومنه الإباء الملح والكرم العذب⁽²⁾

الثاني الفساد، وأصله الشلمة تكون في الإناء وفي خرز القربة، والرأب إصلاحه، والرأية ما أصلح به الإناء، والشعب التفريق هنا. يقول قد أصلح ما كان فاسدا من أمر الثغر بولاية خالد، وأسبغت النعم على أهله، والتأم ما كان متفرقا من جمعه، ثم قال لأهل الثغر سيحوا بأطراف القضاء البارز من الأرض وأرتعوا مواشيكهم فرماح خالد تمنعكم، وتحميمكم، وتقر دريا بين العدو وبينكم، ثم قال عنده للولي خير الجزاء، وللععدو شره، ومنه الامتناع الشديد، على ما نأوه، والكرم المتأتي السهل لمن والاه، وضرب الملح والعذب مثلا لذلك.

31 - أشم شريكي يسير أمامه مسيرة شهر في صوائفه الرعب⁽³⁾

32 - ولما رأى توفيل راياتك التي إذا ما اتلأت لا يقاومها الصلب⁽⁴⁾

الأشم المرتفع الأنف، وهو مثل في العزة، وشريكي منسوب إلى رجل من قومه شريف، وهو أبو الحنق نزار بن مطر بن شريك، والصوائف الكتاب تغزو في الصيف. يقول إذا أراد الغزو تقدمه الرعب إلى أعدائه على مسيرة شهر. وتوفيل ملك الروم، والرايات الأعلام، ومعنى اتلأت تنابت. يقول لما نظر توفيل إلى كتابك أيقن أنه لا قبل له بها، وأن أهل الصلب لا يقاومونها فولى منهزما. والصلب جمع صليب.

33- تولى وبأل الردى في انبائه كأن الردى في قصده هامم صلب

34- كان بلاد الروم عمت بصبيحة فضمت حشاشا أوردغا وسطها السقب

يقول تولى توفيل منهزما، والردى يتبعه لا يألو في ذلك حتى كأنه في قصده لاهائم صلب ثم قال كان بلاد الروم عمت بصبيحة كصبيحة قوم لوط، وقوم شعيب فهلكوا، أو كان سقب ناقة صالح رغا وسطها، فجعلهم الهالك، والسقب ولد الناقة.

1 - ح و ت: "لكم" و من ت: "فيروا" و ح و ت: "أطراف البلاد" و ح و ت: "وأربعوا"

2 - ح و ت: "الزباء" "الز"

3 - ح و ت: "في كتابه" و ح و ت: "صوائف"

4 - ح و ت: "إذا ما استقامت" و ح و ت: "إذا ما تلاتت".

35- بصاغة القصوى ورمين واقتري بلاد قرنطاووس وابلک السكب⁽¹⁾

36- غدا خائفنا يستنجد الكتب

يقول إذا جرى تفريق ربيعة وقل خيرها فترك لي وخيرك كثير، وإذا نيا ماء السحاب بها وأخلفها فتموا أنت ولا تخلف، وصاغرة ورعين، ويوري موطنين من بلاد الروم، وكذلك قنطاووس، يقول عمت هذه الموضع باركر والقتل (وعمت والملك السكب) بلاد قنطاووس، وإنما يريد بالوالب شدة الحرب وكثرة القتل. ثم قال (يا أي) توصيل الظهور عليه أنه خافا يستغيث بالكتب والرسل، واستغيت عليه في الرجوع عنه فلم يرد ذلك⁽³⁾.

37 - وما الأسد الضرغام يوما يعاكس صريمته إن أن أو بصبص الكلب⁽⁴⁾

38 - فَمَرَّ وَنَارَ الْكِبَرِ تَلْفَحُ قَلْبَهُ وَمَا إِلَهُ الْكَرْبِ إِلَّا أَنْ يَخَامِرَهُ الْكَرْبُ⁽⁵⁾

هذا مثل، يقول مثله في الإذعان لك ورغبته في انصافك، وإن ذلك لم يشك عنه مثل الكلب إذا بصص بذنه، وجعل بين فرقا من الأسد فلا يرد ذلك عزيمة الأسد عنه، والعكس الرد، والعزيمة العزيمة، ثم قال فمر وثار الكرب تحرق قلبه وما راحة المسلمين إلا مخالطة الكرب له.

39 - ماضي مدبرا شطر الدور ونفسه على نفسه من سوء ظن بها إلب

40 - جفا الشرق حتى ظن من كان جاهلا بدين النصارى أن قبلته الغرب

يقول مضي في انهمازه مديرا عنك ناحية الديور ونفسه سينة الظن تحفه
وتزعجه فففسه إلب عليه أي عون لسوء ظنها للملتبس بها، ثم قال عدل في فراغه :
الشرق على أن قلبه حتى ظن من يجهل دين النصارى أن قلبه الغرب، فهو يوجه وجهه
إليها ويستقبلها.

١ - ص و ت: "طمین" و ص و ح ت: "قریبا ووس" و "قرنطامیس" و "القری" و ح ص: "قرنطاقین" و ح ص و ت ش: "بلاد قریطامیس".

² - ح ص و س ت: "ممعنا".

3 - زيادة مقتضيات السياق.

4 - خ ص و ح ت: "بعاطف"، و "بعاكم".
 خ ص و ح ت: "نار الحب" و ح ت: "بالحالطه".

5 - ص ش و ح ت: "تلخ وجهه" و ح ص و ت: "ومر" و ح ص و ح ت: "أثار الحرب" و ح ت: "بجاءه".

41 - رددت أديم الغزو أملس بعدما غدا ولياليه وأيامه جرب⁽¹⁾

42 - بكل فتى ضرب يعرض للقتل محيا محلي عليه الطعن والضرب⁽²⁾

الأديم الجلد ضربه مثلا يقول كان الغزو قد فسد وتغيرت لياله وأبامه
 بظهور المشركين، فلما وليت أمره تداركته بنجدتك فأعدته كالأديم الأملس بعد أن كان
 كالجلد الأجرب، ثم قال بكل فتى من أصحابك ضرب الجسم خفيف اللحم يعرض
 للرماح وجها يستقبل بالنحية والإكرام وآثار الطعان والضرب بالسيف حلي وجمال فيه.

43 - کما إذا تدعى نزال لدى الوغى رأيته رجلا كأنهم ركب⁽³⁾

44 - من المطربين الأولى ليس ينجلي بغيرهم للدهر صرف ولا لزب⁽⁴⁾

45 - ولا اجتليت بكر من الحرب ناهد ولا ثيب إلا ومنهم لها خطيب⁽⁵⁾

الكهنة الشجعان، ونزال كلمة يدعى بها عند اشتداد الحرب، ومعناها انزلوا عن الحبل، وقاتلوا في الأرض، يقول هم عند النزول عن الحبل ينزلهنم إذا ركبوا جرأة وإقداماً. ثم قال هم من بني مضر رجع الممدوح التي لا تنجلي شدة الدهر ولا الحرب إلا بهم، ولا أظهرت حرب بكر لم تتقدم ولا حرب ثيب قد تفتتلا إلا وهم قانونو بها، وضرب الجلوة والكر والتبيب والحلب وهو الذي يتعقب المرأة أمثالا. والتواعد ذات التهدد، وذلك أن آل ثيبا.

46 - جعلت نظام المكرمات فلم تدر
رحمى سؤدد إلا وأنت لها قطب

47 - إذا افتخرت يوما ربعة أقبلت
مجنبتني مجد وأنت لها قلب⁽⁶⁾

- صوت: "العز" وحرص: وحسب: "الدين".

- سر ص. و سرت: "محيا حيا" و "محياه حتم حليه".

ص. و ت: "رجل" وذكر محقق شرح الصواعق الر

جہاں کھانا کھا کر صبح

- ص: "الآلہ" و ص: ح: "ولا یموت".

ص - ص و ت: "وما احتللت" و ح ص و ح ت

١٠٠ - ص ١٠٠ - ت: "يُحْتَسِبُ"

ح ص و ح ت: جلیبنا جلد :

يقول أنت تنظم الكرمات وتجمعها وعلبك مدارها كما أن مدار الرحي على قطبها، وجعل السؤدد رحي استعارة ومثلاً، ثم قال إذا افتخرت ربيعة فهي محيطة بالمجد من جانبيه، وأنت قلب لها وسط أي أنت أشرفها وأرفعها.

- 48 - يخف الثرى منها وترك لين وينبو بها ماء الغمام وما تنبؤ (1)
49 - بجودك تبيض الوجه إذا دجت وترجع عن ألوانها الحجج الشهب (2)

يقول إذا جف ثرى ربيعة وقل خيرها، فترك لين وخيرك كثير، وإذا نيا ماء السحاب بها وأخلفها فما تنبو أنت، ولا تخلف، ثم قال بجودك تبيض الوجه المسودة من شدة الكرب وتخضر السنون المجذبة الشهب، ويقال للسنة الشديدة شهباء.

- 50 - هو المركب المدني إلى كل سؤدد وعلياء إلا أنه المركب الصعب
يقول المجد مركب يوصل إلى نيل السؤدد والمعالي إلا أنه مركب صعب لإذهابه المال فلا يركبه إلا الجواد السمج، وهذا نحو قول منصور النمرى يمدح يزيد بن مزيد: (3).

- ما أعلم الناس أن الجود مكسبة للحمد لكنه يأتي على النشوب
51- إذا سبب أمسى كها ما لدى امرئ أجاب رجائي عندك السبب العضب (4)
52- وسيارة في الأرض ليس بنازح على وخدها حزن سحيق ولا سهب (5)

الكهام السيف الذي لا يقطع، والعضب القاطع، والنازح البعيد، والحزن ما غلظ من الأرض، والسهب ضده. يقول سببي عندك ماض قوي فإذا كان سبب غيري كهاما عند امرئ خاذلاً لرجائه فسيبي عندك عضب مجير لرجائي من الخلف محقق، ثم قال يجيب

رجائي قصيدة سيارة في آفاق الأرض بشائك ومدحك إلا أنها مع سيرها الشديد لا يبعد عليها إذا وخذت وعمر بعيد من الأرض ولا سهل لأنها كلام تنقله الرواة من قوم أو من بلد إلى بلد.

- 53- تذّر ذرور الشمس في كل بلدة وتضي جموحا ما يرد لها غرب (1)
54- عذارى قواف كنت غير مدافع أبا عذرها لا ظلم ذاك ولا غصب (2)

تذّر أي تطلع هذه القصيدة في كل بلدة طلوع الشمس، وتضي على وجهها كالفرس الجموح لا يرد غربها وتنفذها، ثم قال وهي قواف عذارى لم أسبق إليها فإذا أبو عذرها المفتوح لها غير ظالم ولا غاصب، أي لم أسترفها من شعر غيري فأكون ظالماً غاصباً لها، وقوله غير مدافع أي لا أدفع عن اختراعها ولا أنازع فيها.

- 55- إذا أنشدت في القوم ظلت كأنها مسرة كبر أو تداخلها عجب (3)
56- مفصلة باللولو المستقى لها من الشعر إلا أنه لؤلؤ رطب (4)

يقول إذا أنشدت هذه القوافي أعجب سامعها بها فكأنها تسر في نفسه كبراً لذلك وتداخلها العجب بما تترى من سرور السامع وثناها عليها، ثم قال هي منظومة مفصلة لجمار اللؤلؤ منتقاة إلا أنه لؤلؤ رطب كلام لا حجر.

1 - ص: "ولا تنبو".
2 - ص و ت: "الخلوب" و ص ش و ت ش: "وتنود" من إنداره الحجج الشهب" و ح ص ت: "في ألوانها".
3 - منصور بن الزبرقان بن سلمة بن شريك النمرى، أبو القاسم، من بني النمر بن قاسط، شاعر من أهل الجزيرة الفراتية، تولى نحو 195هـ (الأعلام ج 7: 299) والبيت في (شرح الصولي لديوان أبي تمام ج 1: 274).
4 - ح ص و ت: "أجار رجائي" و "أجار" بالزاي.
5 - ح ص و ت: "وسارة" و "على وقدحا".

1 - ح ص: "وسمي" و ح ت: "جموحاً" بالقسم على بأنها مصدر في موضع الحال، والفتح على أنه حال.
2 - ح ص: "منك" مكان "ذاك" و ت ش: "كنت أبا عذرها" بفتح الباء رواية في بعض النسخ.
3 - ح ص: "صرت كأنها مسرة كبر قد تداخلها عجب". و ح ت: "مرت كأنها".
4 - ح ص و ت: "اللؤلؤ الرطب" و ح ص: "إلا أنها".

13- لو رأى الله أن للشيب فضلا جاورته الأبرار في الخلد شيئا⁽¹⁾

يقول إن قلتي النساء الحسان تنصد عن عني أي تفرقن فكفى بالشيب كفا في حملهن على القلى والتصدع، ثم بين قبح الشيب وتقصانه فقال لو كان للشيب فضل لكان أهل جنة الخلد مجاورين لله عز وجل وهم شيب غير شبان.

14- كل يوم تبدي صروف الليالي خلقا من أبي سعيد رغيبا⁽²⁾

15- طاب فيه المديح والتد حتى فاق وصف الديار والتشيبيا

الرغب الواسع. يقول كلما تصرفت الليالي بالمكروه قابلهما الخلق الواسع فرد صروفها، ثم قال لكثرة محاسنه وبيان فضائله سهل مدحه، وعذب وصار لذيذا في القلوب والأسماع حتى فاق في ذلك وصف ديار الأحيّة والتغزل بالنساء.

16- لو يفاجى ركن المديح كثيرا بمعانیه خالهن نسيبا⁽³⁾

17- غريسته العلى على كثرة الأهد ل فاضحى في الأقربين جنبيا⁽⁴⁾

18- فليظل عمره فلو مات في مر ومقيما لمات فيها غريبا⁽⁵⁾

يقول لو فاجأ المديح بمعانيه الرقاق العذبة كثير عزة⁽⁶⁾ على معرفته بالمدح لظنه نسيبا أي تغزلا وكثر كثير ضرورة، وخصه لأنه كان من أمدح الشعراء، ولذلك جعل له للمديح ركنًا ومعتمدا، ثم قال غربت العلى هذا المدوح على كثرة أهله إذ لا نظير له

فيهم فأصبح في أهله جنبيا أي غربيا، ثم قال فليظل عمره إذ لا عوض للعلى منه فلو مات بمرو⁽¹⁾ التي هي بلدته ومستقر أهله لمات غربيا.

19- سبق الدهر بالستلاد ولم يند تظنر النانسات حتى تنوبا

20- فليذا ما الخطوب أعفته كانت راحتها حوادثا وخطوبا

21- وصليب الفتاة والرأي والإم لام سائل عنه بذاك الصليبيا⁽²⁾

التلاد المال القديم. يقول هو جواد يعطي المال طارقه قبل نزول التوابت [به] تغير الدهر عليه فإذا أعفته خطوب الدهر من التغير والذهاب به غيرته راحتها بالبدل تغير الحوادث وخطوب الأيام، ثم قال هو قوي الفتاة صليبا يريد قناة الرمح، ويمكن أن يريد قوة الجسم وقوة الرأي قوي الدين، وقد علم ذلك أهل الصليب لما ولوا من عنقه بهم فمن سألهم وجد الحقيقة عندهم⁽³⁾.

22- وعمر الدين بالجلاد ولك ن وعور العدو صارت سهويا⁽⁴⁾

23- فدروب الإشرار تدعى قضاء وقضاء الإسلام يدعى دروبا⁽⁵⁾

السهوب ضد العور. يقول وعمر الدين على المشركين لمجالدته إياهم، وأباح وعورهم للمسلمين فصاروا سهويا، فدروب أهل الشرك قضاء سهل وقضاء الدين ممتنع كالدروب وعر، وهذا مثل، والمعنى أنه أعز المسلمين وأذل الشرك.

24- قد رأوه وهو القرب بعيدا ورأوه وهو البعيد قريبا

25- سكن الكيد فيهم إن من أع ظم إرب ألا تسمى أريبا⁽⁶⁾

26- مكرهم عنده فصيح وإن هم خاطبوا مكره رأوه جليبا

1. مرو من خرسان. (الروض المطار : 532).

2. ص و ت : "بذاك منه".

3. زيادة بتقصيها السياق.

4. ح. ص. "بالجهاد".

5. ح. ص. و ت. "صارت قضاء" و "صار دروبا".

6. ص و ت. ح. "ساكن الكيد" و ص. و ت. "يسمى" و ح. ص. "ساكن الكيد".

1. ح. ص. : "إن في الشيب خيرا".

2. ح. ص. : "غريبا" وهو تصحيف فيما يبدو و ح. ص. و ح. ت. : "عجيبا".

3. ص : "ذكر" مكان "ركن" و ح. ص. : "كثير" و ح. ص. و ت. : "النسيب" وورد في شرح التبريزي للبيت: ويجوز أن يروى "فماجا ركن النسيب" على ما لم يسم فاعله... ويجوز أن يروى: "فماجا ركن النسيب".

4. ص و ت : "الناس" مكان "الأهل".

5. ص و ت : "مقيما بها لمات غربيا".

6. كثير من عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر بن غلدة الخزاعي الفصطاني، يكنى أبو صخر شاعر من مقيم من أهل المدينة أكثر إقامته بصر وقد على عبد الملك بن مروان، فازدري منظره، ولما عرف أنه رفع مجلسه وأخص به وبني مروان، توفي بالمدينة في سنة 105 هـ، (معجم المؤلفين ج 8 : 141-142).

يقول إذا قرب منهم لم يطمعوا في الظفر فهو كالبعيد منهم، وإذا بعد منهم لم ينجوا من كيده بهم وضرة لهم فهو كالقريب منهم، ثم أكد ذلك المعنى فقال مكره ساكن فيهم مقبح عندهم، وهم مع ذلك لا يشعرون بدهائه ومكره لا يسموا له أربيا داهيا وجهلهم بذلك من أعظم الدماء والإرب للممدوح، ثم قال مكر المشركين بالمسلمين ظاهر عنده بين كالفصح المتكلم ومكره عندهم خفي لا يتبين وهو لاحق بهم وهو في خفائه كالجليب لا يفصح وكأنه الذي جلب من العجم إلى بلاد العرب، وهذا مثل.

- 27- ولعمري القنا الشوارع تـسري من تـلاع الكليـسـيـا نجـيـعا صـيـبـيا⁽¹⁾
28- في مكر للروع كنت أكـيـلا للمـبـنايا في ظـلـه وشـرـيـبا⁽²⁾
29- لقد انصعت والشتاء له وجـه تـراه الكـمـاة جـهـما قـطـوبـيا⁽³⁾

أقسم بالرمح لحسن بلائها ونهكها للمشركين، ومعنى تـسري تمرى تستدر والنجيع الدم الطري، والصيب المصوب، وخض الطعن في الكلى لأنها من أوحى المقاتل، وجعل لها تلاعاً يسيل من دمه، ثم قال في مكر للروع يعني في موضع الحرب كنت شريك المنية في أكل الأرواح تـسريها في ظل ذلك المكر أي فيما غشيك منه، وقوله لقد انصعت أي أخذت غازيا في جهة من الجهات على صعوبة الزمان وقبح وجه الشتاء عند من غزا فيه، والجهم القبيح، والقطوب العيوس.

- 30- طاعنا منحر الشمال متـيـحا لـبـلاد العـدو مـوتـا جـنـوبـيا⁽⁴⁾
31- في ليال تكاد تـبـقـى بـجـد الشـمـس مـن رـجـمـها البـلـيل شـحـوبـيا⁽⁵⁾
32- سـرـات إذا الحـتـوف أتـيـحت هـاج صـنـيـرها فـكـانت حـرـوبـيا⁽⁶⁾

يقول أخذت في غزوك من قبل الجنوب إلى ناحية الشمال فكأنك غو الشمال قد جلبت للعدو موتا جنوبيا لأنك جلبت إليهم الموت من قبل الجنوب، ويكون أيضا أنه يريد أن الموت الذي جلب إليهم بمنزلة الجنوب في كثرة ما أتى به من المظي، ثم قال في ليال باردة تكاد رجها الليل الباردة تغير ضوء الشمس، وتحدث بجدها شحوبا، وأراد بالليالي الأيام مع الليالي فلذلك ذكر للشمس سرات أي باردة إذ سرات الجنوب هاج صنيرها، وهو شدة بردها، فكانت حروبيا تأتي بحتوف أي إذا قدر الله الهلاك هيج صنيرها فكانت كالحتوف المهلكة. ويروى "إذا الحروب أتيت" أي سكنت.

- 33- فـضـرت الشـتاء في أـخـدعـيـه ضـرـبة غـادرـته عـودا رـكـوبـيا
34- لو أصـخـنا مـن بـعـدها لـسـمـعنا لـقـلوب الأيـام مـنـك وجـيـبا

الأخدعان عرفان في العتق، والعود المسن من الإبل، والركوب المذل بالركوب. ومعنى أصخنا استمعنا. يقول لم تبال صعوبة الشتاء، ومضيت لوجهك قسهل عليك، وصيرته كالعود المذل بعد أن كان كالجمل المصعب، وضرب ضرب الأخدعين مثلا لتسهيله الشتاء وتوطئته له، ثم قال لو استمعنا من بعد تلك الضربة لسمعنا قلوب الأيام تجب وتضطرب فرقا منك وهيبة لك.

- 35- كل حـصـن مـن ذـي الكـلاع وأكـشـو ثـاء أـطـلـعت فـيـه يـومـا عـصـيـبا⁽¹⁾
36- وصالـيـلا مـن السـيـوف مـرنا وشـهـابـا مـن الحـزـيق ذنـوبـيا⁽²⁾

ذو الكلاع وأكشو تاء من بلاد الروم. يقول أطلعت في هذه البلاد على المشركين يوما شديدا من أيام الحرب وصوتا من السيوف عند ضربه بها البيضات والرؤوس وشهابا يذب في ذنب آثارهم فيحرقها، والمرن الشديد الصوت، والشهاب النار يعني أنه أوسعهم قلا وإحراقا.

- 37- وأرادوك بالبـيـات ومـن هــ ذا بـرادي مـتـالـعا وعـصـيـبا
38- فـرأوا قـشـعـم السـيـاسة قـد تـفـ ف مـن جـنـده القـنا والقـلوبـيا

⁽¹⁾ مـن مـن و تـ: "أطلعت فيه".

⁽²⁾ حـصـن و تـشـر: "ذنوبيا" و حـصـن: "قنوبيا" حـصـن و جـت: "قنوبيا" و "ذنوبيا".

⁽¹⁾ مـن مـن و تـ: "القلي".
⁽²⁾ حـصـن: "ومكر للمنايا وكنت شريبا".
و جـت: "للمنايا به وكنت شريبا".
⁽³⁾ مـن مـن و تـ: "براء" و مـن: "وجهها".
⁽⁴⁾ تـشـر: "وللرويت" منحر الشمال" فكان ذلك وجهها.
⁽⁵⁾ جـت: "بديني".
⁽⁶⁾ مـن مـن و تـ: "إذا الحروب أتيت" و جـت: "إذا الحروب أتيت".

متالع وعسيب جبلان، والمرادة الرمامة، والقشعم السر المسن يضرب مثلا لكل مجرب قائم بالأمور. يقول حاول المشركون تبيتيت ومراماتك ومن يرمي مثلك فقد رامى أحد هذين الجبلين، ولا ينتفع بذلك، ثم قال فأرؤك حسن السياسة ووجدوك متنفقا لجندك مقويا لقلوبهم كما تفتت قناهم منتجعا لهم بما ولوا من شجاعتك وشدة حرك.

39- حية الليل يشمس الحزم منه إن أرادت شمس النهار غروباً⁽¹⁾
40- لو تقصوا أمر الأزارق خالوا قطريا سمالمهم أو شيبيا

يقول رأى منه المشركون حية الليل أي ذكيا حارسا لا ينام الليل، وحزمه بيعت على السهر، ويقوم مقام الشمس، فإن غربت الشمس أشمس حزمه، ثم قال لو تقصوا أمر الحوارج المنسوين إلى نافع بن الأزرق، وعلموا حقيقة جراتهم ومجدتهم لظنوا أن قطريا أو شيبيا سما إليهم سمو هذا الممدوح وطلوعه عليهم، وكان قطري وشيب من أجند الحوارج وأقواهم رأيا وحزما.

41- ثم وجهت فارس الأزد والأو حد في النصع مشهدا ومغيبا⁽²⁾
42- فتصلى محمد بن معاذ جمرة الحرب وامترى الشوبيا⁽³⁾
43- بالعوالي يهتكن عن كل قلب صدره أو حجابيه المحجوبا⁽⁴⁾

يقول وجهت إلى الروم محمد بن معاذ فارس الأزد وشجاعهم، وكان قائدا لمحمد بن يوسف، وأنصح الناس للمسلمين، ولك شامدا وغائبا، فصلى نار الحرب وامترى شوبوب الدم بعوالي الرماح التي تهتك عند الطعن بها عن كل قلب صدره أو شغافه المحجوب تحت الصدر حتى تصل إلى القلب [فقطعه]⁽⁵⁾.

1- ص و ح ت: "ليه" و ص و ت: "المرويا" و ص و ش و ح ت: "حين قامت شمس النهار غروباً" و ح ص و شمس الحرم فيه.
2- ح ص: "الأخذ بالنصح".
3- ح ص: "المعد".
4- ح ص: "من".
5- زيادة يقتضيه السياق.

44- طلبت أنفس الكمأة فشقت من وراء الجيوب منهم جيوبا⁽¹⁾

45- غزوة متبع ولو كان رأي لم تغرد به لكنت سلوبا⁽²⁾

46- يوم فتح سقى أسود الضواحي كشب الموت رائبا وحليبا

يقول طلبت عوالي الرماح أنفس الكمأة فشقت جيوب القلوب بعد شق جيوب الدروع، وجيوب القلوب هي الصدور، ومنه يقال ناصح الجيب وأصل هذا أن جيوب العرب كانت على الصدور فسمي الصدر جيبا لذلك، ذكر هذا بعض أهل المعاني، ثم قال غزوة متبع أي ذات فوائد من سبي وظهر والمتبع الناقة التي يتبعها ولدها، والسلوب ضدها. يقول لو كانت هذه الغزوة جارية على رأي غيرك لكنت قليلة الفائدة لا يتصل بها ظفر كالناقة السلوب، ثم قال ذلك يوم فتح ونصر المسلمين سقى أهل الضواحي، وهي من بلاد الروم، كتب الموت أي جميع الموت، وأصل الكثيبة في اللين وهي القليل منه المجتمع، وكتيب الرمل ما اجتمع منه، وضرب الكتب والرائب والحليب مثلا لأنصاف القتل.

47- فإذا ما الأيام أصبحن خرسا كظما في الفخار قام خطيبا

48- كان داء الإشراك سيفك واش تددت شكاة الهدى فكنت طيبيا

الكظم جمع كظيم، وهو المستمك عن الكلام. يقول إذا أخرست الأيام في الفخر، ولم يكن لها مفخر تباهاي به وتنشره، قام هذا الممدوح خطيبا فصيح اللسان مفتخرا بما كان فيه من نصر المسلمين، ثم قال كان سيفك داء لأهل الشرك، وكان أهل الإسلام مشتكين أشد الشكوى فكنت شافيا بإظهارهم على المشركين.

49- أنضرت أيكنتي عطايك حتى عاد ساقا عودي وكان قضيبا⁽³⁾

1- ح ت: "منها".
2- ح ص: "لم تغرد" وقال التبريزي في شرحه للبيت: "ومعز راع" رأي على أن يكون "كان" في معنى وقع، ونصحه على أن يكون في "كان" ضمير، ونقل المحقق عن ابن السكيت قوله "النصب أجود لأنه إذا راع جاز أن يقع رأي من غيره بغير هو بعمله، ويحتاج إلى عذوف تقديره لو وقع رأي منك، وأما إذا كانت ناصفة فيكون المعنى لو كان الذي رايت رأيا لم تغرد به. فيكون الرأي منه والعمل له معا.
3- ص و ت: "صار ساقا" و ح ت: "صار عودي ساقا".

ويسبقه فيه، وكان قد عمر، ويقال إنه أراد بأبي يعقوب الآخر إسحق صلى الله عليه وسلم.

50- ممطرا لي بالجاء والمال ما ألد قاك إلا مستوهيا أو وهويا⁽¹⁾

51- فإذا ما أردت كنت رشاء وإذا ما أردت كنت قليبا⁽²⁾

الأيغة الغيضة من الشجر، ويقال هي شجرة بعينها. يقول أصلحت عطاياك أحوالي وكثرت أموالي حتى عاد قليلي كثيرا، وقضيبي ساقا يريد ساق الشجرة، ضربها مثلا، ثم قال أنت كالغيث المطر لي بكثرة معروفك مرة تهب لي من مالك، ومرة تستوهب لي الخليفة بجاهك، فإذا شئت جعلتك سببا وشغيعا فأدرك بك ما آمله كما يدرك الماء بالرشاء وهو الحبل، وإذا شئت أخذت من مالك فكنت لي كغليب أستقي منه.

52- باسطا بالسندى سحاب كف بنداها أسمى حبيب حبيبيا

53- فإذا نعمة امرئ فركته فاهتصرها إليك ولهى عرويا

يقول لم تنزل تبسط عندي الندى، والمعروف حتى أمسيت غنيا محببا إلى الناس وإلى أهلي، وحبيب الأولى اسمه، ثم قال إذا فركت النعمة صاحبها وأبغضته فزالت عنه آمالها الله إليك، وجرها غوك ولهى عليك متحبة إليك، ومعنى اهتصرها أملها وأجذبها إليك، والولهى المشتاقة، والعروب المتحبة إلى زوجها، والفرك بغض المرأة لزوجها.

54- وإذا الصنع كان وحشا فعلم يست برغم الزمان صنعا ريبيا

55- ويقاء حتى يفوت أبو يعر قوب في سنه أبا يعقوبا

يقول إذا الصنع أنس بقوم، ونافهم منافرة وحش للإنس ملاك الله صنعا إنسا بك مرى عندك على رغم الزمان وهوانه، ومعنى ملبت تمتعت طويلا، والملي الطويل من الزمان، ثم قال وملاك الله بقاء طويلا حتى يفوت أبو يعقوب في السن جدك أبا يعقوب

¹ - ح.ص.و.ت: "لا أفك" و.ح.ص: "مطرا"

² - ص: "وإذا" مكان "فإذا".

القصيدة [34] *

وقال يمدح مالك بن طوق:

- 1- لو أن دهرًا رد رجع جوابسي أو كف من شأويه طول عتابي
- 2- لعذليته في دمنتين بأمرة محوطين لزينب ورياب⁽¹⁾

يقول لو أن الدهر ممن يعقل ويرد جواب سائل، أو لو كف بعض شأويه في دمنتين بأمره طول المعاناة لعذلتني في محو لهما وتغيره آثارهما، وأمره موضع، وجعل للدهر شأوين لأن له شأوا في تغيير دمنة زينب، وشأوا آخر في تغيير دمنة رباب، ويمكن أن يعني بالشأوين كره عليهما بالعداة والعشي.

- 3- نستان كالقمرين حف سناهما بكواعب مثل الدمى أثراب⁽²⁾
- 4- من كل ريم لم ترم سوءا ولم تخلط صبي أيامها بتصاب

القمران الشمس والقمر، شبه زينب ورياب بهما، وجعلهما أثرابا كواعب مثل الصور تحسن بهما وتضيء سناهما، وشبههن بالآرام وهي البيض من الطباء، وجعلهن غفاف خفرت لا يرمن فاحشة، ولا يخلطن صباهن وحدائهن بتصاب إلى الرجال ولا عشق.

- 5- أذكت عليك شهاب نار في الحشى بالعذل وهنا أخت آل شهاب⁽³⁾
- 6- دلا شبيبها بالجنون كأغما قرأت به الورهاء نصف كتاب⁽⁴⁾
- 7- أو ما رأيت بردي من نسج الصبي ورأت خضاب الله وهو خضابي

*- القصيدة من البحر الكامل.

- 1- ح ص و ت ش : "برامة" وإضاف التبريزي: ومن روى "بأمره" فله معنى صحيح، وتكون الهاء عائدة على الدهر، كأنه يجعل له أمرا مقيولا، وهو أحسن من الوجه الأول، وهذا كله مستعار وقال بعضهم: "إذا هو بكرة" وكأنه قال "في دمنتين محوطين بكرة" وقال "وصحف الصولي فقال: "بأمره"، و ح ص و ت: "تقادما" مكان "بأمره" و "في دمنتين" "تعتقا".
- 2- ح ص: "ننتق" و ح و ت: "لستان"
- 3- ح ص و ت: "عليه"
- 4- ح و ت: "سطر كتاب" و ص و ت: "سطر كتاب" و ح ص: "صدر كتاب"

الشهاب النار، وأضافه إلى النار توكيدا وتثبيتا، لأن الشهاب قد يكون النجم، يقول أحرقته شحاك بنار العذل أخت آل شهاب، ثم جعل عذله لها لاتصال بعضه ببعض ومع قلة تحصيل معنى شبيبها بالجنون أو كأنها قرأت بعذله ذلك شطر كتاب فهي تصل قراءته مع انقطاع الحروف، والمعاني بعضها من بعض فلا تعقل ذلك، ولا يحصل له معنى والورهاء الحفقاء ثم قال أو ما رأيت عاذلتي أن الصبي لباسي وأن خضاب الله خضابي فتكف عن عذلي لأن العذل إنما يستوجب الشيخ، وإنما قال بردي لأن كثير اللباس له بردان توب يلي الجسم وثوب فوقه وهما الشعار والدثار، وأراد بخضاب الله سواد الشعر

- 8- لا جود في الأقوام يعلم مخلا جودا حليفا في بني عتاب
- 9- متدقفا صقلوا به أحبابهم إن السماحة صيقل الأحساب⁽¹⁾
- الحليف المعاهد، يقول الجود ملازم لهم كالمعاهد الحليف، وينو عتاب رهط الممدوح من بني تغلب،⁽²⁾ ثم قال متدقفا أي سائلا فائضا على الناس، وجعله صيغلا للأحساب لأنه ينفي عنها اللؤم والرائثا.
- 10- خوم إذا جلسوا العتاد إلى الوغى أيقنت أن السوق سوق ضراب⁽³⁾
- 11- يا مالك ابن المالكين ولم تزل تدعى ليومي نائل وعقاب⁽⁴⁾
- 12- لم ترم ذارحهم بباقة ولا كلمت قومك من وراء حجاب⁽⁵⁾
- العتاد العدة، يقول هم أهل حروب، فإذا جلسوا إلى الحرب ألتها علمت أن السوق سوق حرب ووطن لا سوق تجارة، ثم قال، "يا مالك ابن المالكين" يعني جديه من بني تغلب أدعوك، ولم تزل مدعوا ليوم نائل وعطاء ويوم شدة وعقاب، لم ترم ذا رحم أي

1- ح ص و ت: "أباهم".

2- عتاب بن سعد بن بني تغلب، من العدنانية، وهم بنو عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب (مصحف قبائل العرب ج 2 : 749).

3- ح و ت: الحباد و ص و ت: "قوم إذا ضربوا" و ح ت: "إذا جنوا الحباد"

4- ح ت: "ابن المالكين" على التثنية.

5- ح و ت: "قوما" و ح و ت: "ولم تنهد إليهم من وراء حجاب"

توذ من نياذا رحم ولم تصبه بدهاية، ولا حجبت قومك عن نفسك، بل أنت برلهم واصل رحمهم.

- 13- لجلود باب في الأنام ولم تنزل يمتناك مفتاحا لذاك الباب⁽¹⁾
14- وأريت قومك والإساءة منهم جرحى يظفر للزمان ونساب⁽²⁾

يقول باب الجود مغلق في الأنام ويدك مفتاحه، أي لولاك لم يكن الجود، ثم قال برأيت قومك قد جرحهم الزمان بظفره وثابه، والإساءة منهم لأنهم تعرضوا لمخالفتك بعاقبتهم، وكانوا قد خالفوا عليه، وخرجوا عن طاعة فغزاهم محمد بن يوسف الصامتي نظفر بهم وأذلهم حتى أذعنوا، وأطاعوا، واستعبيوا مالك بن طوق، واستعانوا بأبي تمام فشفع فيهم.

- 15- هم صيروا تلك السروق صواعقا فيهم وذاك العفو سوط عذاب⁽³⁾
16- فأقل أسامة جرمها واصفح لها عنها وهب ما كان للوهاب⁽⁴⁾

يقول قد كان برق يجلب إليهم الغيث فصيروه جاليا للصواعق (فيهم وصيروا عفوك عنهم منك)⁽⁵⁾ سوط عذاب عليهم لأنهم أتوا من الذنب ما هو أشد من أن يعفا عنه، ثم قال فأقل أسامة قبيلتك عشرة جرمها واصفح لها عن أنفسها لأنها أصلك ورحمك (وسيعرفها الله عز وجل ظلمها ويروى "إساءة جرمها" أي قبح جرمها)⁽⁶⁾

- 17- فردوك في يوم الكلاب وشققوا فيه المزاد بجحفل كلاب⁽⁷⁾
18- وهم بعين أباغ راشوا للوغى سهميك عند الحارث الحراب⁽⁸⁾

1 - ص: "ولم يزل كذاك" و ح: "كذاك".
2 - ح: ص و ح: "وأريت قومك والإساءة فيهم" و "للخلوب".
3 - ح: "غاب".
4 - ص و ت: "عنه" و ح: ص و ح: "إساءة جرمها".
5 - زيادة يقتضيا السياق.
6 - زيادة يقتضيا السياق.
7 - ص و ت: "غلاب" و ص: ش و ح: "كلاب".
8 - ت: ش: "راشوا في اللوغى سهميك".

الكلاب موضع حاربت فيه بنو تغلب جيشا من العرب، قلما اشتدت الحرب شققوا المزاد، وصبوا الماء، وقالوا إما أن نظفر وإما أن نموت، والجحفل الجيش العظيم، واللاب جمع لأية، وهي الحرة ذات الحجارة السود شبه الجيش بها في عظمتها وسوادها.

وأباغ موضع حارب فيه النعمان بن المنذر الحارث بن أبي شعر الشيباني⁽¹⁾، وكانت بنو تغلب مع النعمان فهزموا الحارث، ومعنى قوله راشوا سهميك أي قوا أمرك، وغنموا لأن السهم لا يتم إلا بالريش، وأراد بالسهمين سهمي في العجز، وسهما بضموره في الحرب، والحراب الكثير الحرب وهو السلب. ويقال الحارث الحراب وهو جد امرئ القيس، وهو الحارث ابن عمرو سمي الحراب لشدة ملكه.

- 19- وليالي الشتران والحشاك قد جلسوا الحباد لواحق الأقارب⁽²⁾
20- فمضت كهولهم ودير أمرهم أحداثهم تدبير غير صواب

الشتران نهر على ثل الحشاك لاقت به بنو تغلب قيسا فظفرت تغلب، وقتلوا عمير ابن الحباب السلمي، فيقول لمالك بن طوق إرع لهم ما كان لأبائهم من نصرهم إياك واصفح عنهم. واللواحق الضمر، والأقارب الخواصر، ثم قال معتذرا عنهم الذي حملهم على مخالفتك أنهم أحدثا غير مجربين، فإذا بدروا أمرا لهم لم يصيبوا فيه.

- 21- لارقة الحضر اللطيف غذتهم وتباعدوا عن فطنة الأعراب
22- فإذا كشفتهم وجدت لديهم كرم النفوس وقلة الآداب⁽³⁾
23- أسبل عليهم ستر عفوك مفضلا وانفح لهم من نائل بذناب⁽⁴⁾

يقول ليس لهم لطافة أهل الحضر ورفقتهم وأدبهم، ولا عندهم فطنة الأعراب الباديين، فيحملهم ذلك على الشبه لما عليهم في مخالفتك، فإذا اختبرتهم وكشفت أخلاقهم وجدت نفوسهم كريمة أبية وأدبهم قليلة مطروحة فأسبل عليهم ستر عفوك مفضلا عليهم بذلك، وأتبع نائلا يفتح لهم به. والذناب الدلاء ضربها مثلا.

1 - أباغ في طرف أرض العراق بمابلي الشام. (الروض المطار: 10).
2 - ص: ت: "الحشاك والشتران"، و ح: ت: "ضوا الحباد".
3 - ح: ص و ح: ت: "وكثرة الآداب".
4 - ح: ت: "من نعمة".

24- لك في رسول الله أعظم إسوة وأجلها في سنة وكتاب⁽¹⁾

25- أعطى المؤلف القلوب رضاهم كمالا ورد أخايد الأحزاب⁽²⁾

يقول انثسيت في قومك برسول الله صلى الله عليه وسلم، فلك فيه أعظم إسوة في كتاب الله عز وجل وسنة الرسول عليه السلام، ثم ذكرنا في القرآن من إعطاء المؤلفه قلوبهم والصفح عنهم، وهم قوم من قرشي وغيرهم كان النبي صلى الله عليه وسلم أعظامهم غنائم خير⁽³⁾ يتألفهم على الإسلام أول ظهوره، وأما الأخايذ (فالسبايا)⁽⁴⁾ ردهن صلى الله عليه وسلم، وسلم يوم حنين بالجرأة بشفاعة السعدية⁽⁵⁾ أخته من الرضاع، فيقول لما لك اقتد بفضلها، وأعف عن قومك.

26- والجعفر يرون استقلت ظلعنهم عن قومهم وهم نجوم كلاب⁽⁶⁾

27- حتى إذا أخذ الفراق يقطه منهم وشط بهم عن الأحزاب⁽⁷⁾

28- ورأوا بلاد الله قد لفتتهم أكنافها رجعوا إلى جباب

الظعن جمع طعيئة، وهي المرأة في اليهودج، وقد يقال لليهودج طعيئة وحده، وللمرأة أيضا طعيئة، وأصله من الظعن وهو الرجل. يقول أفعل بقومك ما فعل جواب ببني جعفر بن كلاب حين تحمل الدماء، وأصلح بينهم وبين أبي بكر بن كلاب قومه بعد أن (قتلت غني)⁽⁸⁾ قبيلة من الجعفرين رجلا فأعانت عليهم بنو أبي بكر بن كلاب،

1- ح: ت: " وأجلها " بالخاء.

2- ص: ش و ح: ت: " كراما ".

3- ص: ش و ح: ت: " كراما ".

4- خير هي الموضع المذكور في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم، وهي ناحية على قانية يرد من المدينة لمن يريد الشام، يطلق هذا الاسم على الولاية وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع وتغل كثير معجم البلدان ج 410:2.

5- زيادة من ص.

6- حليلة السعدية من أمهات النبي صلى الله عليه وسلم في الرضاع. تسلمت من أمه أمتة، ونشأ في بادية بني سعد في الحديبية وأطرافها، ثم في المدينة وعادت به إلى أمه وقدمت حليلة على مكة بعد أن تزوج رسول الله عديدا، وشكت إليه الجذب، فكلم خديجة بشائها فأعطتها أربعين شاة، وقدمت مع زوجها بعد النبوة فأسلمها وجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين، فقام إليها وسدل لها رداء فجلست عليه "الأعلام ج 2: 271".

7- ح: ت: " ميرهم "

8- ص: ش: " بروي: "الأحباب" وهو موضع ويقال الحاء تصحيف.

9- التصويب من ص.

وكان الجعفريون قد انتقلوا عنهم لما رأوا من العوز فلم يزالوا سائرين في آفاق الأرض حتى طابت نفوسهم على الرجوع إلى جواب، وكان سيد بني بكر بن كلاب، فحكموه فتحمل الدماء، وأصلح بينهم وبين قومه، وكانت بنو جعفر من أشراق الكلبيين، فلذلك قال وهم نجوم كلاب، ومعنى لقطتهم نبت بهم، ولم تحملهم، وأصله من لفظ الشيء عن القسم، ومعنى شط بعد، والأحباب بالجمع موضع من بلدهم، ولكن الرواية شط بهم عن الأحباب.

29- فأتوا كريم الحيم مثلك صافحا عن ذكر أحنقاد مضت وضباب⁽¹⁾

30- ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المستغابي

الحيم الخلق، وضباب جمع ضب وهو الحقد، والغبي الجاهل الغافل عن الأشياء، والمستغابي المتعمد لذلك وليس من طبعه.

يقول لما أثر الجعفريون جوابا أتوا رجلا كريم الخلق مثلك صافحا على الذي كان بينه وبينهم متغافلا عنه، وكذلك السيد من تغافل لقومه وصفح عما أذنبوا إليه، والغبي الجاهل أعاف عنهم وأصفح عن ذنوبهم.

31- قد ذل شيطان السفاق وأخفت بيض السيوف زفير أسد الغاب⁽²⁾

32- فاضمم قواصيمهم إلسيك فإنه لا يزخر الوادي بغير شعاب⁽³⁾

33- والسهم بالريش اللوام ولن تری بيستا بلاعمد ولا أطسنا

الزئير صوت الأسد، ومعنى أخفتت سكنت، والقواصي النواحي المتباعدة. والشعاب ما يتشعب إلى الوادي الأعظم من الأودية الصغار والتلاع وغوها، واللوام أحسن الريش، وهو أن يلصقوا بطن ريشة بظفر أخرى، واشتقاقه من الالتئام، وهذه كلها أمثال، يقول لما لك بن طوق قد سكن بها قومك وذل شيطانهم بعد أن كان الوادي لا

1- ح و ص و ح: ت: " النجر "

2- ص و ح: ت: " سلطان اللفاق "

3- ص: " غباب " و ح و ص: ت: " أفاصهم " و ح من: " غباب " بالعين.

عظمت عليها الليالي ويكرت زادها ذلك جدة وحسنا، وليست مما يَبْئَى ويتغير حسنه بتقادم الأيام وتعاقب الدهور.

يقوي ويعظم إلا بشعابه المندفعة إليه، والسهم لا يضي وينفذ إلا بريشه، والجباء لا يقوم إلا بعمده وأطنايه، وكذلك أنت لا يتم أمرك ويكمل عزك إلا بقومك.

34-مهلا بني غنم بن تغلب إنكم للصيد من عدنان والصياب

35-لولا بنو جشم بن بكر فيكم رفعت خيامكم بغير قباب

الصيد السادة، والصياب الخاصة، يقول لبني [تغلب لا تخالفوا عن أهل]⁽¹⁾ فإنهم من السادة الخالص من عدنان، وبهذا المدح وقومه بني جشم تسمون وتستزيدون من الشرف، ولولاهم لكانت بيوتكم في الشرف كخيام لأقباب لها.

36-يا مالك استودعني لك مئة جعلت إليها ساقة الأحقاب⁽²⁾

37-يا خاطبا مدحي إني بجوده ولقد خطبت قليلة الخطاب⁽³⁾

38-خذها ابنة الفكر المهذب في الدجي واللبل أسود رقعة الجلباب

المئة النعمة، يقول لك في نعمة متصلة بآخر الدهر مادت حيا أرعاها وأشكر عليها، والأحقاب الدهور، ثم قال أنت أبدا تجود علي، وأنا أمدحك، فكانك تخطب إلي مدحي، وتجعل مهوره من العطايا، على أنها قليلة الخطاب لقللة أهل الجود والكرم. ثم قال خذ هذه القصيدة نتيجة الفكر الصحيح المهذب في الليل وهو مسود الجلباب، وهو الثوب.

39-بكر تورث في الحياة وتنشي في السلم وهي كثيرة الأسلاب⁽⁴⁾

40-وزيدها كر الليالي جدة وتقادم الأيام حسن شباب⁽⁵⁾

يقول هذه القصيدة بكر لا نظير لها ولا سبقت إلى مثلها، وهي مع ذلك تراث مال المدح وهو حي وترجع عنه وهي قد سلبته على أنها مسالة غير محاربة، وكلما

¹ - زيادة بقضيتها السابق.

² - ص و ح ت: "مئة" و ص ت: تبني دخانها على الأحقاب" و ح ص و ج ت: "خطبت إليها" و "تبني على الأيام والأحقاب".

³ - ص و ت: "إليه".

⁴ - ح ص و ج ت: "تغذي" و "بكر تورث في الحروب" و ح ت: "تهب في الحياة".

⁵ - ص و ت: "امر الليالي".

القصيد [35]:*

وقال بمدح القاسم بن عيسى العجلي:

- 1- أما الرسوم فقد أذكرن ما سلفا فلا تكفن عن شأنيك أويكفا
- 2- لا عذر للصب أن يقنى السلوى ولا للدمع بعد مضي الحى أن يقفا⁽¹⁾

الشأن يجرى الدمع في الرأس يقول الرسوم أذكرتنا ما سلف لنا من الأوبة والاجتماع والألفة، فلا تقعن شأن الدمع ولا تكفنه حتى يكف ويقطر، ثم قال لا عذر للصب المشتاق في أن يسلو إذا نظر إلى هذه الرسوم، والدمع أيضا غير معذور في الوقوف والإمساك عن السيلان والجري بعد أن مضى الحى وبأن الأوبة، ومعنى يقنى يلزم، ويروي يقنى، ولا وجه له إلا على إرادة لا.

- 3- حتى يظل بماء سافح ودم في الربيع يحسب من عينيه قد رغفا⁽²⁾
- 4- وفي الحدور مهى لو أنها شعرت به طغت فرحا أو أبلست أسفا⁽³⁾

السافح الجاري. يقول لا عذر له دون أن يبكي بدمع ممتزج بدم لتأثير الدمع في أجفانه أو لا ينفذ دمعه حتى يستدر الدم في أثره، ثم قال في الحدور وهي الهوادج جوار كالمهى وهي بقر الوحش لو شعرت به ونظرت إلى حاله لفرحت بقره فرحا شديدا، أو أبلست أسفا وحزنا لما [تبين]⁽⁴⁾ من سوء حاله وشدة حزنه، ومعنى أبلست حزنت وسقطت في الدماء.

- 5- لآلئ كالنجوم الزهر قد لبست أبقارها صدف الإحصان لا الصدف

يقول هؤلاء الجواري كآلئ في الحسن وقضاء اللون. وكالنجوم في الرقة والجمال لأن صدفها الإحصان والعفاف، وصدف اللؤلؤ حجر.

- 6- من كل خود دعاهال بين فاينكرت بكرا ولكن غدا هجرانها نصفا⁽¹⁾
- 7- لا أظلم النأي قد كانت خلاقتها من قبل وشك النوى عندي نوى قذفا⁽²⁾

الحدود الناعمة، والنصف المتوسطة، والبكر الصغيرة، يقول لما دعا هذه الجارية بين أجاته فبكرت بالفراق، وهي بكر صغيرة ولكن هجرها لي قديم قوي كالنصف. ثم قال لا أنسب هجرانها إلى النأي والبين ولا أظلمه بذلك فقد كانت وهي مقيمة نائية عني، هاجرة لي، فكانت صناعتها التي تحملها على الهجر عندي نوى قذفا أي بعيدة.

- 8- غيداء جاد ولسي الحسن سننتها فصاغا ببيديه روضة أنفا
- 9- مصقولة سترت عنا ترائبها قلبا بريئا يناغي ناظرا نظفا⁽³⁾

الغيداء الطويلة العنق، والولي مطر الوسمي، والسنة الوجه، والأنف التي لم ترع بعد، والمصقولة البضة الرقاق، والترائب عظام الصدر، والنطف الحديث الجاري. يقول هي غيداء العنق حسنة الوجه جدا حتى كأن الحسن غذاها كما تغدى الروضة غيا وجهها في حسن الروضة التي لم ترع. ثم قال هي إذا نظرت قتلت بحسن عينيها، وقلبي بريء من ذلك لأنها غفيفة لا تقصد إلى قتل أحد، فقلبي يناغي ناظرها ويعارضها بضد فعله، وأصل المناغة تكليم الصبي بما يهو.

- 10- يضحى العذول على تأنيبه كلفا بعذر من كان مشغوقا بها كلفا⁽⁴⁾

يقول العاذل الذي من شأنه التأنيب اللوم يكلف بإقامة عذر من كان عاشقا لهذه المرأة كلفا مشغوقا بجبها.

1 - ح من: "الحسن" مكان "البين".

2 - ح من: "عند القوى".

3 - ح من: "قلبا عروفا" و ح من: "قلبا نريا" و ح من: "بناسي".

4 - ح من: "مشغولا" و ح من: "العذو" مكان "العذول".

* - القصيدة من البحر البسيط.

1 - ص و ت: "الحياء" مكان "السلوى".

2 - ص: "في الحد" مكان "في الربيع".

3 - ح من: "لقد طغت" و ح من و ت: "إذا" و ح من و ت: "لو أنها سقرت" و ح من و ت: في السور

4 - زيادة بقضيها السابق.

11-ودع فؤادك توديع الفراق فما أراه من سفر التوديع منصرفاً⁽¹⁾

12- يجاهد الشوق طورا ثم يجذبه إلى جهاد القوافي في أبي دلفاً⁽²⁾

يقول مخاطباً لنفسه ودع فؤادك وداع من فراقه عند توديع أحبته، فما أظنه راجعاً من سفره مع الأحبة وذعابه معهم، ثم قال يجاهد قلبه الشوق أي يكابده ويقاسيه تارة، وتارة يجذبه إلى مقاساة القوافي في مدح أبي دلف، والمعنى إنه يحاول بأن ينسى من شوقه بالفكر في مدح هذا الرجل.

13- مجوده انصابت الأيام لابسـة شرخ الشباب وكانت جلة شرفاً⁽³⁾

14- حتى لو أن الليالي صورت لغدت أفعاله الغر في أذانيها شنفاً

شرح الشباب أوله، والجملة المنة، والشرف المنة. يقول رجعت الأيام بما بسط من جوده وكرمه شاية بعد أن كانت مسنة متغيرة فلو أن الليالي صورت لكانت أفعاله المشهورة الغر قرطة لأذانيها وزينة لها.

15- إذا علا طود مجد ظل في نصب أو يعتلي من سواه ذروة شعفاً⁽⁴⁾

16- فلو تكلم خلق لسان له لقد دعته المعالي ملة طرفاً⁽⁵⁾

الطود الجبل، والنصب التعب، وذروة كل شيء أعلاه، والشعف أعلى الجبل، والملة الملل، والطرف المستحدث للإخوان الذي لا يثبت على أخ واحد. يقول همته أبداً سامية به إلى المعالي، فكلما نال منها درجة سمت به همته إلى أعلى منها، فهو في نصب وتعب ما لم ينتقل إلى غيرها حتى يعلو إلى ذروة أخرى، فلو كان للمعالي عقل ولسان لكانت تدعوه ملولاً مستظفاً، لا يثبت على أعلى حتى ينتقل إلى أخرى.

1 - حـ: من سفر النوبة" وحـت: "النوبة".

2 - ص: وت: "جهاد للقوافي" وحـ: "ترجمه" مكان "بجته" وحـ: "بجانب الشوق". و "ثم يجاهد جاهدات" وحـ: "تشر: جاهدته القوافي"، و حـ: "تشر: "جهاد الشوق" وحـ: "تشر: "جهاد الشوق" وحـ: "تشر: "جهاد الشوق".

3 - حـ: "انصابت".

4 - حـ: "تعب" مكان "نصب" و "ملة" مكان "ذروة".

5 - ص: "فلذا" وحـ: "تشر: "لقد دعته المعالي" و"لقد دعته الليالي" و"القوافي". وحـ: "ملة طرفاً" بفتح الميم في "ملة" وفتح الطاء وكسر الراء في "طرفاً".

17- جم التواضع والدنيا بسووده تكاد تهتز من أطرافها صلفاً⁽¹⁾

18- قصد الخلائق إلا في وغى وندى كلاهما سبة ما لم يكن شرفاً⁽²⁾

يقول هو كثير التواضع لله عز وجل على أن الدنيا مزينة بسووده وكرمه تكاد تهتز من أطرافها تبهتراً وعجباً وتجاوزاً في الطرف. ثم قال هو قصد الخلائق معتدل إلا في الحرب والجود فهو مسرف الخلق، وكل واحد منهما ما لم يسرف فيه ويتجاوز التقصد به، فهو تقصير أو سبة، ويروى بسنة بالثون ولاوجه له هنا.

19- تدعى عطاياء وفرا وإن شهرت كانت فصارا لمن يعفوه مؤتلفاً⁽³⁾

20- مازلت منستظراً أعجوبة عسنا حتى رأيت سؤالا يجنني شرفاً⁽⁴⁾

الوفر المال الكثير، والمؤتلف المستيق. يقول عطاياء مال في ظاهرها واسمها وهي فخر وشرف مستيق لمن شهرها وأقرها، ثم قال مؤكداً لما قدمه لم أزل أنتظر أعجوبة تعن فيما يأتي به الزمان حتى رأيت مسألة تفضي بسألها إلى اكتساب الشرف.

21- يقول قول الذي ليس الوفاء له عزموا وينجز إنجاز الذي حلفنا

22- رأى الحمام شقيق الحلف فاتفقا في ناظره وإن كانا قد اختلفا⁽⁵⁾

يقول هو جزل في الرجال كريم ينجز الذي يقول من الكلام في الميعاد حتى تحسب أنه غير قادر على الوفاء به، وكرمه وجوده ينجز إنجازاً وكيداً كأنه قد حلف عليه، ثم قال الحمام والحلف عنده أخوان شقيقان متفقان في عينيه وإن كانا مختلفين في الحقيقة لأن الموت تتلف النفس، والحلف يبقى المال، إلا أن الحلف وإن بقي المال فهو متلف للمعروف والكرم، فمن هاهنا سوي عنده بالموت.

23- كلاهما رائح غدا يدلل علسي معروفة وعلسي حوائبه استلفاً⁽⁶⁾

1 - ص: "من أطرافه" وحـ: "في أطرافه".

2 - ص: وحـ: "سبة" وحـ: "في ندى ووغى".

3 - حـ: "تدعى عطاياء وفرا، ولن ترعاه مؤتلفاً". وحـ: "شبهت".

4 - ص: وحـ: "تشر: "بجنى" وحـ: "تشر: "زما".

5 - حـ: "شقيق النفس" و"نظير الحلف".

6 - حـ: "اللفظ".

30-خطوا ترى الصارم الهندي منتصرا به من المارن الحطبي منتصفا⁽¹⁾

الرتك سرعة السير، ومعنى اسحفرنت استمرت، والتطف جمع قطف وهو التقارب الخطو، والمارن الرمح اللين عند الهز، يقول بذلك جرأت المسلمين حتى انبسطت خطاهم واتسعت عند منازل المشركون بعد أن كانت تلك الخطا قصارا ضيقة بما ظهر من قوة بابك وأصحابه، ثم بين أن تلك الخطا لسعتها وصلت أصحاب السيوف إلى أصحاب الرماح حتى انتصروا منهم وانتصفا وهذا نحو قول الانصاري⁽²⁾ :

إذا قصرت أسيافتنا كان وصلها خطانا إلى أعدائنا فنضارب⁽³⁾

31- ذمرت جمع الهدى فانقض متصلنا وكان في حلقات الرعب قد رسفا

32- ومر باباك ممر العيش متصلنا مخلوليا دمه المعسول لو رسفا⁽⁴⁾

الذمر التحريض والإغراء، والمتصل المتجرد والرسفان مشي المقيد، يقول حرضت جماعة المسلمين على الإقدام بحسن رأيك وصحة تدبيرك فأسرعوا إلى المشركون متصليين جادين بعد أن كانوا بمنزلة من يمشي في قيد رعبا وهيبه، ثم قال ومر باباك منهزما قد أمر عليه عيشه، إلا أن دمه للمسلمين حلو لو نالوه ورشقوه.

33- حيران بحسب سبغ النقع من دهش طسودا بخاذر أن ينتقض أو جرفا

34- ظلل القنا يستقي من صفه مهجا إما نثادا وإما ثرة خسفا

1 - ح من: "الهندي" مكان "الحطبي" ومازنا" بالزاي وهو تصحيف ح و ح ت: "عري الصارم الهندي"
2- قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي، أبو يزيد، شاعر الأوس، وأحد صناديدهما في الجاهلية، أول ما اشتهر به تنبؤه فاطلي أبيه وجده حتى قتلها، أدرك الإسلام وثرثت في قوله قتل قل أن يدخل فيه نحو السنة الثانية قبل الهجرة.
الاعلام ج 205:5 والبيت في ديوانه ص: 34 وهو من قصيدة طويلة قالها في حرب حاطب ومطلبها:
أعرف رسما كاتراد المذهب *** لعمرة وحشا غير موقف رابك

3 - ح من: "ورمت" وهي تصحيف مر.
4 - ح من وت: "متجذعا" ح من: "مر البع" ح و ح ت: "متجذعا" وعولوا دمه" بنصب الميم "دمه" على التعدية وهو جائز، وقال بعضهم رفع "دمه" على أنه فاعل أجود.

24- ولو يقال أمس السيف شرهما ما شام حديه حتى يقتل الخلفا⁽¹⁾

يقول الخلف يدل التلف على معروفه وكرمه، والحمام يتلف حواءه أي نفسه، فلو يقال أمس السيف شرهما عندك لما أغمد حديه حتى يقتل الخلف (ويذهبه)⁽²⁾

25- إن الخليفة والأفشين قد علما من اشفيى لهما من بابك وشفا

26- في يوم أرشق والهجاء قد رشقت من المنية رشقا وإبلا قصفا⁽³⁾

يقول أنت شفيت المسلمين من بابك وأشفيت الخليفة والأفشين منه بعد أن كان قد أعجزهما، ثم قال في يوم أرشق وهو موضع التقوا فيه، والحرب قد رمت جملة من المنايا كالرشق، وهو أن ترمى جماعة من سهام مرة واحدة، والوابل المطر الغزير، ضربه مثلا لما عمهم من القتل، والقصف الشديد التصويت.

27- قد كان شخصك في أغفالها علما وكان رأيك في ظلماتها سدفا⁽⁴⁾

28- نصوته دلفيا من كنائسه فأصبحت فوزة العقبى له هدف⁽⁵⁾

الأغفال جمع غفل وهو الذي لا علم فيه، والسدف هاهنا ضوء الصبح، ومعنى نصوته جردته واستخرجته، والفوزة الظفرة والهدف الغرض، يقول قد كان شخصك في الحرب علما لا غفل لها ورأيك ضوءا يجلي ظلماتها، ثم قال نصوت ذلك الرأي دلفيا إلا أنه من آرائك المنسوبة إليك، والكنانة فكره الذي اشتمل عليه، أو صدره فأصبحت به الفوز وحسن العاقبة غرضا له أصابه.

29- به بسطت الخطا فاسحفرنت رنكا إلى الجلال وكانت قبله قفل⁽⁶⁾

1 - ح من وت: "افرحد السيف".
2- بقدار كلمة غير واضحة في الاصل والزيادة بتفضيها السياق
3 - ح من: "من البلية"
4 - ح من وت: فكان شخصك" ح من: سدفا" بضم السين.
5 - ح من: "قصيته"
6 - ح من وت بن: رفضا" ح من: "له بسطت الخطى" ح ت: "لقد بسطت العلى".

35- من مشرق دمه في وجهه بطل أو واهل لونه للرعب قد نرقا⁽¹⁾

السبح الست والنع العبار، والطود الجبل، والمهج النفوس وهي الدماء هنا، والشماد المياه القليلة، والشرة البئر الغزيرة الماء والخنف جمع خنف وهي البئر التي خسف صفاهما فكثرت حممتها ضربها مثلاً. يقول ذهب بابك حيران بحسب ما أثار فرسه من الغبار جيلًا أو جرفا لشدة دهشه وخوفه، فهو كأنه يفر خوفاً من أن يقع عليه. ثم قال نالت منهم الرماح كل جبان قد ذهب دمه جرحاً فبقي منه مثل الشمد وكل شجاع لم يذهب دمه لجرائته وقوة نفسه في كثرة ماء البئر لشدة، ثم فسر هذا بقوله من مشرق [البيت].

36- فذاك قد سقيت منه القنى جرعا وذاك قد سقيت منه القنانظقا⁽²⁾

37- مستفقتا سلين الروم زرقنتها والعرب سمرتها والعاشق القضا⁽³⁾

الجرع الحسا، والنظف المياه القليلة، يقول سقيت الرماح من دم الجبان جرعا لقلته دمه، وسقيت من دم البطل المشرق الوجه نظفاً، وانظف وإن كانت ماء قليلاً فهي مؤونة لشاربها، فلذلك جعلها مثلاً لدم البطل، ثم قال تلك الرماح مقاومة بالثقاف وأستنها زرق صافية، فكأنها سلبت زرقه الروم وقناها سمر في لون العرب وهي ذابلة قضفة كالعاشق المذنب القصف.

38- ما إن رأيت سواما قبلها هملا ترعى فيهندي إليها رعيها عجفا⁽⁴⁾

39- ورب يوم كأيام تركت به متن القننة ومتن القرن منقصفا

السوام الإبل الراعية، والهمل الهمة في المرعى والعجف الهزال، يقول الرماح أبداً ترعى النفوس، وترد الدماء طعناً فلا يردّها ذلك إلا عجيفاً وهزلاً، فكأنها إبل سائمة مهملة ترعى فتَهْزَل، ثم قال كم يوم من أيام الحرب هو في طوله كأيام طعنت فيه

قربك قصفت القننة في ظهره أي كسرتها فيه، فسمع لها صوت شديد وأراد منقصفاً فاجتزأ بجز واحد.

40- آزت أبر شتوما والقنا قصد غياية الموت والمقورة الشسفا

41- لما أوك وإياها ململمة يظل منها جبين الشمس منكسفا⁽¹⁾

42- ولوا وأغشيتهم شما غطارفة لغمرة الموت كشافين لا كشافا

أبر شتوما من حصن بابك، والقصد المنكسرة والغاية الغيرة، والمقورة الحيل الضمر، والشف اليابسة والململة الكتبية المجتمعة والغطارفة السادة والكشف المنهزون، ويقال للذين لا ترس لهم. يقول حملت الحيل على زيارة أبر شتوما والرماح منكسرة لكثرة الطعن بها فهيجت الحرب وأترب غبارها حتى حجب نور الشمس وكشف جبينها، فلما رأى كنيبتك بابك وأصحابه ململمة قد كسف غبارها الشمس ولوا منهزمين، فغشيتهم من أصحابك شم الانوف أعرة يكشفون غمرة الحرب ولا ينهزمون.

43- قد نيزدوا الحجف المحيون من زؤد وصيرواها مهم بل صيرت حجفا⁽²⁾

44- أغشيت بارقة الأغعاد أروسهم ضربا طليخفا ينسي الجانف الجسفا

الحجف [الترس] والمحيون المحكم الشديد، والزؤد القزع، وبارقة الأغعاد السيوف، شبيهاً بالبرق، والطلخف الشديد رمى بابك وأصحابه حجفهم خوفاً ودهشاً، وصيرت حجفاً بغير إرادتهم [حين علوت رقى القصد والاستقامة⁽³⁾].

45- برق إذا برق غيث بات محتظفا للطرّف أصبح للأعناق محتظفا⁽⁴⁾

1- ح ص و ت: "الدعر" مكان "الشمس"

2- ح ص و ت غ: "قد نيزدوا" على التخفيف والزحف و"نيزدوا" يشديد الباء..

3- زيادة بقضيها الساق.

4- ح و ت ح من: "الليلمات".

1- ص و ت: "دمه" مكان "لونه" وح ص و ت: "دواعل"

2- ح من: "وذاك" و"الطنى" مكان "القنا" الأولى وهو تصحيف وح ص و ت ح: "دعا" مكان "جرعا"

3- ص و ت ح: "أدنيها" وح ت: "والعرب ألوهايا"

4- ح ص و ت: "برعى فيهندي إليه رعيها"

فعلك بهم وأظنوا به، أي لازموا كانت آثار فعلك كالصنف في وجوههم فتضحهم وتشهد لك عليهم.

50- وغبضة الموت أعني البذ قدت لها عر مرما لحزون الأرض معتسفا

51- كانت هي الوسط الممنوع فاستلبت ما حولها الحيل حتى أصبحت طرفا⁽¹⁾

الغيضة الأجمة، شبه البذ في حصانته ومنعتها بأجمة، وأضافها إلى الموت لأن بابك كان كالموت في شدته وكثرة قتله للمسلمين، والعزم الجيش العظيم والمعنف الراكب لرأسه لا يبالي ما مر به، ثم قال كانت البذ منيعة وسط بلاد بابك، فلم تزل الحيل فتفتح حصونها وتستبيح ما حولها حتى صارت طرفا مباحا.

52- فظل بالظفر الأفشين مرتديا ويات بابكها بالذل ملتصقا⁽²⁾

53- أعطى بكتلتا يديه حين قيل له هذا أبو دلف العجلي قد دلفا

يقول رجع الأفشين من غزوته، وقد شمله الظفر فصار كالرداء، وخلط الذل ببابك فصار له كاللحاف، وأضاف بابك إلى البذ لأنها قاعدته، ثم قال لما شعر بابك بأبي دلف قد دلف إليه مبارزا له أعطى بكتلي يديه مذعنا ذليلا.

54- تركت أصفاهه مغضوضة أبدا ذلا تمكن من عينيه لا وطفلا⁽³⁾

55- يا رب مكربة تجتسى إذا نزلت قد عرفت في ذراك السر واللفظا⁽⁴⁾

يقول أصفان بابك مغضوضة ذلا وضعة لا وطفلا وهو كثرة شعر العين وإقباله على الوجه، ثم قال كم من مكربة يجفوها غيرك وبعدها، فإذا نزلت أوتيتها وكففتها ولقيت عندك البر واللفظ بها.

1- ح: من: "صوت"

2- ص: ت: "وظل" و ح: من: "مالكها" مكان "بابكها" وهو تصحيف وح: ت: "فبات بالظفر الأفشين... وظل بابكها".

3- ص: "مغموسة".

4- ح: ص: وح: ت: "قد عرفت" البناء للعلوم.

46- بالبيض قد أيقنت أن الحسام إذا هجيرة حرضته ساعة أنفا⁽¹⁾

يقول السيف في لمعانه كالبرق إلا أن البرق يختطف الأبصار، والسيف يختطف الرؤوس، ويذهبها، ثم قال بالبيض أي تضاربه بالبيض وهي قد علمت أن الحسام القاطع منها إذا استعمل وضرب به مرة بعد مرة فاستحذ وأصابه مثل حر الهاجرة، وأبرز للشمس حتى استحذ ولان منه فحرضه ذلك وأغراه ساعة أنف، واشتد غضبه، فلم يبق ولم يذر، وهذا مثل ويروى فالبيض قد علمت يريد بيض السلاح.

47- كبت وجوههم مشقا ونفمة ضربا وطعنا يزيل الهام والصلفا⁽²⁾

48- كتابة لاتني مقسوة أبدا وما خططت بها لاما ولا ألفا⁽³⁾

49- فإن أظنوا بإنكار فقد تركت وجوههم بالذي أوليتهم صفحا⁽⁴⁾

الصف نواحي الاعتناق. يقول كبت وجوههم كتابا مشقا أي طويلا رقيقا لأنه ضرب بالسيف، وكتابا منمنما أي صغيرا مضبوطا يعني الطعن بالرمح، يزيل ذلك الضرب الهام، ويزيل الطعن الصف عن حالها، ثم قال كبت ذلك كتابة لاتزال تفرؤها في وجوههم على أنها ليست كتابة في الحقيقة، فلا لام فيها ولا ألف، وإن راموا إنكار

1- ص: وت: "قد أفتت" و ح: من: "الحمام" وهو تصحيف و "حركة"

2- ص: "كبت" بالتشديد، وقال المولي في شرحه للبيت: "ويروى 'كبت غففة' و ص: وت: 'أوجههم' و 'بات الهام' و ح: من: 'بات' بالفاء وقال الفيدي في شرحه للبيت: 'و إذا صحت الرواية على قوله: 'بات الهام والصلفا' فهو من عاف الطعام والشراب إذا كرهه... وبعضهم يروي: 'يعني الهام والصلفا'."

3- ورد في مائش هذا البيت في شرح المولي قول الحق التالي: روى أبو العلاء:

كبت هاماتهم مشقا ونفمة وما خططت بها لاما ولا ألفا

ثم قال: وقوله:

كتابة لاتني مقسوة أبدا ضربا وطعنا يعاف الهام والصلفا

وأضاف الحق: "وبعضهم يروي: 'يعني الهام والصلفا'."

4- ح: من: "وجوههم بالذي أوليتها"

و ح: ص: وت: "تركت جوههم بالذي أوليتها" و ح: ص: وح: ت: "أظنوا" بالفاء.

القصيدة [36]*:

وقال يمدح محمد بن يوسف، ويعرض بإنسان كان ناسكا ولي الثغر مكانه فهزم:

- 1- أطلالهم سلبت دماها الهيفا واستبدلت وحشا بهن عكوفنا
- 2- يامنزلا أعطى الحوادث حكمها لامطلل في عدة ولا تسويفا
- 3- أرسى بناديبها الندى وتنفست نفسها بعقوتك الرياح ضعيفا⁽¹⁾

الدمى صور الرخام، شبه النساء بها، والهيف المطوية الحصور، والعقوة فناء الدار، ومعنى أرسى ثبت وأقام. يقول سلبت أطلال الأحبة جوارى كالدمى، وعوضت بهن وحشا عاكفة فيها، ثم قال يا منزلا حكم حوادث الدهر في نفسه دون مظل في وعده ولا تسويف جعل الله الندى والغيث راسيا بناديك أي مجلس الحلي فيك، وجعل هبوب الرياح فيك ضعيفا حتى لا يعفو أثرك، ولا يتغير رسمك.

- 4- شغف الغمام بعرضتيك فرما روت ريباك الهائم المشغوقا⁽²⁾
- 5- ولئن ثوى بك ملقيا أجرامه ضيف الخطوب لقد أصاب مضيفا⁽³⁾
- 6- وهي الفجائع لم تنزل نكباتها يالفن ريع المنزل المألوف⁽⁴⁾

المشغوف الذي بلغ الحب شغف قلبه وهو أعلاه، والمشغوف الذي بلغ شغاف قلبه وهو حجابيه، والربا ما ارتفع من الأرض، والأجرام جمع جرم وهو جسم الشيء وجملته. يقول جعل الله الغمام مشغوقا بعراضك، ألقا لها، مرويا لها فكثيرا ما روت ريباك بوصال من كان فيك من الأحبة العاشق والمشغوف بهم، ثم قال لئن نزل بك ضيف من خطوب الدهر فغيرك لقد أصاب منك مضيفا مكرما لمن حل به، ثم قال وهي الفجائع المعهودة لم تنزل نازلة بالمنزل المألوف المجتمع فيه آلفة له مغيرة حاله.

* القصيدة من البحر الكامل.

1- ص: "برصتك" مكان "بناديبها" و ص:ش و ت: "بناديك الندى".

2- ص و ت: "ورفا" و ح:ص و ت: "المشغوقا" و ح:ت برصتك".

3- ح:ص و ح:ت: "مضيفا" بفتح الميم على أنه موضع الضيافة.

4- ص و ت: "الحوادث"

56- لو لم تفت مسن المجد منذ زمن بالجلود والبأس كان المجد قد خرقا⁽¹⁾

57- نامت همومي عني حين قلت لها حسبي أبو دلف حسبي به وكفا⁽²⁾

يقول صيرت المجد فتى شابا بجودك وبأسك بعد أن كان مسنا، ولو لم تداركه لكان قد هرم وخرف وأشرف على الذهاب، ثم قال نامت عني الهموم وسكنت حين عولت عليك وأشعرتها بركوبي إليك واكتفائي من جميع الناس.

1- ح:ص: "لو لم تفت مسن المجد".

2- ح:ص: "هذا أبو دلف حسبي به وكفى"

- 7- خلفت بعقوتك السنون وطالما كانت بنات الدهر عنك خلوا⁽¹⁾
- 8- أيام لا تسلط بأهلك نكبة إلا تراجع صرقتها مصروفا
العقوة فناء الدار، والخلوف الطيب هنا. يقول صارت سنون الشدة خلفا بقربك
من أهلك بعدما كانت بنات الدهر حوادته خلوا عنك غيبا، ثم قال كان ذلك في أيام
إقامة أهلك بك، وكانوا إذا سلط بهم نكبة من الزمان دفعوها بقربهم منك وكرمهم
فرجع صروف تلك النكبة.
- 9- وإذا رمتك الحادثات بالسلطة ردت طلباؤك طرفها مطروفا
10- من كل مطعمة الهوى جعلت لها منا محبات القلوب وقوفا⁽²⁾
- 11- ورقصة اللحظات يعقب رفقها بطشا بمغتر القلوب عنيفا⁽³⁾
- الطرف العين، والمطروف الذي أصابه شيء فأضعف نظره، يقول كانت الحوادث
إذا نظرت إليك لحظة واحدة ردت جواريك اللاتي هن كالطباء عيون تلك الحوادث
مطروقة خاسته بحسنهن ونور وجوههن، ثم قال من كل جارية حسنة من نظر إليها هواها،
ووقفت محبته عليها فيصير هواه لها طعمة ورزقا، ثم قال في الخطأ لهن فتور ورفق إلا أن
ذلك الرفق يبلّس بالقلب المغتر، ويعنف به فيقتله.
- 12- حزن الصفات روادفا وسوالفا ومحاجرا ونواظرا وأنوقا⁽⁴⁾
- 13- كن البذور الطالعات فأوسعت عنا أفولا بالنوى وكسوقا⁽⁵⁾
- 14- آرام حسي زعزعتهم نية تركتك من خمر الفراق نزيفا⁽⁶⁾
- السوالف صفحات الاعناق، والمحاجر ما أحاط بالعيون، والنزيف السكران. يقول حازت
محاسن هؤلاء الجوارى صفات الواصفين في امتلاء روادفهن، وبياض سوافهن ونقاء

¹ - ح: "خفوا".

² - م: "مودات" و ح: "الصدور" مكان "القلوب" و ت: "من كل مطعمة الهوى".

³ - ح: "رفقة" بقاء، و ح: "بغتر القلوب" و ت: "بغتر القلوب" على الجمع.

⁴ - م: "حزن" بالجمع، و ح: "نواظرا ونواظرا".

⁵ - ح: "النوى" و ح: "فأوسعت" و ح: "السالمات".

⁶ - م: "زفهم" و م: "زفهم طبة".

محاجرهن، وحسن نواظرهن وشمم أنوفهن، ثم قال كن لها كالبذور الطالعات، فلما
رحلن عن هذه المنازل كن كيدور أفن وكسف نورهن، ثم قال هن في الحسن كالآرام إلا
أنهن متفواتات في ذلك فكأنهن من الجن لأنهن يسحرن ويغبلن العقول، ومعنى زعزعتهم
حركتهن وقلقلتهن، والنسية مأنوا من سفر، ثم قال تركتك تلك النية متحيرا مشغول
البال، فكأنك نزيف سكران.

15- كانوا رداء زمانهم فتصدعوا فكأننا لبس الزمان الصوفا⁽¹⁾

16- ذلت بهم عنق الحليط ورما كان المتنع أخدعا وصليفا⁽²⁾

يقول كانوا للزمان جمالا وزينة قبل تفرقهم، فلما تفرقوا وصار كل حي إلى
حاله خشن الزمان وتكشف، فكأنه لبس الصوف بعدهم، ثم قال كان المخالط لهم ممتنعا
بهم عزيزا فيهم، فلما تزايلوا ذلت عنقه، والأخدر عرق في العنق، والصليف جانب العنق
كنى بهما عن العنق، كما كنى عن ذل الحليط بذل عنقه.

17- عاقدت جود أبي سعيد إنه بدن الرجاء به وكان غريبا⁽³⁾

18- وعززت بالسبع الذي بزنيره أمتت وأصبحت الشغور غريبا⁽⁴⁾

19- قلب الحشونة واللبيان بنفسه فغدا جليلا في القلوب لطيفا⁽⁵⁾

يقول صار الجود من أبي سعيد محالفا لي معاقدا حتى عظم رجائي له ويدن به
بعد تخافتي بسؤال غيره وقلة نائله، ثم قال عززت به كما عزت تغور المسلمين بصولته
على المشركين، وجعله كالأسد لجأته وشجاعته، وجعل الثغر غريبا له بحميه كما يحمي

¹ - م: "وت: كانوا يرود زمانهم".

² - م: "المتع".

³ - م: "صعفا".

⁴ - م: "غريبا" بالواو، و ح: "البلاد" مكان "التغور".

⁵ - م: "وت: قلب الحشونة باللبيان مع فقد أسى" وعن عتق شرح الصولي أيضا:

والبيان إذا كبرت اللام فهو مصدر لابن، وإذا دوت اللبيان فتح اللام فهو اسم من لأن بلي، و ح: "معاقبا"

مكان "معاقبا" و ح: "معاق قد" مكان "معاق".

الأسد غريفة، ثم قال هو خشن لأعدائه ولين لجانب أوليائه، فهو كالليل في قلوب أعدائه مهيب لطيف في قلوب أوليائه [مأمون]⁽¹⁾ ومعنى قلب مزح.

20- فإذا مشى بمشي الدققي أو سرى وصل السرى أو سار سار وجيفا
21- هزته معضلة الأمور وهزها وأخيف في ذات الإلاه وخسيفا⁽²⁾

الدققي سير شديد يندفع فيه، والوجيف سير سريع، يقول هو ذكي حاد شديد الحزم مشبه متدقق وسرى ليله موصول، وسره إلى العدو وجيف، ثم قال هو مجرب منجد حركته الأمور المعضلة الشديدة فوجدته قائما بها وحركها فاضمحلته وذهبت، وقد أخيف في ذات الله لأنه دين متيق لله تعالى وخافه أعداؤه.

22- يقظان أحصدت التجارب عقده شزرا وثقف رأييه تتقيفا⁽³⁾
23- واستل من آرائه الشعل التي لو أنهن طبعين كن سيوفا⁽⁴⁾

يقول هو ذكي القلب يقظ قد جرب الأمور فاشتد عقده وعقله حتى كأنه حبل أحصد شزرا، أي قتل وأحكم، والشزر القتل إلى جانب، وثقف رأييه بتجاربه حتى لا ينتشر عليه رأي. ثم قال آراؤه قاطعة للأمور، مجلبة لما أشكل منها، فإذا استلها وأظهرها، كانت كشعل النار في وضوحها، ولو طبعت وصورت لكانت سيوفا تقطع الأمور بها وضونها.

24- كهل الأناة فتى الشذاة إذا غدا للروع كان القشعم الغطريفا
25- وأخو الفعال إذا الفتى كل الفتى للجود والمعروف كان خليفا⁽⁵⁾

¹- كلمة غير واضحة في الأصل، والتصويب يقتضيه السياق.

²- تثر: "وأخاف في ذات الإلاه وخيفا".

³- من: "حزمو" مكان "أرايه" و ح.ص: وت: "حزمو" مكان "عقده" و ح.ص: "حزمو" مكان "حزمو" و "ثقف" بالبناء للمعلوم و "عقله" وت: "عزمو" مكان "أرايه" و ح.ت: "حزمو" مكان "عزمو".

⁴- ص: وت: "للرب".

⁵- ص: وت: "في اليأس" مكان "للجود" و ح.ص: وت: "خليفا" بالماء و أورد المحققان أيضا رواية الحارثي للبيت:

وأخو الفعال إذا الفتى في موطن *** فالباس والمعروف كان خليفا
ونقد علق شرح الصولي بقوله قال ابن المستوفى: وجدت في نسخة قديمة:

يقول هو في مواطن الحلم والأناة والرفق كهل وقور، وفي مواطن الشدة والحدة فتى ذو شدة وعنف، والشذاة الحدة، فإذا غدا للحرب وجد سائما لها عالما بها. والقشعم المسن من النصور يضرب مثلا لكل مجرب. والغطريف السيد، ثم قال هو للفعال الكريمة من جود ومعروف أخ شقيق إذا كان الفتى الكامل خليفا له أي [عطاؤه وافر كثير]⁽¹⁾.

26- كم من وساع الجود عندي والندى لما جرى وجريت كان قطوفا⁽²⁾

27- أحسنتما صفدي ولكن كنت لي مثل الربيع حيا وكان خريفا

28- وكلاكما اقتعد العلى فركبتها في الذروة العليا وجاء رديفا

الوساع الواسع الخطو من الدواب، والقطوف ضده، والصفد العطاء على الشعر، والاعتعاد اتخاذ جعل قعود للركوب، والذروة السنام. يقول كم من واسع جوده عندي لما جاريته في مضمار الجود كان قطوفا ضيق خطو الجود، ثم قال كلاكما أحسن إلى إلا أن احسانك كان أعم وأفيع لأنه مثل مطر الربيع، وإحسان غيرك إلي دونه فهو كعبث الخريف، ثم قال وكلاكما اتخذ العلى فهو ذا يركبه إلا أنك في أعلى ظهره، وهو رديف لك.

وأخو الفعال إذا السقي في مأزق *** والباس والمعروف كان خليفا

و ح.ص: "إذا الفتى في مأزق والباس والمعروف كان خليفا" و ح.ت: "إذا الفتى في مأزق".

¹- زيادة يقتضيه السياق.

²- ص: وت: "في الندى" و ح.ص: وت: "الخطو" مكان "الجود"

- 29- إن غاض ماء المزن فضت وإن قست كبد الزمان علي كنت رؤوفا
30- وإذا خلاقتهم نبست أو أجدبت أنشأت تهدد لي خلائق ريفا⁽¹⁾
31- ومواهباً مطلوبة ملحوقه تذر الشريف بفضلها مشروفا
الغرض ضد الفيض، والريف ساحل البحر، وهو أكثر خصبا من غيره، يقول إن
أجذب الزمان فلم يكن للمزن مطر فضت علي المعروف، وإن اشدت علي الزمان وقسا
كنت رؤوفا لي رحيماً، وإن نبت بي طبائع غرك وأجذبت لي جعلت تبقي لي وتوطن
طبائع كريمة وتهدد لي أيضاً مواهب طابت منك لحقت وهي لكثرتها وفضلها على هبات
كل شريف جواد تذره مشروفا أي مغلويا في الشرف.
32- يلقى بها حر التلاد وعبيده عند السؤال مصارعاً وحتوفا⁽²⁾
التلاد المال القديم، وحره خالصة ونفسيه، وعبيده رذلة، وهذا مثل. والمعنى أن
مواهبهم تأتي على جميع التلاد، فلا تبقي منه باقية فيلقى بتلك المواهب مصارعا
وحتوفا عند سؤال المعتفين.
33- اسمع أقامت في ديارك نعمة خضراء ناضرة ترف رقيفا⁽³⁾
34- ربا إذا السنع انستقلن تخيمت وإذا نفرن غدت عليك ألوفا
35- أنا من كسك وما كسك مجلّة حر القصائد فوفت تفويفا⁽⁴⁾
الناضرة الناعمة، والرفيف اللعنان، والربا الناعمة، والألوف ضد النفور،
والتفويف التوشية، يقول مخاطباً للممدوح وداعياً ثبات نعمه وإقامتها عليه، وأنها له إذا
نفرت من غيره بالذي كسك من الشعر حيرا موشاة، ولما ذكر أنه كساه استدرك فقال ولم
أكسك لحظة بك ولا حاجة، وإنما هي كسوة ثناء وشكر.

1- ح.ص: "خلافة" و "إذا خلاقتهم نأت"
2- ص.ح: "تفكي بها نهل البلاد وعله".
3- من: "ناعمة" و ح.ت: "دانية" مكان "ناضرة".
4- من: "نعمه لاحلة" مكان "وما كسك خلّة" و ح.ص: "أنا ذو كسك محبة لا خلّة" و ح.ت: "أنا من كسك وما كسك خلّة".

- 36- متنخل حلاك نظم بدائع صارت لأذن الملوك شنوفا⁽¹⁾
37- ندب إذا الإحسان قنع لم يزل وجه الصنيعة عنده مكشوفا⁽²⁾
38- وإذا غدا المعروف مجهولا غدا معروف كفسك عنده معروفا
المتنخل المختار للشئ، والندب الحازم المنتدب للأمور، يقول أنا متنخل للشعر
فيك، فقد حليتكم نظماً من بدائع المعاني تزينكم وتزين كل من [عني]⁽³⁾ بسماعها
ودروايتها، أو مدح بها من الملوكة فتكون كالشنوف لأذانهما، ثم قال أنا منتدب بشكر
ونشر إحسانك إذا قنع غري وسره، ثم أكد هذا المعنى فقال إذا غدا المعروف مجهولا
عند الناس بكتمان المصطنع للبد، فمعروفك قبلي معروف غير مجهول.
39- هذا إلى قدم الذمام بك الذي لو أنه ولد لكان وصيفا⁽⁴⁾
40- وحشا تحرقه النصيحة والهوى لو أنه وقت لكان مصيفا⁽⁵⁾
41- ومقيل صدر فيك باق روعه لو أنه ثغر لكان مخوفا⁽⁶⁾
الوصيف المتزعزع الشاب. يقول وسائلي إليك المدح مع قدم الذمام الذي لو
كان ولدا لكان مترعراً نامياً في عصر شبابه وإقباله ودمع حشا أنظمته تحرقه النصيحة
لك والإشفاق عليك، والهوى والمودة لك، لو كان ذلك الحشى وقتاً من الزمان لكان زمن
قيظ لشدة حره، ووضع المصيف موضع القيظ على استعمال جماعة الناس. ثم قال ومع
مقيل صدره، والمقيل المستقر في القائلة وجعله مقبلاً لأن الصدر مستقر للقلب وموضع
للهموم والفكر وغير ذلك، فيقول صدرتي باقي الروح إشفاقاً عليك وحذراً، فلو كان ثغراً
لكان ثغراً مخوفاً يتبقى من العدو عليه.

1- ح.ص: "كانت" مكان "صارت" و ح.ت: "نظم فصاد".
2- ص.ت: "واف" و ح.ص: "ح.ت: "بدر"
3- زيادة بقضيها السيل.
4- ح.ص: ح.ت: "الزمان" و ح.ص: "قدم على الذمام بك".
5- ح.ص: ح.ت: "زمن" و ح.ت: "وهوى".
6- ص.ش: ح.ت: "ومقيل قلب فيك".

42- ولئن أطلت مدانحي لبنان لك ليس محدودا ولا موصوفا⁽¹⁾

43- خفضت عني الدهر بعد مملكة تركت لنا بيه علي صريفا⁽²⁾

44- جدوى أصيل العلم أن يضيحه قصف المكارم إن رجعت قضيفا⁽³⁾

الصريف صوت ناي البعير إذا حك أحدهما بالآخر نشاطا وحفا، والقصف الهزال وسوء الحال. يقول إن كانت مدانحي فيك طولا كثيرة فقد وجب لك ذلك بنائك الذي لا يجد ولا يوصف كثرة، ثم قال سكنت الدهر عني بعد إذ دهاني بلمة من حوادثه تركت لنا بيه صريفا علي حقا وغيظا. ثم قال جدواك جدوى رجل أصيل العلم قويه تعلم أن رجوعي من عندك خائبا قضيفا إخلال بالمكارم، وإن ذلك يضيحه أي يذله فهو يتجنب ذلك.

45- عمري عظم الدين جهمي الهوى ينفي القوى ويثبت التكليف⁽⁴⁾

يقول هو مجتهد في الدين اجتهد عمرو بن عبيد، وكان من نساك المعتزلة، وهواه ورأيه هوى الجهمية وهواها ورأيها أنهم لا يثبتون للإنسان قوة ولا استطاعة فيما يأتي من الأشياء، ويثبتون التكليف والاضطرار إلى فعله، فلا يرون عليه فيما يأتي من المعاصي حرجا لأنه مكلف مضطر إليه كذا أخبرني أبو القاسم بن الإفليلي، ولا أعلم حقيقة هذا، وهم منسوبون إلى جهم بن صفوان.

46- سأقول قولة ناصح لك ينتحي قلبا في رضاك نظيفا⁽⁵⁾

47- لك هضبة الحلم التي لو وازنت أجا إذا تقلت وكان خفيفا⁽⁶⁾

48- وحلاوة الشيم التي لوما زجت خلق الزمان القدم كان ظريفا⁽¹⁾

قوله ينتحي أي يعتمد قلبا نقيما من العش بما يرضيك، ثم قال حلمك في العظم والجلالة كهضبة لو وازنت أجا وهو جبل عظيم لطيف لتقلت تلك الهضبة وخرف هو. ولك شيم حلوة حسان لو امتزجت بجلى الزمان على فدامته وغلظ طبعه لطرف وحلت خلاقه.

49- وأراك في العمل المبارك دانبا ما تستفيق بيوسة وجفوف⁽²⁾

يقول أنت أبدا متقشف في الدين، مجتهد فيه، لا تريح نفسك ولا تستفيق من العمل الذي يحل بجسمك ويورثك البيوسة والجفوف والجفوف أبلغ من الجفوف، وإنما يعرض بالرجل الناسك الذي ولي النغر مكانه فهزم.

50- إن كان بالورع ابنى القوم العلى أو بالتقى صار الشريف شريفا

51- فعلام قدم وهو زان عامر وأميط علقمة وكان غفيفا

52- ويسنى المكارم حاتم في شركه وسواه يهدمها وكان حنيفا

الورع الكف عن المحارم. يقول ليس ابتناء المعالي واكتساب الشرف إلا بالنجدة والنباس والندى والجود، ولو كان بالورع والتقى لما قدم عامر بن الطفيل⁽³⁾، وفضل بجوده وبأسه على أنه كان فاجرا يتسور على جارانه، وأميط علقمة أي أخر ويحي عن مرتبة عامر، على أن علقمة كان غفيفا وهو علقمة ابن علاثة⁽⁴⁾ وكان قد نافر عامر بن الطفيل قدام عليه، ثم أكد هذا فقال وبني حاتم طييء المكارم بجوده على أنه كان مشركا، وغيره يهدمها ببخله وإن كان مسلما يعرض بالرجل الناسك.

1- ص و ت: "عاد ظريفا" و ج: ص. و "التي لو غادرت خلق الزمان القدم فيك ظريفا".

2- ص و ت: "في أرض الأمادي مازينا" و ج: ص. و "طوية وجنونا" و ح: ت. و "طوية وبيوسا".

3- عامر بن الطفيل بن بني عامر بن صعصعة فارس قومه، وأحد فئاك العرب وشعرانهم وبسادهتهم في الحاطبة. ولد ونشأ بتجد. وكان بأمر مناديا في عكاظ بنادي هل من داخل نسمعه. أو جابع فنعلمه أو خالف فنعلمه. وحاض العاراك الكثيرة، وأدرك الإسلام شيخا ولم يسلم. (الأعلام ج 2: 252).

4- علقمة بن علاثة بن عوف الكلابي العامري، من بني عامر بن صعصعة كان في الحاطبة من أشرف قومه، وقد على فيصر، ونافر عامر بن الطفيل، ثم أسلم وأرند في أيام أبي بكر، فبعث إليه أبو بكر القنطرة بن عمرو، ففر علقمة منه، ثم عاد إلى الإسلام، وولد له عمر بن الخطاب حوران فزله إلى أبي مات. (الأعلام ج 4: 248).

1- ج: ص و ح: ت. و "ولئن وصفك فرائعي" و "ولئن شكرتك مادحا".

2- هذا البيت ورد في ص. بعد البيت (عمري عظم الدين جهمي الندى)

3- وهذا البيت جاء في ص. بعد البيت السابق. ص و ت: "سبطه" و ج: ص و ح: ت: "الرأي لبنائ".

4- وجاء هذا البيت في ص. بعد البيت (ولئن أطلت مدانحي لبنان). ص و ت: "الندى" و ص و ت: "عمري" ضم العين وفتح الميم.

5- جاء هذا البيت في ص. بعد البيت (جدوى أصيل العلم أن يضيحه) و ح: ت: "في هواك".

6- ج: ص. و "العلم" و ح: ت: "الفهم".

القصة [37]:*

وقال يمدح أبا المغيث موسى بن إبراهيم، وكتب بها إليه:

- 1- أفتشيب ريعهم أراك دريسا وقري ضيوفك لوعة وريسيا⁽¹⁾
 - 2- ولتن حبست على البلى لهما اغتدى دمعي عليك إلى الملمات حبيبا⁽²⁾
- القشيب الجديد، والدريس البالي الدارس، واللوعة حرقة الشوق، والريسيا ما داخل القلب من ألم الوجد، يقول أيها الربع القشيب فيما مضى، أراك الآن دريسا وأرى قري من حل بك اللوعة والحزن، وأنت إن حبست على البلى والتغير، ووقفت عليها فرما حين دمعي عليك إلى الملمات حزنا لتغيرك، وقوله لهما أي لريما.
- 3- قدما كان أميم كانوا ساكنا لك والعماليق الألسى وجديسا⁽³⁾
 - 4- وأرى رسومك موحشات بعدما قد كنت مألوف المحل أنيسا⁽⁴⁾
 - 5- ويلاقعا حتى كان قطينها حلقفوا يميننا في بلاك غموسا⁽⁵⁾
- أميم ويقال أميم أمة قديمة، وكذلك العماليق وجديس⁽⁶⁾، يقول قدم عهد هذا الربع فتغير تغيرا شديدا حتى كأنه من ديار هذه الأمم الذاهية، ثم قال أرى رسومك قد أوحشت بعد أن كانت مألوفة أنيسة، وأراها بلاقع خالية حتى كأن قطينها، وهم ساكنوها، حلقفوا يميننا غموسا فخلت منهم، وصارت بلاقع بعدهم. وإن أخذ هذا من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "اليمين الغموس تذر الديار بلاقع"⁽⁷⁾.

* القصيدة من البحر الكامل.

1- ص و ح: "قري ضيوفك".

2- ص و ح: "قد اغتدى" و ح: "ما اغتدى".

3- ص و ت: "فكان طمعا قبل كانوا جوة" و ح: "حتى كان أميم كانوا ساكنا".

4- ص و ت: "ويوقع".

5- ص و ت: "أخلفك" بالقاف، و ح: "أخلفك" بالفاء.

6- المعاليق قوم من ولد عليل، ويقال عليلان بن لؤد بن إرم بن سام بن نوح (معجم قبائل العرب ج 2: 823) وجديس قبيلة من العرب الغارة البائدة، كانت مساكنهم البام، والبحرين، وكان يجاورهم في مساكنهم طسم. (معجم قبائل العرب ج 1: 172)

7- فصل المقاتل في شرح كتاب الأسماء: 108.

6- أترى الفراق يظن أنسي غافل عنه وقد لمست يدها لميسا

7- رود أصابتها السنوى في خرد كانت بدور دجسة وشموسا

يقول لا أنسى فعل الفراق أبدا ولا أغفل عن [ذنبه]⁽¹⁾ وقد لمست يدها هذه الجارية فذهب بها، ثم قال هي رود أي ناعمة أصابها النوى ذهبته بها في جوار خرد أي صبيات كانت كالبودر في الظلمة، والشموس في حسننها وإشراقها.

8- وكأنا أهدى شقائقه إلى وجناتين ضحى أبو قابوسا⁽²⁾

شبه حمرة وجناتهن وخد ودهن بشقائق النعمان، وخض الضحى لأن النور أحسن ما يكون في الضحى، وأبو قابوس هو النعمان بن المنذر، وكان قد أشرف من قصره فنظر إلى هذا النور فأعجبه فقال: أحموا لنا هذا النور لا يسه أحد فقال الناس هذه شقائق النعمان أي إنه يحميها كما يحمي إخوانه الشقائق واسمها عند العرب الشقار.

9- بيض يدرن عيونهن إلى الصبا فكانهن بها يدرن كؤوسا⁽³⁾

10- لولا حدائتها وأنسي لا أرى عرشا لها لظننتها بلقيسا⁽⁴⁾

يقول إذا نظرتن فادرن عيونهن إلى الصبا واللهو سحرن وخلين العقول فكانهن [يدرن]⁽⁵⁾ بعيونهن كؤوس خمر، ثم قال لولا حدائة [هذه المرأة]⁽⁶⁾ وصغر سنها، وقرب عهدها، وأنها لا سرير لها لظننت أنها بلقيس لما أرى من تمام حسننها، وبلقيس هي التي أرسل إليها سليمان صلى الله عليه وسلم.

11- قد أوتيت من كل شيء بهجة وددا وحسنا في الصبا مغموسا⁽⁷⁾

1- زيادة بقضيها السياق

2- جاء هذا البيت في صوت. بعد البيت الموالي له: (بيض تدور عيونهن إلى الصبا). و ص و ت: "بها أبو قابوس".

3- جاء هذا البيت في ص و ت. قبل البيت (وكأنا أهدى شقائقه...). و ص و ت: "بيض تدور عيونهن".

4- وجاء هذا البيت في ص و ت بعد البيت (قد أوتيت من كل شيء بهجة)

5- زيادة من البيت بقضيها السياق

6- زيادة بقضيها السياق

7- وجاء هذا البيت في ص و ت قبل البيت (لولا حدائتها وأني لا أرى...).

الدد اللهو واللعب، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لست من دد ولاد مني"⁽¹⁾ يقول جمع في هذه الجارية بهجة كل شيء مع دد ولعب وحسن خلق تداعب الصبي والحادثة.

- 12- إيهيا دمشق فقد حوت مكارما بأبي المغيث وسؤددا قد موسا⁽²⁾
13- وأرى الزمان غدا عليك بوجهه جذلان بساما وكان عيوسا
14- قد بوركت تلك الظهور وقدست تلك البيطون بقره تقديسا⁽³⁾

إيهيا بمعنى أكفف. يقول حبيب وكفاه ما نلت من المكارم بهذا المدوح ومن السؤدد القدموس، وهو القديم، ويقال هو الكثير، ثم قال أرى الزمان يستقبلك بوجهه وهو جذلان مسرور بولاية هذا المدوح بعد أن كان عيوسا بولاية غيره، ثم قال ظهرو أرضك بمرارة كثيرة الخير بقره منها، ويطونها مقدسة مطهرة من كل ذنابة ولؤم.

- 15- فصنعة تسدى وخطب يعتلى وعظيمة تكفى وجرح يوسى
16- الآن أمت للنفاق وأصبحت عورا عيون كن قبلك شوسا

يقول حال دمشق⁽⁴⁾ أنك تسدي الصنائع لها وتعلو على الخطوب من تواضع لها، وتكفي العظام من الأمور وتؤسى من جرحه الزمان فكيفيه، وقد يكون الجرح كتابة عن الفساد، ويوسى يصلح ويتلافى، ثم قال كانت دمشق كثيرة النفاق فلما ولبتها قمعمت المناقنين فعرتهم عيونهم بعد أن كانت شوسا في نظرهما كبرا وعتوا.

- 17- وتركت تلك الأرض فصلا سسجسا من بعد ما كادت تكون وطيسا⁽⁵⁾

1- إعتبر على هذا الحديث إلا بالرواية التالية: روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ما أنا من دد ولا الدد مني" (تأويل مختلف الحديث: 290) وقال ابن منظور: (في رواية: "ما أنا من ددا ولا ددا مني" (لسان العرب مادة ددد).

2- جاء هذا البيت في ص وت، بعد البيت (لولا حدانها وأني لا أرى). ح-ص: "حوت" و ح-ت: "واها".

3- ص وت: "البيون" مكان "الظهور" و "الظهور" مكان "البيون".

4- دمشق هي قاعدة الشام، ودار ملك بني أمية، سحبت باسم صاحبها الذي بناها وهو دمشق بن قاثي بن مالك بن أرفخشذ ابن سام بن نوح عليه السلام، وقبل سحبت بدماشق بن غرود بن كتمان، وهي بكسر الدال وفتح الميم، ومنهم من بكسر الميم (أرض المطار: 237).

5- ح-ص وت: "فلا سسجسا".

- 18- لم يشعروا حتى طلعت عليهم بدرا يشق الظلمة الحنديسا⁽¹⁾
السجج الهواء المعتدل كفصل الربيع، والوطيس التنور، يقول طابت دمشق بك بعد أن كادت تفقد بغيرك، ثم قال لم يشعر أهل دمشق حتى طلعت عليهم واليا طلوع البدر، فجلبت تلك الظلمة التي كانوا عليها من النفاق، والخنس الظلمة الشديدة.

- 19- ما في النجوم سوى تلمة باطل قدمت وأنس إفكها تأسيسا
20- إن الملوك هم كواكبنا التي تخفى وتطلع أسعدا وغوسا

يقول على النجوم باطل مؤسس من كذب وإفك لأن النجوم لا تضر ولا تنفع، ولا فيها سعد ولا غم، ولكن نجوم السعد والنحس والتنع والضمر ملوكنا الذين يلون أمورنا فيبعثون من شأؤوا ويحرمون من أرادوا وينفون أولياءهم، ويضرون أعداءهم، فيكونوا سعودا لقوم وغوسا لآخرين.

- 21- فتن جلوت ظلامها من بعدما مدوا عيونها ورؤوسا
22- حرب يكون الجيش بعض صبوchoا ويكون فضل غيوبها الكردوسا⁽²⁾

يقول كانت الفتن قد شمل ظلامها الناس فجلوتها بعد أن كانوا مشرئين إليها، ثم قال كانت بينهم حرب شديدة يكون بعض الجيش صبوchoا لها، وما فضل منه غيوبها، والصبوchoا شرب الغداة، والغبوchoا شرب العشي والكردوس القطعة من الخيل، وكان وجه الكلام أن يقول يكون الجيش بعضه صبوchoا للحرب، والكردوس الفاضل منه غيوبها لها، فغير اللفظ ضرورة لعلم السامع بالمعنى، ويحتمل أن يريد يكون الجيش بعض صبوchoا أي أن صبوchoا أكثر من الجيش، ويكون مافضل من غيوبها كردوسا ولا يبقى من غيوبها إلا قطعة [منه]⁽³⁾.

- 23- غرم امرئ من روحه فيها إذا ذو السلم أغرم قطعها وليوسا
24- كم بين قوم أنفا نقحاتهم مال وقوم يتفقون نفوسا

1- ص وت: "سعدا" و ح-ت: "تخل" "يق" بالياء والتاء.
2- ص وت: "فقل صبوchoا" و ح-ت: "يكون بعض غيوبها".
3- زيادة بقضها السابق.

يقول غرم الرجل في الحرب روحه، وغرمه في السلم مطعمه وملبسه، فكم من الفضل بين من ينفق ماله وبين من ينفق نفسه.

25- سار ابن ابراهيم موسى سيرة سكن الزمان لها وكان شموسا

26- فأقر واسطة الشام وأنشرت كفاء جودا لم يكن مرموسا

27- كانت مدينة عسقلان عروسها فغدت بسيرته دمشق عروسا

يقول وقر بسيرته الزمان فسكن بعد شماس، وأنس بعد نفور، وأفرد دمشق التي هي واسطة الشام، وأحبى فضله وكرمه ما كان قد مات من الجود ورمس أي قبود فن، ثم قال كانت عسقلان عروس مدن الشام⁽⁴⁾، فلما ولي هذا الممدوح دمشق حسنها بحسن سيرته فصارت عروسا.

28- من بعد أن صارت هنييدة صرمة والبدرة النجلاء صارت كييسا

29- فكأنهم بالعلجل ضلوا حغبة وكان موسى إذ أتاهم موسى

هنييدة اسم للمانة من الإبل، والصرمة القطعة اليسيرة من الإبل، والبدرة خريطة تحمل عشرة آلاف درهم، والنجلاء الواسعة، والكيس يحمل خمس مائة درهم، وهذا مثل. يقول كانت النعم قد تقلصت بدمشق فلما وليتها كملت نعمتها، وعادت إلى ما عهدت عليه، ثم قال كانوا في ضلال الفتنة كعبدة العجل من بني إسرائيل، وكان موسى بن ابراهيم حين أتاهم فكفهم عن ذلك بمنزلة موسى.

30- وتواتر النعم التي كملت ولا نعمى كنعمى أُنقذت من بوسا

1- ح:ص و:ح:ت: "بها" مكان "لها" وقل هو تصحيح.

2- ص و:ح:ت: "نافرة الشام"، و"جودا لم يزل" و ح:ص و:ح:ت: "نافرة السلام" و "جورا".

3- ح:ص و:ح:ت: "عروسه".

4- عسقلان يقع أوله، وسكون ثانية ثم فاء، وهي مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين، ويقال لها عروس الشام، وكذلك يقال لدمشق أيضا (معجم البلدان ج 4: 122).

5- ص: "من بعد ما كانت" و ح:ص و:ح:ت: "من بعد ما صارت" و:ح:ت: "النجلاء".

6- رواية البيت في ص و:ت:

وشتكر النعمى التي صنعت ولا نعم كنعمى أُنقذت من بوسى

و ص:ش: "وتواتر النعمى التي كملت ولانعم" و ح:ص و:ح:ت: "النعم".

31- أعطى الرئاسة من يديك فلم تزل من قبل أن تدعى الرئيس رئيسا

تواتر النعم تتابعهما، واليؤس الشدة. يقول كان أهل دمشق في بؤس فتواتر نعمك عليهم فأقذتهم مما كانوا فيه. ثم قال رئس غيرك فإن ذلك لا ينقصك إذا كنت رئيسا قبل أن تلي وتدعى رئيسا.

32- أُلوى يذل الصعب إن هو ساسه وتلّين صعبته إذا ما سيبا

33- وكذاك كاتوا لا يرأس منهم من لم يجرب حزمه مرؤوسا

الألوى الشديد الجانب، يقول جانبه شديد على العدو المخالف، فإذا ساس [الصعب ووليه]⁽⁴⁾، أدله، وإذا أصبح هو أوسيس لأن جانبه، وذلت صعبته، وهذا كما قال الهذلي: "إذا سسته سست مطواعه"⁽⁵⁾ وحسن الطاعة مما يجده به، ثم قال لا يستحق المرء أن يرأس حتى يكون ذا حزم وعزم قبل ذلك، ويعرف منه حسن الطاعة إذا كان مرؤوسا، وهذا كما قال عمر رضي الله عنه: "قد أُلنا وإبل علينا"⁽⁶⁾

34- من لم يقدر فيطير في خيشومه رجع الحميس فلن يقود خميسا

35- ماذا عسيت ومن أمامك حية تقص الاسود ومن ورائك عيسى

الحشوم الأنف، والحفيس الجيش. يقول مؤكدا لما قدمه من لم يكن دائنا لغيره في الجيش متقادا له فيطير غبار الجيش في خياشمه، ويجرب في الحرب فلن يكون قائد

1- جاء هذا البيت في ص: بعد البيت (من لم يقدر ويطير في خيشومه) وفي ت: جاء بعد عدة أبيات. و ص: ش و:ح:ت:

"عط الرئاسة في يديك" و ح:ص: "من نداك" و "أعط الرئاسة من يريد" و ح:ص: "أعط الرئاسة من يريد".

2- ص و:ت: "ولّين جانبه" و:ح:ت: "وتلّين صعبته".

3- ص و:ت: "وكذاك".

4- تصويب يقتضيه السياق.

5- شرح الفصولي لديوان أبي تمام ج 1: 583 وورد البيت في شرح المفصل بهذه الرواية:

إذا سددت سددت مطواعة ومهمسا وكلكت إليه كفاء

6- جميع الإمتال ج 2: 104.

7- ص: "وطير".

8- جاء هذا البيت (ماذا عسيت ومن أمامك حية...) في ص بعد البيت (أعط الرئاسة من يديك فلم تزل...) و ح:ص:

"من ورائك حية ... ومن أمامك عيسى".

جيش، وكذلك من لم يوال فتحسن طاعته لم يستحق أن يلي، ثم قال مخاطبا للممدوح وعرضاً له على تولية ولديه وتشريفهما ما الذي عسيت أن تبلغه وأمامك رجل كالحية في ذكاته ومضانه، ومن ورائك عيسى قد قوي بهما سلطانك وعز أمرك.

36- أسدان حلا من دمشق وأوطنا من حمص أمتنع بلدة عربيا⁽¹⁾

37- تحذ القنا خيسا فإن طاع طغى تقلا إلى مغناء ذاك الحيسا

العريس الأجمة، والحيس مثله. يقول هما في الجرأة كالأسدين قد صيرا دمشق وحمص عربيا في الامتناع والتحصين، ثم قال اتخذوا المراح خيسا يعتصمان إياها⁽²⁾ فإن طغى طاع تهتدي إليه، وتقلا إلى مغناه ومستقره ذلك الحيس فانتقما منه.

38- أسقى الرعية من بشاشتك التي لو أنها ماء لكان موسوا

39- إن الطلاقة والسدى خير لهم من عفة جمست عليك جموسا⁽³⁾

البشاشة طلاقة الوجه وحسن بشره، والموس الماء العذب الذي ينال باليد، والجموس جمود الماء وغيره، وكان قد أظهر نقشا واقتباضا. يقول استقبل الرعية بالبشر الحسن وغذهم بشاشتك الجميلة التي لو أنها ماء لكانت ماء عذبا قريبة التناول. ثم قال طلاقة الوجه ويدك خير لهم من عفة جامدة لا ينسبط غيرك بها.

40- لو أن أسباب العفاف بلا تقى نفعت لقد نفعت إذا إبليسا⁽⁴⁾

يقول أنت إذا اعتقدت الخير، وأظهرت معه الانبساط وحسن البشاشة لم يجل ذلك بدنيك وجميل اعتقادك، فالأعمال بالنيات، ولو كانت بما يظهر من أسباب العفاف دون أن يعتقد تقى الله تعالى لكانت أسباب العفاف دافعة لإبليس لأنه لا يسلب أحدا مالا ولا يهلك له سترا.

41- تلك القوافي قد أتيناك نزعا تتجشم الستهجير والتغليسا⁽¹⁾

42- من كل شاردة تغادر بعدها حظ الرجال من القريض خيسا⁽²⁾

43- وجديدة المعنى إذا معنى التي تشقى بها الأسماع كان ليسا

النزع الآلفة الحانة إلى وطنها. يقول أنتك قوافي الشعر نازعة إليك مسرعة تتكلف السير في الهاجرة والغلس حرصا على لقاءك من كل قافية شاردة في آفاق الأرض تترك حظ الشعراء من الشعر خيسا فشرود ونفور صاحبها بأوفر حظوظه، ومن كل قافية جديدة المعنى لأنه معنى مبتدع حسن ومعنى غيرها التي يشقى السمع بسماعها معنى مكروه قبيح فكانه قد ليس وأخلق.

44- تلهو بعاجل حسننها وتعدها علقا لأعجاز الزمان نفيسا⁽³⁾

45- من دوحة الكلم الذي لم ينفك وقفا عليك رصينه محبوسا⁽⁴⁾

أعجاز الزمان مآخيره، والدوحة الشجرة العظيمة، والرصين القوي المحكم، يقول يتمتع بعاجل حسن هذه القصيدة. ويتحلى بها ويعدها ويدخر منها علقا نفيسا يبقى آخر الدهر لا يبلى ولا يتغير، ثم قال هي من معظم شعري الذي لم يزل يحكمه ورصينه موقوفا عليك محبوسا.

1- ص وت: "أسدان شدا من دمشق وذللا" و ح:ص: "وجللا" و "سلا من دمشق" و ح:ت: "أوطنا".

2- زيادة يقتضيه السياق.

3- ص: "لديك" و ص:ش و ح:ت: "عسيت لديك خموسا" وهو تصحيف عند أبي مالك. وأضاف عقق شرح التبريزي لشعر أبي قام..وأذكر بعضهم قوله: "إن البشاشة والسدى خير لهم".

4- ص: "بلاندي".

1- ص وت: "فدي القوافي" و "تجشم" و ح:ص: "سمرعا بتجشم".

2- ص وت: "من القصيد" و ح:ت: "عضها".

3- ص: "أعجاز" و ح:ت: "وكانها تلهو".

4- ص وت: "التي لم تنفك" و "يمني عليك رصينها محبوسا" و ح:ص:

القصيدة [38]:

وقال يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الصامت:

1- قرى دارهم مني الدموع السوافك وإن عاد صبيحي بعدهم وهو حالك
وإن بكرت في طعنهم وحد وجههم زيانب من أحبابنا وعواتك⁽¹⁾
السوافك المنصبة، واحدها سافك، ولا يقال سفك الدم ولكن أجرى سافكا على
معنى النسب كما قيل عيشة راضية أي ذات رضى. يقول أنا أقري ديار الأحية الدموع
المسفوكة وإن أظلم صبيحي بعدهم لما أحدثوا إلي من الوجد بهجرانهم، وتأبهم حين
بكرت في طعنهم ومراكب نساءهم، وهي المدوج، زيانب وعواتك من أحبابنا جمع زينب
وعاتكة، ويكون أيضا بمعنى قوله وإن عاد صبيحي بعدهم وهو حالك أن المدة لا تنقضي
فلا صبح له أصلا.

3- سقى ريعهم لا بل سقى منتواهم من الغيث أخلفق السحاب الحواشك⁽²⁾
4- وألبسهم غضب الربيع ووشيه ويمنته نبت الشرى المستلاحك⁽³⁾
الربيع المنزل، والمنشوى الموضع الذي نووه فرحلوا إليه، والأخلاف أطراف
الضروع، والحواشك الغزيرة [الحافلة]⁽⁴⁾ والعصب والبينة من ثياب الوشي، والمتلاحك
المتصل بعضه ببعض. يقول سقى الغيث ريعهم الذي رحلوا عنه، بل سقى المنشوى الذي
رحلوا إليه، واستعار للغيث أخلافا حواشك من الناقة الغزيرة اللبن، ثم قال وألبس
ديارهم ضروب الثياب المتصل، وشبهها في اختلاف ألوانها وحسن زهرها بثياب الوشي.
5- إذا غازل الروض الغزالة نشرت زرابي في أكشافها ودرائك⁽⁵⁾

- القصيدة من البحر الطويل.

- 1- ح.ص: "زنانب".
- 2- ح.ص: "سقت ريعهم لا بل سقت منتواهم من الأرض".
- 3- ح.ص: "الندى" و ح.ت: "وطني القري".
- 4- زيادة من ص.
- 5- ح.ص: "نشرت" و"في أكشافهم" و ح.ص: "في أكشافه".

46- كالنجم⁽¹⁾ إن سافرت كان مواكبا وإذا حططت الرجل كان جليسا⁽²⁾
47- إنا بعثنا الشعر غوك مفردا فإذا أذنت لنا بعثنا العيسا⁽³⁾
يقول شعري وقف عليك سافرت وأقمت فهو كالنجم يواكبك ما سرت،
وبجالتك ما أقمت. ثم قال بعثنا الشعر إليك مفردا دوننا فإن أشرت بأن نسير غوك
بعثنا [الشعر واستعملنا العيس]⁽³⁾.

- 1- ح.ص: "مواكبا" و ح.ص: "ح.ت: "مسافرا" و "مراكبا".
- 2- ح.ص: "وإذا أذنت" وجاء بعد هذا البيت في ت. البيت الثاني:
تسفي فراك إذا أسنة قعضب أردمن عريف الوشى المرسا
- 3- وجده مذكورا عند عتق شرح الصولي أيضا في الهامش على البيت.
3- زيادة يقتضيها السياق.

6- إذا الغيث غادى نسجها خلت أنه مضت حقبة حرس له وهو حائك⁽¹⁾

الغزالة الشمس إذا ارتفعت وصفت، ومغازلة الروض لها مقابلته إياها وما تل نوره معها، والزرايى القرش، والطنافس والدراك البسط، شبه ما انتشر في الروض عند طلوع الشمس من الزهر مع كثرة النبت واختلافه بفرض موشية وبسط، ثم قال إذا نزل الغيث بها فكان كالناسج غدوة خلت لما رأيته من كثرة نبتها وزهرها أنه توالى عليها حقبة من الدهر حرما أي طويلة، وهو كالحائك لنبته.

7- ألكني إلى حسي الأراقم إنه من الخافق الأحشاء تهدى المالك⁽²⁾

8- كلوا الصبر غضا واشربوه فإنكم أنترتم بعير الظم والظم بآرك

الأراقم حي من تغلب، وكانوا قد خالفوا على مالك بن طوق التغلي فسار إليهم []⁽³⁾ مع محمد بن يوسف فظفر بهم، ثم أدركتهم شفقته فأمسك عن استئصالهم. فقال أبو تمام ناصحا لهم ومشفقا عليهم ألكني أي أبلغ رسالتني، والمالكة الرسالة إلى حسي الأراقم فأنا خافق الأحشاء إشتافا عليهم فلذلك أهديت المالك إليهم، ثم قال الزموا الصبر على مانابكم فإنكم ظلمتم فعوقبتهم، وضرب إثارة البعير من ميره مثلا لما أظهروا من الخلاف وابتدوا به من الظلم.

9- أتاكم سليل الغاب في صدر سيفه سنا لدجى الإظلام والظم هاتك⁽⁴⁾

10- إذا سيل سد العذر عن صلب ماله وإن هم لم تسدد عليه المسالك⁽⁵⁾

الغاية الأجمة، والسليل الوليد، وأراد بسليل الغاب الممدوح شبهه بالاسد، يقول صدر سيفه بجلي ضباؤه ظلام الليل، ويهتك ظلمة الظلم بفعله واستئصاله للظالمين، ثم

¹ - ص و ح ت: "نسجه" و ج ص و ت: "سدى نسجه" و ج ص و ح ت: "أنت" و ج ص: "أنت حقبة حرس" وذكر رواية الحارثي:

إذا الغيث غادى نسجه خلت أنه مضت حقبة حرس لها وهو حائك

² - ص و ت: "من الطائر" و ج ص و ح ت: "من الوافر الإشتاف".

³ - فطارد كلمة غير واضحة في الأصل.

⁴ - ج ص و ح ت: "سليل اللب".

⁵ - ج ص و ح ت: "سد العذر" بنصب العذر و ج ص: "إذا استبيل سد العذر" بنصب العذر. و ح ت: "لم تسدد".

قال هذا الرجل جواد إذا سئل سد باب العذر عن معظم ماله، وهمته ماضية لا تسد مسالكها ولا يرد عزيمها.

11- ركوب لأسياب المتالف عالم بأن المعالي دونهن الممالك⁽¹⁾

12- ألح ودأ فنعهم وللسوء السقى غريمان في الهيجى ملح وماعك⁽²⁾

الأنياب أوساط الظهور. يقول هو رمى بنفسه المتالف ركوبا لظهورها لعلمه أن معالي الأمور لا تنال إلا بركوب الممالك التي تحول دونها، ثم قال ألح عليكم بقبول الطاعة، ودافعتهم دون ذلك فأصابكم ما كرهتم وساءكم، وللسوء والحلطة المكروعة يلتقي في الحرب غريمان يقتض أحدهما صاحبه بلية من الطاعة فيمعه به أي يطمله.

13- هو الحارث الناعي بجيرا وإن يدن له فهو إشتافا زهير ومالك

14- رقناحي حرب طالما انقلبيت له قساويل يوم الروع وهي سبائك⁽³⁾

يقول إن عصيتهموه فهو في الشدة عليكم، وملازمة حركم بمنزلة الحارث بن عباد إذ نعي إليه بجير في حرب البسوس، وإن دنت له وأطعتم له فهو في لين جانبه لكم وإشتافه عليكم مثل زهير ومالك حين أشفقا على قومهما واما الصلح بينهما في حرب داحس والغبراء، ثم قال هو رقاضي حاذق بأمر الحرب، والرقاضي الحاذق بالتجارة، فإذا أثار غبار الحرب وقسايله انقلبيت له سبائك ذهب وفضة بما يغمم ويظفر به.

15- ومستببط في كل يوم من الغنى قليباً رشاء القنا والسنايك⁽⁴⁾

16- مطل على الروح المنيع كانه لصرف المنايا في النفوس مشارك⁽⁵⁾

17- فما تترك الأيام من هو آخذ ولا تأخذ الأيام من هو تشارك⁽⁶⁾

¹ - "الممالك".

² - ص و ت: "وماحكم وللقدح التقى.. وماحك ومنش و ح ت: "ألح وماعكم" و ج ص: "ألح وأطعتم وللواء التقى".

³ - "مادعهم". و ح ت: "ومطعم".

⁴ - ص و ت: "قساويل".

⁵ - ص و ت: "نأعاه" و ص و ح ت: "من الوعى".

⁶ - ص و ت: "مطل على الأجل حتى تائه".

⁷ - ج ص و ما تأخذ وهو تصحيف.

المستنيط المستخرج، والقلب البئر والرشاء الحبل والسناك أطراف الحوافر.
يقول هو في كل يوم وأصل برماحه وخيله إلى مثل القلب من الغنى وهو مشرف على
روح الجبار المنتع كانه مشارك للمنايا في إتلاف النفوس وإذهاها، ثم قال والأبام
جارية على حكمه فلا تترك من أعدائه المحاربين له من هو آخذه ولا تأخذ من أوليائه
المسلمين من هو تارك له غير محاربة.

- 18- غفو إذا لم ينسلم الغفو حزمه وذو تندرأ بالفسانك الحرق فسانك⁽¹⁾
19- ريبب ملوك أرضعته ثديها وسمع تربته الرجال الصعالك⁽²⁾
يقول هو كثير الغفو ما لم يخل ذلك بحزمه وصحة تدبيره وهو ذو تندرأ أي صولة
ودفع فأنك بالحرق من الرجال الفانك بالناس والحرق الذي يتخرق في المعروف والشجاعة
وغيرهما، ثم قال هو في كرم نفسه وحسن أدبه وكمال مروءته بمنزلة الملوك لأنها غذته
وربته وهو في ذهائه وتنفيذ عزمه كالسمع الذي ينشأ بين الرجال الصعالك وهم الفقراء
الذين لا يزاولون يعيرون ويطلبون الرزق، والسمع ولد الذئب من الضع وهو من أحيث
السباع وأمكرها ضربه مثلاً، والمعنى أنه قد صلب الدهر شطره.
20- ولو لم يكفكف خيله عركتكم بفرمسانها عرك الاديم المعارك⁽³⁾
21- ولو لا تقاه عاد قبضا مفلقا بأدحيه بيض الحدور الترانك⁽⁴⁾

الاديم الجلد، والمعارك أدوات يعرك بها الاديم، ويروي "المعارك" وهو قلب
الرحي، والقبض قشور البيض، والأدحي مبيض النعامة، والحدور الهوادج، والترانك
جمع تريكة، وهي بيضة النعامة لأنها تتركها في الأدحي وتذهب للرعي. يقول لو لم يكف
خيله عنكم لطحنتكم واستأصلتكم وعركتكم كما يعرك الجلد بالمعارك، ولو لا تقى الله

¹ - ص و ت: "صفوح" إذا لم ينسلم الصفح حزمه"

و ح ص: "غفو إذا لم ينسلم الحزم غفوه" بتأخير الفاعل وتقديم المفعول، و ح و ت: "الحزم صفحه" بضم
الحاء والعذر غفوه" بضم الواو و "إذا لم يعلم الظلم غفوه" بضم الواو و ح ت: "غفو إذا لم ينسلم الحزم غفوه" بتقديم
الفاعل.

² - ص ح "امطربه" و ح ت: "وسيد".

³ - و ص ت: "بأفانها" و ح و ت ث: "فإن رويت" المعارك" بضم الميم فهو الفاعل من عارك وإذا رويت فتح الميم
فهو جمع معرك، و ح و ح و ت: "بأفانها".

⁴ - ص و ح ت: "عاد بيضا مفلقا" و ح ص: "قبضا مفلقا" والنام مكان "الحدور" وعاد بيضا مفلقا"

لهنك أستاركم واستباح نساءكم اللاتي هن كبض نعام في خدورهن فصيروا أحوالهن
حتى يصرن كالقبض المفلق.

- 22- ولا مصطيت شول وظلت شواردا قروم عشار مالهن مبارك⁽¹⁾
23- إذا للبسم عار دهر كانا لياليه من بين الليالي عوارك

الشول الإبل التي ارتفعت ألبانها، والشوارد النافرة، والقروم الفحول، والعشار التي أتى
عليها عشرة أشهر من حملها، والعوارك الحيض. يقول لو لا تقاه لأخذ أموالكم، ولظلت
فحول إبلكم شواردا في الأرض عند أخذ إنانها حتى لا يكون بها مبارك يستقر فيها
وللبسم عارا يسم دهركم أقبح وقع حتى لياليه من بين سائر الليالي كالتساء الحيض
من بين الطواهر من سائر النساء.

- 24- ولاستليت فرش من الأمن تحتكم هي المثل من لين بها والأرائك⁽²⁾

وهذا مثل، يقول لولا تقاه لسلبكم ما وطئ لكم من الأمن والدعة، وجعل للأمن
فرشا تشبه في لينها المثل وهي جمع مثال وهو القرائش الموشي، والأرائك السرر في
الحجال.

- 25- ولكن أبى أن يستباح بكفه سننامكم في قومكم وهو تامك⁽³⁾
26- وأن تصبحوا تحت الأطل وأنتم غوارب حسي تغلب والحوارك

السننام حذبة البعير، والنامك المشرف، والأطل باطن خف البعير، والغارب قدام
السنام. يقول أبى أن يحط شرفكم، وضرب إباحة السننام مثلاً لذلك، ثم قال وأبى أن
تصبحوا أدلة بعد عزكم في حبي تغلب فيكونوا كمن صار تحت خف البعير بعد أن
كان في الرفعة كالحوارك والغارب.

¹ - ص و ت: "فللت"

² - ص و ت: "واحنيت" و "في لين" و ح ص: "في لين لها".

³ - ح ص: "من قومكم".

وفناؤها الوشيك السريع فإن أذاك المقدار من الموت لم تكن أنت الهالك في الحقيقة، ولكن الزمن الذي ذهب بك، وغال شملك أي أهلكه هو الهالك.

27- فتجنّذ الأسباب وهي مغارة وتنقطع الأرحام وهي شوايك (1)

28- فلا تكفرن الصامتي محمدا أبادي شفعا سببها مستدارك

29- أهب لكم ربح الطعان جنائبا سهاة وكانت وهي نكب سوايك (2)

المغارة الشديدة القتل، والشوايك الملسفة، والشفع المزدوجة، والسهاة الرماح اللينة، والسوايك الشديدة. يقول كره أن يستاصلكم فتقطع أسباب القراة على قوتها وشدة إحكامها، وتفرق أرحامكم على أنها مشبكة فأهب لكم ربح الطعان جنوبا لينة تأتي بالخير بعد أن كانت عند الإيقاع بكم نكبا تنهك ما مرت به أي تسحقه.

30- فرد الفنا الظلمان عنكم وأغعدت على حرها بيض السيوف البوانك (3)

31- وآبت على سعد السعود برحله عتاق المذاكي والقلاص الروانك (4)

يقول صفح عنكم ورد الرماح عن دماكم على أنها كانت ظمأي عطاشا إلى الدم وأغمد سيوفه عنكم على ما بها من حر وحنق عليكم، والبوانك القواطع، ثم قال رجع من غزوه ذاك على أسعد سعد، وأغنى جد، مرتحلا عنكم على الخيل المذكية المستة، وهي أجلدها وأصبرها، وعلى النوق الفتية الروانك السريعة.

32- إذا وكان اليوم من حسن وجهه وقد لاح بين بيض البيض ضاحك (5)

33- حياتك للدنيا حياة ظلييلة وفقدك للدنيا فناء مواشك (6)

34- متى يأتك المقدار لا تدع هالكا ولكن زمان غال مثللك هالك

يقول غدا محمد من غزوته وكان اليوم ضاحك لحسنه وجماله بحسن وجه محمد بين بيض السيوف وبين بيض السلاح، ثم قال حياتك هي الدنيا وفقدك هو فقدتها

1- ح ت: "وتجنّذ الأرحام".

2- ص و ت: ربح الصفاء "و" رعاء "مكان" سهاة "ح ت سهاة" و ت غر: "أهب لكم ربح الطعان جنائبا" سهاة

3- ص و ت: "ظلمان".

4- ص و ت: "وآب" و ح ص: "قأبت".

5- ص و ح ت: وقد لاح بين السيف والسيف ضاحك" و ح ص و ت: "بين البيض والبيض ضاحك" و ح ت: "في حر وجهه".

6- ح ت: "حياة عزيزة" و"موتك للدنيا".

القصة [38]:

وقال يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف الصامت:

1- قرى دراهم مني الدموع السواك وإن صبحي بعدهم وهو حالك وإن بكرت في ظعنهم وحد وجههم زيانب من أحبابنا وعوانك⁽¹⁾

السواك المنصبة وأحدها سافك ولا يقال سفك الدم ولكن أجرى سافكا على معنى النسب كما قيل عيشه راضية أي ذات رضى. يقول أنا أقري ديار الأبية الدموع المسفوفة وإن أظلم صبحي بعدهم لما أحدثوا لإلي من الوجد بهجرانهم، وتأبهم حين بكرت في ظعنهم ومراكب نسائهم، وهي الحدوج، زيانب وعوانك من أحبابنا جمع زينب وعانكة، ويكون أيضا بمعنى قوله وغن عاد صبحي بعدهم وهو حالك أن المدة لا تنفضي فلا صبح له أصلا.

3- سقى ريعهم لا بل سقى منتواهم الغيث أخلاق السحاب الحواشك⁽²⁾

4- وألبسهم عصب الربيع ووشيه ويمنته نبت الثرى المستلاح⁽³⁾

الربيع المنزل، والمستوى الموضع الذي نووه فرجلوا إليه، والأخلاق أطراف الضروع، والحواشك الغزيرة [الحافلة]⁽⁴⁾ والعصب واليمنة من ثياب الوشى، والمتلاح المتصل بعضه ببعض. يقول سقى الغيث ريعهم الذي رحلوا عنه، بل سقى المنتوى الذي رحلوا إليه، واستعار للغيث أخلافا حواشك من الناقة الغزيرة اللبن، ثم قال وألبس ديارهم ضروب الثياب المتصل، وشبهها في اختلاف ألوانها وحسن زهرها بثياب الوشى.

5- إذا غازل الروض الغزالة نشرت زرابسي في أكشافها ودرائك⁽⁵⁾

1- القصيدة من البحر الطويل.

2- ح. من: "زنانب".

3- ص. وت: "سقت ريعهم لا بل سقت منتواهم ن الأرض".

4- ص. وت: "الندى" و ح.ت: "وشى الثرى".

5- زيادة من ص.

6- ص. و ح.ت: "نشرت" و "في أكشافهم" و ح.ص: "في أكشافه".

6- إذا الغيث غادى نسجها خلت أنه مضت حقبة حرس له وهو حالك⁽¹⁾

الغزالة الشمس إذا ارتفعت وصفت، ومغازلة الروض لها مقابلته إياها وما تل نوره معها، والزراي القرش، والطائفي والدرايك البسط، شبه ما انتشر في الروض عند طلوع الشمس من الزهر مع كثرة النبت واختلافه بفرض موشية وبسط، ثم قال إذا نزل الغيث بها فكان كالتناسخ غدوة خلت لما رأيته من كثرة نبتها وزهرها أنه توالى عليه حقبة من الدهر حرسا أي طويلة، وهو كالحائك لنبته.

7- ألكني إلى حى الأراقم إنه من الخافق الأحشاء تهدي المالك⁽²⁾

8- كلوا الصبر غضا واشربوه فإنكم أنثرتم بعير الظلم والظلم بارك

الأراقم حي من تغلب، واكنوا قد خالفوا على مالك بن طوق التغلبي فسار عليهم []⁽³⁾ مع محمد بن يوسف طر بهم، ثم أدركتهم شفقته فأمسك عن استئصالهم. فقال أبو تمام ناصحا لهم ومشفقا عليهم ألكني أي أبلغ رسالتى، والمالكة الرسالة إلى حى الأراقم فأنا خافق الأحشاء إشفاقا عليهم فلذلك أهديت المالك إليهم، ثم قال الزموا الصبر على منابكم فإنكم ظلمتم فعوقبتم، وضرب إثارة البعير من مبركه مثلا لما أظهرها من الخلاف وابتدأ به من الظلم.

9- أتاكم سليل الغاب في صدر سيفه سنا لدجى الإظلام والظلم هاتك⁽⁴⁾

10- إذا سيل سد العذر عن صلب ماله وإن هم لم تسدد عليه المسالك⁽⁵⁾

الغابة الأجمة، والسليل الوليد، وأراد بسليل الغاب الممدوح شبهة بالاسد، يقول صدر سيفه يجلي ضياؤه ظلام الليل، ويهتك ظلمة الظلم بفعله واستئصاله للظالمين، ثم

1- ص. و ح.ت: "نسجه" و ح.ص: "سد نسجه" و ح.ت: "انت" و ح.ص: "أنت حقبة حرس" وذكر رواية الحارثي:

إذا الغيث غادى نسجه خلت أنه أنت حقبة حرس لها وهو حالك

2- ص. وت: "من الفائر" و ح.ص: "ح.ت: "من الوافر الإشفاق".

3- مقدار كلمة غير واضحة في الأصل.

4- ح.ص: "ح.ت: "سليل الليث".

5- ح.ص: "سد العذر" بنصب العذر و ح.ص: "إذا سيل سد العذر" بنصب العذر. و ح.ت: "لم تسدد".

القصيدۃ [39]:*

وقال يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف:

- 1- أظن دموعها سنن الفريد وهي سلكاه من غر وجيد
- 2- لها من لوعة العين التدام يعيد بنفسجا ورد الحدود
- السن الجري على جهة واحدة، والفريد ما يجعل من قطع الذهب وغيرها من اللؤلؤ المظلم. يقول أظن دموع هذه الجارية تنصب انصباب اللؤلؤ وفريده إذا وهي سلكا نظامه وانقلعا فجرى على النحر والجد، ثم قال لما فارقتها حزنت فلدمت خديها حتى عادت حمرتها الوردية سوداء بنفسجية.
- 3- حمتنا الطيف من أم الوليد خطوب شبيب رأس الوليد
- 4- رأنا مشعري أرق وحزن ويغينه لدى الركب الهجود⁽¹⁾

يقول حممتنا خطوط الدهر الشديدة التي تشيب رأس الغلام لشدها وهو لها طيف أم الوليد لما سهدنا وحزنا وبغية الطيف أن يزور من نام وهجد لامن أشعر الحزن والأرق.

- 5-سهاد يرجحن الطرف منه ويولع كل طيف بالصدود
6-بأرض البذ في خيشوم حرب عقيم من وشيك ردى ولود
7-تري قسامتا تسود فينا وما أخلاقنا فيها بسود

« قوله يرجح الطرف أي ينقل ويميل، وخيشوم الحرب أولها واصلها الأنف، وجعل الحرب عقيماً لفقد الأبطال فيها الذين هم أبناؤها، وجعل الردى ولداً لكثرة

* القصيدة من البحر الوافر

- ص: "رأيتنا" و ح ص: "آرانا".

" رأينا مشعري أرق وحزن.. ونعيمه " و ت ش: "

رأيتنا مشعري أرق وحزن. وتعمية" وأضاف التبريري ومن روي "تعمية" فهو "تفعل" من العمه وهو أشد الحيرة كعمى التعمية، وإن رويت "وتعمية" فهو من أغمى على المريض.

ص و ح ت: "فيه" ح ص و ح ت: "عنه".

صوت: "فيها".

قال هذا الرجل جواد إذا سئل سد باب لعذر عن معظم ماله، وهمته ماضية لا تسد مسالكها ولا يرد عزمها.

- 11- ركوب لأتبا المتناف عالم
12- ألح ودأ فعنهم وللؤوء السقى
الأسبأ أوساط الظهور. بقول هو رمى بنفسه المتائف ركوبا لظهورا لعلمه أن
معالي الأؤورا لا تنال إلا بركوب المالك الذى تحول دونها، ثم قال ألح عليكم بقبول
النائة، ودافعت دون ذلك فأصاكم ما كرهتم وساءكم، وللؤوء والحدة المكروهة يلتقى
فى الحرب غرمان يقتضى أحدهما صاحبه بلىة من الطاعة فتمعك به أى يمله.
13- هو الحارث الناعى بجيرا وإن يذن
له فهو إسفاقا زهير وممالك
14- رقناحى حرب طلما أنقلبى له
قسايل يوم الروع وهى سبال⁽³⁾

١- ص: "المهالك".

2- ص: ت: "وما حكمكم وللقدر النقم... وما حك" و ص: ش: و ح: ت: "ألح وماعتكم". و ح: ت: "وحلقتم".

3- ص. ١٠٧: "قسطيا".

واتصاله، ثم قال ترى قسمائنا وهي مجرى الدموع من الحدود سودا للفتح الهواجر وغبار الحرب على أن أخلقنا بيض مشرقة لسعة صدورنا وحسن صيرنا.

- 8- تقاسمنا بها الجرد المذاكبي سجال الكر والذباب العنيد⁽¹⁾
9- فتمسسي في سوابغ حكيمات ونمسي في السروج وفي اللبود⁽²⁾
10- حذوناها الوجى والأين حتى تجاوزت الركوع إلى السجود

الجرد الخيل القصيرة الشعر وهي صفة العتاق منها، والمذاكي المستنة، والسجال الدلاء المملوءة ماء ضربها مثلا على التصيب والحظ، والعتيد المعد، والسوابغ الدروع الكاملة، والوجى الجفاء، والأين الإعياء. يقول شدة الحرب مقسومة بيننا وبين الخيل، فلها من الكرب والمشقة والذأب المعد مثل النائم، ثم قال نمسي نحن في الدروع متأهبين للحرب ونمسي في سروجها وليودها معدة مثل ذلك، فنحن قد أقمنا لها الجفاء والأين مقام الجزء حتى تجاوزت الخشوع الذي هو الكركوع إلى السقوط الذي هو كالسجود.

- 11- إذا خرجت من الغمرات قلنا خرجت حبالنا إن لم تعودى
12- فكم من سودد أمكنت منه برمته على أن لم تسودى
13- أهانك للطراد ولم تهوني عليه وللقبياد أبو سعيد⁽³⁾

الغمرات شدائد الحروب، والحبالس المحبوسة في سبيل الله تعالى. يقول إذا خرجت خيلنا من غمرات الحرب أعذناها ودعونا عليها فقلنا جعلك الله حبالس في سبيله إن لم تعودى ثانية، ثم قال كم من شرف وسودد وصلت إليه الخيل برمته وحملته على أنها لم تسدها، وقوله أهانك للطراد أي ابتذلك في مطاردة الأقران، والقياد إلى العدو على أنك لم تهوني عليه بل أنت عزيزة عليه مكرمة عنده.

¹ من: "هال" و"العنيد وح من: "فاسمنا" و"الكر" و"نمسي" وهو تصحيف وت: "سجال الكر والذباب العنيد"

² من: "نصيح" مكان "ونمسي" وح من:

³ "فصح في سوابغ.. ونمسي في السروج".

وح ت: "نصيح في السوابغ حكيمات" ونصيح في سوابغ حكيمات

³ ح من: "ولن تهوني" وللجلاد" وح من: "للقياد".

- 14- بلاك فكنت أرشية الأمانى ويرد مسافة المجد البعيد⁽¹⁾

- 15- فتى هنز القنا فحوى سناء بها لا بالأحاطي والجدود⁽²⁾

الأرشية حبال الآبار، والبرد جمع بريد. يقول بلا الخيل أبو سعيد فوجدها أسباب بلوغ الأمانى وقاطعة مسافة المجد البعيد حتى ينال بها، ثم قال هو شجاع بطل هنز الرماح فحوى السناء والرفعة بها لا بالخلوط والجدود وغيره إنما يرتفع ويشرف بما قسم له من حظ وجد لا بكرم فعل.

- 16- إذا سفك الحياء الروح يوما وقى دم وجهه بسدم الوريد

يقول إذا ارتاع غيره فانهزم ولم يبال العار نصب ماء وجهه للروح، فهو ثابت لا ينهزم يصون دم وجهه وماء حياته بأن يعير سفك دم وريده وحبل عنقه.

- 17- قضى من سندبايا كل غب وأرشق والسيوف من الشهود

- 18- وأرسلها على موقان رهوا تثير النقع اكدى بالكديد

سندبايا وأرشق وموقان من بلاد بابل الخرمي، والنقع الغبار، والكديد ما صلب من الأرض. يقول غيه، وهو النذر من سندبايا وأرشق، والسيوف تشهد له بذلك لما يرى من تقلبها، ثم أرسل الخيل على موقان وأهلها رهوا متتابعة تثير الغبار بالكديد لشدة وطنها وكثرة جولانها.

- 19- رآه العليج مقتحما عليه كما اقتحم الفناء على الخلود

- 20- فمر ولو بجاري الريح خيلت لديه الريح ترسف في قيود⁽³⁾

يقول اقتحم أبو سعيد على بابل العليج اقتحام الفناء على الخلود فمر منهزما لو جارت الريح لكانت معه كالمأشية في قيد لرعته.

¹ من: "وح ت: "المعالي" وح من: "وح ت: "بلاك".

² ح من: "تاء" وح من: "صغاء".

³ من: "وح ت: "في القيود". وح من: "لم بجاري".

- 21- شهدت لقد أوى الإسلام منه غدا تنشد إلى ركن شديد
- 22- وبالكذجان كنت لغير بخل عقيم الوعد منتاج الوعيد⁽¹⁾
- 23- غدت غير أنهم لهم قيورا كفت فيهم مؤونات اللحود
- 24- كأنهم معاشر أهلكوا من بقايا قوم عاد أو ثمود⁽²⁾
- الكدج حصن لبايك جمعه بما حوله من الحصون، يقول لقد هم مرة يترك الحرب مكابدة فتخلفهم فيعقم لهم وعدك، وكنت توعدهم وتهدهم فينتج لهم وعيدك وتهددك. ثم قال لجأوا إلى غير أنهم خونا فماتوا بها فقامت لهم مقام القبور دون مؤونة دفن، ثم شبيهم في أنهم استنصّلوا وأهلكوا فلم يدفنوا كقوم بقوا من قوم عاد أو ثمود فأهلكوا بعدهم فلم يكن لهم من يدفنهم.
- 25- وفي أبرشتوم ومضبيتها طلعت على الخلافة بالسعود⁽³⁾
- 26- بضرب ترقص الأحشاء منه وتبطل مهجة البطل النجيد⁽⁴⁾
- أبرشتوم من حصون ببايك، والهضبة الجبل، يقول نصرت بهذه المواضع الخلافة فكنت طالع سعد لها بضرب السيوف فتضطرب أحشاء من شاهده رعبا وتذهب نفس البطل الشجاع، وتبطل فرقا منه وجبنا.
- 27- وببيت البيات بعقد جاش أشد قوى من الحجر الصلود⁽⁵⁾
- 28- رأوا لبث الغريفة وهو ملق ذراعيه جميعا بالوصيد⁽⁶⁾
- 29- عليما أن سيرفل في المعالي إذا هو بات يرقل في الحديد⁽¹⁾

¹ - ص و ت: "وللكذجات: و ح من: "رحت بغير غل"
² - ص و ح ت: "لقد أبعدوا"
³ - ح ت: "بالسعود"
⁴ - ح من: "وتبطل مهجة"
⁵ - ص و ت: "أمر قوى" وقال الصريزي: "وأشد قوى" أجود الراويين.
⁶ - ص و ح ت: "الغريفة" و ح ت: "الغريفة" بالعين.

الغريفة أجمة الأسد، والوصيد فناء الدار. يقول لما بينك ببايك وأصحابه بيت ذلك البيات، وتأهبت له بجاش قوي رابط أشد من الحجر الصلب فوجودك كاللبث تحمي جيشك كما يحمي الأسد أجمته، وعلمك محيط بأنك ستقل في المعالي وتسير فيها إذا أنت بت ترقل في السلاح حارسا للجيش.

- 30- وكم شرق الدجى من حسن صير وغطى من جلال دفتى جليد⁽²⁾
- 31- ويوم التل تل البذ أبنا وغن قصار أعمار الحقود⁽³⁾
- الدجى الظلمة، والجلاد المجالدة بالسيف، والجليد الشجاع، والبذ حصن لبايك والتل الجبل. يقول أذهب ظلام الليل عند ذلك البيات حسن الصير وجلاد الرجل الشجاع جبنا، وانهراما وهونه عليهم أنهم لا يرون لشدة الظلام، وقوله "قصار أعمار الحقود" أي ظفرنا بالعدو فذهبت أحقادنا وشقينا صدورنا.
- 32- قسمناهم فشطر للمعالي وشطر في لظى حر الوقود⁽⁴⁾
- 33- كان جهنم انضمت عليهم كلاها غير تبديل الجلود⁽⁵⁾

- يقول أهلكناهم قلا وإحراقا فكان من حرقنا منهم ثاو في بطن جهنم إلا أنهم لا تبدل جلودهم تبديل جلود أهل جهنم.
- 34- ويوم انصاع ببايك مستمرا مباح العقر محتاج العديد
- 35- تأمل شخص دولته فغنت بحجم ليس بالجسم المديد⁽⁶⁾

¹ - ح ص. و ح ت: "إذا . ما بات"
² - ح ص و ح ت: "وكم غطي جلال دفتى جليد"
³ - ح ت: "رحا"
⁴ - ص و ت: "فشطر للعوالي" وآخر في لظى" و ح من: "وشطر من لظى حرق" و ح ت: "وأخر في لظى حرق الوقود"
⁵ - ح ص و ح ت: "انضمت كلاها عليهم"
⁶ - ح ص و ح ت: "بشخص ليس بالجسم".

الإصعاع الهبوط في جهة الأرض، والعقر والعقار أصل المال، المحتاج من الجانحة. يقول أخذ بابك في شق منهزما وماله مباح وعدد جنده محتاج مهلك، ثم قال نظر إلى دولته فغنت له بجسم غير مديد أي علم أن مدة دولته قصيرة.

36- فأنزع نية هربا فحامت حشاشته على أجل بليد⁽¹⁾

37- تنقصه بنو سنباط أخذنا بأشراك الموائق والعهود

38- ولولا أن ربحك دريهم لأحجمت الكلاب عن الأسود⁽²⁾

الحشاشة بقية النفس، وبنو سنباط قوم من أهل الثغور احتالوا على بابك حتى أخذوه. فيقول لما نوى بابك الهرب وأزعم عليه غير وحامت بقية نفسه على أجل بليد لا يجيبه إلى النجاة والغوث حتى أخذه هؤلاء القوم بجبال الأيمان والعهود ولو لا قوة القسم لمكان أبي سعيد منهم لكفوا عن بابك وأصحابه، وأحجموا عنه إحجام الكلاب عن الأسود.

39- وهرجاما بطشت قفلنا خيار البر جاء على القعود⁽³⁾

هرجام ملك من ملوك العجم. يقول بطشت به فأهلكته فكان بمنزلة الذي قيل فيه "خيار البر جاء على القعود"، وهذا المثل في حرب السيوس⁽⁴⁾، وكان رجل قد أخرج بنيه يتصيدون فلقيهم أعداؤهم فقتلوه ووضعوا رؤوسهم في أوعية الصيد على قعود كان لهم ووجهوه بينهم فظن أنه موقر صيدا فلما فتح الأوعية نظرا إلى رؤوس بنيه فقال خيار البر جاء على القعود فذهبت مثلا في كل مالك.

40- وقائع قد سكبت بها سوادا على ما احمر من ريش اليريد⁽⁵⁾

¹ ص و ح ت: "نليد" و ح ت: "إلى أجل بليد"

² ح: ص: "على"

³ ص و ت: "كان على القعود" و ص ش: "أخير البر" و ح ت: "أخير البر" على الاستفهام.

⁴ السيوس هي حالة جناس بين مرة الشيباني، وكانت له ناقة يقال لها سراب، فرأها كلب وائل في حمام، وقد كسرت بعض حمام كان قد أجاره، فرمى ضربها بسهم، فوثب جناس على كلب قفله، فهاجت حرب بكر وتغلب ابني وائل بسبها أربعين سنة، حتى ضربت العرب بشوهمها المثل "جمع الأمثال ج 2" 439.

⁵ ص: "سليت" و ص ش و ح ت: "على ما أبيض" و ح ص: "سكت" و "سكت".

يقول وقائعك نصرت بها المسلمون فسودت بها ريش اليريد بعد احمراره وكانوا إذا نصر المسلمون أعلم اليريد نفسه بريشة سودا، وإذا ظهر العدو كانت ريشة حمراء، ومعنى سكبت صببت.

41- لكن عمت بني حواء طرا لقد خصت بني عبد الحميد⁽¹⁾

42- أقول لسائلي بأبي سعيد كأن لم يشفه خير القصيد

43- أجل عينيك في ورفي مليا فقد عاينت عام المحل عودي

يقول عمت هذه الوقائع جميع الخلق بالسرور، وخصت بني عبد الحميد رهطك بالفضل وأوفر الحظ من السرور، ثم قال أقول لمن سألني بأبي سعيد وحالي معه وخير شعري فيه يدل على ما يريد ويشفيه من ذلك بما يتضمن من وصفي له، انظر إلى ورفي مليا تتبين حالي به فقد أصبحت عودي عام المحل مورقا وهذا مثل.

44- وتركى سرعة الصدر اغتباطا يدل على موافقة الورود⁽²⁾

45- لبست سواه أقواما فكأنوا كما أغنى التميم بالصعيد⁽³⁾

46- فتي أحييت يداه بعد يأس لنا الميتين من كرم وجود⁽⁴⁾

يقول طول إقامتي عند أبي سعيد مغتبطا يدل على موافقة ما أرغب منه. وضرب الورود مثلا والصدر، ثم قال لا بست غيره من الكرماء، واختيرتهم فكانوا كالتميم بالصعيد وهو وجه الأرض وكان هو الكماء.

¹ ص ت: "فعا".

² ورد هذا البيت في ت بعد البيت (لبست سواه أقواما) و ص: "ندل"

³ وأما هذا فورد في ت، بعد البيت (أجل عينيك في ورفي)، و ح ت: "لغيت"

⁴ ح ص و ح ت: "فني أحييت يداه".

القصة [40]:*

وقال يمدح أحمد بن أبي دؤاد، ويعتذر إليه⁽¹⁾:

- 1- سقى عهد الحمى سيل العهاد وروض حاضر منه وباد⁽²⁾
- 2- نزلت به ركي العين إنسي رأيت الدمع من غير العتاد⁽³⁾

لحمى موضع بعينه، وعهده حيث عهد أحبته، والعهاد الأمطار، وسيلها انصباً، والركي البئر، ونزلها استخراج مائها حتى يغنى، والعتاد العدة، دعا لمن عهد منازل الأحبّة في الحمى بالغيث حتى تصير رياضاً حاضرة وبادية، ثم ذكر أنه أفغذ، بالكاء عليه كما تنزع البئر لما يراه في البكاء من العدة التي ينتظر بها على الحزن.

- 3- فنيا حسن الرسوم وما تمشى إليها الدهر في صور السباد⁽⁴⁾

- 4- وإذ طير الحوادث في رياها سواكن وهي غناء المارد

يقول ما كان أحسن الرسوم إذا الدهر غير ماش إليها بالفراق، ولا متصور لها في صور البعيد، وإذ كانت الحوادث ساكنة عنها سكوت الطير الواقعة في الربا وإذ هي غناء المراد محصنة، والمراد مجوال القوم من أفتية الديار، والروضة الغناء هي الكاملة الحسنة التي يقع بها الذباب فيسمع لصوته غنة وشجي هذا أصلها.

- 5- مذاكي حلبة وشروب دجن وسامر قنبة وقدور صاد

* القصيدة من البحر الوافر

1- أبو عبد أحمد بن أبي دؤاد، ولد بالبصرة سنة ستين ومائة، كان معروفاً بالبرودة والعصية، وله مع المعصم في ذلك أخبار مأثورة، نشأ في طلب العلم وخاصة الفقه والكلام على ما بلغ، وكان من أصحاب وأصل من عطاء فصار إلى الاعتزال، قرّبه المعصم وجعله قاضي القضاة في خلافة، ولما مات المعصم، وتولى بعده الواق بالله حسنت حال ابن أبي دؤاد عنده، ولما توفي وتولى أخوه المتوكل فلع ابن أبي دؤاد في أول خلافة، ونهب ثقة الأبن ففقد المتوكل ولده محمد بن أحمد مكانه ثم عزل، مدحه جماعة من شعراء عصره، ومنهم أبو تمام توفي في سنة أربعين ومائتين ببغداد، وفيات الأعيان ج 1: 81-91.

2- من: "غادر" و ح ص و ج ت: "منها" و ح ت: "صوب العهاد"

3- ح ص و ت: "لما رأيت" و ح ت: "وجدت الدمع"

4- ح ص و ج ت: "في صور العتاد" و ح ص و ج ت: "في صور القفاد" و ح ت: "صور البعاد" وحلل البعاد

- 6- وأعين ريرب كحلت بسحر وأجساد تضلمخ بالجساد

يقول كان بهذه الديار جميع ما وصف من الخيل المذكية، وهي المسنة المنجدة للحلبة، ومن الشرب في يوم دجن وغيم، وهو ألد أيام الشرب، ومن فتية يسهرون للحديث وتدير الأمور، ومن قدور النحاس، ومن جوار أعينهن كأعين ريرب البقر، إلا أن السحر كحل لها، فمن نظر إليها خيلت عقله، وأجسادهن مضمخة بالزعفران.

- 7- بزهر والحذاق وآل برد ورت في كل صالحة زناد

- 8- وإن يك من بني أدد جناحي فإن أثيث ريشي من إباد⁽¹⁾

زهر والحذاق ويرد من إباد قبيلة المدوح⁽²⁾، وأدد جد قبائل طي بن أدد⁽³⁾، وطى قبيلة. يقول برهطك كثر الخير عندي، ورت في الصالحات زنادي بعد أن كانت كفية بغيرك، وإن كان أصلي وجناحي من طى، فمالي الكثير الذي هو كالريش كجناحي من إباد.

- 9- غدتون بهم أمد ذوي ظلا وأكثر من ورائي ماء واد⁽⁴⁾

- 10- هم عظم الأثافي من نزار وأهل الهضب منها والسجاد⁽⁵⁾

يقول غدتون بقبيلة هذا المدوح ذا ظل مدود أمد من ظل أهلي وذوي أقراني وأكثرهم غنى وتمكناً، وضرب ماء الوادي مثلاً لذلك، ثم قال إباداً أشرف نزار، وهي قبيلة تجمع مضر وربيعة وإبادا وهي نزار بن معد بن عدنان، وجعلها بهذا المدوح عظيمة القدر رفيعته، وجعلها لنزار كالأثافي في اصطلاحها بأموهم وتحملها لتوايهم، والهضب الجبال، والتجاد جمع جُد، وهو المرتفع من الأرض، ضربهما مثلاً لشرفها.

- 11- معرس كل معضلة وخطب ومنبت كل مكسرة وآد

1- ح ص: "فإن يك."

2- إباد: بطن من الأزد من القحطانية (معجم قبائل العرب ج 1: 52).

3- أدد بطن من كهلان من القحطانية (معجم قبائل العرب ج 1: 12).

4- ح ص و ج ت: "أجل ذوي قدرا" و ح ص: "أجل ذوي ظلا" و "أجل الناس قدرا".

5- ح ص و ج ت: "الفضل" و ح ص و ت: "عظمي".

12- إذا حدث القبايل ساجلهم فلإنهم بنو الدهر الستلاد

المعرس المنزل، والمعضلة النازلة الشديدة، والآد والأيد القوة، والتلاد ضد الحديث، والمساجلة الماخرة، وأصلها معارضة المستقين أحدهما صاحبه، والسجل والدلو، يقول إلههم يلجأ عند نزول المعضلات، ومنهم تنفرع المكارم والقوة على الأمور العظام، فإذا فآخرهم من فخره حديث، ففخروا عليه بما لهم من الفخر في قديم الدهر.

13- يفرج منهم الغمرات بيض جلال تحت قسطة الجلال⁽¹⁾

14- وحشو حوادث الأيام منهم معاقل مطرد وبني طراد⁽²⁾

الغمرات شدائد الحرب، والقسطة الغيرة، والمعاقل الحصون، والمطر المبعد عن وطنه، والطراد القتال. يقول إذا اشتدت الحرب كشف شدتها كل أبيض منهم مشهور جلد صابر تحت غبار الحرب، وحوادث الأيام مشتملة منهم على معاقل يلجأ إليها الطريد فيعصم، وعلى رجال قائمين بالحرب [آتين]⁽³⁾ للقتال ملازمين له.

15- لهم جهل السباع إذا المنايا تمشت في القنى وحلوم عاد

يقول فيهم بطش وخفة عند لقاء الأقران إذا جالت المنايا بيتهم في السلاح ولهم حلوم عاد ووفارها في مجالسهم.

16- لقد أنست مساوي كل دهر محاسن أحمد بن أبي دؤاد

17- متى تحلل به تحلل جنايا رضيعا للسواري والغوادي

18- ترشح نعمة الأيام فيه وتقسم فيه أرزاق العباد

يقول محاسنه تجلي مساوي الزمان وتذمها حتى تنسى، وإذا حللت جنايه وهو فتاؤه وجدته مخصبا كثير الخير كأنه أخ رضيع للحجابه السارية والغادية التي تأتيتها

مخصب، ثم قال نعم الأيام التي يجلبها بقدر الله تعالى مرشحة في جنايه معتدة للمعتفين، وأرزاق العباد مقسومة به.

19- وما استبنت طريق العرف إلا هداك لقبلة المعروف هاد⁽¹⁾

20- وما سافرت في الأفاق إلا ومن جدواك راحلتي وزاد

21- مقيم الظن عندك والأماني وإن قلقست ركابي في السباد⁽²⁾

يقول إذا أشكلت طريق المعروف على غيرك بجلا وإمساكا هداك جودك وكرم نفسك إلى قبلته وأمثل طريقته، ثم قال أنا منتقل في نعمتك حيث كنت من الأرض، وظني الجميل وأماني مقيمة عندك موقوفة عليك، وإن كان سيري إلى غيرك واضطريت بي الركاب في غير أفقك.

22- معاد البعث معروف ولكن ندى كفيك في الدنيا معاد⁽³⁾

يقول إننا يعاد الإنسان ويبعث يوم القيامة، ولكن نذاك معادي في الدنيا وأحيائي من موت الفقر.

23- أتاني عائر الأنساء تسري عفاربه بداهية نآد

24- نناخو كأن القلب أمسى يحمره غلى شوك القتاد⁽⁴⁾

25- كان الشمس جللها كسوف أو استترت بـرجل من جراد

العائر الخير لايدري أصله، والنآد الشديدة، والنشاما ينشر من الحديث، والقتاد شجر ذو شوك، والرجل القطعة من الجراد، وكان أبو تمام قد وشي به إلى ابن أبي دؤاد

¹ - ص و ت: "طريق الجد"

² - ح ت: "وإن جالت"

³ - ح ت: "طريق العرف" و "سبل الجد" و "معاد العرف"

⁴ - ح ص: "تبا"

¹ - ص و ت: "فرج عنهم"

² - ص: "بنو الطراد" و ح ص و ت: "بنو طراد" و ح ت: "مطرد" مكان "مطرد" أي موضع يحموه.

³ - كلمة غير واضحة في الأصل، والتصويب يقتضيه السياق.

وقرب عنده بأنه نال من مضر⁽¹⁾، وفضل عليها اليمن فعتب عليه ابن أبي دؤاد لأن مضر أخت إيباد وهما ابنا نزار، فجعل أبو تمام يستعنيه ويتراً عنده مما قرف فيه، فيقول أتاني نيا عائر تسري شروره بداهية شديدة حتى كان قلبي مما يجد من ألم الغم يجر على شوك القتاد، وكان النهار لإظلامه علي قد جللت شمس الكسوف أو سترها رجل من جراد.

26- باني نلت من مضر وخبت إليك شكيته خيب الجواد
27- وما ربسع القطيعة لي يربع ولا ناصدي الأذى مني بنناد

يقول أناني نيا بلغتني باني نلت من مضر، وأسرعت إليك الشكوى من قبلي إسراع القرس الجواد، ثم قال وكيف أفعل ذلك وأنا وصول للصديق دائم على العهد غير مودله، فالقطيعة ليست لي يربع، ونادي الأذى ليس لي بنناد، والنادي المجلس.

28- وأين يجور عن قضدي لساني وقلبي رائح برضاك غاد⁽²⁾

29- ومما كانت الحكماء قالت لسان المرء من خدم الفؤاد

يقول كيف يجور لساني عن القصد والحق الواجب مني لك وقلبي وقف عليك على اعتقاد ما يرضيك، وقد ذكرت الحكماء أن اللسان ترجمان القلب [ينبعث]⁽³⁾ بما يتضمنه وينطلق بما يعتقد، فإذا كان قلبي يرضيك كيف ينطلق لساني بما يسخطك.

30- وقدما كنت معسول المعاني ومأدوم القسواني بالسداد⁽⁴⁾

31- لقد جازيت بالإحسان سوءا إذا وصيغت عرفك بالسواد

32- وسرت أسوق غير اللؤم حتى أغتت الكفر في دار الجهاد⁽¹⁾

يقول كيف أذمك وقدما كانت معاني شعري معسولة بك عذبة حلوة وقوافيه معزوجة بسداد المنطق دون الهجر وقدر القول، ثم إن كنت فاعلا فلقد جازيت إحسانك إلي سوءا، وصيغت أياديك البيض سوادا بكفري لها، وكنت في عظم الجرم واستحقاق أعظم العقاب كمن ساق عيرا بلؤمه وذلتته حتى أناخها بأهل الكفر في ثغور المسلمين.

33- وكيف عتبت يوم منك فذ أشد علي من حرب الفساد⁽²⁾

34- وليست رغوتي من فوق مذق ولا جمصري كمين في الرماد⁽³⁾

يقول كيف أذمك وسخط يوم واحد منك علي أشد من حرب التجار التي كانت بحرم الله تعالى⁽⁴⁾، ولست أبدي لك من أمري خلاف ما أخفيه فرغوتي الظاهرة فوق الصريح من اللين دون المذوق بالماء، ورمادي غير مشتمل على جمر يحرق، وهذه كلها أمثال أي ظاهري لك جميل حسن فكذلك باطني.

35- وكان الشكر للكرماء خصلا ومسيدانا كمسيدان الجياد

36- عليه عقدت عودتي ولاحت مواسمه على شيمي وعاد⁽⁵⁾

37- وغيري بأكل المعروف سحتا وتشحب عنده ببيض الأياد

الحصل ما يفوز به السابق لغيره، والميدان مجال الحيل، والعود ما يعوذ به الطفل، والمواسم العلامات، والعاد جمع عادة.

1- ح: ص و ح: ت: "وسرت" بالصاد.

2- ح: ص و ت: "كيف".

3- ح: ص: "من تحت".

4- أيام التجار أربعة أجرة، والقصد هنا الرابع وهو الأكبر بين قرني وموزن، وكان بين هذا الآخر ومبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ست وعشرون سنة، وشده عليه السلام وله أربع عشرة سنة، والسبب في ذلك أن الواض بن قيس الكندي قبل عروة الرقال، فهافت الحرب ومعت قريش هذه الحرب فجارا لأنها كانت في الأشهر الحرم، فقالوا: قد فجزنا إذا قاتلنا فيها أي قتنا. (جمع الأمثال ج 2: 430).

5- ح: ص: "عودتي". ح: ص و ح: ت: "عقدتي".

1- مضر بن نزار قبيلة عظيمة من العدنانية، كانت لهم رئاسة مكة، وجمعهم فخذان عظيمان: خندف وقيس (معجم قبائل العرب ج 3: 1107).

2- ح: ص و ت: "من قصد" و ح: ت: "بهواك".

3- كلمة غير واضحة في الأصل.

4- ح: ص و ت: "الأماني" و ح: ص: "الفساد" و ح: ص و ح: ت: "قدما".

يقول كيف أكثر بنعمك والشكر مما يستعمله الكرام فيه، والكفر لؤم ودناءة، ثم قال على الشكر ربيت وعقدت المعاذ في عتقي وعلاماته لائحة على طبائعي وعاداتي على أن غيري لا يشكر على المعروف فهو يأكله سحتا، وتتغير عنده الأيادي البيض لقلعة مراعاتها.

38- تثبت إن قولاً كان زورا أتى النعمان قبلك عن زياد

39- و أرث بين حي بني جلاح سنى حرب وحي بني مصاد⁽¹⁾

40- وغادر في صفوف الدهر قتلى بني بدر على ذات الإصا⁽²⁾

التأريث إلهاب النار، وبنو جلاح وبنو مصاد من كلب⁽³⁾، وكانت بينهما حروب عظيمة، وذات الإصا مواضع فيها كانت بها حروب بين أبي بدر بن فرارة وبين قيس بن زهير العبيسي في أمر دا حن والغبراء⁽⁴⁾. يقول أثبت في أمري ولا يقتل علي الزور فقد وشي بالنابغة الذبياني وهو زياد عند النعمان بن المنذر فلما نظر في الأمر وجده كذبا وقد بعث الزور بين هؤلاء القوم حروبا أقتنهم وإنما جعل حروب داحس والغبراء منبعثة من أجل قول الزور لأن أولها كان بالرهان، ثم وشي ببعضهم إلى بعض وأغري بينهم وكانت الحروب تشتد بينهم لذلك.

41- فما قد حاك للباري وليست متون صفاك من نهز المراد⁽⁵⁾

42- ولو كشفني لبلوت خرقا يصافي الأكرمين ولا يصاد⁽⁶⁾

43- جديرا أن يكر الطرف شزرا إلى بعض الموارد وهو صاد

¹ - ح: "شبا حرب"

² - ص: "في صدور"

³ - كلب بطن من خنعم من آثار بن أراش، من القحطانية، كانت مساكنهم بالحجاز. (معجم قبائل العرب ج 3: 991).

⁴ - يوم داحس والغبراء، يوم لعس على فرارة وذياب، وقيت الحرب مدة مديدة بسبب هذين القرنين (جمع الأمثال ج 2: 439).

⁵ - ح: "دوت المرادي في بعض النسخ بفتح الميم وضما معا.

⁶ - ص: "لوجدت" و ح: "أحرا".

القدهان السهمان ضربهما مثلا لرأيه وعقله، والصفا الحجارة الصلبة الملس ضربهما مثلا لقوة نفسه وشدة عقده. والحرق الكريم، ومعنى يصادي يخاتل وبسانر، وأصله من صدل الحديد، والشزر نظر المنكير، والصادي العطشان. يقول لابن أبي دؤاد أنت ممن لا يؤثر في صحة رأيك وقوة نفسك وعقلك نقل واث، وضرب بري السهم مثلا وفرص المرادي للصفاء مثلا، والمرادي الرامي، والمردى ما تكسر به الحجارة، ثم قال لو اختيرتني لحيرت مني رجلا كريما يصفى الكرماء مودته ولا يخلطهم، ولو جرتني جدير أن يكر طريقي والنظر شزر إلى بعض ما بأيدي الناس لو كنت محتاجا إليهم أي أنا كريم فلا أتثبت إلا بالكرام مثلك، ولا أتعرض إلا لمعرفهم فكيف أستغسد إليك.

44- إلسيك بعثت أبكار المعاني يلسيها سائق عجل وحاد⁽¹⁾

45- جوائر عن دناء القوم حيرى هوادي بالجماجم والهواد⁽²⁾

يقول بعثت إليك من معاني الشعر معاني أبكارا لم أسبق إليها بخود بها إليك من حرصي على توجيهها نحوك حاد عجل، ثم قال هي قواف تجور عن اللثام وغير عنهم وتخص الكرام وتهتدي إليهم، وضرب الرؤوس والهواوي والأعناق مثلا للأشراف والكرام، ويروى عن ذنابي القوم.

46- شداد الأسر سائلة السواحي من الإقواء فلبها والسناد

47- لها في الهاجس القدح الملقى وفي كتب القوافي والعماد⁽³⁾

الأسر شدة الخلق، والإقواء اختلاف حركات القوافي، والسناد اختلاف الأرداف باختلاف حركاتها كقولك في قافية يسنا بفتح وآخر يينا بكسرها، والملقى من قداح

¹ - ص و ح: "القوافي"

² - ص و ت: "فاني" و "للجماجم"

³ - ح: ص: "جوائر عن دناء القوم زور هواد"

و ت: ش: "من دناء القوم زوار". و ح: "حدا"

⁴ - جاء هذا البيت في ص و ت: بعد البيت "بذلها بذكرك قرن فكر

ص و ت: "وفي نظم القوافي". و ح: ص: "في كتب المعاني".

القصيدة [41]:

وقال بمدحه ويعتذر إليه، ويستشفع بخالد بن يزيد الشيباني:

- 1- أرايت أي سوافف وخدود عننت لنا بين اللوى فزروود
- 2- أنراب غافلة اللبالي ألفت عقد الهوى في يارق وعقود⁽¹⁾
- السوافف صفحات الأعناق، والبارق ضرب من الأسورة، يقول ما أحسن تلك السوافف والحدود التي عرضت لنا بين هذين الموضعين، ثم قال هن أتراب جارية قد غفلت لياليها عنها فلم ترمها بداهية، وقد جمعت أسباب الهوى والعشق، وألفت عقد الحب في النظر إلى بارقها أي من نظر إليها هواها.
- 3- بيضاء يصرعها الصبايح الصبا أصلا بخوط البانة الأملود⁽²⁾
- 4- وحشية ترمي القلوب إذا اغتدت وسنى فمما تصطاد غير الصيد⁽³⁾
- الخطوط الغصن، والأملود الناعم، والوسنى الفاترة النظر، والصيد الإشراف السادة، يقول هي عزيزة ناعمة فيكاد ضيؤها ولينها يصرعها بالأرض اهتزازا وتكسرا كما تعبت الريح الصبا بالغصن الناعم فينثني، وخص الصبا لأنها أعدل الرياح وأطيبها عندهم وأحسن ما تكون في الأصل، ثم قال هي وحشية في نظرها وتقائها فإذا رمت بطرفها الوسن صادت العقول إلا أنها لا تصيد إلا السادة الإشراف لأن غيرهم لا يطعم فيها.
- 5- حزم عند مجرب فيها ولا جبار قوم عندها بعنيد

* : القصيدة من البحر الكامل.

1- من ش و ح ت: "لي بارق" وهو تصحيح، و ت ش: "غافلة لبالي".

2- من: "من نعمة: خوط كخوط" مكان: "عب الصبا: أصلا بخوط" ومن ش: "أصلا كخوط البانة" و ح من: "خود" و ح من: "حرا" مكان "أصلا" و "ينثيا" و ت ش:

3- بيضاء يصرعها الصبا من نعمة خود كخوط البانة الأملود.

4- ح من: "القدود" و ح ت: "إذا عدت"

الميسر وهو أوفرها حظا، فيقول لها من هاجس النفس أوفر الحظوظ، وكذلك من كتب الشعر.

48- منزعة عن السرقة المورى مكرمة عن المعنى المراد⁽¹⁾

49- يهيجها بذكرك قرن فكر إذا حزننت فتسلس في القصيد⁽²⁾

يقول نزهتها عن مسروق من غيرها مغطى عليه، وأكرمته عن إعادة معانيها وتكريرها، ثم قال يحركها بذكرك ومدحك فكر هو لها كالقرن في القتال فلا يزال يروضها وبذلها إذا تصعبت وحزنت حتى تسلس وتتقاد.

50- تنصل ربهما من غير جرم إليك سوى النصيحة والوداد⁽³⁾

51- ومن ياذن إلى الواشين تسلق مسامعه بالسنة حداد

التنصل الاعتذار من الذنب والتبرؤ منه، ومعنى ياذن يستمع. يقول تبرا إليك رب هذه القصيدة على أنه لا ذنب له ولا جرم سوى أنه ينصحك ويودك، ثم قال ومن أذن ليستمع إلى التمامين أسمع ما يكره وأكثر عليه من تبليغ الأذى وسلقت مسامعه بالسنة حداد أي قرعت بأشد القول .

1- وجاء هذا البيت في ص و ت: بعد البيت: (لها في الهاجس القدر المعلى).

ص و ت: "المعنى المعاد" و ت ش: يقال: سرق وسرق قوم يشارون كسر الرءاء، وقوم يشارون الفتح.

2- وجاء هذا البيت في ص و ت: بعد البيت (شداد الانس سائلة النواحي).

ص و ت: "بذلها" و ح ت: "كل" مكان "قرن".

3- جاء هذا البيت في ص بعد البيت (منزعة عن السرقة المورى)

ح ت: "من كل".

6- من لي يربع منهم معهود إلا الأسى وعزيمة المجلود⁽¹⁾

العنيد المنكر الجائر من الحق، والمجلود [الصابر]⁽²⁾ يقول من كان مجرباً حازماً حليته هذه الجارية وأحبته فذهبت به تجربته وحزمه ومن كان جباراً عنيداً ذل لها وخضع، ثم قال من لي يربع الأحبة يرده كما عهدته ثم استثنى استثناء منقطعاً، فقال لكن شأني وأمرى الأسى والحزن وإن عزم آخرًا على الجلادة الصبر.

7- إن كان مسعود سقى أطلالكم سبل الشؤن فلمست من مسعود

8- ظعنوا فكان بكاي حولا بعدهم ثم اروعيت وذاك حكم لبيد

9- أجدر بجمرة لوعة إطفائها بالدمع أن تزداد طول وقود

مسعود هو أخوذي الرمة، وكان قد شرط في شعره أن يبكي على الأحبة أبداً وأما لبيد بن ربيعة فقال:

"إلى الحول ثم، اسم السلام عليكم ومن يسك حولا كاملاً فقد اعتذر"⁽³⁾

فيقول أبو تمام ولا أفعل فعل مسعود ولكني أقندي بحكم لبيد إذا كان البكاء لا يزيد الشوق إلا شدة، والدمع لا يزيد لوعة الحزن إلا توقداً وحرقة.

10- لا أقصر الطرب القلاص ولا أرى مع زير نسوان أشد فتودي

11- شوق ضرحت فذاته عن مشربي وهوى أطرت لحاء عن عودي⁽⁴⁾

الإقصار أن يصير قطر ظاهر الناقة أو غيرها للركوب، والطرب الذي يطرب إلى النساء، والزير الكثير من زيارتهن والاهتمام بهن، والفتود أعواد الرجل، ومعنى ضرحت

1- م و ت: "مالي" و ح ت: "الأسى" بضم الهمزة و عزة التجلد.

2- زيادة يفتضها السياق.

3- ديوانه: 79.

4- ح ت: "هطلت".

نحيت، وأبعدت، والفتاة ما سقط في الشراب، واللحاء قشر العود، وهذه كلها أمثال، يقول لا ألتبس بمن يطرب إلى النساء ويزورهن فقد سلوت عن ذلك الشوق لما أنا فيه من التهم بلقاء المدح ورفجته عن نفسي حتى لا يلتبس شيء من أمري.

12- عامي وعام العيس بين وديقة مسجورة وتسنوفة صبيهود⁽¹⁾

13- حتى أغادر كل يوم بالقالا للطير عيدا من سنات العيد

العيس بيض الإبل، والوديقة شدة الهاجرة، والمسجورة المملوءة حراً، والتسنوفة القلاة، والصبيهود المخذومة بشدة الحر، وبنات العيد إبل منسوبة إلى بني العيد وهم قوم من مهرة⁽²⁾ وإبلهم أجاب إبل. يقول أنا أقطع عامي باستعمال العيس في التناقب المحتدمة والهواجر المتقدة حتى أغادرها ردية ساقطة فتهلك ويقع الطير على طومها فيكون لها عيدا بما تأكل منها.

14- هيهاث منها روضة محموده حتى تناخ بأحمد المحمود⁽³⁾

15- بمعرس العرب الذي وجدت به أومن المروع وبجدة المنجود⁽⁴⁾

هيهاث أي في البعد من هذه الإبل روضة تخمدها إلا أن ترحل إلى هذا المدح وتناخ عليه، ثم قال تناخ بمعرس العرب أي بوضع نزولهم ومحط رحالهم وبالنزح أومن به كل مروع وقوى به كل مكروب. والنجدة القوة والجرأة، وهي أيضاً النصر، والمنجود المكروب.

16- حلت عرا أفعالها وهموها أبناء إسماعيل فيه وهود

17- أمل أناخ بهم وفودا فاغتدوا من عنده وهم مناخ وفود⁽⁵⁾

1- م و ت: "صبيهود" و ح ت: "وخماره صبيهود".

2- مهرة بن حيدان بن قضاة، وهم بنو مهرة بن حيدان بن عمرو بن الجاهل (المالبي) بن قضاة من القحطانية، كانوا يقيمون باليمن وتنسب إليهم الإبل المهرية. (معجم قبائل العرب ج 3: 1151).

3- م و ت: "و ت ش: "هيهاث منها مروع وإراة" و ح م: "منهم".

4- ح ت: "ومعرس العرب".

5- ح ت: "به" مكان "بهم" وهو ظاهر الخطأ. وفي بقية أصول الديوان "بهم".

18- بدأ الندي وأعاداه فيهم وكم من مسيدي للعرف غير معيد⁽¹⁾

يقول جميع العرب من المدينة المنسلة من إسماعيل صلى الله عليه وسلم⁽²⁾،
واليمانية المنتمة إلى هود عليه السلام⁽³⁾ معولون على هذا الممدوح وقد ألقوا أنفاهم
بفناه ورموا بهمومهم إليه، وبعض التسابيح يجمع جميع العرب من إسماعيل، ثم قال كل
من أمه فوفد عليه رجع من عنده كثير الغنى ومملا يوفد عليه ويناخ بفناه، ثم قال هو
كثير الندي فكلمنا بدأ بالندي أعاده ثانية على كثرة من في الناس ممن يبديء المعروف
فلا يعيده.

19- يا أحمد بن أبي ذؤاد حطنتي بخياطتي ولدتني بلدودي

20- وجزيتني ودا حميت ذماره وذماصه من هجرة وصدود⁽⁴⁾

21- ولكم عدو قال لي متملا كم من ودود ليس بالمودود

اللدود دواء يوجره الصبي في أحد شقي فيه، والذمار الحرمة. يقول أنعمت علي
وحطنتي بما بلائمني من الحياطة وداويتني من الفقر بما يوافقني من الدواء، وضرب
اللدود مثلاً، ثم قال جازيتني على عييتي ودا حميتي من الهجران والصدود على أن كثيراً
من أعدائي الحاسدين لي قد قالوا لي كم من ودود لا توده [طعما منهم]⁽⁵⁾ في تصديق
قولهم والتعرض لاختراف وده عند اللئيم.

22- أضحت إباد في معد كلها وهم إباد بنائنها الممدود

23- تنميك في قلل المكارم والعلى زهر لزههر أبوة وجدود

¹ ح-ص: "أهدى الندي"

² إسماعيل بن إبراهيم الخليل بن آزر، من نسل سام بن نوح، راس السلالة العربية الثالثة المعروفة بالستمية. (الأعلام ج 306: 1).

³ هود عليه السلام بن عبد الله بن رياح بن الحلو بن عاد، نبي عربي من قوم عاد الأولى من سكان الأحقاف شمالي

حضر موت، كان يتكلم بالعربية. (الأعلام ج 101: 8)

⁴ ص-وت: "ومنحتني" و ح-ت: "وجزيتني ودا حميت ذماره وذماره".

⁵ جملة غير واضحة في الأصل. وشرح التبريزي البيت بقوله: أي كانوا يقولون: أنت تودعه الممدوح وهو لا يودك. ج 1

391/:

الإباد ما يعمر به البناء ويقوى، والإباد القوة، والقلل أعالي كل شيء وزهر
قبيلة من إباد، يقول إباد لقيابل'معد كالعماد للبناء الممدود الطويل، ثم قال للمدوح
ترفعك وتنميك في أعالي المكارم زهر هذه القبيلة إلى إباد وأجداد كالنجوم الزهر في
أنسابهم وشهرتهم.

24- إن كنتم عادي ذاك النسخ إن نسبووا وفلقلة ذلك الجلمود⁽¹⁾

25- وشركتموهم دوننا فلأنتم شركاؤنا من دونهم في الجود

العادي القديم من كل شيء كان نسب إلى عاد لقدمها، والنسخ من أكرم شجر
نجد. يقول للممدوح رهنه إن كنتم ذوي نسب قديم في معد الذي هو كإلنيغ في شرقه
وكرمه وقطعة منه وفلقلة كالفلقلة من الجلمود وشركتموه في النسب دوننا فليتنا وبينكم
نسب الجود لأن كعب بن مامة الإيادي منكم، وحاتم بن عبد الله الطائي منا فأنتم
شركاؤنا في الجود دون معد.

26- كعب وحاتم اللذان تقسما خطط العلى من طارف وتلبد

27- هذا الذي خلف السحاب ومات ذا في الجود ميتة خضرم صنديد⁽²⁾

الخطط جمع خطة وهو ما يخطط من الأرض وبجاز، والطارف الحديث، والتلبد
القديم، والخضرم الجواد، والصنديد الشريف. يقول كعب بن مامة وحاتم بن عبد الله
هما اللذان حازا المعالي دون غيرهما حديثها وقديتها، ثم قال حاتم كان خلفا من
السحاب بجوده ونده، وكعب مات في سبيل الجود ميتة رجل شريف يريد إشارته للنمري
بخطه من الماء حتى مات عطشا.

28- ألا يكون فيها الشهيد قوموه لا يسمجون به بألف شهيد⁽³⁾

¹ ح-ت: "قفه".

² ص-وت: "في الجود" و ح-ص: "في المعد"

³ ص: "إن لا يكن" و ص-ش: "له بألف" و ح-ص: "له بألف شهيد" و ح-ص و "فيه" و ت: "ألا يكن فيها"

29- من قاسيا في المجد إلا دون ما قاسيته في العدل والتوحيد⁽¹⁾

يقول إن لم يكن كعب في تلك المنية شهيدا لأنه مات في الجاهلية فقد تخلف من الشرف لقومه ما يوجب ألا يسمحوا به على أن يعوضوا منه ألف شهيد من المسلمين، ثم قال للممدوح لم يقاس كل واحد منهما ولا حاول من المجد إلا أقل ما تحاول أنت في ذلك بين الرعية وفي توحيد دولتك.

30- فاسمع مقالة زائر لم تشبته آراؤه عند اشتباه البعيد

31- يستام بعض القول منك بفعله كملا وغفو رضاك بالمنجود

32- آسرى طريدا للحياة من التي زعموا وليس لرهبة بطريد

يقول السيد القفار. يقول أصغ إلي واسمع عذر رجل زائر لك آراؤه فيك مجتمعة بينة عند افتراق الطرق في البید واشتباها عليه زارك ليستام بجميع فعله بعض قولك وغفو رضاك بجهوده اعتذاره إليك فقد جعله الحياة من الحطة التي قرقوه بها عندك طريدا عن قومه ساريا إليك بالعذر وليس بطريد لرهبة من عدو.

33- كنت أربيع أمامه وراه قمر القبائل خالد بن يزيد

34- فالغيث من زهر سحابة رافة والطود من شبیان ركن حديد⁽²⁾

يقول أنت لي كالربيع أسير إليه منتجعا له، والربيع الغيث، وخالد بن يزيد الشيباني سندلي أسند ظهري إليه معتمضا به، وكان قد استشفع به إلى ابن أبي ذؤاد، وجعله للقبائل كالقمر يمدحها بنوره، أو لأنه أشهر منها، ثم قال يزيد للممدوح "فالغيث من زهر قبيلتك سحابة رافة" والطود من شبیان يعني خالد بن يزيد كركن من حديد من لجأ إليه عصم.

35- وغدا تبين ما براءة ساحتني لو قد نفضت تهامي ونجودي

¹ - ص و ت: "ما قاسيا".

² - ص و ت: "والركن من شبیان طود حديد".

36- هذا الوليد رأى اثبت بعدما قالوا يزيد بن المهلب مود

يقول إن ثبت في أمري واختبرت ظاهري وباطني وجدتني بريء الساحة مما نسب إلي، وضرب نفخ التهام من الأرض والنجوم منها مثلا لذلك، والتهام ما اغتض من الأرض، والنجوم ما ارتفع من الأرض، ونفضها استقصاؤها واستراؤها حتى أن يكون بها قاطع أو من يبقى عادته، ثم ضرب قصته مع ابن أبي ذؤاد بقصة يزيد بن المهلب مع الوليد بن عبد الملك⁽¹⁾ حين فر من الحجاج⁽²⁾ إلى سليمان بن عبد الملك⁽³⁾ فاستجار به فكتب الحجاج إلى الوليد في أمره فوجه الوليد إلى سليمان أخيه بأمره بتوجهه إليه فأرسل سليمان معه ابنه أيوب في جامعة واحدة، وقال له كن معي حتى لا يوصل إليه بشر فدخلنا على الوليد ومعهم عبد العزيز بن الوليد فشفع إلى أبيه مع أيوب بن سليمان في يزيد بن المهلب فشفعهما فيه، وقوله مود أي هالك.

37- فتزعزع الزور المؤسس عنده وبناء هذا الإفك غير مشيد⁽⁴⁾

38- وتمكن ابن أبي سعيد من حجا ملك بشكر بني الملوك سعيد⁽⁵⁾

الزعزعة تحريك الشيء وهزه حتى يتخلخل، والمشيء المبني بالشيد. يقول لما تثبت الوليد في أمر يزيد بن المهلب وجد ما رمي به زورا قد أسس وقوي، وكذلك ما نسب إلي عندك إفك إلا أنه غير مشيد أي لا قواء له ولا أصل، ثم قال وتمكن ابن أبي سعيد يريد يزيد وكنية المهلب أبو سعيد من حجي أي من عقل الوليد وحمل رأيه فيه، وذلك الملك قد سعد بشكر بني الملوك يعني بشكر يزيد وإخوته وشكر سليمان وابنه.

39- ما خالد لي دون أيوب ولا عبد العزيز ولست دون وليد

¹ - الوليد بن عبد الملك بن مروان أبو العباس من ملوك الدولة الأموية في الشام ولي بعد وفاة أبيه سنة 86 هـ فوجه

الفرار لفتح البلاد، توفي سنة 96هـ بالأعلاج ج 8-121.

² - الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد قائد داعية سفاك حبيب مائة سنة 95 هـ. (الأعلام ج 2: 168).

³ - سليمان بن عبد الملك بن مروان، أبو أيوب الحليفة الأموي، ولد في دمشق وولي الخلافة، يوم وفاه أخيه الوليد سنة

96هـ كانت عاصمته دمشق، ومدة خلافته ستان وثمانية أشهر إلا أياما. (الأعلام ج 3: 130)

⁴ - ص و ت: "فتزعزع" و ص ث: "فزعزع الزور المشيد" و ح و ت: "فتضعف".

⁵ - ت ث: "وإذا رويت" حجا" فالمراد بها العقل، وإذا رويت "حجا" فالمراد بالخالد الجبا.

يقول شفيعي إليك خالد بن يزيد، وهو أجل قدرا من أيوب وعبد العزيز شفيعي يزيد بن المهلب إلى الوليد وأنت المشفوع إليه، ولست بدون الوليد في كرم النفس والأخذ بالعفو وقبول الشفاعة.

40- نفسي فداؤك أي باب ملامة لم يرم فيه إليك بالإقليد⁽¹⁾

41- لمقارف البهتان غير مقارف ومن البعيد الرهط غير بعيد⁽²⁾

الإقليد المفتاح، ومقارف البهتان (هو مراني)⁽³⁾ الكذب والمنشئ به، يقول بيدك مفاتيح أبواب الملمات وكشف خطوط النائبات، وأنت ممن لا يقارف ولا يداني من قارف البهتان والكذب ولا تتبعد عنك إلينا من غريب بعيد الرهط فاصفح ما قرفت به عندك وأقربني بذلك وفضلك.

42- لا أظنني غمامك أصبحت تلك الشهود علي وهي شهودي⁽⁴⁾

43- من بعد ما ظنوا أن سيكون لي يوم بغيهم كيوم عبيد⁽⁵⁾

يقول لما ظننتني غمام عفوك وكريم صفحك صار كل من شهد علي عندك شاهدا لي ميراثا مما قرفت به من بعد أن ظنوا أنني هالك بغيهم علي عندك وأن يوم لقائي كيوم لقاء عبيد بن الأبرص⁽⁶⁾ للنعمان بن المنذر حين واقفه في يوم يؤسه فقتله.

44- أمنيّة ما صادفوا شيطانها فسيها بعفريت ولا تمرير⁽⁷⁾

45- نزعوا بسهم قطيعة يهغو به ريش العقوق فكان غير سديد⁽⁸⁾

1- ح ت: "لم يلق"

2- ح ص و ح ت: مقارب

3- تصويب يقتضيه السياق

4- ح ص و ح ت: "مداؤك"

5- ح ت: "هأن سيكون" و ت: "من بعد أن ظنوا بأن" و ح ت: "بهمهم"

6- عبيد بن الأبرص من مضر، شاعر من دماء الجاهلية وحكامها وهو أحد أصحاب "المجمرات" عاصر امرئ القيس وله معه مناظرات ومناقضات فله النعمان بن المنذر وقد وفد عليه في يوم يؤسه. الإلام ح 4-188.

7- ح ت: "ما صادفت"

8- ح ت: "هغو"

يقول تمنوا في امرئ أمنيّة أصلها الكذب، والبغي فلم تكن قوية فخذلهم شيطانها لضعفه، وضرب هذا مثلا والعفريت والمريد من أخبت الجن وأمرهم، ثم قال مؤكدا لما قدمه نزعوا بسهم القطيعة بيني وبينك تظهر له أي كان ما رموا به ليصيبوا مقاتلي من ريش من عقوق فلم يكن سديدا مصيبا للعرض.

46- وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتناخ لها لسان حسود

47- لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

48- لولا التخوف للعواقب لم تزل للحاسد النعنى على المحسود

يقول لما حسدني هؤلاء على منزلتي منك وفضيلتي بك أظهرها ما خفي من ذلك ونشروا ما طوي منه عن الناس حتى فشا أمري وتبين لجميع الناس فضلي، وكذلك عود الطيب لولا مجاورة النار له وإحراقها إياه لما عرف عرقه، ولا تبين فضله، والعرف الرائحة، ثم قال لولا أن الحاسد يتخوف عاقبة الحسد وسوء صرعته فيمسك ويقر من مناقبه.

49- خذها مستثقة القوافي رهبا لسوايغ النعماء غير كنود

50- حذاء ثلا كل أذن حكمة وبلاغة وتدر كل وريد⁽¹⁾

الكنود الكفور، والحذاء الخفيّة اللطيفة، والوريد حبل العنق، يقول خذ هذه القصيدة حكمة القوافي رهبا للبتدع لها غير كفور لنعمك، ثم قال حذاء حسة لطيفة ثلا أذن السامع حكمة تدر وريد المنشد دما إعجابا بها وحرصا على إنشادها، وذلك أن المتكلم إذا أعجب بما يأتي به استخفه الطرب والعجب، ودرت أوداجه دما واضطربت.

51- كالطعنة النجلاء من يد ثائر بأخيه أو كالضربة الأخسود

52- كالدر والمرجان ألف نظمه بالشذر في عنق الفتاة الرود⁽²⁾

1- ح ص و ت: "كل قلب"

2- ح ت: "الكماب" و ح ت: "في جيد"

القصيدة [42]:*

وقال يمدح أبا المغيث موسى بن إبراهيم ويعتذر إليه.

1- شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدي ومحت كما عت وشانع من برد

2- وأجذتم من بعد إتهام داركم فبادع أجذني على ساكني نجد

المغاني المنازل، ومحت درست، يقال مع الثوب وامع أي بلي، والوشية طرة الثوب، ويقال هي اللحم، وفي اللحمه يكون الوشي، يقول لما أقوت المنازل من الأحبة درست كدروس وشانع البرد، ثم قال لأحبته كنتم مقيمين بنهماة ثم انتقلتم إلى نجد فمالي عون على دفع ما أجذ لفراقكم إلا الدمع فيا دمع أجذني عليهم أي أعني وانصرتني.

3- لعمرى لقد أبليتكم جدة البكا بكاء وجددتم علي بلى الوجد⁽¹⁾

يقول كان بكائي جديدا لم استعمله قبل فراقكم فلم أزل أستعمله فيكم حتى بلي، وكان وجدي ساكنا ضعيفا بهجراتكم فلما بنتم وفارقتم كان ذلك أشد من الهجران فتويتم وجدي وجددتم بلاه.

4- وكم أحرزت منكم على قبح قدها صروف النوى من مرهف حسن القد⁽²⁾

5- ومن زفرة تعطي الصباية حقها وتوري زناد الشوق تحت الحشا الصلد

6- ومن جيد غيذاء الشني كأنفا أتهتك بلبسها من الرشا الفرد⁽³⁾

يقول كم نصت النوى، وجارت صروفها على أنها قبيحة القد وحشية المنظر من شخص مرهف الكشح حسن القد، ومن زفرة شديدة يبعثها النوى للعاشق الصب بفراق

*- القصيدة من البحر الطويل.

1- من و ت: "أخلفتم" وجددتم به خلق الوجد" و من ش و ح ت: جدة الملى علي. وجددتم علي بلى الوجد" و ح ت:

"بكايتي".

2- ح من: "الردى"

3- ح من: "ومن كل غيذاء"

النجلاء الواسعة، والثائر طالب الدم، والأخدود الواسعة الطويلة، والشذر قطع الذهب، والردود الناعمة. يقول موقع هذه القصيدة من نفس الممدوح بها أو السامع لها موقع الطعنة الواسعة أو الضربة بالسيف من نفس امرء ثار بأخيه أو أدرك دمه وقتل عدوه، ثم قال هي في حسنها وجمالها على ماها كمقد مفصل شذر في عنق جارية رود حسنة.

53- كشقيقة البرد المنمنم وشيه في أرض مهرة أو بلاد تيزيد

البرد ثوب الوشي، والمنمنم الدقيق الصنعة، ومهرة وتريد من اليمن، ووشيهم أفضل الوشي، شبه القصيدة من نفس الممدوح في حسنها وجودة وصفها ببرد هذه صفتها.

54- يعطي لها البشرى الكريم ويحتي برائدها في المحفل المشهود⁽¹⁾

55- بشرى الغنى أبي البنات تتابعت بشراؤه بالفسارس المولود

56- كرقى الأسود الأراقم طالما نزعتم حمات سخائم وحقود

يقول إذا مدح بها الكريم قامت عنده مقام المولود عند الغنى أبي البنات إذا بشره بعد بأس من أن يولد له ابن فيعطي البشرى عليها كما يعطي بشراؤه بذلك المولود، ثم قال هذه القصيدة تفعل بالأحقاد مثلما تفعل الرقية بالحمة تذهب حميتها وتسكن شدتها، والأسود والأراقم ضربان من الحيات، والحمة سمها وضربها، والسخائم الأحقاد.

1- ح و ت: "يعطي بها" وقال التبريزي في شرحه للبيت: "إن رويت "يعطي" على ما لم يسم فاعله، فالغنى أن الكريم يعطاه، لأنها موصولة له... وإذا رويت: "يعطي" فالغنى أن الكريم إذا بشر بقومها أعطى من بشره بشرا".

أ وتوري زناد شوقه أي نهيج شوقه وتظهره كما يظهر الرند النار وإن كان صابرا شديد القلب كالجر الصلد الذي لا يوري نارا، ثم قال وكم نصت دوننا من عنق جارية غيداء ناعمة متنية كأن ليتيها وهما صفحتا عنقها ليتنا رشا من الغزلان سلبته إياهما فانتك من قبله بهما، وجعل الرشا فردا لأنه إذا انفرد لم تنظر العين إلى غيره، ولأنه مع ذلك مرتاع متشوف، وذلك أملج به.

7- كأن عليها كل عقد ملاحه وحسنا وإن أوضحت وأمتت بلا عقد⁽¹⁾

8- ومن نظرة بين السجوف عليّة ومحتضن شتخت ومبتسم يبرد

9- ومن فاحم جعد ومن كفل نهد ومن قمر سعد ومن نائل غد

يقول حسنها وملاحتها كالعقود لها وإن كانت عاطلا، وجعل نظرها من بين السجوف وهي الستور عليلا يفتقر طرفها، والمحتضن الحزن والشتخت الضامر المدمع والفاحم الشعر الأسود، والنهد الممتلئ المشرف، وجعلها في الحسن كالقمر إذا كان في سعده، وجعل وصافها قليلا ونائلها غدا، والتمد الماء القليل.

10- حاسن مازالت مساو من النوى تغطي عليها أو مساو من الصدد⁽²⁾

يقول تلك التي وصفت لم يزل النوى مرة، والصدود ثائية يحجبانها عني فسيان إلي بذلك.

11- سأجهد عزمي والمطايا فإنني أرى العفو لا يحتاج إلا من الجهد⁽³⁾

12- نرى الجدل يجدد بنا وتري الغنى صراحا إذا ما صرح الجدل بالجد⁽⁴⁾

الغنى ضد الجهد والعناء، والجد بالكسر الاجتهاد، والعزم والجد بالفتح الحظ والبخت، والصراح والتصریح الخالص، والتصریح كشف الشيء وتبينه، يقول ساعمل

1- ص وت "وإن أمت وأضحت"

2- ح ت : "تغنى عليها."

3- ح ت : "سأجهد نفسي والمطاي"

4- ص وت : "إذا الجد لم يجدد بنا أو تری الغنى: ص وت ث: "أصرخ" وقال التبريزي يروي "صرح" والأجود أن يروي "صرح" بضمها.

عزمي مع المطايا في السفر، وأبلغ في ذلك الجهد فإن ذلك سبب للغنى ويلوغ الراحة والعفو، ثم قال محرضا لنفسه على الاجتهاد واستعمال الجد نرى العزم لم يحظ بنا ولو حظي بنا وجد لأرانا الغنى رأيا خالصا محضا إذ لا يكون الغنى حتى يصرح العزم والاجتهاد بالحظ ويكشف عنه.

13- وكم مذهب سبط المناديع قد سعت إلك به الأيام عن أمل جعد⁽¹⁾

السيط السهل، والجعد ضده ضربهما مثلا، والمندوحة السعة يقول لا يقعد عن الطلب فكم من طريق من طرق، الغنى سهل متسع تحيا به، الأيام بعد يأس وانتقاض أمل وضيقه.

14- سرين بنا رهوا يحدن وإنما يظل ويسى النجح في كنف الوخد⁽²⁾

15- قواصد بالسير الخيث إلى أبي ال مغيث فما تنفك ترقل أو تحدي

الوخد سير سريع، وكذلك الإرقال والخديان، يقول سرت الإبل إلى أبي المغيث رهوا متتابعة في سكون يحدن طمعا بذلك الوخد أن يظل الظفر والنجح إذ عهد النجح في ضمان السفر وكنف الاجتهاد.

16- إلى مشرق الأخلاق للجود ما حوى ويحوي وما يخفي من الأمر أو يسدي

17- حتى لم تنزل تفضي به طاعة الندى إلى العيشة العسراء السؤدد الرغد

يقول قد استولى الجود عليه وغلب على أخلاقه فما حوى من المال وما يحويه فيما يستقبل مباح للجود وكذلك سره وجهه، ثم قال لكثرة جوده وإيثاره على نفسه وطوعه للكرم والندى لا يزال في عيش ضيق عسر، ولكن ذلك يفضي به إلى اكتساب سؤدد أي واسع كثير.

18- إذا وعد انهلت يدها فأهدت لك النجح محمولا على كاهل الوعد

1- ص وت : من أمل "و ح ص : "فكم" و "المناديع"

2- ص وت : "بيت ويسى" و ص : "المر" مكان النجح "و ح ص : "ومنا"

19- دلوحان تفت المكارم عنهما كما الغيث مفتر عن البرق والرعد⁽¹⁾

الكاهل أصل العنق، والدلوح السحاب الكثير الماء البطيء المزن، والافتقار الضحك والكشف عن الفخر. يقول إذا وعد أسرع الإنجاز والنجاح فكان ذلك النجاح على كاهل الوعد لك نابعا لأوله، ثم شبه يديه بالسحاب، وجعل المكارم تضحك عنهما فتكشفا كما يضحك السحاب عن البرق والرعد ويظهرهما، والمعنى أن يديه مرجوتان وخوفتان كالبرق والرعد، ويحتمل أن يريد أن المكارم تظهر من يديه وتنتشر ظهور الغيث عن البرق والرعد.

20- إليك نغرن ما بنت في ظهورها ظهور الثرى الربيعي من فدن نهد⁽²⁾

21- سرت تحمل العنبي إلى العنب والرضا إلى السخط والعذر المين إلى الحقد

الشجر هدم الشيء وتثليمه، والربيعي منسوب إلى الربيع، والقدن القصر، والنهد الغليظ المشرف، والعنبي الرضي، والعب السخط. يقول بالسير إليك هدمنا ما بنى ظهر الثرى المطور مطر الربيع في ظهور الإبل من سنام مشرف كالقصر العظيم، ثم قال سرت هذه الإبل إليك تحمل من ممتلى العنبي إلى عنبك علي ورضاي إلى سخطك وعذري البين إلى حقدك وغضبك، وكان قد بلغه أنه هجاه فصار إليه معذرا.

22- أموسى بن إبراهيم دعوة خامس به طعنا التثريب لاطمأ السورد

23- جليلد على عتب الخطوب إذا التوت وليس على عتب الأخلاء بالجلد⁽³⁾

24- أناني مع الركبان ظن ظننته لففت له رأسي حياء من المجد

الخامس الذي يرد الماء لحس. يقول بي من الغليل ولوعة الحزن خوفا لتثريب لومك مثل ما بالخامس الظمان المحتاج إلى الماء، ثم قال أنا أصير وأتجلد للخطوب إذا أعبت علي وأسخطني والتوت علي ولا أصير على عتب الخليل وسخطه، وقوله أناني

مع الركبان ظن ظننته يعني ما كان بلغ موسى بن إبراهيم من هجوه له، فيقول لما ورد علي الركبان من عندك فأخبروني بما ظننته لي من المجد فسرت رأسي عنه، وإنما يريد أن من هجاه فقد هجا المجد ومن ناله بسوء فقد نال المجد.

25- لقد نكب العذر الوفاء بساحتي إذا وسرحت الذم في مسرح الحمد⁽¹⁾

26- وهتكت بالقول الخناصرة العلى وأسكتك حر الشعر في مسلك العبد

يقول لو هجوتك لكان غدري ظاهرا على وفائي ناكبا له، ولكنك أذم من يستحق الحمد ولكنك متعتك بجرمة العلى والمكارم بالخنا من القول، ولكن حر شعري وكرمه مصرفا في طريق اللؤم والدناءة الذي هو طريق العبد اللئيم في مسالكه.

27- نسيت إذا كم من يد لك شاكلك يد القرب أعدت مستهما على البعد

28- ومن زمن ألبستني كأنه إذا ذكرت أيامه زمن السورد

يقول كيف أهجوك وأنا غير ناس لأياذك الحسان قبلي التي كل يد منها في حسن موقعها من نفسي بمنزلة يد القرب إذا أظهرت العاشق الهائم على البعد فجملت بينه وبين أحبته وقربته منهم، وشبه الزمان الذي غشيه بهذا المدح في حسنه، وطيبه بزمن الورد وهو الربيع الثاني.

29- وأتاك أحكمت الذي بين فكرتي وبين القوافي من دعام ومن عقد⁽²⁾

30- وأصلت شعري فاعتلى رونق الضحي ولولاك لم يظهر زمانا من الغمد⁽³⁾

يقول أنت بكثرة معروفك إلي قد جعلت الشعر حليفك لفكرتي معاقدا لها كلما دعته أجابها وقد أصلت شعري وأظهرته فعلا في شهرته وحسنه أول الضحي وإشراقه، ولولاك لم أقل شعرا، وكان كسيف في غمد.

¹ ح: ت: "ورعبت".

² ح: "مدفقا". و ح: من: "طهورنا" و "يلون" مكان "ظهور" ح: من: ت: "هدمنا"، و ح: ت: "تلما".

³ ح: من: "جليلد على ريب الخطوب وعنيها".

ح: من: "فاصلت".

38- فإن يك جرم عن أوتك هفوة على خطأ مني فعذري على عمد⁽¹⁾

يقول أنا لا أصل إلى عرض الحر الكريم بمكروه ولا أنطق فيه بخنا على أني أقدم على هجو اللثيم ولو كان في الشدة كالأسد الورد وهو أشدها، ثم قال إن كان قبلي جرم كما نسب إلي وهفوة أخطأت فيها ولم أنعمها فعذري الآن على تعمد مني وقصد، ومعنى عن عرض دون قصد إليه.

31- وكيف وما أخللت بعدك بالحجي ولا أنت لم تخلل بمكرمة بعدي⁽²⁾

32- أسريل هجر القول من لو هجوته إذا لهجاني عنه معروفه عندي⁽³⁾

33- كريم متى أمدحه أمدحه والورى معي ومضى مالمته لسته وحدي⁽⁴⁾

يقول كيف أهجوك وأسر بك بيع القول وأنا لم أدخل على عقلي نقصا ولا خلا، ولا أنت لم تدخل على مكارمك مثل ذلك فكيف أبد سبيلا إلى هجوك مع أني لو هجوتك لكان معروفا قبلي وما شهر منه عندي داعية إلى أن أهجي وأنسب إلى اللؤم والدناءة بكفر النعم، ثم قال هو كريم فمتى ما مدحته أجمع الورى معي على مدحه ولو لمته وهجوته لأفردت بذلك ولم يساعدني عليك فكيف أولومه.

34- ولو لم يزعني عنك غيرك وأزع لأعديتني بالحلم إن العلى تعدي

35- أبى ذاك أني لست أعرف دائما على كرم من لا يدوم على العهد⁽⁵⁾

36- وأني رأيت الوسم في خلق الفتى هو الوسم لا ما كان في الشعر والجلد⁽⁶⁾

وزعته أزعه إذا كلفته، والإعداء هنا أن يخلق الانسان غيره بخلقه. يقول لو لم يكفن عن هجوك كاف غيرك لكان مما أكسبني من الحلم بلبستي وتخلي بأخلاقك ما يكفني عن ذلك، ثم قال إنني إن أهجوك عالم بأن الكريم لا يدوم على كرمه حتى يدوم ما عهد منه، وقد عهدت مني الجميل فكيف أنتقل عنه وفي ذلك اللؤم، وأبى ذلك أيضا أني أرى الوسم والنقصان ما يلحق خلق الفتى من اللؤم والدناءة لاما يلحق شعره من تغير الشيب وجلده من عر الكير وآثار الجراح.

37- أرد يدي عن عرض حر ومنطقي وأملؤها من لبدة الأسد الورد⁽⁷⁾

1- ص و ت: "وأنت فلم تخلل".

2- ص و ت: "الأس".

3- ص: "وإذا ما لمته" و ت: "و" ومعنى ما فاته ذمته وحدي".

4- ص و ت: "على سؤدد حتى يدوم على العهد".

5- ص: "لا ما كان في ظاهر الجلد".

6- ح: "وأمنعها" وهو تصحيح.

1- ح: "عز".

القصيدة [43]:

وقال يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف:

- 1- يابعد غاية دمع العين إن بعدوا هي الصباية طول الدهر والسهد
- 2- قالوا الرحيل غدا لا شك قلت لهم الآن أيقنت أن اسم الحمام غد⁽¹⁾
- يقول ما أبعد غاية جري الدمع إن بعد الأحبة وما أطول الصباية إليهم، والسهد بعدهم، ثم قال لا أشعرون بالرحيل وارتحالهم فيه [أيقنت أنه الموت] ⁽²⁾ فكان الحمام هو يوم الرحيل.
- 3- كم من دم يعجز الجيش اللهم إذا بانوا استحكم فيه العرمس الأجد⁽³⁾
- 4- ما لأمرئ خاض في بحر الهوى عمر إلا وللسين فيه السهل والجلد⁽⁴⁾
- يقول كم من عاشق منيع الجانب معجز للجيش العظيم المبتلع لما مر به إذا بان الأحبة عنه قتله السين، وحكمت فيه الناقة العرمس، وهي الشديدة لذهابها بمن يحب، والأجد القوة، ثم قال كل عاشق متردد في الهوى فعمره مباح للين يتحكم فيه ويستولي على جميعه فيذهب به، وضرب السهل من الأرض والجلد مثلا.
- 5- كأنما السين من إلحاحه أبدا على النفوس أخ للموت أو ولد
- 6- تدا ومن شوق الأعصى بما فعلت خيل ابن يوسف والفرسان تطرد⁽⁵⁾
- 7- ذاك السرور الذي آلت بشاشته ألا يجاوزهما في مهجة كمد

القصيدة من البحر البسيط

ص و ت: "اليوم"

زيادة يقطبها السياق.

ح ت: "البيت اللهم".

ص و ت: "منه السهل" و ح ص و ت: "عمرا" بالنصب.

ص: "الأقصى" و ص و ت: "الإطال"

يقول الين مذهب لأفنى العشاق فكأنه من جنس الموت، ثم قال تعز واسل عن شوقك المتناهي يظهر هذا الممدوح على العدو في الحرب حين اطراد الفرسان وتتابعهم في القتال، ثم قال ظهوره وغلبيته سرور للمسلمين لا يجتمع معه كمد ولا هم في نفس، والبشاشة الحسن ومعنى آل حلف.

8- لقيتهم والمنابا غير دافعة لما أمرت به والملتقى كبد

9- في موقف وقف الموت الزعاف به فالجد بوجود والأرواح تفتقد⁽¹⁾

يقول ألقيتهم والمنابا جارية على حكمك واقفة عند أمرك، وموضع اللقاء ضيق كبد في موقف من مواقف الحرب الموت الزعاف حاضر، فالجد بوجود فيه لحسن بلاء الأقران والأرواح معدومة مفقودة، والزعاف الوحي الذي لا يهمل.

10- في حيث لا مرتع البيض الرقاق إذا أصلتن جدد ولا ورد القنى غد⁽²⁾

11- مستصحبانية قد طال ما ضمنت لك الخطوب فاوفت بالذي تعد⁽³⁾

12- ورحب صدر لو أن الأرض واسعة كرحبه لم بضيق عن أهله بلد⁽⁴⁾

المرتع المرعى، والبيض السيوف، ومرتها الأعناق، والتعد الماء القليل. يقول مرعى السيوف في تلك الحرب مخصب، وورد الرماح من الدم معين، ثم قال غزوتهم مصاحبا لنية خالصة لله عز وجل بنصرك بها، وجعلها لذلك كالضامنة له خطوط الدهر وأنها لا تخلفه، وقوله رحب صدر أي ويستصحب صدرا رحبا لا يضيق بحمل معضلة، ولو أن الأرض واسعة كسعته لما ضاق منها بلد بساكنه.

13- صدعت جريتهم في عصابة قلل قد صرح الماء عنها وأجلى الزيد⁽⁵⁾

¹ - ح ص و ت: "قالوت يوجد".

² - ح ت: "البيض الخفاف" وأجمعين "مكان" أصلن.

³ - ح ص و ت: "غدة".

⁴ - ص و ت: "كوسه".

⁵ - ح ت: "صرحت جريتهم في معشر قلل" قد صرح الماء عنهم وأجلى الزيد.

14- من كل أروع ترتاع المنون له إذا تجرد لا نكس ولا جحد⁽¹⁾

15- يكاد حين يلاقي القرن من حنق قبل السنان على حويانه يرد

يقول صعدت جماعة المشركين، ورددت جريتهم بعد أن كانوا كالسيل القوي الجرية في جماعة قليلة من أصحابك إلا أنهم في خلوص أنسابهم وكرم أنفسهم وأنها لا يشوبها لوم بمنزلة اللين الذي صرح الماء عنه أي ذهب وأجلى عنه الزبد فخلص، ومعنى ترتاع المنون له أي تضطرب إذا رآته متجردا متمكشا للقتال لأنه مناسب بفعله الذي هز الرجال، والجدد القليل الخير والغناء، ثم قال يكاد إذا التقى قرنه في القتال يرد على روحه قبل أن يرد عليه سنان رمحه حنقا عليه، والحوياء النفس.

16- قلوا ولكنهم طابوا فأجدهم جيش من الصير لا يحصى له عدد⁽²⁾

17- إذا أروا للمنايا عارضا لبسوا من السيقين دروعا ما لها زرد

18- ناوا عن المصرخ الأذنى فليس لهم إلا السيوف على أعدائهم مدد

يقول قل أصحابك إلا أنهم كرام الأنفس طيبوها فأجدهم على العدو جيش لا يحصى كثرة من صير لا جيش من قليل، ثم قال إذا اشتد الحرب ورأوا عارضا للموت أيقنوا بالنصر فقام لهم ذلك مقام الدروع إلا أنها لا زرد لها أي ليست دروع حديد، ثم قال بعدوا عن أقرب الثغور من بلاد المسلمين بحيث يستصرخون فيصرخون ويستمدون فيمدون ولزموا أقصى الثغور لا مدد لهم على العدو إلا السلاح.

19- ولي معاوية عنهم وقد أخذت فيه القسنا فأبى المقدار والأمد⁽³⁾

20- نجاك في الروع ما نجى سميك في صفيين والحليل بالأبطال تسجرد⁽⁴⁾

معاوية هو أخو بابك، وأراد بسميه معاوية بن أبي سفيان رحمه الله⁽¹⁾. يقول ولي عنهم منهزما، والرماح قد شرعت فيه فأبى من إتلاف نفسه ما قدر له من النجاة بأعد أجله الذي ينتهي إليه، ثم قال له نجاك في الحرب ما نجى سميك يوم صفين من الانهزام والفرار عند الجراد الحيل بالأبطال وسرعنهم بهم.

21- إن تنفلت وأنوف الموت راغمة فاذهب فأنت طليق الركض بالبذ⁽²⁾

22- لا خلق أربط جأشا منك يوم ترى أبا سميذ ولم يبطش بك الزؤد⁽³⁾

23- لو عاين الأسد الضرغام صورته ما ليم إن ظن رعبا أنه الأسد⁽⁴⁾

يقول إن تنفلت من الموت وهو راغم الأنف حيث لم ينلك فاذهب غير مصاحب فأنت معترف لركضك فرسك منهزما ولم تنج من مثل هذا إلا وأنت مثل لبذ في طول عمره، وهو آخر نسور لقمان ابن عاد⁽⁵⁾ وعمر فيما يقال سبع مائة سنة، ويقال أربع مائة وفيه جرى المثل أي أبد على أبد، ثم قال أنت أربط الناس جأشا والجأش النفس، حين عاينت هذا المدحوخ مبارزا لك فلم يبطش بنفسك الزؤد لم تمت من ساعتك، والزؤد الفرع، ثم قال هو أهيئ من الأسد وأهول منظرا فلو عاينه الأسد فظنه أسدا رعبا بعينة ما ليم في ذلك.

24- شتان ينسهما في كل نائبة نهج القضاء مبين فيهما جدد⁽⁶⁾

1- معاوية بن أبي سفيان القرشي الأموي، مؤسس الدولة الأموية في الشام، وأحد دعاة العرب المتميزين الكبار، كان فصيحاً طليماً وفوراً ولد بمكة سنة 20 ق.هـ، وأسلم يوم فتحها سنة 630 ق.هـ (الأعلام ج 1: 261-262).

2- ص و ح ت: "فانهض".

3- ح ص: "حين ترى" و رد بعد هذا البيت في ص و ت. بيت لم يرد في نسخة الشنمري وهو:

أما وقد عشت يوما بعد رؤيته فاقتر فرك أنت القارس الجدد

4- ح ص و ت: "رؤيته".

5- لقمان بن عاد بن موطاط من بني وائل من حمير، معمر جاهلي قدم من ملوك "حمير" في اليمن. يلقب بالرائش الأكبر، زعم أصحاب الأساطير أنه عاش عمر سبعة سنين. (الأعلام ج 5: 243).

6- ح ص و ت: "نازلة".

1- ح ت: "ترتاح المنون له".

2- ص: "طالوا" و ص و ح ت: "النصر" و ح ص و ت: "قلوا" بالقاء.

3- ح ص و ت: "حكمت".

4- ص و ت: "بالفرسان".

25- هذا على كتيبه كل نازلة تحشى وذاك على أكتاده ليد⁽¹⁾

يقول شتان بين محمد بن يوسف والأسد في احتمال النوايب، وطريق القضاء بينهما والحكم في تفضيل أحدهما بين جدد والطريق في الجدد أين منه في الوعث من الرمل وأسهل، ثم بن فضله على الأسد فقال هذا يحتمل ما نزل به من نوايب الزمان، ويقوم به والأسد حامل لبد شعره على أكتاده، وهي جمع كند وهو ما بين الكتفين في أصل العنق.

26- أعيا علي وما أعيا بمشكلة بسندبايا ويوم الروع محتشد

27- من كان أنكا حدا في كتابيهم أ أنت أم سيفك الماضي أم الأحد

يقول قد أعيا وأشكل علي أني لا أعيا بمشكلة حين لقيت الأعداء بهذا الموضع، والروع مجتمع أ أنت كنت أشد تأثرا في عساكرهم واستصلا لها بصفة رأيك أم سيفك بضائه ونفاذه أم يوم الأحد بما ظهر فيه من سعدك وخسهم وإسعاده لك وخذلانه لهم، والنكا تقشير القرحة ضربه مثلا.

28- لا يوم أكثر منه منظرا حسنا والمشرقية في هاماتهم تحقد⁽²⁾

29- أنهت أرواحه الأرماع إذ شرعت فما تردد لرهب الدهر عنه يد⁽³⁾

الوخد سير سريع. يقول ما كان أحسن منظر يوم الأحد إذا علوا بالسيف المشرقية فجعلت تحقد في رؤوسهم، ثم قال جعلت أرواح المشركين في ذلك اليوم نها للرماع وأضاف الأرواح إلى ضمير اليوم اتساعا ومجازا، ثم قال جاريا على ذلك الاتساع فلا ترد يد الموت ورهب عن ذلك اليوم أي عن أهله.

30- كانها وهي في الأوداج والغلة وفي الكلى تجد الغيظ الذي تجد⁽⁴⁾

¹ - ص و ت: "اللبد" و ج ص: "حادثة" و "عذا" و ح ت: "قانية".

² - ص و ح ت: "أكبر".

³ - قال التبريزي في شرحه للبيت: "يعوز أن يكون الثاني قال: "أنهت أرواح الأرواح" فتعوزه الرواة".

⁴ - ج ص: "تجد الغيظ الذي تجد".

31- من كل أزرق نظار بلا نظر إلى المقاتل ما في متنه أود

32- كأنه كان ترب الحب مذ زمن فليس يعجزه قلب ولا كسبد

الوالغة الواردة في الدم، والأزرق السنان الثقبيل، والأود العوج. يقول تذهب الرماح في أوداجهم وكلاهم ذعابا شديدا فكأنما تجد الغيظ الذي تجده أنت، ثم بين خاصة الرماح فقال هي تنظر إلى المقاتل وتهتدي إليها على أنها لا نظر لها، وهي أبدا تحل في القلوب والأكياد عند الطعن بها فكأنها أتراب الحب الذي لا يحل إلا في القلب والكبد ولا يعجزه ذلك ولا يعتذر عليه.

33- تركت منهم سبيل النار سائلة في كل يوم إليها عصبية تفد

34- كأن بابك باليذين بعدهم نؤي أقسام خلاف الحسي أو وتد

السائلة العامرة، وأراد باليذين البيذ وحصنا آخر يليه، والنؤي حاجر حول الحياء. يقول عمرت منهم طريق جهنم فيفد عليها في كل يوم عصبية منهم لقتلك لهم، ثم شبه بابك في ذله بعد ذهاب قومه وتغير حاله بنؤي انتقل عنه الحسي فتكوه فتغير أو وتد خباء بقي بعدهم فبشعت وخلاف الحسي بعدهم.

36- بكل منبرج من فارس بطل جنانج فلق فيها قنا قصد

36- لما غدا مظلم الأشعاء من أشر أسكنت جاحتيه كوكبا يقد⁽¹⁾

المنبرج المنعطف من الأرض، يريد حيث يعطف بعض الأقران على بعض، والجنانج عظام الصدر، والقصد والكسر من الرماح، أشار إلى كثرة من قتل منهم وكسرت الرماح فيهم، ثم قال لما ظلمت قلوبهم أشرأ وظلما أودعتها من أسنة رماح كواكب متقدة فجعلت تلك الظلم، وهذا مثل، وأراد بالجاحتين ضلوع الجانبين.

37- وهارب ودخيل الموت مجلسه إلى المنون كما يستجلب النقد⁽²⁾

¹ - ج ص و ح ت: "لا بد".

² - ج ص و ت: "الروع".

38- كانوا أنفسهم من طول حيرتها منها على نفسه يوم الوغى رصد⁽¹⁾

دخيل الموت ما داخله من خوف، والنقد غنم صغار يضرب به المثل في الدل، فيقال أذل من النقد. يقول ما هو فيه من الخوف يسوقه إلى الموت ذليلاً متحيراً كما يساق النقد، ثم قال كأن نفسه في الحرب رصد على نفسه من طول حيرتها وجزعها وعون عليها حتى يدرك الطعن.

39- تالله أدري أ الإسلام يشكرها ممن وقعة أم بنو العباس أم أدد⁽²⁾

40- يوم به أخذ الإسلام زينته بأسرها واكتسى فخرا به الأبد⁽³⁾

يقول كان في هذه الوقعة على المشركين ظهور الإسلام وعزة خلافة بني العباس وشرف طيئ قومك. وأدد جامع لقبائل طيئ.

41- يوم بجيء إذا قام الحساب ولم يذممه بدر ولم يفضح به أحد⁽⁴⁾

42- وأهل موقان إذ ماقوا فلا وزر نجاهم منك في الهيجى ولا سند⁽⁵⁾

يقول هذا اليوم مظهر للإسلام كيوم بدر، فإذا كان يوم القيامة جزيت به أحسن الجزاء، ولم توجد مقصراً فيه مذموماً، ولا فضح يوم أحد به بل كساه من حسنه ما أذهب عنه انهزام المسلمين فيه. ثم قال وأهل موقان وهو من حصون بابك لما ماق أهله أي حققوا ويطروا أوقعت بهم قلم ينجهم منك وزر وهو الجبل المعتصم به ولا سند وهو معج الجبل.

43- لم تسبق مشركة إلا وقد علمت إن لم تشب أنه للسيف ما تلد⁽⁶⁾

¹ ح: بت: "منه على نفسه".

² ص: و: "تالله نذري" و ح: ص: "تالله نذري بنو الإسلام تشكرها".

³ ح: بت: "فجراً".

⁴ ح: ص: "لا يفضح".

⁵ ح: ص: و: "أنجاهم".

⁶ ح: ص: "لن" و "تنب".

44- والبرحين اطلخهم الأمر صبحهم فطر من الحرب لما جاءهم خمدوا⁽¹⁾

يقول لم يبق من أهل موقان مشركة إلا وهي عالة إن لم تشب إلى الحق أن كل من تلد مباح لسيفك، ثم قال أعمطرت البر، وهم جنس من العجم مطراً من حرك لما نزل بهم خمدوا أي كانوا الكثار في شدتهم على المسلمين فلثماً حلت يدبارهم أذعنوا وسكنوا ونزلوا بك للطاعة.

45- كادت تحل طلاهم من جماهم لو لم يخلوا ببذل الحكم ما عقدوا⁽²⁾

46- لكن نذبت لهم رأي ابن محصنة بخاله السيف سيفاً حين يجتهد

الطللى صفحات الأعناق. يقول كادت تحال أعناق المشركين تحل من رؤوسهم لولا أنهم بذلوا الحكم للمسلمين، وحلوا ما عقدوا من الخلاف والعنوة، ثم قال كانوا ممتنعين فندبت لهم رأياً من آرائك إذا طلب جهده واختير نفاذه ومضاؤه ظنه السيف سيفاً مثله.

47- في كل يوم فتوح منك واردة تكاد تفهمها من حسننا البرد

48- وقائع عذبت أنباؤها وحلت حتى لقد صار مهجوراً لها الشهد⁽³⁾

البرد جمع برید. يقول لحسن تلك الوقائع وبيان فضلها تكاد تفهمها فكيف غيرهما ممن يعقل، ثم قال مواقعها من النفوس عذبت وحلت قصار الشهد ونونها حتى هجر من أجلها.

49- إن ابن يوسف غي الثغر من سنة أعوام يوسف عيش عندها رغد

50- آثار أموالك الأثرار قد خلقت وخلفت نعماً آثارها جدد

¹ ص: "لما حادهم عمدوا" و ص: و: "البد" و ص: و: ح: بت: "جمدوا" و ح: ص: "والبر" و "لما حادهم

خمدوا" و ح: بت: "البر".

² ص: "في جماهمهم".

³ ص: "لن".

6- الأدبار الكثيرة يقول نجيت أهل النفر حين وليته من سنة وشدة أعوام يوسف صلى الله عليه وسلم السبعة، عيش رغد عندها على شدتها، ثم قال بذلت أموالك حتى تعفت وأخلقت إلا أنها تركت عند معتكبك نعمًا كاملة جديدة الآثار حسنة.

51- فافخر فما من سماء للعلی رفعت إلا وأفعالك الحسنی لها عمد(1)

52- واعذر حسودك فيها قد خصصت به إن العلى حسن في مثلها الحسد

العمد ما يقوم عليه البناء. يقول كل ما بني من المعالي فأفعالك الحسان عمادها القوائم بها، والسماء كل ما علاك فأظلك فاستعارها للعلی، ثم قال الذي خصصت به من الفضل أجل وأعظم من ألا تحسد فيه فاعذر حاسدك المنافس لك فإن الحسد قبيح إلا في الشرف فهو حسن.

القصيد [44]:*

وقال أيضا مدحه:

1- سرت تستجير الدمع خوف نوى غد وعاد قتادا عندها كل مرقد(1)

2- وأتقدها من غمرة الموت أنه صدود فراق لا صدود تجلد(2)

القتاد شجر له شوك. يقول نامت هذه الجارية شديدة الحزن لما تتوقع من خوف رحيلي مستجرة بالدمع مستنصرة به على الهجر، وفراشها ناب بها لا يستقر فكانه قد حشي بشوك القتاد، ثم قال لولا أنها علمت أن فراقها لها وصدودي عنها إنما هو للسفر لا السلو عنها والتجلد لماتت حزنا، وغمرة الموت شدته.

3- فأجرى لها الإشفاق دمعاً مورداً من الدم يجري فوق خد مورد

4- هي البدر يغنيها تودد وجهها إلى كل من لاقت وإن لم تودد

يقول أشفقت من فراقها فبكت بدمع محمر من الدم جار على خدها المورد، ثم قال هي في الحسن كالبدر فوجهها أبدا متودد إلى من نظر إليه وإن لم تكن هي متوددة لحسن وجهها يغنيها عن ذلك.

5- ولكنني لم أحو وفرًا جمعاً فقنزت به إلا بشمل مبدد

6- ولم تعطني الأيام مكننا ألد به إلا بنوم مشرد

يقول وهي إن كانت كالبدر أعرضت عنها وقد كان ينبغي أن أقبل عليها، ولكنني لم أجمع المال إلا بالسفر وتبدد الشمل، ولا أعطيتني الأيام النوم الساكن والمقام الوادع إلا بسرى الليل والاجتهاد في الطلب وتشريد النوم.

7- وطول مقام المرء في الحى خلق لديسا جتنيه فاعترب تستجدد

1- القصيد من البحر الطويل.
م وت: "غدت".
م ت: "عمد".

1- م وت: "من سماء للعلی"

8- فإني رأيت الشمس زبدت محبة إلى الناس أن ليست عليهم بسمرد⁽¹⁾

الدياجستان الحدان. يقول من أطال المقام في قومه وعول عليهم أخلق وجهه وهان عليهم فليغترب الانسان في طلب الرزق فذلك أبقى ماء وجهه وأكرم له عند قومه، ثم قال مؤكداً لذلك إن الشمس لو كانت سمرداً دائماً أبداً ملئت ولم تحب كذلك الانسان.

9- حلفت برب البيض تدمى متونها ورب الفنى المتآد والمتقص

10- لقد كف سيف الصامتي محمد تساريج ثأر الصامتي محمد

المتآد المشني، والمتقص المتكسر، والصامتي الأول محمد بن يوسف، والثاني محمد بن حميد، والتساريج المشقات. أقسم بالسيف التي تعرض تقطر دما والرماح المثنية المتكسرة عند الطعن بها لقد أدرك محمد بن يوسف ثأره، وكف بسيفه تساريجه وهمه يقتل محمد بن حميد بن قطبة الصامتي، وكان قد غزا بابك فقتل.

11- رمى الله منها بابكا وولاته بقاصمة الأضلاب في كل مشهد⁽²⁾

12- بأسمح من غر السحاب سماعة وأشجع من صرف الزمان وأجد⁽³⁾

يقول رمى الله المشركين من محمد بن يوسف بداهية تقصم ظهورهم في كل مشهد يتذكرون فيه وقائعهم، ثم قال رماهم برجل أسمح سماعة من الغمام الغر باليرق، وأشجع في الإقدام على الأقران من صرف الزمان.

13- إذا ما دعوناه بأجلع أيمن دعاه ولم يظلم بأصلع أنكد

الأجلع الذي انحسر الشعر عن مقدم رأسه وهو محمود ميمون عند العرب، والأنكد القليل الخير المشؤوم. يقول إذا [أتينا]⁽⁴⁾ على هذا المدحود فدعونه ميمونا

لنصر الله لنا به ذمه بابك ودعاه أصلع مشؤوما، وكذلك هو عليه فلم يظلم مولاكم في ذلك.

14- فنى يوم بذ الحرمية لم يكن بهيابة يكس ولا بمعرد

15- قسا سندابا والرماع مشيحة تهدي إلى الروح الحفي فتهتدي⁽¹⁾

البذ حصن لبابك، والحرمية قوم بابك، والهيابة الجبان، والتكس الدنيء من الرجال، والمعرد المنهزم المائل عن قرنه، ومعنى قفا تنبع وسندابا من بلاد بابك، والمشيحة الجادة المشعرة، ويروى "بذ الحرمية" أي أتى عليها وظهر عليها، وقوله "تهدي إلى الروح الحفي" أي تدعى المنية إلى نفس الممتنع فتجيب وتسلك إليه أخفى الطريق حتى تصيبه فتهلكه.

16- عدا الليل فيها عن معاوية الردى وما شك ريب الدهر في أنه الردي⁽²⁾

17- لعمري لقد حررت يوم لقيته لو أن القضاء وحده لم يسرد

عدا صرف، ومعاوية أخو بابك، والردي الهالك. يقول صرف الليل الردى عن معاوية حين انهزم واستتر بظلامه، وقد كان ريب الدهر قريبا منه غير شاك في إهلاكه، ثم قال قد كان لتأؤك شديداً عليه كحر النار، لولا أن قضاء الله تعالى سكن تلك الشدة فأخمد عنه تلك النار، وضرب الحر والبرد مثلاً.

18- فلإن يكن المقدار فيه مفندا فما هو في أشياعه بمفندا⁽³⁾

المفند الملووم. يقول إن كان القدر قد جاء من القتال فاستوجب التفتيد فقد قتل أشياعه، واستحق الحمد.

1- ج.ص و.ح.ت: "وفي سندابا" و.ح.ص: "والنابا".

2- ص.و.ت: "أه ردي".

3- ص.ش و.ح.ت:

فلإن يكن المقدار عنه مفندا فما هو عن أشياعه بمفندا

و.ح.ت: "فما كنت في أشياعه بمفندا".

1- ص: "إذ ليست".

2- ص.و.ت: "عنه".

3- ص.و.ت: "الغمام" و.ح.ص: "صوب" مكان "غر".

4- كلمة غير واضحة في الأصل، والزيادة يقتضيها السياق.

- 19- وفي أرضك الهيجا والخيل ترقي بأبطالها في جاحم متوقد
بصيرك عط الأحمي المعضد⁽¹⁾
- 20- عططت على رغم العدى عزم بابك
أرشق يوم، ومعنى عططت شقت، والأحمي ضرب من البرود والمعضد المخطط، وهو أسرع انشقافا من غيره. يقول نقضت يوم أرشق عند ترامي الخيل بالفرسان في نار الحرب عزم بابك وحرقته بصيرك كما يحرق الثوب ويشق.
- 21- فإلا يكن ولى بشلو مقدد هناك فقد ولى بعزم مقدد⁽²⁾
- 22- وقد كانت الأرماع أبصرن قلبه فأرمدها ستر القضاء الممدد
الشلو الجسد، والمقدد المقطع. يقول إن كان بابك قد ولى منهزما وشلوه غير مقدد فقد ولى بعزم مقدد، ثم قال قد كانت الرماح أبصرن مقاتله لولا أن قضاء الله تعالى ردها عنه وأرمدها دونه فكان كستر حجبها ومنعها منه.
- 23- وموقان كانت دار هجرته فقد توردتها بالخييل أي تورد
حططت بها يوم العروية عزه. وكان مقيما بين نسر وفرقد
- يقول كان إذا نابته نائية شديدة يلجأ إلى موقان، ويهاجر إليها لئلا يفتقدها بالخييل عليه أشد الورود، وحططت بها عزه يظهورك عليه يوم الجمعة وقد كان ممتنعا لا ينال فكان كالمقيم في السماء بين النجوم.
- 25- رآك سديد الرأي والرمح في الوغى تآزر بالأقدار فيه وترتدي⁽³⁾

1- ص و ح ت: "خرقت [...] خرق الأحمي" و ح ص: "عططت... بصرمك".

2- ص: "فإن لا يكن".

3- ص و ت: "بالأقدام".

26- وليس بجلي الكرب رأي إذا هو لم يؤنس بريح مسدد⁽¹⁾

يقول رآك بابك ورأيك سديد، وريح مستقيم، وأنت مشتمل بالأقدار المكروهة الواقعة ببابك وأصحابه، ثم قال الرأي وإن كان سديدا مستقيما فلا يجلي الكرب مالم يؤيد بفعل ويؤنس بريح مسدد.

27- فسر مطيعا للعوالي معودا من الخوف والإحجام ما لم يعود

28- وكان هو الجلد القوى فسلبته بحسن الجلال المحض حسن التجلد

يقول مر منهزما مطيعا للرماح جاريا على حكمها وقد عودته من الجرع والانهازام عنك ما لم يعود غريك، وكان رابط الجأش قوي النفس فأذهبت تجلده وصيره بحسن مجادلتك له المحضة التي لم يشبها قيود.

29- لعمرى لقد غادرت حسي فؤاده قريب رشاء للقسا سهل مزود

30- وكان بعيد القعر من كل مانع فغادرته يسقى ويشرب باليد

الحسي ماء تحت الرمل، والرشاء حبل البئر، والمائع المستقي. يقول غادرت قلب بابك قريبا من أن ينال سهل المورد للرماح، وكان متعذرا على من راعه بعيد القعر ممن يستقيه فسهلته وقربته حتى يسقى منه ويشرب باليد دون رشاء وهذا مثل.

31- وللكدج العليا سمت بك همة طموح يروح النصر فيها ويغتدي

32- وقد خرمت بالذل أنف ابن خازم وأعيت صابصيا يزيد بن مزيد

الكدج قصبة لبابك، والصابصيا الحصون وأصلها قرون البقر. يقول سمت بك همتك وطمحت للنهوض إلى الكدج، وقد عودت في تلك الهمة النصر والظفر فنصرت بها على أنها قد أعيت ابن خازم وهو أحد من ولي الثغر، وخرمت بالذل أنه كما يحزم

1- ح ص: "ريح مسدد. إذا هو لم يؤنس برأي مسدد"

أنف البعير بالحزاماة وهي حلقة من شعر تجعل في أنفه ليراض بها ويزيد بن مزيد الشيباني أحدولاة الثغر.

33- فقيدت بالإقدام مطلق بأسهم وأطلقت فيهم كل حنق مقيد

34- وبالهضب من أبرشتويم ودروذ علت بك أطراف القنا فاعل وازدد⁽¹⁾

35- أفادتك فيها المهرفات مآفرا تعممر عمر الدهر إن لم تخلد⁽²⁾

الهضب الجبال وأبرشتويم وذروذ جيلان عظيمان، والمهرفات السيوف المرققة. يقول وردت بإقدامك على المشركين ماكانوا أطلقوه ونشروه من بأسهم على المسلمين وأرسلت فيهم الحتوف المقيدة عنهم فاستاصلتهم ووصلت برماحك إلى الطفر بهم في هذين الجبلين، فعلوت وأرتفعت فزادك الله علوا ورفعة وأفادتك فيها سيوفك المرفقة الماضية مآثر كريمة تبقى على مرور الدهر، وتعممر عمره إن لم يكن لك خلود.

36- ولسيلة أبليت البيات بلاءه من الصبر في وقت من الصبر محمد

37- فسباحولة لا تمجديه وقباره وباسيف لا تكفر وباطلمة اشهدي⁽³⁾

38- وبالبيل لو أني مكانك بعدها لما نام في الدنيا بعين المسهد⁽⁴⁾

البيان تبين الجيش ليلا، والجحد الضيق، والجولة الانهزام. يقول لما بيتك بابك وأصحابه وجدوك معدا لهم فوقيت ذلك البيات حقه من حسن البلاء والصبر في أضيق أوقات الصبر وأصعبها فهم أصحابك بالانهزام فثبت أنت، ووقرت، السيف يشهد لك بذلك وظلام الليل، ثم قال لو أني مكان الليل لجزيت بهن بلاءه ولما نام بعد تلك المرة بعين المسهد الممنوع من النوم.

39- وقائع أصل النصر فيها وقرعه إذا عدد الإحسان أو لم بعدد

40- فمهما تكن من وقعة بعد لا تكن سوى حسن مما فعلت مردد

41- محاسن أصناف المغنين جمّة وما قصبات السبق إلا لمعبد

أي تلك الوقائع مشتملة على جميع النصر والظفر إذا عد إحسان الله وذكر أمسك عنه فكل وقعة تكون بعدها فهي مشتبهة بها راجعة إليها أي لا تكون متباعدة أفضل من هذه الوقائع كما أن المغنين كثير ومحاسنهم جمّة إلا أن معبدا أفضلهم الحايي قصب السبق دونهم فذلك وقائعك أفضل الوقائع.

42- جلوت الدجى عن أذربيجان بعدما تدرت بنوب كالغمامة أريد⁽¹⁾

43- وكانت وليس الصبح فيها بأبيض فأمست وليس الليل فيها بأسود

أذربيجان من ثغور المسلمين، وكان بابك قد ظهر عليها فيقول عزت أذربيجان بك وجلبت عنها ما كان غشيا من ظلم بابك ورداها من ثوب جوره الأريد اللون، والريذة الغيرة، وكانت يظلم بابك ذات صباح أسود مظلم فأمست بك ذات ليل مبيض فبدا، وهذه كلها أمثال.

44- رأى باباك منك التي طلعت له بنحس وللدن الحنيف بأسعد⁽²⁾

45- هرزت له سيفا من الكيد أنفا تجذبه الأعناق مما لم يجرد⁽³⁾

46- يسر الذي يسطو به وهو مغمد ويفضح من يسطوبه غير مغمد

يقول لما نظر باباك إلى طلعتك رآها وقد طلعت له بالنحس والشؤم، وطلعت لدن الإسلام بالسعد واليمن حين كدته كيدا أخفيتها عنه حتى وقع به فكان كيف هرزته لتضرب به إلا أنه سيف لا يجز الأعناق مادام مصلتا من غمده أي أن الكيد لا يتنجح في المكيد حتى يكون مغبيا عنه ومتى شعر به أعد له فلم يضره.

¹ - من و: "ت".

² - من و: "منها".

³ - من و: "ج".

⁴ - من و: "ج".

¹ - من و: "ت".

² - من و: "منها".

³ - من و: "ج".

⁴ - من و: "ج".

⁵ - من و: "ج".

47- وإنّي لأرجو أن تقلد جيده قلادة مصقول الذهب مهند⁽¹⁾ ولم أنشد الحاجات في غير منشد

48- منظمة بالموت بحظي بحليها مقلدها في الناس دون المقلد⁽²⁾ يد عولت في النائبات على يد⁽³⁾ 55- ومن يرح معروف البعيد فإنما

الجيد العنق، يقول أرجو أن يظهر به فيقتله فيقلده من السيف قلادة منظومة بالموت تحظى أنت بحليها دونه.

49- إليك هتكنا جنح ليل كأنه قد اكتحلته منه السيلاد بإثمد

50- تحب بنا آدم المهاري وشيمها على كل نشر متلب وفدقد⁽³⁾

51- يقلب في الأفاق ضللا كأنما يقلب في فكليه شقة مبرد⁽⁴⁾

جنح الليل ظلامه وميله على كل شيء، والأدم البيض من الإبل، والشيم السود، والنشر المرتفع من الأرض، والمتلب المتتابع، والفدقد المستوي من الأرض، والصل الداهية والحية أيضا، والفكان اللحيان وشقة المبرد حرقه. يقول لحمد بن يوسف إليك خرقتنا ظلام الليل كأن الأرض لسواده مكتحلة بإثمد، ثم قال تسرع بنا إليك الإبل المهرية على ظهور الأرض ويطونها ووعرها وسهلها وهي تقلب وتصرف بأفاق الأرض حية داهية كأن لسانه في نفاذه وخدنه مبرد حديد.

52- تلافى جذاك المجتدين فأصبحوا ولم يبق مذخور ولم يبق مجحد

53- إذا ما رحي دارت أدرت سماحة رحي كل إنجاز على كل موعد

الجدا العطاء، والمجتدون السائلون، والمذخور المال، ورحي كل شيء معظمه. يقول تدارك جودك جميع السائلين واستوفاهم فلم يبق لك مال إلا وقد وهبته ولا بقي سائل إلا وقد غنيت، ثم قال إذا ثابت التواكب ودارت رحاها على الناس فأنت بسماحتك تعد فتنجز قدير رحي الإنجاز على قلب الموعد.

¹ - ح: ص و ح: "مصقول الفراء"

² - ص: "منظمة" بالرفع. و ت: "مقلدها في الناس دون المقلد"

³ - ص و ت: "تقلب بن آدم المهاري وشويمها"

⁴ - ص و ت: "قلب" و ح: "تقلب"

¹ - ص و ح: ت: "يدي (... على يدي".

القصيد [45]:

وقال يمدح أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبانة:

- 1- قفوا جدودا من عهدكم بالمعاهد وإن هي لم تسمع لنشيدان ناشد
 - 2- لقد أطرق الربع المحيل للقدوم ويبينهم إطراق تكلان فاقد
 - 3- وأبقوا لضيف الشوق مني بعدهم قرى من جوى سار وطيف معاود⁽¹⁾
- المعاهد المنازل، والنشيدان السؤال، والمحيل الذي اتى عليه حول، والتكلان الحزين لفقد مال وولد، والجوى ما داخل القلب من ألم الحزن، يقول قفوا بمنازل الأحياء، وجدودوا عهدا بها (ببكانها تحنرا وحزنا فإن ذلك واجب) ووفاء بعدهم وإن لم تسمع ولم (تُسمع، ثم قال لقد تغير) الربع بعدهم، وأطرق لبينهم كما يطرق الحزين الفاقد لمن يحب، والمعنى أن أثر هذا الربع دل على مثل حاله التكلان الفاقد. وقوله لضيف الشوق أي لما ضافني الشوق وحل بي بعدهم من الحزن، والمعنى أن الشوق إذا نزل به أقام له جوى لحزنه الساري إليه وما يجدد له الطيف المتكرر عليه مقام القرى للضيف.⁽²⁾
- 4- سقته ذعافا غارة الدهر فيهم وسم الليالي فوق سم الأسود⁽³⁾
 - 5- به علة صماء للسين لم تصخ لسره ولم توجب عيادة عائد⁽⁴⁾

الذعاف السم القاتل من ساعته، والأساود ضرب من الحيات، والعلة حرقه الحزن، والاصاخة الاستماع إلى الشيء. يقول لما أغار الدهر في الأحياء ففرقهم ناله من ذلك مثل السم، ثم بين أن فعل الدهر بالإنسان أشد من فعل السم، فقال وسم الليالي فوق سم الأسود، وقوله علة صماء أي شديدة كالحية الصماء التي لا تجيب رافيا، ثم بين أنها من قبل الشوق والحلم لامن مرض أو لذغ حية قتال، "ولم توجب عيادة عائد".

١- القصيدة من البحر الطويل.

٢- ص و ت: "الحزن" وح.ص و ح.ت: "وأبقوا لضيف الحزن من بعد بينهم"

٣- ما بين المعقوفين داخل هذه الفقرة تصويب يفتخه السياق.

٤- ص و ت: "عادة الدهر".

٥- ص و ت: "علة للسين صماء".

- 6- وفي الكلة الوردية اللون جوذر من العين ورد الحد ورد المجاسد⁽¹⁾
 - 7- رمته يخلف بعد ما عاش حقبة له رصفان في قيود المواعد⁽²⁾
- الجوذر ولد البقرة شبه الجارية في حسن العينين به، والعين بقر الوحش، والورد الأحمر، والمجاسد ثياب تلى الجسد، والحقبة الدهر وهي السنة أيضا، والصفان مشي القصيد، يقول كان مترددا في مواعدها زمانا فقدرت آخرها وأخلفتها، ولم يزل منها أي رغبة، ولاقضى منها وطرا، ثم ثأت فذلك أشد عليه.
- 8- غدت مفتدى الغضى وأوصت خياله بحران نضوا لعيش نضو الحرائد⁽³⁾
 - 9- وقالت نكاح الحب يفسد شكله وكس نكحوا حيا وليس بفاسد
- الحران العطشان المستحرج الكبد شوقا، والنضو الهزيل السبي الحال، والحرائد الحبيبات من النساء، وشكل الشيء هيئته.
- يقول غدت راحلة وهي كالغضى علي إذلالا وتركتني مرتهنا للشوق وخيالها معاود مجرد علي حزني ويلاني، وقوله نضو العيش أي أنه غير مندفع في عيش بل هو أبدا في عيش شديد جاهد له فقد أنضاه ذلك مع ما أودع من حب الحفرات من النساء، ثم قال تخيرا عنها أنها قالت له الحب المنكوح فاسد الهيئة حامل على السلو، فقال يجيبا لها كم من محب ينكح فيهبج ذلك النكاح المحب ويقوي أمله من محبوبه ولا يفسد حبه له، والمعنى النكاح هاهنا معاودة المحب لمحبوبه واتصاله به.
- 10- سآوي بهذا القلب من لوعة الأسى إلى غيب من نطفة اليأس بارد⁽⁴⁾
 - 11- و أروع لا يلتقي المقاليد لامريه وكل امريه يلتقي له بالمقالد⁽⁵⁾

١ - ص و ت: "من الأسى يمتي في رفاق المجاسد". ح.ص: "من العين ورد بلون ورد المجاسد"

٢ - ص و ت: "بعد أن عاش". وح.ص و ح.ت: "في صحب المواعد". ح.ص: "رماني".

٣ - ص و ت: "خيالها".

٤ - ص و ت: "لوعة الهوى". ح.ص و ح.ت: "من صمد الهوى". ومن نطفة الماء. "ومن صمد الهوى".

٥ - ص: "يرمي". و ص و ت: "المقالد". وح.ص: "يلقى له بالمقالد". ح.ص و ت: "فكل امريه". ح.ت: "وكل امريه يومي". له بالمقالد.

الأسى الحزن، ولوعته حرقته، والتغيب نهر يسبك الماء، والنظفة الماء القليل، والأروع الماجد المعجب، والمقاييد المقايح. يقول ساحل نفسي على الناسي والسلو ليرد غليلي ويذهب شوقي وحزني وأستعمل نفسي في مدح هذا الرجل الأروع وقصده فيلهني ذلك عما أجد من التوى والوجد، ثم ذكر أن المدوح سيد تلقى إليه الأمور فيقوم فيها ويفتح مغفلها.

12- له كبرياء المشتري وسعوده وسطوة بهرام وظفر عطارد⁽¹⁾

13- أغر يدها فرصتا كل طالب وجدواه وقف في سبيل المحامد⁽²⁾

المشتري أسعد النجوم، وكبرياؤه من أجل ذلك، وبهرام هو المريح وهو أشد النجوم وكبرياؤه من أجل ذلك، وبهرام هو المريح وهو أشد النجوم نخسا، وعطارد نجم الكتاب والظرفاء كذا يزعج المنجمون، وذكر أبو تمام هذا على زعمهم، فيقول هذا في إقبال سعدة وتمكن سعدة كالمشتري في سطوته على أعدائه، وكونه نخسا عليهم كالمرخ وفي ظرفه وتقام أدبه كعطارد، ثم قال هو أغر مشهور الكرم ويدها سببان للغنى سائلتان بالمعروف كالفرصتين من فرص المشارب وهي مطرق الماء من الحوض إلى الروضة، وقد جعل جدواه وقفا وحسبة في سبيل الحمد.

14- فتى لم يغم فردا بيوم كبرية ولانائل إلا كفى كل قاعد

15- ولا اشتدت الأيام إلا ألانها أشم شديد الوطء فوق الشدائد

16- بلوناه فيها ماجدا ذا حفيظة وما كان صرف الدهر فيها بماجد⁽³⁾

الكبرية الحرب، والناائل العطاء. يقول هو يقوم في الحرب والجدو مقام الجماعة فمن قعد عن ذلك ناب منابه، وإذا اشتدت الأيام وطنها وعلاها مجوده وحسن سياسته فلانت وذلت، ثم قال بلوناه واختبرناه في الشدائد فوجدناه ماجدا صابرا لها محافظا على كرمه فيها على لوم الزمان في فعله بنا ودناءة صرف المحل بأحوالنا.

¹ - ص: وت: "وسورة".

² - ص: وش: وح: "فرشتا" بالصاد.

³ - ص: وت: "رب الدهر".

17- غدا قاصدا للحمد حتى أصابه وكمن مصيب قصده غير قاصد⁽¹⁾

18- هم حسدوه لا ملومين مجده وما حاسد في المكرمات بماحد

يقول إنما يستوجب الحمد بكرمه فعله ويتعمده إليه وقصده وكمن إنسان يصيب مراده وقصده غير طالب له لا قاصد إليه، ثم قال هم حسدوا مجده غير ملومين في ذلك لأن الحسد في الشرف محمود حسن لأنه يدل على شرف همة وكرم نفس فليس الحاسد فيه بماحد في الحقيقة.

19- قراني اللهى والود حتى كأنها أفعاد الغنى من نائلي وفوائدي

20- فأصبحت يلقياني الزمان من أجله بإعظام مولود وإشفاق والد⁽²⁾

اللهى العطايا. يقول لما حلت به جعل قرى عطاياه ووده حتى كان لي قبله نعمة يكافئني عليها فأصبحت الزمان مقبل علي بالبر والإكرام والإعظام فكأنني ابن له يشفق عليه أو أب يعظمه ويحبه.

21- يصد عن الدنيا إذا عن سودد ولو برزت في زي عذراء ناهد

22- إذا المرء لم يزهدها قد صبغت له بعصفرها الدنيا فليس بزاهد⁽³⁾

يقول هو متخل عن الدنيا ومطرخ لتعبيها إذا عن له سودد يشرفه وإن أقبلت عليه بزيتها وبرزت إليه في زي جارية بكر قد نهد ثديها وتم شبابها، ثم قال والزهد من المرء في الدنيا هو أن تقبل عليه فيدير عنها وأما من إذا برزت عنه فلم يتلها فليس بزاهد في الحقيقة، وضرب الصبغ بالعصففر مثلا لزينة الدنيا وبهجتها.

23- فواكبدي الحرى واكبدي الندى لأيامه لو كن غير بوائيد

¹ - ح: ص: وح: ت: "للجدة".

² - ص: وت: "فأصبح" و "زفة والد" و ص: وح: "بوجه".

³ - ح: ص: "ببرجها".

24- وهيهات ماريب الزمان بمخلد غريبا وما ريب الزمان بمخلد⁽¹⁾

البوائد الذاهبة الفانية، وريب الزمان مكروهه، وغريب بمعنى أحد، يقول ما أشد على كبدي الحسرى المشتاقة إليه وعلى كبد الندى والكرم ذهاب أيامه فليتجن كن غير بائدة ولا ذاهبة، ثم بين أن ريب الزمان غير مخلد أحدًا يذهبها كما يذهب جميع الأشياء ويذهب هو أيضا، فقال هيهات أي ما أبعد ما تنبأت من خلود أيامه وريب الزمان غير مخلد أحدًا ولا هو خالد باقي.

25- محمد يا ابن الهيثم بن شبانة أبي كل دفاع عن المجد ذا نداء

26- هم شغلوا يوميك باللباس والندى وآتوك زندا في العلى غير خامد⁽²⁾

27- فإن كان عام عارم المحل فأكفه وإن كان يوم ذو جلال فجلال

يقول آباؤك محافظون على المجد حاسون له ذائدون عنه وقد شغلوك بما ورثوك من لباس والندى فرماتك مقسم عليهما فيوم للباس في الحرب، ويوم للندى والكرم وقد أورو زنادك في المعالي فلا تحمد النار، وهذا مثل ثم قال فإذا أصاب الناس عام شديد فأكفه شدتك وجودك، وإذا وقع يوم حرب فجلال فيه، واكف من قعد عنه.

28- إذا السوق غطت أنف السوق واغتدت سواعد أبناء العلى في السواعد⁽³⁾

29- فكم للعوالي فيكم من منادام وللموت صرفا من حليف معاهد

30- لتلحفكم النعماء ريش جناحها فما الواحد المحمود منكم بواحد⁽⁴⁾

السوق الأولى جمع ساق الحديد الذي يلبسون في الحرب، وأنف الساق مقدمة، وأنف كل شيء مقدمه وأوله، والسواعد الأواخر جمع ساعد الذراع، وأبناء العلى

الكرام الأبطال. يقول إذا لبست السلاح للقتال فكم للرماح من منادم فيكم مصاحب لها، وكم من حليف قد عاقد الموت الصرف الخالص وشاركه في إلتاف النفوس، وقوله لتلحفكم أي لتعظكم وتوسع عليكم النعم فالرجل الواحد منكم يقوم في الجود واللباس مقام الجماعة.

31- لكم ساحة خضراء أنى انتجعتها غدا فارطي فيها صدوقا ورائدي

32- فمررتني فيها لأول سارح ولا سمرى فيها لأول عاضد⁽¹⁾

33- أدت لي الدنيا يمينك بعدما وقفت على شخب من العيش جامد⁽²⁾

الفاطر المتقدم إلى موضع الماء ليصلح الحياض للإبل، ويهيئ الأرضية للإستقاء، والرائد المتقدم في طلب المرعى والسمر شجر أم غيلان، والعاقد قاطع الشجر، والشخب خروج اللبن من الضرع إلى الإبناء، وهذه كلها أمثال. يقول فناؤكم محصب أخضر إذا ما انتجته وقدمت أملى إليه صدقتي وحقق رجائي فانا أول سارح فيه دون غيري، وأنا أول عاضد لسمره قبل من سواي، ثم قال كانت الدنيا جامدة الشخب لي معرضة بفائدتها فاستدترتها إلي يمينك وجلبت فائدتها إلي بجودك وكثرة معروفك.

34- وناديتني الثوب لا أننى امرؤ سلاك ولا استثنى سواك برافد⁽³⁾

35- ولكنها منى سجايا قديمة إذا لم يجاهاني قلست بسوارد⁽⁴⁾

الثوب ترجيع النداء من ثاب يتوب إذا رجع، والجاها دعاء الإبل إلى الماء. يقول ناديتني نداء متتابعًا لإتيانك والتعرض لمعرفك ولم أحوجك إلى نداء لزهديك ورغبة في غيرك ولكن سيجيتي ألا أطلب سيجيتي ولا أتعرض لعطاء حتى ادعى إليه مرة بعد مرة وقوله سلاك أي سلا عنك أي لست امرأ سلا عنك ولا أستثنى رافدا يعطيه

¹ م. و: "ولارب الزمان بمخلد" و م. و: ح: "النون".

² ح: "غير صالد".

³ م. و: "أبناء الوغى".

⁴ ح. م: "فيكم بواحد" و ح. م. و: ح: "فما الواحد المقفود منكم بواحد".

¹ م. و: "فما ظلي فيها لأول نازح".

² ح. م. و: "أذابت".

³ ح. م. و: ح: "مرافد" بالقالف.

⁴ ح. م: "قليس" وهو تصحيف.

سواك والباء زائدة في قوله براءد لتأكيد النفي، وكان يجب أن يكتب ولا أنا بمستن وافدا
سواك فلم يمكنه إدخال الباء على استثناء لأنه فصل فتقلها إلى المفعول ضرورة.

36- وكـم دية تم غدوت تسويقا لها أثر في تالدي غير تالـد

37- وليست ديات من دماء هرقها حراما ولكن من دماء القصاصـد

التم التامة والتالـد القديم. يقول ساقـت إلي جزء على مدحي لك ما هو بمنزلة
القتيل لها في مالي القديم أثر جديد غير قديم ولم تكن تلك الدية من دم حرام سفكته
ولكنها هبات من أجل قصائدي فيك.

38- ولله أنهار من الناس شقها ليشرع فيها كل مقو وواجد⁽¹⁾

39- موارد رزق للعباد خصيبة وأنت لهم من خير تلك الموارد⁽²⁾

40- أفضت على أهل الجزيرة نعمة إذا شهدت لم تحزهم في المشاهد

يقول لله قوم كرام سمحاء جعلهم الله في الأرض سببا في الأرزق، وليعيش بهم
سائر الناس من مقو فقير وواجد غني، وجعل الممدوح من خيرهم وأفضلهم، ثم قال
أفضت على من بالجزيرة من قبائل ربيعة وغيرهم نعمة شرفتهم ونوحت بهم فإذا تذكركت
في مشهد [لم تهنهم ولا أخزتهم]⁽³⁾.

41- جعلت صميم العدل ظلا مدته على من بها مسلم أو معاهد

42- فقد أصبحوا بالعرف منك إليهم وكل مقر من مقر وجاحد⁽⁴⁾

صميم العدل خالصة. يقول بسطت العدل في أهل الجزيرة، وكان واليا عليها،
وجعلته ظلا ممدودا على جميع من بها من المسلمين وأهل الذمة المعاهدين، فقد

أصبحوا مقرين بفضلك معترفين بمجدك من بين مسلم مقر بالله ومعاند جاحد لله تعالى
الله عما يقول العالون علوا كبيرا.

43- سأجهد حتى أبلغ الشعر شاوه وإن كان طوعا لي ولست بجاهد⁽¹⁾

44- فإن أنا لم يمدك عني صاغرا عدوك فاعلم أنني غير حامد⁽²⁾

الشأو الطلق. يقول سأجهد نفسي في مدحك حتى أبلغ الشعر شاوه وإن كان
طعيبا متقادا دون جهد ولا تكلف، ثم قال لحسن شعري فيك واستماتته للقلوب إذا
سمعه عدوك استحسنته، وجعل نشده عجباً فيصفا ما ترك فيه على رغم منه وصغارا
كفك صدقك ووليك.

45- بسياحة تنساق من غير سائق وتنقاد في الأفاق من غير قائد

46- جلامد تحطوها الليالي وإن سرت لها موضحات في رؤوس الجلامد⁽³⁾

السياحة السيارة في الأرض، والموضحة الشجة توضح في عظم الرأس. يقول
أمدحك بسياحة من قصائد تقطع الأرض دون حاد يحدوها ولا قائد يقودها أي ليست
يحيط تحدي ولا خيل تنقاد إنما هي كلام يروى ثم قال هي في قوتها وصلابة جواهرها
وامتناعها على من رامها جلامد إذ أن الليالي تتخطاها فلا تؤثر فيها وتقر عليها فلا
تبليها، وإن كانت مؤثرة في الجبال الراقية والجلامد القاسية.

47- إذا شردت سلت سخيمة شائي وردت حجاجا من قلوب شوارد⁽⁴⁾

48- محبة ما إن تزال تـرى بها إلى كل أفق وافدا غير وافد⁽⁵⁾

1- ح.ص: "يبلغ" و.ح.ص: "حتى أبلغ الشعر جيدة".

2- ح.ص: "دنت" إذا أنا.

3- ح.ص: "وت" "وإن بدت".

4- ح.ص: "وت" "عروبا" و.ح.ص: "شوارد".

5- ورد البيت في ح.ص: "ت. بعد البيت (أفادت صديقا من عدو وغادرت). من: "ما إن تزال ترى لها" و.ح.ص: "ت.ش: ورد البيت".

6- ح.ص: "وت" "تري لها".

1- ح.ص: "ليهل".

2- ح.ص: "ت: "مواد" في الصدر والبصر، و.ح.ص: "لها" وهو تصحيف.

3- ما بين معقوفين زيادة يقتضيه السياق.

4- ح.ص: "لقد".

القصيد [46]:*

وقال أيضا يمدحه:

- 1- تجرع أسى قد أقر الجرع الفرد ودع حسي عين يختلب ماء الوجد⁽¹⁾
- 2- إذا انصرف المحزون قدفل صيره سؤال المناني فالبكاء له رد⁽²⁾
- الجرع والأجرع السهل من الأرض المستوي، والفرد الذي خلا من أهله وأقر والحسي ماء قريب تحت الرمل. يقول لنفسه قد أقر هذا الموضع وخلا ممن تحب فاجرع الأسى لفقدهم ودع الوجد والحزن يستنفذ دمك في أثرهم وضرب الحسي والاحتلاب مثلا، ثم قال إذا نظر العاشق إلى المناني وهي المنازل، فسألها ولم تجبه وانصرف عنها، وقد غلب صوره الجرع فلا معين له على الحزن والجرع إلا البكاء، والردء العون خفف الهمة وألقى حركتها على الدال، ثم نقلها ضرورة، ومثل هذا جائز في الشعر، ويحتمل أن يريد الرد وهو ما كان عمادا لشيء ومنه رد الجيش والجمع ردود.
- 3- بدت للنوى أشياء قد خلت أنها سيبدأ بي رب المنون إذا تبدو⁽³⁾
- 4- نوى كاتقضاض النجم كانت نتيجة من الهزل يوما إن هزل الهوى جد⁽⁴⁾
- 5- فلا تحسبا هنذا لها الغدر وحدها سجيبة نفس كسل غانسية هند المنون الدهر، والمثنية أيضا. يقول أظهرت لي النوى من شدة الوجد ما أخال أن رب الدهر أو المثنية نازل علي من أجله، ثم قال هي نوى أنت فجأة مسرعة كسرعة النجم المتقضا، وكانت تلك النوى متباعدة من الهزل واللعب، وكذلك.
- 6- وقالوا أسى عنها وقد خصم الأسى جوانح مشتاق إذا خوصصمت لد

يقول إذا شردت هذه القصيدة، وذهبت في الأرض بلغت شانك واستمالت قلبه إليك بحسنتها، وأذهبت حقد الكامن في صدره، والسخيمة الحقد، وعطفت إليك كل قلب شارد عنك مائل بهواه إلى غيرك، ثم قال هي محبة إلى الناس فلا يزالون ناقلين لها من بلد إلى آخر، ويفيدون بها من أفق فهي وافدة على غير قصد ولا إرادة فجعلها غير وافدة لذلك.

- 49- أفادت صديقا من عدو وغادرت أقارب دنيا من رجال أباعد⁽¹⁾
 - 50- ومخلفة لما نرد أذن سامع فتصدر إلا عن يمين وشاهد⁽²⁾
- يقول أمالت قلب العدو إلى محبة هذا المدحوص فصيرته صديقا وجعلت له البعيد النسب قريبا دنيا إذا نيا منه قريب النسب، ثم قال وهي يجودتها إذا سمعها سامع فوردت أذنه صدرت عن سمعه وقد حلف أنه لم يسمع قط مثلها، وشهد بالحسرة على صدقه وصحة عينه، ومعنى مخلفة حاملة لمن سمعها على الخلف.

* القصيدة من البحر الطويل.

1- ح.ص. و.ح.ت: "ماما" و.ح.ت: "تعمل".

2- ص: "فل" و.ص. و.ح.ت: "رد".

3- ص. و.ت: "أله" و.ح.ص: "قد خلت أنه سيبدأ بها رب الزمان ولا تبدو" و.ح.ص. و.ت: "رب الزمان" و.ح.ت:

"سيبدأ بها رب الزمان ولا تبدو".

4- ص. و.ت: "النوى".

1- وورد هذا البيت في ص. و.ت. بعد البيت (49) شردت سلت سخيمة شانك) و.ح.ص: "وصوت".

2- ورد البيت في ص. بعد البيت "محبة ما إن تزال نرى لها".

- 7- وعين إذا هيجتها عادت الكرى ودمع إذا استنجدت أسرابه نجد يقول يأتي الأسى جمع أسوة، يريد الناس، جوائح وهي لد لأنها تضطرب وتألم ودمع إذا استنجدته أجنبي لأنه نجد أي قوي.
- 8- وما خلف أجفاني شؤون بخيلة ولا بين أضلاعي لها حجر صلد يقول شؤوني - الواحد شأن، وهي مخارج الدموع ليست ببخيلة على عيني بالدمع ولا بين ضلوعي حجر صلد أي صلب يصير، إنفا هو قلب يألم ويجزع و "لها" الهاء للآسى ويجوز أن تكون الهاء للشؤون.
- 9- وكم تحت أوراق الصبابة من فتى من القوم حر دمعه للهوى عبد
- 10- وما أحد طار الفراق قلبه بجلد ولكن الفراق هو الجلد
- 11- ومن كان ذابت على الناي طارف فلي أبدا من صرفه حرق تلد يقول من لم يعتد على النوى إلا مرة فقد أعتدتها مرات.
- 12- فلا ملك فرد المواهب واللهي تجاوز لي عنه ولا رشأ فرد أي لم يتجاوز لي عنه ملك فيغنيني حتى أتبع من أحب أبدا، ولا أستقل عنه بانتجاع ومدح وهجاء، ولا رشأ فرد أي ولا واحد ممن أحببت لم يفارقني يتجاوز لي عنه لتركة.
- 13- محمد يابن الهيثم انقلب بنا نوى خطأ في عقبها لوعة عمد "نوى خطأ" أي أخطأ فيها لتركي من أحب وجيء عمد وقصد غير خطأ.
- 14- وحقد من الأيام وخفي قديرة وشر السجيا قدرة جارها حقد
- 15- إساءة دهر أذكرت حسن عهده إلي ولسوا السم لم يعرف الشهد
- 16- أما وأبي أجدانه إن حادثا حدابي عنك العيس للحادث الوغد

الهاء في "أجدانه" للدهر، والكاف في "عنك" للممدوح، والوغد الضعيف. يقول حادث من الرأي ضعيف.

17- من النكبات الناكبات عن الهوى فمحبوبها يمشي ومكروها يعدو يقول هذه النكبات غافلات عن هواي وعمن أختار أن أقيم معه وعنده ومحبوبي معها قليل، وشبهه بالمشي، والمكروه بالعدو.

18- ليالينا بالرقمستين وأهلها سقى العهد منك العهد والعهد العهد قد عاب هذا على أبي تمام من لم يعرف الشعر ولا يعرف اللغة.

وأبو تمام شاعر قوي في علم اللغة وأيام العرب وأخبارها وأمثالها، وهو يستعمل هذا كثيرا في شعره ويقصده ويطلبه ويعرف فيه. وأفته عند قوم أنهم لا يفهمون محاسنه فيعادونه، والأحمق عدو ما جهل. قال أبو بكر. قوله: سقى العهد منك، فهذا العهد يعني به سقى الوقت الذي عهدناك فيه بالرقمستين.

وقوله "العهد والعهد والعهد" يقول سقى هذا العهد سائر ما يقع عليه هذا الاسم. قال: وأنا مفسر ذلك. فالعهد الحفاظ ومنه قولهم: ما لفلان عهد. والعهد الوصية، من قولهم عهد إلي وعهدت إليه، أي أوصاني وأوصيته، والعهد المطر وجمعه عهاد وهو الذي قفى به لأنه وصفه في البيت الذي يليه فقال: "سحاب متى يسحب على التبت ذيله". والعهد ما عهد عليه غيره من وصال وشباب وود، والعهد الأمان. قال الله تعالى: "لا ينال عهدي الظالمين"، أي أمانتي، والعهد اليمين، ومنه قولهم "علي عهد الله" وهذا كله عن أهل اللغة، وقد ذكره أبو عبيدة في كتاب "غريب الحديث" والعهد من غير أي عبيدة الملح ولم أسمعه إلا من جهة واحدة. حدثني إبراهيم بن المعلل: قال سمعت محمد بن الحسن أبا العباس الأحول يقول: العهد الملح ومنه قولهم: ملح فلان على ركبته، أي عهده غير محفوظ عنده، قال، ومنه قول مسكين الدارمي:

لا تسلما إنها من نسوة ملحها موضوعة فوق الركب

قال وقال (موضوعة) لأن الملح تذكر وتوثق، فيقول سقى أيا منا التي اجتمعنا فيها الوصل الذي عهدتكم عليه، والعهد اليمين التي حلفنا بها. والعهد المطر.

- 19- سحاب متى يسحب على التبت ذيله فلا رجل ينمو عليه ولا جعد
20- ضربت لها بطن الزمان وظهريه فلم ألق من أياها عواضا بعد
21- لدى ملك من أكلة الجود لم يزل على كبد المعروف من فعله برد
22- رقيق حواشي الحلم لو أن حلمه بكفسيك ما ماريت في أنه برد
23- وذو سورة تفري الفري شبانتها ولا يقطع الصمصام ليس له حد
يقول هو رقيق الحلم، حسن الأخلاق لأوليائه، وله مع هذا سورة أي حدة وشدة على أعدائه، وشبانتها جدّها، يقال فلان يفري الفري إذا أتى بالعجب.
24- وداني الجدا تأتي عطاياه من عل ومنصبه وعسر مطالعه جرد
25- فقد نزل المرتاد منه مجادج مواهبه غور وسؤدده مجد
26- غدا بالأمانتي لم يرق ماء وجهه مطال ولم يقعد بأماله الرد

الجداء العطية، والمنصب من الشرف، والجرد اللبس التي لا يتعلق بها شيء، والغور المنخفض من الأرض، والتجد [المرتفع منها]⁽¹⁾، المرتاد طالب المعروف، يقول عطاياه متيسرة سهلة كانوا تنشط عليك من فوق لمرعتها، وموضع من الشرف وعز لا ينال صعب المطالب لا يرام، وإذا نزل طالب المعروف به نزل برجل ماجد شرفه ومواهبه سهلات قريبة المرام كالغور المنخفض من الأرض، وسؤدده وعز منحدري على من رماه كالنجد المرتفع ثم قال غدا عليه المرتاد راجلا، وقد ظفر بطلبته دون أن يخلق وجهه بالمسألة والمطل ولا أن يرد خائبا فيفقد ذلك أمله.

¹ - زيادة بتضمينها السياق.

- 27- بأوقاهم برقاً إذا أخلف السنى وأصدقهم وعدا إذا كذب الرعد
28- أباهم برقاً وكما لسانل وأنصرهم وعدا إذا صوح الوعد

يقول وعده بالمعروف صادق ولا يخلف، وإن كان البرق والرعد مخلفين، وقوله أخلف السنى أي سنى البرق وضوءه، وقوله "أباهم برقاً" أي أرطبهم لسانا بالرحب وحسن المنطق وأنداهم كفا بالمعروف وأنعمهم وعدا بالصدق وجلب القوائد إذا صوح وعد غيره أي ببس وأخلف وهذه كلها أمثال.

- 29- كريم إذا ألقى الرحال مخيما بأرض فقد ألقى بها رحله المجد⁽²⁾
30- به أسلم المعروف بالشام بعدما ثوى منذ أودى خالد وهو مرء
31- فنى لا يرى بدا من البأس والندى ولاشيء إلا من صرتمته بدر³

يقول المجد حليف له فحيثما سار فهو سائر معه وبأي أرض خيم وأقام فهو مقيم عنده، ثم قال كان المعروف بأرض الشام متغيراً عما عهد عليه زمان ولاية خالد بن الوليد المخزومي، فلما ولى هذا المددوح رجع المعروف إلى حاله المعهودة، وضرب الإسلام والارتداد مثلاً، ثم قال هو فنى قد وقف نفسه وقصرها على البأس والجود فلا يرى منهما بدا ولا يجد عنهما مندوحة ولا مذهباً ولاشيء من الأشياء يكون له صرمة أي عزيمة على أمر إلا وقد يرى عن تلك العزيمة بدا ومندوحة عنها إلا هذا المددوح فلا يرى ذلك إلا في البأس والندى، وكان أبو القاسم يجعل الصرمة القطيعة يفسره تفسير ضربه عند الاستحالة. ³⁰⁰

¹ - ص و ح ت: "إذا أخلف الحيا" وتبني الإشارة إلى أن الأبيات من البيت السادس:

وقالوا أسى عهدا وقد خضم الأسى جوائح مشاق إذا عوصمت له

إلى هذا البيت:

بأوقاهم برقاً إذا أخلف السنى وأصدقهم وعدا إذا كذب الرعد

منقولة عن شرح الصولي لديوان أبي تمام ج: 1، 466-472: لسقوطها من النسخة التي بأيدينا.

² - ص و ت: "ألقى عصاه" و ح: "رطبه" و ح ت: "الغصى".

³ - ص ت: "ولاشيء إلا منه فيهما يد" و ح: "ص و ح ت: "فليطعم".

- 32- حبيب بغض عند راميك عن قلى وسيف على شانك ليس له غمد
33- وكم نزلت بي كربة ثم فرجت ولله في تفريجها ولك الحمد⁽¹⁾
34- وقد كان دهرنا للحوادث مضغة فأضحت جميعا وهي عن لحمه درد⁽²⁾
حبيب اسمه. يقول أنا بغض عند من يبغضك لاتصالي بك، وأنا سيف مجرد أبدا على شانك المبعض لك، وقوله وقد كان دهرنا أي قد كنت مبعضا لحوادث الدهر تمضغني كما تمضغ المضغة فحميتني منها حتى رجعت عني وهي درد لا أضرأس لها تؤثر في لحمي.
35- تصارع لولاك كل ملمة ويعدو عليه الدهر من حيث لا يعدو
36- توسطت من أبناء ساسان هضبة لها الكنف المحلول والسند النهدي يقول لولاك لصرعت مللمات الدهر، وتعدي عليه وظلمه من حيث لم يهمد عدوانه وظلمه، ثم قال أنت نازل من شرف بني ساسان يعني الفرس في وسطه، وجعل شرفهم وعزم كهضبة بل في كنفها ولا يرتقي سندها لمنعه وعلوه، والنهد الضخم.
37- بحيث انتمت زرق الاجادل منهم علوا وقامت عند فرانسها الأسد يقول حلت منهم موضع الشرف حيث تنتهي سادتهم الذين كالأجادل الزرق وتعلو فلا ترام وتقوم الأعزة منهم الذين هم كالأسود القائمة عن فرانسها فلا تستطاع ولا تنال.
38- أم تر أن الجفر جفرك في العلى قريب الرشاء لا جدور ولائند
39- إذا صدرت عنه الأعاجم كلها فأول من يروى به بعدها الأزد
¹ ص و ت: "وكم أنظرته نكية" و ح ت: "وكم نزلت بي نكية" و ح ص: "نكم".
² ص و ت: "وكم كان دهرنا"

- 40- لهم بك بحر لا الريباب تربه بدعوى ولم تسعد بأيامه سعد
41- وكم لك عندي من يد مستهلة علي ولا كفسران مني ولا جحد⁽¹⁾
42- يد يستدل الدهر في نقاحتها ويخضر من معروفها الأفق الورد⁽²⁾
المستهلة المنسكية عليه بالمعروف وقوله يستدل الدهر أي يذل لمن نفتحت له تلك النعمة، ويخضر الأفق المحمر من الحرب لسوغها وكثرتها فتخضر [الأفاق بها]⁽³⁾.
43- نظمت له عقدا من الشعر تنضب ال بحور وماداناه من حليها عقد⁽⁴⁾
44- مسير مسير الريح مطرقاتها وما السير منها لا العتيق ولا الوخذ⁽⁵⁾
45- تروح وتغدو بل يراح ويغتدي بها وهي حيرى لا تروح ولا تغدو
تنضب أي يذهب ماؤها أي لو نضبت البحور عن الدر لما كان فيها عقد يداني في الحسن والجودة هذا العقد من الشعر، ثم قال يسير ما يطرف من قصاده واقطع للتمثل والمحاورة مسير الريح في كل أفق على أنها لا سير لها عتيق ولا وخد وهما ضربان من السير، ولكن يسار بها ويغدا ويراح وهي في غفلة عن ذلك وحيرة.
46- تقطع آفاق السبلاد سوابقا وما ابتل منها لا عذار ولا لب⁽⁶⁾
47- غرائب ما تنفك منها لسانة لسرخل يحدو ومرجئز يشدو⁽⁷⁾
¹ ح ص و ت: "ولا كفسران دهرنا".
² جاء بعد هذا البيت في ص و ت بيت لم يرد في نسخة الشنمري وهو:
ومستلك قد خولته المدح جازبا وإن كنت لا مثل إليك ولاند
و ح ص و ت: "لديك".
³ زيادة بقضيتها السيل.
⁴ ح ص و ت: "البحار".
⁵ ح ص و ت: "مطرقاتها" و ح ص و ت: "مسير الشمس".
⁶ ص و ت: "ولاخذ".
⁷ ص و ت: "المرجئز يحدو ومرجئز يشدو"

القصيدة [47]:*

وقال يمدح أحمد بن أبي ذؤاد:

- 1- ألم يان أن تروى الظماء الحوامم وأن ينظم الشمل المبدد ناظم⁽¹⁾
- 2- لن أرقاً الدمع الغيور وقد جرى لقد رويت منه خدود نواعم⁽²⁾
- الظماء العطاش، والحوامم التي تقوم على الماء عطشا. يقول مسترشداً مستبطناً لاجتماعه بالأحبة ألم يحن بعد ولم يقرب أن تروون قلوبنا المشتاقة إلى وصل الأحبة، وأن ينظم شملنا المبدد باجتماعنا بهم، ثم قال لن بكت حياطينا لقراقتنا فأرقاً دموعهن غافقهن الرقيب الغيور لقد رويت خدودهن من الدمع.
- 3- كما كاد ينسى عهد ظمياء باللوى ولكن أملسته عليه الحمامم⁽³⁾
- 4- بعثن الهوى في قلب من ليس هائما فقل في فؤاد رعيته وهو هائم
- 5- لها نغم ليست دموعا فإن علت مضت حيث لا تمضي الدموع السواجم

ظمياء اسم جارية، واللوى موضع. يقول نسبته هؤلاء الجوّاري عهدنا كما أنسى عهد هذه الجارية حتى سمعت الحمام يترنم فذكرني الهوى وأملت علي ما كنت نسيت منه فحفظته، ثم قال من سمع هذا الترنم من الحمام رقت نفسه فهوى وإن كان غير هائم مشتاق فكيف من روعته وهو مشتاق، وقوله لها نغم أي أصوات حنينية كالبيكاء إلا أنها لا تبعث دموعا ولا يسليها ولكن تعمل في النفوس وتمضي فيها ما لا يعمل البيكاء بالدموع السواجم.

- 6- أما وأبها لو رأيتني لأيقنت بطول جوى تنقض منه الحيازم⁽⁴⁾

يقول هي في [اجتيازها] الأرض وقطعها الآفاق كالخيل السوابق إلا أنها لا عذار لها فيبتل ولا ليد عليها أي ليست تخيل [مسرعة فهي] غريبة في حسنها مروية لازال المرتحل المسافر محتاجا إلى أن يجدو الإبل بها والمرحز يتغنى ويشدو بها لحسنها⁽¹⁾.

- 48- إذا حضرت ساح الملوك تقبلت عقائل خشن غير ملموسة جرد⁽²⁾
- 49- أهين لها ما في البدور وأكرمت لديهم قواقيها كما يكرم الوفد⁽³⁾

الساح جمع ساحة الدار، والعقائل الخيار الكرائم. يقول هي مستحسنة محبة إلى الملوك مقبولة عندهم مكرمة، وهي كالعقائل من النساء إلا أنها لم رماها خشن صعبة جرد متعذرة، وقوله غير ملموسة أي لا جسم لها فتلمس بيد إنما هي كلام، والبدور جمع البدرة من المال أي يهان لها المال وتكرم هي.

* القصيدة من البحر الطويل.

1- ح.ص. و.ت: "الفتت".

2- ح.ص. "أرقاً الدمع العيون" و.ح.ص. "لن أرقاً الدمع الغيور" من.ح.ص. "لن أعطش الدمع العيون وما جرى" و.ت.ح.ص. "لن أعطش الدمع العيون".

3- ح.ص. و.ت: "لقد كاد ينسى" و.ح.ص. "لقد كان ينسى".

4- ح.ص. و.ت: "ينقض" و.ح.ص. "تنقض" و.ح.ت: "تنهد".

1- زيادة بتفضيها السابق.

2- ح.ص. "عقائل منها غير ملموسة مرد" و.ح.ص. "تقبلت" و.ت.ح.ص. "عقائل منها غير ملموسة ملد".

3- ح.ص. "فأكرمتم" و.ح.ت: "صافي البدور".

والكرم تسمى مغارم لأنها أموال تبذل للغةا وليست في الحقيقة إلا مغامم لأن الواهب الجواد يكتسب من الشرف ويغنم من المجد والكرم ما هو أنف من المال وأنفع.

- 7- رأت قسمات قد تقسم نظرها سرى الليل والإسาด فهي سواهم
8- وتلويح أجسام تصعد تحتها قلوب رياح الشوق فيها سمانم
القسمات مجاري الدموع على الحدين، والنظر الناعم، والإسَاد سير الليل كله، والسواهم الصغيرة، والتلويح الضمر والهزال والسمائم أثر الرياح. يقول لو رأنتي وصحبي لرأت وجوها قد أذهب نعيمها ومانضر منها السرى في أكثر الليل والإسَاد فيه كله حتى سهمت وتغيرت ولرأت أجساما ملوحة ضامرة تشتمل على القلوب متصدعة لفراق الأحبة محترقة برياح الشوق المستحرة.
- 9- ينال الفتى من عيشه وهو جاهل ويكدي الفتى في عيشه وهو عالم⁽¹⁾
10- ولو كانت الأزواق تجري على الحجي هلكن إذن من جهلهم البهائم⁽²⁾

يقول الخطوط في الدنيا تجري بقدر لا باستحقاق، فالجاهل قد يستغني على جهله، والعالم قد يكدي، ويفتر على أنه عالم ولو أن الأزواق جارية على ما يوجهه العقل والحجى من الاستحقاق لها لهلك البهائم لجهلها.

- 11- جرى الله كفا ملؤها من سعادة سعت في هلاك المال والمال نادم⁽³⁾
12- فلم يجتمع شرق وغرب لقاصد ولا المجد في كف امريء والدرهم
13- ولم أر كال معروف تدعى حقوقه مغارم في الأقوام وهي مغارم

يقول جرى الله كل كف تسعى في بذل المال وتفرقه، والمال في غفلة عن ذلك ملؤها من السعادة والظفر بكل فائدة، ثم قال المجد إنما يكون ببذل المال ولا يجتمعان لأحد معاً كما لا يجتمع الشرق والغرب لقاصد في مرة واحدة، ثم قال حقوق المعروف

1- ح: من "أوجه ومباسم" وهو تصحيف.

2- ص: وت: "وهو فكاهة".

3- من: "واقت" و ح: من: "أمت بنا السرى" و "أرض الفلاة" وهو تصحيف.

4- من: "جوانف ... إذا غدا" و ح: "إذا غدا"

الإبل نجبة كريمة كأنها لسرعها [في قطعها] للفقار قد كانت نعاما أو كأن النعام إناتها⁽¹⁾.

- 20- إلى سالم الأخلاق من كل عائب وليس له مال على الجيود سالم⁽²⁾
 21- جدير بأن لا يصبح المال عنده جديرا بأن يبقى في الأرض غارم
 22- وليس بيان للعلى خلق امرئ وإن جيل إلا وهو للمال هادم

يقول تسيير بنا الإبل الموصوفة إلى رجل أخلاقه سالمة من اللؤم والعيب إلا أن ماله لا يسلم من البذل والنهب، ثم قال هو أهل لأن يبذل المال حتى لا يبقى في الأرض غارم عليه دين أو قبله دية دم، وتلخيص لفظ البيت هو تحقيق بأن لا يصبح المال أهلا للبقاء عنده ما دام في الأرض محتاج، ثم قال لا ينبغي العلى بالأخلاق وإن جلت وكرمت حتى يبذل المال ويهدم بالعطاء.

- 23- له من إبداع قمة المجيد حيثما سمت ولها منه البناء والدعائم⁽³⁾
 24- أناس إذا راحوا إلى الروع لم ترح مسلمة أسياقهم والجماجم⁽⁴⁾
 25- بنو كل مشبوح الذراع إذا القنا نئت أذرع الأبطال وهي معاصم⁽⁵⁾

إبداع قبيلة الممدوح، وقمة المجد أعلاه، والمشبوح الطويل، والمعاصم مواضع الأسورة من الذراع. يقول لهذا الممدوح من إبداع أعلى شرفها وأرفع رابته وإبداع منه أن يبني لها ما تهدم من المجد ويد عمه لها، ثم قال أناس أبطال يقارعون [بالسيوف]⁽⁶⁾ ويضربون بها هام الأقران فترجع وقد فلتت الرؤوس وتفلتت منها الحدود، ثم قال هم أبناء شجعان طوال الأذراع بالسيوف إذا جين غيرهم ولم يقدموا على أصحاب الرماح فصارت أذرعهم كالمعاصم في القصر جينا وهيبة، وهذا مثل، ويروى بليت أذرع الأبطال أي اختيرتها فوجدتها كذلك.

¹- زيادة يفتضها السياق.

²- ح: ت: "إلى سالم الأطراف من كل قاتل".

³- ح: ص: "له من إبداع قمة المجيد حيثما سرت".

⁴- ص: و: ت: "مسافة".

⁵- ح: ت: "المت".

⁶- كلمة ساقطة في الأصل.

26- إذا سيفه أضحى على الهام حاكما غدا العفو منه وهو في السيف حاكم

يقول إذا أسر فأمكن السيف أن يحكم على رؤوس الأسرى غلب عفو وصفحه فحكم عفو على السيف فرده عنهم.

- 27- أخذت بأعضاء العرب وقد خوت عيون كلييات وذلت جماجم
 28- فأضحوا لو استطاعوا لقرط حبة لقد علقت خوفا عليك التمام

يقول نوهت بالعرب بعد أن كانت قد ذلت وخملت بولاية العجم عليهم، وصغر العرب على جهة الترحم والإشفاق مما كانوا فيه من الذلة، وجعل عيونهم كليلة مغضوة ذلا وهوانا، والتمائم المعاذ أي لإشفاقهم من خطوب الزمان عليك لو استطاعوا أن يعوذوك منها بتعليق العوذ على عنقك لفعلوا.

- 29- ولو علم الشيخان أد ويعرب لسرت إذا تلك العظام الرمام
 30- تلاقى بك الحيات في كل مخفل جليل وعاشت في ذراك العمائم⁽¹⁾

أد أبو المضربة، ويعرب أبو اليمانية وإليها تنتمي جماعير العرب، فيقول لو علما تنويك بأنانيهما لسرا بذلك، ثم قال تلاقى جميع العرب من مضر واليمن في كل مخفل تجل فيه وتكرم به من أجلك وعاشت الجماعات في ذراك وسترك، وواحد المعاصم عم وهو الجماعة، ويروى المعاصم وهي جمع عمامة وهي الجماعة أيضا.

- 31- فما بال وجه الشعر أغبر قائما وأنف العلى من عطلة الشعر راغم⁽²⁾
 32- تداركه إن المكسرات أصابع وإن حلى الشعر فيها خواتم⁽³⁾
 33- إذا أنست لم تحفظه من يك بدعة ولا عسبا أن ضيعته الأعاجم

القاتم الشديد الغيرة، والعطلة الخلو من الحلي، يقول ما بالك لا تقبل على الشعر وتجلو وجهه المغير، وتحلي العالي به وتعزها وأنفها راغم دليل لعظمتها منه، ثم قال

¹- ص: و: ت: "العمائم".

²- من: "في عطلة" و: ح: ص: "أسود قائما".

³- ن: و: ت: "الأشعار". و: ح: ص: و: ت: غ: "وإن حلى الشعر".

القصيدة [48]:

وقال يمدح إسحاق بن إبراهيم⁽¹⁾:

- 1- أضغى إلى البين مغترا فلا جرما أن النوى أحدثت في عقله لمعا⁽²⁾
- 2- أضمني سرهم أمام فرقتهم هل كنت تعرف سرا يورث الصمما
- اللمم الاختلاط والجنون. يقول لما شرعت بالبين أضغيت إليه ففكرا فيه مهتما به، فلا جرم أي لا محالة، ولابد أن نوى الأحية أحدثت في عقله لما واختلاطاً، ثم قال لما أسروا لي بالفراق أضمني كراهة لسماعه، ولذلك قال النابغة حين بلغه ملامة النعمان: "وتلك التي تستك منها المسامح"⁽³⁾.
- 3- نأوا فظلت لوشك البين مقلسته تندى بجمعا ويندى جسمه سقما
- 4- أظله البين حتى إنه رجبل لو مات من شغله بالبين ما علما
- 5- أما وقد كنتمتن الحدور ضحي فأبعد الله دمعها بعدها اكتنما
- وشك البين سرعته، والتجيع الدم الطري، والحدور الهوادج. يقول أبعدت دموعي في بين الأحية عني فسالت دموعي دما وأضحتني حر الشوق حتى ذاب جسمي سقما بغشيتني من شواغل البين ما لومت لم أشعر بذلك لشغلي به، ثم قال أما وقد سرن في الهوادج عجوبات عني فأبعد الله دمعاً لم يسلم بعدهن ويظهر من شؤونهن شوقاً إليهن.
- 6- لما استحر الوداع المحض وانصرفت أواخر السير إلا كاظمًا وجمًا⁽⁴⁾
- 7- رأيت أحسن مررتي وأقبحه مستودعين لي الستوديع والعنما⁽⁵⁾

- القصيدة من البحر البسيط.

- [إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب، أبو الحسن، صاحب الشرطة بهقاد أيام المأمون والمعتمد والواثق والمتوكل، كان وجهها مقرباً من الخلفاء.. مات في بهقاد سنة 235هـ (الأعلام ج 1: 292).

- من: "أسارت" و ح: من: "في قلبه" و ت: "أسارت في قلبه".

صدر البيت: "وأخبرت خير الناس أنك لفتي". (ديوان النابغة: 47).

- من و ت: "وانصرفت" و "السير" و ح: ت: "أواخر السير".

- من و ت: "مستجمعين".

تداركه بعنايتك فإنه للمكارم كالحوائم للأصابع في تزيينه لها وترقيفه بها، وإن كنت مع علمك بالشعر ومعرفتك بحسن أثره مضيقاً فليس بعجيب ولا ينكر إن ضيقه العجم.

34- فقد هز عطفه القريض توقعا لعدلك إذا صارت إليك المظالم⁽¹⁾

35- فلولاً خلال سننها الشعر مادري بغاة السندی من أين تؤتى المكارم⁽²⁾

يقول لما وليت المظالم عدلت فيها سر الشعر بك فهز عطفه مستشرفاً بعدلك مسروراً به، ثم قال لولا خصال سننها الشعر وسن طرفها لما عرف كل من يبغى الندى والكرم من أين يأتيه ولا كيف يحاوله ويتحلى به.

¹ - من و ح: ت: "مذ صارت" و ح: ت: "لطفك".

² - من و ت: "ولولا خلال" و ح: ت: "بغاة العلى".

8- فكاد شوقي يتلو الدمع منسجما إن كان في الأرض شوق فاض فانسجما⁽¹⁾

الكاظم المسك عن الكلام حزنا، والوجع المبهوت المستحير، والعزم شجر له أغصان ناعمة حمر لطيفة تشبه بها أصابع النساء الخضوة. يقول لما اشتد الوداع وتحقق ومحض وانتهى تشييعنا للأخية وانقطع سربنا معهم إلا أنني كاظم وجم لما نابني من الفراق نظرت إلى بنان من أهواء حين ودعني بها فرأيت منها أحسن شيء، ونظرت إلى التوديع والفراق فرأيت أفصح شيء فكاد شوقي يفيض في أثر الدمع لشدة وإفراط هيجه، فلو فاض شوق لفاض شوقي وانسجم.

9- صب الفراق علينا صنب من عليه اسحاق يوم الروع منتقما⁽²⁾

10- سيف الإمام الذي سمت همته لما تحرم أهل الأرض محترما⁽³⁾

11- إن الخليفة لما صال كنت له خليفة الموت فيمن جار أو ظلما

دعا على الفراق أن يسلط عليه هذا المدحوخ منتقما له منه، وقوله من كتب أي من وقت قريب، ولم يرد أن يصيب عليه من موضع قريب لأن الصب كل ما كان من موضع عال بعيد فهو أشد، وقوله سمت همته أي دعا من أجل هيبته وهي سرعة قطعه ومضائه وتخومه لأهل الأرض من المشركين واستنصاه إياهم محترما أي مستأصلا، ثم قال لما صال الخليفة على العدو كنت له كالموت وخلفا منه في أهل الجور والظلم.

12- قرت بقران عين الدين وانتشرت بالأشترين عيون الشرك فاصطلما⁽⁴⁾

13- ويوم خبزج والأسباب طائسة لو لم تكن حامى الإسلام ما سلما⁽⁵⁾

14- أضحكت منهم ضباغ الجو ضاحية بعد العيوس وأكبكت السيوف دما⁽⁶⁾

1- ج: "علا الشوق" وهو تصحيف و ج: "لو كان"

2- ج: "من أم".

3- ج: "أهل الكفر" و ج: "هيمته".

4- ج: "فانفوت" و ج: "وانتوت" وهو تصحيف.

5- ج: "ناصر الإسلام" و ج: "وتشتر" ثاني الإسلام.

6- ج: "فاكبكت" و صوت: "ضباغ القاع" و ج: "وأكبكت العيوس".

قران موضع نصر فيه المسلمون، والأشتران قائدان للإسلام، ويقال هو اسم موضع وذلك أشبه، وضرب قرت عن الإسلام مثلا لظهور أمر المسلمين، وضرب انتشار أعين أهل الشرك مثلا لما نالهم من الإستنصاف والاصطدام، ثم قال ويوم خبزج وهو موضع حين طاشت العقول خوفا لو لم تحم الإسلام ما سلم، وقوله أضحكت منهم ضباغ الجو أي ألهمتها المشركين، فسرت لما تنال من طومهم بعد أن كانت جائعة عابسة وأصلت سيوفك من دماهم وقوله ضاحية أي وقت الضحى.

15- بكل صعب الذرى من مصعب يقط إن حسل متسندا أوسار معترما

16- ببادي المحيا لأطراف الرماح فما يرى بغير الدم المعبوط ملتسما

17- يضحى على المجد مأمونا إذا اشجرت سمر القنا وعلى الأرواح متهما

الذرى أعالي كل شيء والمتند المرتفع المسترسل والمعزم العازم، والمحيا الوجه، والمعبوط الطيري الذي سفك لغير علة. يقول أصحابه من كل رجل عزيز ممتنع الشرف كالفحل المصعب في شدته ينساق في جميع أموره كان مقيما في داره أو سائرا في أسفاره، ثم قال لا يحجب وجهه عن الرماح إذا اختلفت عند الطعن، ولا يثلثم عنها إلا دم وجهه قام له مقام اللثام وهو لكرم نفسه لا يخون المجد بانهمز ولا تقض إلا أنه لجرأته وجدهت يقوم على أقرانه فيخونهم في أرواحهم فيسألهم إياها.

18- قد قلصت شفتاه من حفيظته فحيل من شدة التقليل مبتما⁽¹⁾

19 لم يطلع قوم وإن كانوا ذوي رحم إلا رأى السيف أدنى منهم رحما

20- مشت قلوب أناس في صدورهم لما رأوك تمشي غوهم قدما⁽²⁾

يقول لشدة حنقه على قرنه وكلوحه تنتشر شفتاه حتى يجال ضاحكا، وهذا كقول عنترة: "أبدي نواجذه لغير تبسم"⁽³⁾، ثم قال إذا طغى قوم وجاروا حمل عليهم السيف، وإن كان بينهم وبينه رحم وقربة، ثم قال لما نهضت مقدما على أعدائك جزعوا فتقلصت قلوبهم من مواضعها، واضطربت في صدورهم، وبلغت حناجرهم.

1- ص: "من شدة التعيس".

2- ص: "لما نراؤك تمشي" و ج: "كما رأوك تمشي".

3- عبر البيت: "لا رأي قد تركت أريده". (ديوان عنترة: 27).

29- كانوا على عهد كسرى في الزمان ولن يستشري الخطب إلا كلما قدما

30- في كل جوشن دهر منهم فئة ترجى رحى فئنة قد أشجت الأما

31- حتى إذا أنبت أثار مدهتهم أرسلك الله للأعمار مصطلما⁽¹⁾

يقول قتادى عن هؤلاء المشركين من لدن زمن كسرى إلى وقتك ذا فكثر عددهم واشتدت شوكتهم ولن يستشري الخطب ويعظم إلا مع قدم مدته، وجوشن الدهر صدره وأوله، ومعنى ترجى تسوف، ورحى الفئنة معظمها وأشجت الأسم أغضبتهم بالمكروه وهذا مثل، ثم قال مكتوا ما شاء الله تعالى حتى قدر هلاكهم وإنهاءهم.

32- أطعت ربك فيهم والخليفة قد أرضيته وشفيت العرب والعجم⁽²⁾

33- تركتهم سيرا لو أنها كتبت لم تسبق في الأرض قرطاسا ولا قلما

34- ثم انصرفت ولم تلبث وقد لبثت سماء عدلك فينا تطر الديا⁽³⁾

أراد بالعجم كل من كان معاهدا منهم للمسلمين، ثم قال استأصلتهم وتركتهم أحاديث وسيرا لو كتبت لأنفذت القرطاس والأقلام، ثم وصف أنه لم يبق بعد ظفره بهم ولكنه رجع مسرعا وقد عم تلك البلاد التي افتتحتها عدلا كما يعم المطر الأرض، والديم هي الأمطار الدائمة.

35- لو كان يقدم جيش قبل بعثته لكان جيشك قبل البعث قد قدما⁽⁴⁾

36- سماهم البطر الأسد الغضاب فلم تهجع سيوفك حتى صيروا نعما

37- ولت شياطينهم عن حد ملحمة كانت نجوم القنا فيها لهم رجما

يقول لسرعة أوثيك ظافرا كان جيشك قدم من الحرب وفعل قبل أن يبعث، ثم قال كانوا كالأسد الغضاب بطرا وبغيا فلم تنم سيوفك في جفونها حتى أظفرتك بهم وأذللتهم قصيرتهم كالإبل وغيرها من النعم، ثم قال كانوا كالشياطين في نؤذهم في

21- أمطرتهم عزمت لو رميت بها يوم الكربة ركن الدهر لانهما⁽¹⁾

22- إذا هم نكصوا كانت لهم عقلا وإن هم جمحوا كانت لهم لجما

23- حتى انتهكت بحد السيف أنفسهم جزاء ما انتهكوا من قبلك الحرم⁽²⁾

الجامع المار على وجهه مقدما، والناكص المار على عقبه منهزما. يقول غمستهم بعزما تلك التي لومي بها يوم الحرب ركن الدهر لانهما فإن راموا القرار منهزمين عقلتهم بحزما كما يعقل البعير بالعقال وإن عزموا على الكر رددتهم بها كما يرد الفرس الجامح.

24- زالت جبال شرورى من كتابهم خوفا ومازلت إبهاما ولا قدما⁽³⁾

25- لما مخضت الأمانى التي احتلبوا عادت هموما وكانت قبلها همما⁽⁴⁾

26- بدلت أروسهم يوم الكربة من قنا الظهور الحطلى مدعما

شرورى موضع⁽⁵⁾، وقنا الظهور القمامات. يقول تزعزت الجبال رهبة من جيوش المشركين وثبت أنت ولم تزل مقدار إبهام ولا قدم فلما نظرت في محاولة دفعهم عما أملوا وتنا من الظفر بالمسلمين عادت تلك الأمانى عليهم هموما تهتهم بعد أن كانت همما تبصرهم، وضرب المخض. والاحتلاب مثلا، ثم قال لما لقيتهم ظهرت عليهم فقتلتهم ووضعت رؤوسهم على الرماح فصارت لها بدلا من أجسامهم.

27- من كل ذي لمة غطت صفائرها صدر القنا فقد كادت ترى علما

28- راح التنصل معقودا بالسهم لما غدا السيف في أعناقهم حكما

اللمة الجملة التي ألت بالمكنك شبه ظفائر الشعر على القنا يعلم وهو البند، ثم قال لما حكمت السيف في أعناقهم أقروا بالذنب، وراح التنصل منهم متصلا بالسهم.

¹ ح: "لو رطيت بها".

² ح: "ما انتهكوا".

³ ح: "ومازلت إقباما".

⁴ ح: "وقد".

⁵ شرورى جبل مغل على نوبك في شرقها، وقيل شرورى في أرض بني سليم. (معجم البلدان ج 3: 339).

¹ ح: "مطرا" و ح: "أني بك الله".

² ح: "منهم" و رواية بنية الأصول "فيهم" وهو الصواب.

³ ح: "سما عرفت فيهم قطر النعما" و ح: "سما نكح". و ح: "سما عدلك فيهم قطر النعما" و ح: "سما عرفت".

⁴ ح: "منهم".

الحروب ودهائنهم فلما قتلتهم وياشروا شدة حريك وعابنو مضاء أستنك قروا منهزمين فرار الشباطين إذ رجعوا بالنجوم.

38- تركتهم جزرا في كل معركة أقمرت فيها وكانت منهم ظلما⁽¹⁾

39- قد بضت رخم الهيحي جماجمهم حتى لقد تركتها تشبه الرخما⁽²⁾

يقول تركتهم في كل معركة قتلتهم بها لحما وكانت تلك المعارك مظلمة على المسلمين فجلبت ظلمها بحسن بلانك وصحة رأيك كما يجلي القمر ظلام الليل، ثم قال لما قتلتهم وقعت الرخم على رؤوسهم فأكلت ما عليها من اللحم حتى وضحت عظامها فكانها رخم لبياضها، ويقال أراد برخم الهيحي السيوف سماها رخما لبياضها.

40- غادرت بالحليل الأهواء واحدة والشمل مجتمعا والشعب ملتصما

41- جذدت غرس السني منهم بذي لب أبقي بهم من أنابيب القنا أجم⁽³⁾

42- لو كان في ساحة الإسلام من حرم ثان إذا كنت قد صيرته حرما

يقول كان أهل الحيل مختلفي الأهواء متشتتين قتلتن طعائهم وقومت سائرهم فاقتفت أهواؤهم واجتمع شملهم، والتأم ما تشعب من أمورهم، ثم قال كانوا قد غرسوا أمانيا فجذدت غرسها وحلت بينهم وبينهم بجيش ذي لب أبقي بذلك الموضع أجم⁽⁴⁾ وغبضة من الرماح المنكسرة، ثم قال لو جاز أن يكون في الأرض حرم ثان سوى مكة لكان هذا الموضع حرما لما بسطت فيه من الأمن، ونشرت فيه من العدل.

43- تغدو مع الحرب للأرواح مغتنما فإن سئلت نوالا رحمت مغتنما⁽⁵⁾

44- فالمجد طوعك لا تعبدوك همته أكتت مهتصما أم كنت مهتصما

45- كم نغمة لك لم يحفظ تعجرفها لصامت المال لا إلا ولاذمها⁽¹⁾

يقول تغدو للحرب فتغنم أرواح أعدائك فتروح منها فصال فيغنم السؤال أموالك فأنت رب المجد تملكه وهو طوعك لا تقف همته على غيرك مرة مهتصما للعدو ومرة مهتصما للمال، وقوله كم نغمة أي هبة نفتحت بها لم يحفظ تعجرفها أي جفاؤها وعنفها لصامت المال من الذهب والفضة لا إلا عهدا أو قرابة ولا ذمما من الدمام.

46- مواهب لو تولى عدوها هرم لم يحصها هرم حتى يرى هرما⁽²⁾

47- فخرا بني مصعب فالكرمات بكم صارت رعانا وكانت قبلكم أكما⁽³⁾

48- تقول إن قلتم لا لا مسلمة لقولكم ونعم إن قلتم نعما⁽⁴⁾

يريد هرم بن سنان المري⁽⁵⁾ الجواد وكان من حكماء العرب ودهانها وأجوادها فلذلك خصه بتولي مواهبها لكثرتها لو تولى هرم عدتها وأحصاها إلى أن يرى هرما فإنه لم يحصها، ويؤن مصعب المدوح وهرطه نسبهم إلى مصعب بن زريق، وهو أحد النقباء الإثني عشر الذين قاموا بدولة بني العباس، والرعان أنوف الجبال أي تبت بكم المكارم وعلت، ثم قال المكرمات طوع لك منقادة لأمركم مسلمة لقولكم تقول لا في ما قلتموها فيه ونعم في ما أوجبتهموه.

49- مما منكم أحد إلا وقد فطمت عنه الأعادي بسيما المجد مذفطما

50- أبو الحسين ضياء لا مع وهدي ما خام في مشهد يوما ولا ستما⁽⁶⁾

سيما المجد علامته، ومعنى خام جبن. يقول إذا فطم الصغير منكم فالأعادي مفلطمة عما تتمنى لما يبدو عليه من علامات المجد وشواهد السعد، ثم قال هذا

1- ح.ص. و: "نغمها".

2- ح.ص. "مهدما".

3- ح.ص. و: "ماتت".

4- ح.ص. "تقول" و صوت: "لأمركم" و ح.ص: "ألا".

5- هرم بن سنان بن أبي سارة المري، من أجواد العرب في الجاهلية، يضرب به المثل وهو مدحود زعيم بني سلم، مات

قبل الإسلام نحو سنة 51ق.هـ. (الأعلام ج: 8: 82).

6- جاء هذا البيت في ص. بعد البيت (إذا أتى بلدا أجلت خلفه...)

المدحوش ضياء تجلى ظلمات الزمان برأيه وجوده وتهتدي به، ولم نجم يوما في مشهد من مشاهد الحرب ولا ستم مباشرتها ولا مل.

- 51- إذا أتى بلدا أجلت خلافته
عن أهله الأنكدين الخوف والعدم⁽¹⁾
52- من يسأل الله أن يبقى سراكم
فإنما سأل أن يبقى الكرم⁽²⁾
53- قد قلت للناس إذ قاموا بشرككم
الآن أحسنتم أن تحرسوا النعما

يقول خلافته مشتتة على الباس والجود فإذا حل ببلد أمنهم ببأسه ونجده وأغناهم بنده وجوده وأجلى عنهم الأنكدين الشديدين من الخوف والعدم، ثم قال إذا بقيتم فالكرم باق وإن ذهبتهم وفنيتم ذهب الكرم وفني، ثم قال لما قام الناس بشرككم على ما أسديتم إليهم من النعم علمت أن الشكر حارس لها وداع إلى المزيد فيها فقلت لهم الآن أحسنتم حفظها وحراستها.

القصيد [49]:

وقال يمدح أحمد بن عبد الكريم الطائي:

- 1- أرامة كنت مالف كل ريم لو استمتعت بالأنس المقيم⁽¹⁾
2- أدار السؤس حسنك النصاي إلي فكنت جنات النعيم⁽²⁾
رامة موضع، والأنس [الهيام] (3) والنصاي العشق. يقول قد كنت مستقرا وموضع ألفة لكل جارية كالريم فليتك تمتعت بالقوم الذين كانوا مقيمين فيك، ثم قال أنت الآن دار يؤس حين خلوت من الأحبة وقد كنت زمن إقامتهم فيك ونصايي إلى من أحب حسنة محبة إلي فكننت عندي كجنات النعيم.
3- لئن أصبحت ميدان السواقي لقد أصبحت ميدان الهموم
4- ومما ضرم الريحاء أني شكوت فما شكوت إلى رحيم
5- أظن الدمع في خدي سيبقي رسوما من بكائي في الرسوم
السواقي الرياح لأنها تسفي التراب أي تطيره، والريحاء الشدة. يقول لرامة لئن أصبحت مجالا للرياح تسفي التراب على رسومك لقد أصبحت أنا مجالا للهموم والأحزان بفراق الأحبة وتغيرك بعدهم، وقوله ضرم الريحاء أي هيج شدة الوجد، ثم قال أظن الدمع سيؤثر في خدي ويبقى به مثل الرسوم من كثرة بكائي في رسوم الديار.
6- وليل بست أكلؤه كاني سليم أو سهرت على سليم
7- أراعي من كواكب هجانا سواما ما ترع إلى المسيم⁽⁴⁾
8- فأقسم لو سألت دجاء عني لقد أنباك عن وجد عظيم⁽⁵⁾

⁽¹⁾ - القصيدة من البحر الوافر.

⁽²⁾ - ص: و: "بالأنس القديم".

⁽³⁾ - ص: و: "فصرت".

⁽⁴⁾ - زيادة بقضيتها السياق.

⁽⁵⁾ - ص: "لا ترع" و ج: ص: "لا ترع" بالزاي وهو تصحيف.

⁽⁶⁾ - ص: و ج: ح: "عن خطر عظيم" و ج: ص: "لقد أنباك عن وجد عظيم". و ج: ح: "ولكن لو سألت".

⁽¹⁾ وجاء هذا البيت في ص. بعد البيت (ما منكم أحد إلا وقد فطمت).

⁽²⁾ وجاء هذا البيت في ص. بعد البيت (أي الحين ضياء لا مع وهمي) و ج: ح: "فإنما سؤلة".

الهجان البيض من الإبل، والسوام المهملّة في المرعى، والمسيم الراعي لها؛ ومعنى تريخ ترجع. يقول رب ليل جعلت أكلاً نجومه طمعا في أن تغور فينفضي الليل وكأنني لطول سهري فيه لديدغ أو كاني سهرت على لديدغ ما نباله من أن ينام فيسري السم فيه، ثم قال كاني أرعى من نجومه إبلا بيضاء سائحة في المرعى إلا أنها لا تريخ إلى راع ولا تحببه لو دعاها.

- 9- أغشنا في ديار بني حبيب بنات السير تحت بني العزيم
10- وما إن زال في جرم بن عمرو كريم من بني عبد الكريم⁽¹⁾
11- يكاد ندهاء يتركه عديما إذا هطلت يداه على عديم⁽²⁾

بنو حبيب رهط الممدوح من جرم بن عمرو وجرم من طي⁽³⁾، وقوله بنات السير يعني الإبل التي قد عودت السير وتصرفت في ضروبه وبني العزيم هم العازمون الجادون في أمورهم يعني نفسه وأصحابه والعزيم جمع عزيمته، وبنو عبد الكريم الممدوح وإخوته، ثم قال هو مسرف في العطاء فيكاد يبغي نفسه عديما من المال إذا أمطرت يداه المعروف على سائل عزيم.

- 12- تراه يذب عن حرم المعالي فتحميه يدافع عن حريم
13- غريم للململ به وحاشى ندهاء من مفاطلة الغريم⁽⁴⁾
14- سفيه المرمح جاهله إذا ما بدا فضل السفيه على الحليم⁽⁵⁾

يقول هو يغار على المعالي فيذب عن حرمها بجوده وبأسه وكأنه يذب عن حريم أهله لمن ألم به طالبا كالغريم وهو الذي قبله الدين إلا أنه مجاشي من أن يحطل له كما يحطل به الغريم، ثم يقول وهو لشدة بأسه وخروجه في الحرب عن القصد يبدو من ربحه ما يظهر، ويبدو من السفيه الجاهل في تجاذب فعله وخرقه فيه وهذا كقول⁽¹⁾:

- لهم جهل السباع إذا المنابا تمشت في القنا وحلوم عاد
15- إذا ما الضرب حش الحرب أبدى أغر الراي في الخطب البهيم
16- تحفى الحرب منه حين تغلى مراجلها بشيطان رجيم⁽²⁾
17- وإن شهد المقامة يوم فصل رأيت نظير لقمان الحكيم⁽³⁾

حش الحرب أو قدها وهيجهما والمراجع القندور ضربها مثلا لشدة الحرب، والمقامة مجلس الجماعة. يقول إذا هيج الحرب الضرب بالسيف واستبهم الخطب، واشتد أظهر من أرائه رأيا أغر فحد به تلك الشدة، وبين الأمر المبهم وجعل الراي فيه سمة توضحه كالغرة في البهيم من الحيل الذي لاشية به، ثم قال هو قوام الحرب وعمادها فيقوم لها مقام الأثا في للمراجع إلا أن الأثا في حجارة، وهذا في دهانه ونفوذ كشيطان رجيم، والرجيم من الشياطين أمكرها وأدهاها وهو الذي يصعد إلى السماء فيرجم بالنجوم، ثم وصفه بالبلاغة فقال إذا شهد الجماعة المجتمعمة لأمر تبين وفصل قام خطيبا فارجل من الحكم والفصول ما يكون له نظير لقمان الحكيم.

- 18- أولسك قد هدوا من كل مجد إلى نهج الطريق المستقيم⁽⁴⁾

1- من قصيدة أبي قاسم التي مطلعها:

مضى عهد الحمى سبل الهاد وروى حاضرته وباد

2- من: "يجوز" تنقيح الحرب" على ما لم يسم فاعله، ولا يتبع أن يروى "تنقيح الحرب" فيجعل "الحرب" فاعله، وإن شئت نصبت "المراجع" "تنقيح" وإن شئت تركتها مرفوعة. "بغلي" لأنه أقرب الفعليين إليها، وهاتان الروايتان أولى بصحة الطائي من رواية من روى "تصلى الحرب منه"، وقرب من هذا التعليق ما ذكره الخطيب التبريزي في شرحه للبيت.

3- من: "وإن" و من: "يوم فصل".

4- هذا البيت ورد في من: بعد البيتين (إذا نزل التزيع بهم قروء...) والبيت: (فلوعايتهم مع زاربهيم...) وفي ت: بعد البيت (إذا نزل التزيع بهم قروء...) من: "الضراط" و ح من: "في كل عبد".

1- من: ح: ت: "في جرم" و ح: من: "في عمرو بن جرم" و ح: ت: "حرم".

2- من: ح: ت: "إذا عادت".

3- جرم بن عمرو بطن من طي من القحطانية. وهم بنو جرم واسمه نعلية بن عمرو بن الفوث بن طي. كانوا يسكنون فلسطين مما يلي الساحل فلما فتح السلطان صلاح الدين مصر، انتقلت طائفة منهم إليها، ونزلوا أخراف الشرقية، وسكنوا صعيد مصر، وظلت منهم بقية في نواحي غزة، وكان فيهم رجال ذوو ذكر ونباعة، خدموا الدول وقضدوا الملوك. (معجم قبائل العرب ج 1: 182).

4- من: "يداه".

5- بعد هذا البيت ورد في من والبيت التالي وإلى يرد في نسخة الشنترني:

إذا ما قبل أرغفت العوالي وليس المرغفات سوى الكلام

وقال محقق شرح الصولي: "يجوز" مرغفات" بكسر العين وروايتها بالفتح وجه حسن.

يقول لهم مما شهروا به من الشرف والكرم غرر تبهز شرف غيرهم فإذا بدت

واستنارت ظنت للنجوم ضرائر لأنها في النور والحسن مثلها، ثم قال هم سادة كالكروم
من الإبل وهي الفحول وهم شجعان كالأسود يحمون من استجارهم وهم في الحرب نكال

(2) للبطال وللسادة القروم.

النهج الطريق البين. يقول هم مهتدون إلى أوضح طرق المجد وأقومها، وإذا 26- إذا نزلوا يحل روضوه بأشجار كأشجار الغيوم⁽¹⁾

نزل بهم غريب وهو التزييع قريوه وجعلوا له من ودهم ويشرهم رياضاً نبتها أنف لم يرع 27- لكل من بني حواء عذر ولا عذر لطائي لتسيم
قبله جميع أي تام كامل فلو تأملتهم ممترجين بزوارهم لرأيت أحوالهم واحدة، ولم تفرق

بين البعيد النسب منهم الغريب وبين وليهم الحميم القريب.

21- أحلهم السندى سطة المعالي إذا نزل البخیل على النخوم⁽³⁾ يقول هم كالغيث فحيثما حلوا أنعموا فأخصب موضع حلولهم، وروضوه جعلوه

رياضاً، والغيوم جمع غيم، ثم هم من طين وهي مثل في الجود فلا عذر لهم في اللؤم
والبخيل إنما العذر لغيرهم من بني آدم حواء، ثم أكد هذا المعنى فقال أصلكم كريم

23- وفي شرف الحديث دليل صدق لمختبر على الشرف القديم فأنتم أحق الناس بالجري على الكرم والأخذ به.

السطوة الوسط، والرفيف النعمة والبريق، والأروم الأصل. يقول جودهم ينزلهم
من المعالي في وسطها ويقرمهم في أعلاها إذا كان البخيل يضع البخيل وينزله بتخوم
الأرض، وهذا مثل، ثم قال لهم فروع في الشرف ناعمة ترف فإذا تأملتها تبينت بها طيب
أصولها وشهدت لها على ذلك، ثم أكدها بقوله، وفي شرف الحديث أي لما أحدث
هؤلاء من الشرف يستدل دلالة صادقة على شرف آباؤهم القديم.

24- لهم غرر تحال إذا استنارت بواهرها ضرائر للنجوم⁽⁴⁾

25- قروم للمجيز بهم أسود نكال للأسود وللقرور

¹- و ورد هذا البيت في ص و ت بعد البيت (فإن شهد القامة يوم فصل) ص و ت: "رياض الرف" و "جميع".

²- ورد هذا البيت في ص و ت، بعد البيت (إذا نزل التزييع بهم قروم) برواية النضر الأول منه في ت: (فلو شاعدهم والرائهم)،
وذكر هذه الرواية عثقي شرح الصولي في هامشه على البيت.

³- جاء هذا البيت في ص و ت بعد البيت (أولئك قد هدوا في كل جند) ح: ص: "أحلهم العلا" وروي البيت في بعض
النسخ كما يلي:

¹- ح: ص: "إذا نزلوا بجند".

²- ح: ص: "إلى خلق كريم".

أحلهم السندى سطة المعالي إذا نزل التجيد على النجوم

(بالعني هنا تصحيف).

⁴- من: "تعال" بفتح التاء.

الحقبة [50]:

وقال يمدح مالك بن طوق:

- 1- سلم على الجزع من سلمى بذى سلم عليه وسم من الأيام والقدم
- 2- ما دام عيش لبسناه بسروته لدينا ولو أن عيشا دام لم يدم
- 3- يا منزلا أعنتك فيه الجنوب على ربع محيل وشعب غير ملتئم

الجزع منقطع الوادي، وذو سلم موضع فيه سلم وهو شجر، والوسم الأثر، والريوة المكان المشرف. يقول أمرا لنفسه سلم على الجزع الذي هو من منازل سلمى. ثم أخبر عنه فقال عليه أثر تغيير من مرور الأيام عليه وقدم عهده لما مر به، ثم قال لم يدم عيشها الذي لبسناه واستمتعنا به لدينا ناعما في ريوه هذا الموضع، ولو أن عيشا دام ولم ينتقطع لا تقطع عيش هذا ولم يدم لحسنه واغترار الزمان، وقوله أعنتك أي سارت سيرا شديدا به حتى غفته.

- 4- هومت بعدي والربع الذي أفلت منه بدورك معذور على الهرم
- 5- عهدي بمنكأ حسان المعالم من حسانة الجيد والبردي والعنم
- 6- يضاء كان لها من غيرنا حرم فلم تكن نستحل الصيد في الحرم

يقول تغيرت بعدي وهومت، والربع الذي فارقتك تلك الجوارى اللاتي كن فيه كاليدور معذور أن يهرم وجدير أن يتغير، ثم قال عهدي بمنكأ وهو موضع إقامة الحي حسن المعالم والآثار لما كان فيه من جارية حسنة الجيد حسنة الساقين حسنة البناء، وكنى بالبردي عن الساق لأنها تشبه به في الملاسة واللباض، وكنى بالعنم عن الأصابع المخضوبة اللدنة، ثم قال هي يضاء، وكان مغناها حرما لها من قومها ممنعا كحرم مكة فكان لا تصل فيه إلى رفث ولا فسوق ولا تستحل الصيد به كما لا تصل إلى ذلك في الحرم.

* القصيدة من البحر البسيط.

1- م و ت: على الربع "و ح ص و ت: ش: "وتم" بالفتح.

2- م و ت: "سأكنه".

3- م و ت: "على رسم".

4- م و ت: "حسنة الورد".

7- كانت لنا قمرا غنوا عليه ولم نسجد كما سجد الأفشين للصنم⁽¹⁾

9- زار الحيايل لها لابل أزاركه فكر إذا نام فكر الخلق لم ينم

8- ظمي تفتضته لما نصبت له في آخر الليل أشراكا من الحلم

يقول كانت لنا كالقمر في حشنا فكانا غنوا عليها أي نعطف ونميل كلفا بها ولم نسجد لها أي لم نعبدها كما عبد الأفشين الصنم وسجد، وهذا تعريض منه بكفر الأفشين، ثم قال زار حيايها والذي حمله على زيارتي فكري الذي لا يخلو منها ولا ينأ عنها إذا نام فكر الخلق من الهوى والعشق، ولم تكن زيارته لي على قصد منه وإرادة إنما جلبه إلي الفكر، ثم قال كان خيالها كظبي صده في آخر الليل حين عرسنا وغت رغبة في أن يطرقي خيالها وإن لم يكن في نوم، وهذا كقول الآخر⁽²⁾:

وإنني لأستغشي وما بي نعمة لعل خيالا منك يلقى خيالها

ثم قال فكان صيدي له بجمالة وشرك من حلم لا حيلة صائد.

10- ثم اغتدي بنا من ذكره سقم باق وإن كان معسولا من السقم⁽³⁾

11- اليوم يسليك عن طيف ألم وعن بلى الرسوم بلاء الأينق الرسم

12- من القلاص اللواتي في حقائبها بضاعة غير مزجاة من الكلم⁽⁴⁾

الرسم السريعة في سيرها، والقلاص الفنية من الإبل والحقيبة مؤخر الرحل، والمزجاة القليلة. يقول ثم اغتدي الحيايل راحلا عني وقد أودعني من تذكر من أحب سقما إلا أنه خلق مستعذب لأن العاشق يستحسن هواه ويستعذب شوقه وعذابه، ثم قال اليوم تسلو عما جد عليك من الحزن وتغير الرسوم ولأم الحيايل بك بما تبلوه من هم هذه

1- صوت: "صنما".

2- قال قيس بن اللوح (ديوانه: 296) وفي من قصيدته المسماة "المنة" و أولها:

تذكرت والسين الحواصيا وأيام لا أغشى على اللبوها

(ديوانه: 296).

3- م و ت: "إن كان مشغولا من السقم".

4- ح ت: "ضائع".

الإبل السريعة وما ضمنته حقائبها من البضاعة الوافرة التي نرجو بها نائل هذا الممدوح وهذه البضاعة إنما هي قصيدة من القصائد لا سلعة والكلم جمع كلمة وهي القصيدة.

13- إذا بلغن أبا كلثوم اتصلت تلك المنى وأخذن الحاج من أمم⁽¹⁾

14- بنى به الله في بدو وفي حضر لوائيل سور عز غير منهدم⁽²⁾

أبو كلثوم هذا مالك بن طوق، والحاج جمع حاجة، والأمم القصد والقرب. يقول إذا بلغت الإبل بنا هذا الرجل اتصلت منانا واجتمعت لنا وأخذنا حوائجنا بسهولة وقرب، وجعل الفعل للإبل مجازاً، ووائل أبو بكر وتغلب والممدوح تغلبي فيقول بنى لقبائل وائل عزا ثابتاً وشرفاً مقيماً عاماً لأهل البدو والحضر منهم.

15- رآته في المهدي عتاب فقال لها ذوو القراسة هذا صفوة الكرم

16- خذوا هنيئاً مريئاً يا بني جشم منه أما نين من خوف ومن عدم عتاب وجشم رهطه من بني تغلب. يقول تفرس فيه ذوو القراسة النجابة والكرم وهو صبي في المهدي فشرها قومه به وأعلموهم أنه خالص الكرم وصفوته وأنه سيكون ذا نجدة، ويرى يؤمن معه الخوف من العدو وعدم المال.

17- فجاء والنسب الوضاح جاء به كأنه بهمة فيهم من اليهم

18- طلعان عمرو بن كلثوم ونائله إن السيور التي قلدت من الآدم⁽³⁾

19- لو كان يامل عمرو مثله خلفاً من نسله لم يجد للموت من أم⁽⁴⁾

الوضاح الشديد الوضوح والبيان، والبهمة الشيء المبهم الذي لا يرام ولا يستطاع، ومنه يقال للمتناهي في النجدة بهمة لأنه لا يدري من أي ناحية يرد القتال، فيقول نسبه واضح بين في الكرم إلا أنه أندر من هذا الرجل رجل لا تستطاع مداناته في ما يأتي به من بأس وتندي فكانه من قومه أمر ميه من الأمور المهمة الصعبة، ثم بين

خصاله فقال له طلعان عمرو بن كلثوم⁽¹⁾ جده ونائله ونده، وضرب له مثلاً لشبهه به فقال إن السيور التي قلدت هي من جنس الآدم الذي قلدت منه، والسيور الشراك، والآدم الجلود المدبوغة.

20- بنانه خلع تجري وغيرته ستر من الله ممدود على الحرم

21- نال الجزيرة إحمال قفلت لهم شيموا نده إذا ما البرق لم يشم

22- فما الربيع على أنس البلاد به أشد خضرة عود منه في القمح⁽²⁾

الحاج جمع خليج جعل بنانه خليجاً إشارة إلى أن كفه كالبحر لأن الخليج متصل بالبحر متشعب منه، وجعل غيرته على حرم المسلمين سترًا ممدوداً يقبها ويصونها، وقوله إذا ما البرق لم يشم أي إذا كان عل ولم يلمع برق فهو يقوم مقام الغيث فمن شام نده أي نظرت إليه استغنى، ثم قال وليس وهو الربيع أنضر منه عوداً ولا أخضر جناناً في القمح وهي الشدائد على أن البلاد قد أنست بالمطر وعرفته وألفته وتنسب حياتها إليه.

23 - ولا أرى ديمة أعشى لمسغية منه على أن ذكراً طار للديم⁽³⁾

24- لتغلب سؤدد طابت منابته في منتهى قلل منهم وفي قمم⁽⁴⁾

25- مجد رعى تلعات الدهر وهو فتى حتى غدا الدهر يمشي مشية الهرم

المسغية المجاعة، والقلل والقمم أعلى كل شيء، والتلعات الرياض فيما الخدر من الأرض وفيما أرتفع أيضاً. يقول هو أعشى للمسغية وأكشف للشدّة بجوده من الديم على أن الديم قد انتشر لها ذكر حسن وناء جميل، ثم قال لتغلب سؤدد منابته طيبة في أعلى القلل والقمم، وأطيب النباتات ما كان يشرف من الأرض وهذا مثل، ثم بين أن

1- عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب، من بني تغلب، أبو الأسود، شاعر جاعلي من الطبقة الأولى كان من امز الناس نسا، وهو من الفصاك النجعمان ساد قومه وهو فتى، وعمر طويلاً وهو الذي قبل الملك عمرو بن هند، مات في الجزيرة لقرابة غزو 40 ق.هـ. (الأعلام ج 5 : 84).

2- ح: من: "علي بنشر البلاد" و"روحي" مكان "عود".

3- من: "طاب" و"ح: ح: ت: "النجى" و"ح: ح: "أفنى لثانية" و"طال". ورجت: "ولم تدرة ألقى لثانية".

4- ص: وت: "منها".

1- من: "فاخذن".

2- ح: من: "لتغلب".

3- ص: وت: "خذو لسيور".

4- ص: وت: "فيها من صلبه" و"ح: ص: وت: "لو كان يملك".

شرفهم قديم رعى مجدهم تلعات أول الدهر إذ كان الدهر فني إلى أن هرم الدهر وتقارب خطوه هرما وضعفا.

- 26 - بناء جود وبأس صادق ومثى تين العلى بسوى هذين تنهدم⁽¹⁾
 27 - وقف على آل سعد إن أيديهم سم لمستكر آدم لمؤتدم⁽²⁾
 28 - لا جارهم للرزايا في جوارهم ولا عهدهم مذمومة الذمم

يقول بنى لهم ذلك المجد القديم بأسهم وجودهم وما لم ين من المجد بهذين إلا ثبت بنيانه، ثم قال قد علم من آل سعد وهم بنو تغلب أن أيديهم ثواب وعقاب فمن استكر عليهم كانت لهم سما قاتلا، ومن تولاهم وتعرض لمعروفهم وقروه وتغشوه وضرب الأدم مثلا، ثم قال جارهم محفوظ مضمون المال لا تصيبه الرزايا ولا ينقض عهده وذمتهم فيدم جوارهم وذممهم.

- 29 - أصفوا ملوك بني العباس كلهم نصيحة ذخروها عن بني الحكم⁽³⁾
 30 - مهلا بني مالك لا تجلين إلى حي الأراقم دؤلول ابنة الرقم
 31 - فاي حقد أترتم من مكامته وأي عوصاء جشمتن بني جشم⁽⁴⁾

بنو الحكم بنو مروان بن الحكم بن بني أمية، وبنو مالك حي من بني تغلب، والأراقم من بني تغلب أيضا، وبنو جشم رهط الممدوح من تغلب، والعوصاء القصة العويصة الشديدة.

يقول أصفى هذا الممدوح وقومه النصيحة والمودة لبني العباس ودخروا لهم عن بني أمية، ثم خرج إلى لوم بني تغلب وتوبيخهم على مخالفتهم لما لك بن طوق فقال مهلا لا تعجلوا بالمعصية والمخالفة فإنكم تجلبون بذلك إلى حي الأراقم الداهية الشديدة، ودؤلول اسم للداهية، وكذلك الرقم، ثم قال لقد أترتم واستخرجتم من صدر هذا

الممدوح قصدا شديدا انتقم به منكم، وجشمتوه ورهطه بني جشم قصة عويصة من الإيقاع بكم وقطع رحمتكم.

- 32 - لم يالك مالك صفحا ومغفرة لو كان ينفخ قين الحى في فحم
 33 - لا بالمعاود ولغا في دماكنم ولا إلى لحم خلسق منكم قرم
 34 - أخرجتموه بكسر من خليقتة والنار قد تنتضى من ناضر السلم⁽¹⁾

يقول لم يزل مالك بن طوق يصفح عنكم ويغفر لكم لو نجح ذلك فيكم وصرفكم عن مخالفتكم له وبغيتكم عليه، وضرب نفخ القين في الفحم مثلا، وهو مثل سائر، يقال قد فعل كذا وكذا لو كان ينفخ قين نجح فعله وأدرك مطلوبه لأن القين إذا لم ينفخ في فحم لم ينتفع، ثم قال هو باغ عليكم فلا يجب أن يبلغ دماءكم بالقتل ولا يقدم إلى طوكم لياكلها بالغيبة والذم، والقرم شهوة اللحم، ثم قال كان خلقه لكم ليأنا فأخرجتموه عنه إلى أن اشتد عليكم فعاقبكم، ثم ضرب مثلا لهذا فقال والنار المحرقة قد تستخرج من عود السلم الناضر الناعم يعني من الزناد.

- 35 - أوطأتموه على جمر العقوق ولو لم يخرج الليث لم يخرج من الأجم⁽²⁾
 36 - قدعتم فمشيتن مشية أمما كذاك يحسن مشي الخيل في السلجم
 37 - إذ لا معول إلا كل معتدل أصم يسيرو أقواما من الصمم

يقول أخرجتموه بمخالفتكم له حتى أكرهتموه وحملتموه على قطع قرابتكم وعقوق رحمتكم، وكان كليث كامن في أجمته أخرج فخرج منها مغضبا فعدا واقتبس، ثم قال لهم كنتم في عدوانكم وجوركم كخيل مهملة تركب رؤوسها وتجور القصد في مشيها فقدعكم الحرم كما يقدح الفحل وهو أن يضرب أنفه حتى يرجع عن الناقة إذا لم يرض لهجنته فذللتن واستقمتم وحسنت سيرتكم كما يحسن مشي الخيل في لجها، ثم قال فعل ذلك بكم ولم يكن له معول في تقويمكم وإبرانكم من دانكم إلا بكل رمع طلب برءكم من صممكم أي يحملكم على السمع والطاعة.

¹ من: "عن سبيته" ح. د. و: "من سبيته" ح. د. من: "تلطفي"، وهو تصحيح.
² ح. د. و: "لم يرح".

¹ ح. د. من: "لم يرح" و"لا تقم".
² ح. د. و: "شهد الموند".
³ ح. د. و: "ذخيرة".
⁴ ح. د. من: "وأي عوصاء جشمتن يا بني جشم".

38- من الردينية اللاتي إذا علست تشتم بو الصغار الأنف والشتم⁽¹⁾

39- إن أحرمت لم تنصل من جرائمها وإن أساءت إلى الأقوام لم تسلم

40- كان الزمان بكم كلبا فغادركم بالسيف والدهر فيكم أشهر الحرم

الردينية الرماح، ومعنى علست اضطرت والبو جلد حوار تحشى فترأه الناقة وتدر عليه. يقول من كان أشم الأنف عزيزا فالرماح تذله وتشتم أنه بو الصغار، وهذا مثل ثم قال الرماح جرم فلا يعتذر من جرمها وتسى في فعلها فلا تلام عليه، وقوله كان الزمان بكم كلبا أي كان الزمان بعد وانكم وظلمكم قد فسد ولؤم في فعله وسفه، وضرب المثل بالكلب لأنه الأم السباع وأشدّها إلحاحا في الشر فلما أوقع بكم وأذ لكم سكن الزمان وأمنت غوائله فصار كالأشهر الحرم.

41- أمن عمى نزل الناس الربا فنجوا وأنتم نصب سبيل الفسنة العرم

42- أم ذاك من همم جاشت فكم ضعة حدا إليها علو القوم في الهمم⁽²⁾

43- تنبون عنه وتعطون القياد إذا كلب عوى وسطكم من أكلب العجم

الربا ما ارتفع من الأرض، وشبه ما وقع بهم من شدة الحرب بسبيل العرم الذي أرسل على سبأ⁽³⁾ يقول أعميتهم عن الرشد حين نصبتم أنفسكم للفتنة فخطبكم ونزل غيركم لطاعته ولقيادته موضع النجاة، وضرب الربا مثلا لأن السبل لا يصل إليها، ثم قال لهم ما حكمكم على المخالفة همم جاشت لكم، وارتفعت فإن كان ذلك فرب همة علا صاحبها فيها فأورثته ذلا وضعفا، ثم قال تنبون عن مالك لا يستقرون عن طاعته وهو ابن عمكم وإذا وليكم لئيم من لنام العجم ونادى فيكم أجبتهموه وانقدتم إليه.

44- قدرد تلك المنايا بعد أن شرعت وقد أقام حباياكم على اللقم⁽⁴⁾

45- جذلان من ظفر حران إن رجعت مخضوبة منكم أظفاره بدم

46- دين يكفك منه كل باقعة ورحمة ورفقت منه على الرحم

يقول قد كانت المنايا شارعة فيكم واردة على نفوسكم فردها عنكم بصفحه وعفوه، وكنتم معوجين عن الطريق الواضح متحيرين في الضلال فقومكم عليه، واللقم الواسع، ثم قال قتل من غروكم جذلان مسرورا بما نال من الظفر حران مشفقا لقتله منكم وتخضب أظفاره بدمانكم وهذا مثل، ثم قال له دين يرد منه كل داهية ويكفها عنكم ورحمة تحوم على الرحم التي بينه وبينكم وترفرق عليها كما يرفرف الطائر على فراخه.

47- لولا مناشدة القرى لغادركم فرصة المرفقين السيف والقلم⁽²⁾

48- لأصحت كالآثا في السفح أوجهكم سودا من العار لا سودا من الحمم⁽³⁾

يقول لولا أن الرحم ناشدته بالله وبنفسها أن يصلها ويبقي عليكم فيها لاستأصلكم سيفه وقلمه، والمرفق المدقق المحدد، ولولا ذلك لأوقع بكم وقعة بشدة على وجوهكم، ويسودها بسواد يبقى أبدا سواد عار لا سواد فحم، والسفع السود تضرب إلى الحمرة.

49- لا تجعلوا البيغي ظهرا إنه جمل من القطعية يصرى وادي السنم

50- نظرت في السير اللاتي مضت فإذا أيامه أكلت بساكورة الأمم⁽⁴⁾

51- أفنى جديسا وطسما كلها وسطا بالأنجم الزهر من عاد ومن إرم⁽⁵⁾

يقول لا تركنوا إلى البيغي فإنه يؤدي إلى الانتقام والهلاك وقطعية الرحم، وضرب الجمل مثلا، ثم قال نظرت في سير الأولين وما يؤثر عنهم من الأخبار فوجدت أيام البيغي أفنت الأمم الأول، واستأخر الباكورة لأول الأمم لذكره الأكل، ثم ذكر من

1- ص و ت : "تشتم بو صغار الأنف ذا الشتم"

و ح من: "تشتم بو الصغار الأنف ذا الشتم" و ح ت:

"بو صغار أنف ذي شتم" و ص و ت: "كان الزمان بكم حربا".

2- ص و ت: "أذى إليها".

3- سبأ مدينة باليمن من الآن خراب، وهي مدينة بلفي صالحة سليمان عليه السلام وبها طواف من اليمن من أهل عمان، وبها كان البد الذي عرفه سيل العرم المذكور في القرآن. (الروض المطار: 203).

1- ص و ت: "قد اتنى بالمنايا في أسنته".

2- ص و ت: "شمائل المرفقين" و ح ت: "لولا مناشدة فيكم"

3- ح من: "وأصحت" و ح ت: "السود".

4- ص و ت: "في السير الأولى خلعت"

5- من: "بالنجم الزهر" و ح ص و ت: "بالنجم الدرر".

أهلكه البغي من الأمم القديمة كلهم وجديس وهما قبيلتان من العرب العاربة، وهما أخوان كعاد وإرم ذات العماد، ويقال إن إرم هي عاد، ويقال هي أصل عاد وجعلهم كالأنجم الزهر في شهرتهم وشرفهم.

52- أردى كليباً وهما ما وهما ج به يوم الذنائب والتحلاق للهم (1)

53- سقى شرحبيل السم الذعاف على أيدىكم غير رعديد ولا برم (2)

54- بز التحية من لحم فلا ملك مستوج في عمامات ولا عمم (3)

أراد كليب بن ربيعة أخا مهلهل بن ربيعة التغلبي وهما من مرة البكري قتل في حرب البسوس، ويوم الذناب يوم تغلب على بكر، ويوم التحلاق للهم كان لبكر على تغلب كانوا يخلفون رؤوس الأسرى ويعفون عليهم فيسمى يوم تحلاق للهم، وشرحبيل بن عمرو عم امرئ القيس، ويقال هو النعمان بن المنذر، والرديد الذي يرعد جينا، والبرم البخيل الذي لا يقدم لبخله، وقوله في عمامات أي في جماعات، والععم الكمال في الشرف وغيره، ومعنى بز سلب.

55- يا عشرة ما وقبتم سوء صرعتا وزلة الرأي تنسى زلة القدم (4)

56- حين استوى الملك واهترت مضاربه في دولة الأسد لافي دولة الحدم

يقول قد كنتم عشرتم أشد عشرة لولا أن مالكا وقاكم بعفوه سوء صرعتها، وكانت تلك العشرة زلة رأي وهي أشد من زلة القدم، ثم قال خالفتهم وقت أن استوى الملك وكمل وكان كسيف هز فاهترت مضاربه في دولة حصلت لكرم العرب الذين هم كالأسد في نجدتهم وحلها من خدم العجم الذين كانت الدولة لهم مثلاً.

1- من: "يوم" و ح: من: "يوم الذنائب والتحلاق من همم" وهو تصحيف. و ح: من: و ت: من: "يوم الذنائب" فله وجه: وأضاف الخطيب: وهو أن يعني "الذنائب". يوم عز الذنائب فيكون في الكلام تكرار لاختلاف اللفظ، ويجوز أن يعني "يوم الذنائب" اليوم الذي أفضيت فيه الشهور من الحلق.

2- من: و ت: من سم الذعاف" و ت: من: و ح: من: "شرحبيل"

3- من: و ت: من: "ولو روي" زرافات" وكان وجهها، ولكن تنبع الرواية. وأورد الصوري "من ثارات ولا عمم" وأورد عقق شرح الصولي عن أبي العلاء: "من ثارات ولا عمم".

4- من: و ت: "شر مصرعها" و ح: من: و ت: "وزلة الرأي تنسى زلة القدم".

57- أبناء دلقاء مهلا إن أمكم دافت لكم علقم الأخلاق والضم (1)

58- طانية لا أبوها كان مهتضما ولا مضى بعلمها لحما على وضم

59- لا توفظوا الشر من قوم فقد غنيت دياركم وهي تدعى رهوة النعم (2)

60- هذا ابن خالكم يهدي نصيحته من يتهم فهو فيكم غير متهم

الدلقاء القصيرة الأنف وهي جدة بني تغلب وهي طانية، وقوله دافت أي مزجت لكم العلقم في أخلاقكم أي كسبكم خلقا صعبا مرا لعزها وشرفها، ثم قال كان أبوها عزيزا لا يهتضم ولا يذل، وكان تغلب من بني تغلب شريفا متبعا ولم يكن لحما على وضم أي أنتم كرام الطرفين من قبل الأب والأُم فابقوا على كرمكم ولا تهيجوا الشر فقد نام عنكم وقد مكنت دياركم رهوة النعم أي ساكنة مستقرة، ثم لما وعظهم وزجرهم عن مخالفة مالك بن طوق وأثبت عندهم أن نصحه لهم خالص فقال أنا ابن خالكم أهديت نصيحتي إليكم فاقبلوها ولا تنهمني فيها فلم أكن لأغشكم وفاء بحق الرحم التي بيني وبينكم.

1- ح: من: "دافت لهم" وهو تصحيف.

2- من: و ت: "موطن النعم" و ح: من: و ت: "دعة النعم" و ح: من: "نوم"

القصة [51]:

وقال أيضا يمدحه:

- 1- أرض مصردة وأخرى تسجم منها التي رزقت وأخرى تحرم⁽¹⁾
 - 2- وإذا تأملت البلاد رأيته تثرى كما تثرى الرجال وتعدم⁽²⁾
 - 3- حظ تعاورة البقاع لوقته واد به صفر وواد مفعم⁽³⁾
 - المصدرة التي لم ترو، ومعنى تسجم تظم مطرا دائما حتى تروى، والصفر الحالي، والمفعم المملوء. يقول الرزق مقسوم على البلاد كما قسم على العباد فمعتها المجدود ومنها المحروم، ومنها أرض تصرد وأخرى تتجم، ثم مقال هو حظ تتداوله البقاع لوقت مقدر فواد صفر من الماء، والحصب وآخر مفعم سائل، وإنما وصف هذا مثلا للجزيرة حين انتقل عنها مالك بن طوق، وأوقع فيها بني تغلب لبغيهم وظلمهم.
 - 4- لولاه لم تكن النيموة ترتقي شرف الحجاز ولا الرسالة تنتهم
 - 5- ولذلك أعرت الخلافة بعدما كانت زمانا وهي علق مشتم⁽⁴⁾
 - 6- وبه رأينا كعبة الله التي هي كوكب الدنيا تغل وتحرم⁽⁵⁾
- يقول لولا ذلك الحظ والجد لم ينحصر أهل الحجاز المتصل بمكة بكون النبوة فيه أول بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولا كانت رسالة النبي صلى الله عليه وسلم بتهماته فاشية يعني بالمدينة لأنها من تهامة، ومن أجل ذلك الحظ المتعاور صارت الخلافة لبني العباس بالعراق بعد أن كانت لبني أمية بالشام، وبذلك الحظ صارت الكعبة التي هي للدنيا كوكب نير كل مرة وتحرم أخرى أي يكون الإنسان بها محرما بحجة أو محلا إذا لم يحرم بالحج.

١- القصيدة من البحر الكامل.

٢- ح. ص. و. ت. ش. "تسجم" بكسر الجيم، و. ح. ت. "واض تسجم".

٣- ح. ص. و. ت. "إذا تأملت".

٤- ح. ص. "حظ تعاورة البلاد".

٥- ص. و. ت. "عمرت عصورا" و. ح. ت. "كانت قديما".

٦- ح. ت. "وبها".

١- ص. و. ت. "فبت زمانا" و. ح. ت. "منذ غاب".

٢- ص. و. ت. "كأعاب".

الأحذية الحزم والذكاء. يقول ما منكم أحد إلا وبالحجى مشتمل كالرداء، والأحذية ملابسة لظاهره وباطنه، وقد جعلت له كاللبشرة والأدمة، والبشرة ظاهر الجلد، والأدمة باطنه، ثم قال عمرو بن كلثوم سهمكم في الشرف إذا فخرتم به لم يسهم أي لم يغب، وكان عمرو بن كلثوم سيد بني تغلب، وهو جد مالك بن طلق، ثم قال ربعة التي تجمع قبائل العرب كاليد، وبني جشم رهط مالك كفها ومعصمها أي أن معول ربعة في الشرف على هؤلاء القوم كما أن معول اليد على كفها ومعصمها.

24- تغزو تغلب تغلب مثل اسمها وتسبح غنم في السباد فتغنم

25- فتذكرون غدا صنائع مالك إن جل خطب أوتدوقع مغرم⁽¹⁾

26- فمن النقي من العيوب وقد غدا عن داركم ومن العفيف المسلم

يقول تغزو تغلب تغلب غلبة مثل اسمها أي أنها غالبة للعدو كما أن اسمها تغلب، ومعنى تسبح تسير، وغنم حي من تغلب ومعنى قوله تدوقع مغرم أي تخاموه ولم يتحملوه لنقله عليهم، ثم قال لهم إذا حمل مالك عنكم فمن الظاهر من العيوب غيره فيكم أو من المسلم الصحيح الإسلام بعده منكم أي ليس فيكم عوض منه.

27- ما لي رأيت تراكم ببسالة مالي رأيت جفاركم تنهدم⁽²⁾

28- ما هذه القرى التي لا تنقى ما هذه الرحم التي لا ترحم⁽³⁾

يقول مالي أراكم تقطعون رحمه وتويسون الثرى بينكم وبينه، وهذا مثل في قطع الرحم، وقال النبي صلى الله عليه وسلم في صلته: "بلوا أرحامكم ولو بالسالم". وقوله مالي رأيت جفاركم تنهدم مثل، والمعنى مالي أرى أحلامكم وعقولكم تنهافت، وما لأراكم تنساقط ويقال ليس لفلان جول أي قفل ورأي وليس للهِ زبر، والجول جانب الثير، والزبر هي الثير، فأشار أبو تمام إلى هذا المعنى، والجفار الآبار.

29- حمد القرابة للقرابة قرحة تلدت وسائلها وجرح أقدم⁽⁴⁾

15- إن القباب المستقلة يبينها ملك يطيب به الزمان ويكرم⁽¹⁾

16- لا تألف الفحشاء برديه ولا يسري إليه مع الظلام المساء

17- متبذلاً في القوم وهو مجيل متوضع في الحى وهو معظم⁽²⁾

المستقلة الراحلة يعني قباب مالك ورهطه، وقوله لا تألف الفحشاء برديه أي هو عفيف طاهر الثوب، ونفى اقتراف الإثم عنه بالليل لأنه وقت يستتر فيه بالآثام فيتجرأ عليها، ثم قال لتواضعه وكرمه يتبذل في قومه ويتواضع فيجبل ويعظم.

18- يعلمو فيعلم أن ذلك حقّه ويذبل فيهم نفسه فيكرم

19- إيهما بني عمرو بن غنم إنكم هدف الأسنة والقنا تنحطم⁽³⁾

20- المجد أعنق والديار فسيحة والعز أقعس والعبيد عرمرم

يقول يعلمو مرة فلا ينكر ذلك منه لأنه بحق ما يعلو لشرفه ويهين مرة نفسه تواضعاً فيكرم، ثم قال لبني تغلب ينهاتهم عن المخالفة إيهما بني عمرو أي كفوا عما أنتم عليه، ثم جعل يمدحهم ويعدد محاسنهم لتكون الحجة عليهم أئزم في ترك المخالفة لما فيها من عقوق الرحم ولؤم الفعل فقال أنتم للأسنة هدف أي غرض عند اشتداد الحرب إذا اعتمد على القنا فتكسرت ومجدكم أعنق أي مشرف طويل العنق، ودياركم فسيحة واسعة، وعزكم أقعس مرتفع لا يذل ولا يضع ظهره إلى الأرض وعددكم كثير عرمرم شديد فأبوا على أحسابكم بالطاعة والانقياد لسرايتكم.

21- ما منكم إلا مردى بالحجا أو مبشر بالأحذية مؤدم

22- عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتد اب بن سعد سهمكم لا يسهم

23- خلقت ربعة من لدن خلقت يدا جشم بن بكر كفها والمعصم⁽⁴⁾

1- ح.ص: "المستقلة" و "المستقلة"

2- ح.ص: "وهو متجل" و "وهو متجل"

3- ص.و: "مهلا" و "يتحطم"

4- ص.و: "مئلدن" و "مئلدن"

1- ح.و: "وستذكرون" و.ح.ص: "إن حل" و.ح.ت: "ستذكرون".

2- ح.و: "تراكم" و "ومالي أرى ألوادكم" و.ح.ت: "رأيت نداءكم".

3- ح.و: "لاصطفى".

4- ح.و: "أعيت عواندنا وداء أقدم" و.ت: "أعيت عواندنا" و.ح.ت: "دوا"

- 30- تلكم قريش لم تكن آراؤهم تهفو ولا أحلامهم تنقسم⁽¹⁾
- 31- حتى إذا بعث النبي محمد فيهم غدت شحناؤهم تنضرم يقول الحسد حمل بني تغلب على مخالفة ابن عمهم مالك وقديما كان الحسد من الأقارب داء لا يبرأ وقرحة لا تداوى، ثم قتل بأمر قريش مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال كانت قريش ثابتة الآراء لا تهفو ولا تطيش وكانت أحلامها مجتمعة عندهم غير عازية عنهم حتى بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم فجعلت شحناؤهم تشتعل وعداوتهم تنضرم وتتقد له حدا ويغيا عليه.
- 32- عزبت عقولهم وميامن معشر إلا وهم منه ألب وأحزم⁽²⁾
- 33- لما أقام الوحي بين ظهورهم ورأوا رسول الله أحمد منهم
- 34- ومن الحزامة أيها النطف الحشى ألا تؤخر من به تشد⁽³⁾
- يقول عزبت عقول قريش لما أقام الوحي بين ظهورهم ورأوا الرسول عليه السلام منهم حسدا ويغيا على أنهم ألب الناس وأحزهم، ثم ضرب مثلا فقال ومن الحزم لك أيها المذهب القلب المظن الرأي ألا تؤخر من يتقدم به ولا تخالف من يتشرف بمكانه وتزع بطاعته.
- 35- إن تذهبوا عن مالك أو تجهلوا نعماء فالرحم الضعيفة تعلم⁽⁴⁾
- 36- هي تلك مشكاة بكم لو تشكي مظلومة لو أنها تنظلم
- 37- كانت لكم أخلاقه معسولة فركتموها وهي ملح علقم
- يقول إن ذهبتكم يودكم ونصحكم عن مالك أو جهلتكم نعمه فليكم فالرحم المستعفة التي قطعتموها وجدلتكموها تعلم بذلك وشهد له به فعلكم، ثم قال الرحم مشكاة لكم بقطعكم لها مظلومة فلو كانت ممن يعقل لاشتكت منكم ونظلمت من فعلكم،

¹ - ح.ص. د. ت: "وحينا يرحم".

² - يعلم جبل على ليلتين من مكة، من جبال نهضة وأهل مكة، تستدير أوديه إلى البحر، وهو في طريق البئر إلى مكة، ويقال: أظلم بالهجر، وهو الأصل، والياء بدل من الهمزة (معجم ما استعجم ج 2: 1398).

³ - القري: 179.

⁴ - ح.ص.م. "اللسان" وهو تصحيف وح.ت. "في عزه".

⁵ - ح.ص. د. ت. ولو استطاع.

وبغيمهم أيقنت بوقوعه قبل أن يقع فكان ذلك كسما غيمت بعارض من السحاب فخيّل للمطر فمن نظر إليه علم أنه سيأتي بوبل غزير.

- 51- يا مال قد علمت ربيعة أنه ما كان مثلك في الأرقام أرقم⁽¹⁾
52- طالت يدي لما رأيتك سالما وانحت عن خدي ذاك العظم
53- وشمنت ترب الرحبة العبق الثرى وشفى صدي البحر فيها الحضر⁽²⁾

الأرقام حي من تغلب، والعظم الوسة التي يخضب بها الشيب والعبق الطيب الرائحة والصدى العطش، والحضر الماء الكثير. يقول مالك ربيعة تقر بفضلك وأنت ليس في الأرقام من يشبهك، ثم قال لما وردت سالما من الجزيرة ظافرا طالت يدي على الذهر، وذعب عن وجهي سواده للإشفاق والحزن، وطابت لي رائحة فنانك وقرت ساحتك ورويت من بحر عطائك الجزيل الذي هو كالخضر من البحور كذلك.

- 54- كم حل في أكتافها من معدم أمسى به يأوي إليه المعدم⁽³⁾
55- وصنعية لك قد كتمت جزيلها فأبى تضوعها الذي لا يكتم
56- مجد تسوح حجوله وفضيلة لك سافر والحق لا يتلثم⁽⁴⁾

يقول كم من معدم فقير حل في ساحتك فأغنيته فأمسى المعدم الفقير يحمده به ويأوي إليه، وقوله أمسى أي بذلك البحر، ثم قال كم من صنعية لدي كتمتها ولم تخفها فأبت أن تكتم جلوتها وانتشار غيرها الذي هو كضوع الطيب، ثم قال ذاك مجد مشهور كالقرس المحجل فحجوله لائحة ظاهرة، وتلك فضيلة لك سافرة عن وجهها لا تستتر كما أن الحق لا يتلثم أي لا يخفى ولهذا قالوا الحق أبلج، وقال فضيلة سافر كما قال امرأة حاض وطاهر على معنى السب.

- 57- تتكلف الجلوس ومن هذا له بيتناك في جشم فلا يتجشم⁽⁵⁾

الزحف الدرغ الحصينة، واللهمز المحدود، والمرهم المطر، والجوى داء في القلب من ألم الحزن. يقول رمت أن تؤثروا في مجده فردكم عن ذلك ما شهر به من الفضل الذي يقوم برفعكم عنه ورد طعنكم عليه مقام الدرغ لدفع السنان الهمز عن لابسها، ثم قال ما أعز عليه حالكم إذا ابتأستم واشتدت بعده أحوالكم وتذكرتم نعمه عليكم، ووجدتم من ألم الندامة وحر الحصينة ما هو كالقيظ المؤذي لشدة حره، وتبين أن يعود عليكم الربيع المطر بعودة مالك إليكم وندمتم على قبيح فعلكم ولو قدر على دفع الندامة عنكم لوفاكم منها، وفرج عنكم ألبها، ويروي لوقاكم.

- 46- ولو أنها من هضبة تدنوه لدنا لها أو كان عرق يحجم
47- ما ددعت تلك السروب ولا اغتدت فريقي في قرنين تلك الأسهم⁽¹⁾
48- ولقد علمت لدن لجحتم أنه ما بعد ذاك العرس إلا المآثم
الهضبة الكدية العظيمة ضربه مثلا للقبيلة، والسروب جماعات الإبل. يقول لو أنكم معشر بني تغلب تدنوا لما لك تبضحكم ومودتكم لدنا لكم بمثل ذلك أو كان من قبلكم داء يبرأ بالمعالجة لدناكم ولم يعنف عليكم، وضرب حسم العرق وهو قطعه للمعالجة مثلا أي شركم أشد من أن يدفع إلا بالشدّة عليكم، ثم قال لو دنوتهم له ما فرقت أشد جماعتكم ولا ددعت أموالكم ولا غدتهم طائفتين متباينتين بعد اجتماعكم واختلافكم، وضرب القرنين والأسهم مثلا، والقرن الكنانة، ثم قال لما رأيتمكم ملحين في مخالفتهم أيقنت أن ما أنتم عليه من النعمة سيعود عليكم بأسا وشدّة، وضرب العرس، والمآثم مثيل.

- 49- علما طلبت رسومه فوجدتها في الظن إن الألعبي منجم
50- ما زلت أعرف وبه من عارض لما رأيت سماءه تنغميم

الألعبي الذكي الظن. يقول علمت ذلك علما هداني إليه ودلني عليه ظني الصادق فوجدته موسوما فيه، وكذلك الألعبي يقوم له ظنه مقام ما يدعيه المنجمون من علم ما لم يقع كذبوا ولعنوا، ثم أكد هذا فقال لما رأيت شواهد ما وقع على ظلمهم

¹ ص و ت: "دعغت بالمدال المعجمة و"أصبحت" و ح ت: "ولا غدت".

¹ ص و ت: "علمت نزار كلها".

² ص و ت: "وشفى" و ح: "وشفى صدي".

³ ص و ت: "أمسى بكم".

⁴ ح ص و ت: "فضوله".

⁵ ص و ت: "ومن أصح له" و ح: "يتكلف".

58- وتشرف العليا وهل بك مذهب عنها وأنت على المكارم قيم

الجلسى الأمر الجليل، وجشم قبيلة، يقول من كان له مثل بيتك في الشرف من قبل أبيك وأمك فجدير أن يتحمل الأمور الجلييلة ويتجشمها، وقوله من هذا له أي من الذي له وهي لغة، ثم قال وينزل من المعالي في أشرفها وكيف لا يكون ذلك وأنت قيم عليها ناظر لها.

59- أثنيت إذ كان الثناء حباله شركا يصاد به الكريم المنعم

60- ووفيت إن من الوفاء تجارة وشكرت إن الشكر حرث مطعم

يقول أثنيت عليك فأنتيتني وشكرت نعمتك فزدتني، وكذلك الثناء حباله ومصيدة للكريم من الرجال المنعم المفضل، والشكر كالحرث الذي هو راجع على صاحبه بالتماء وكثرة النعم.